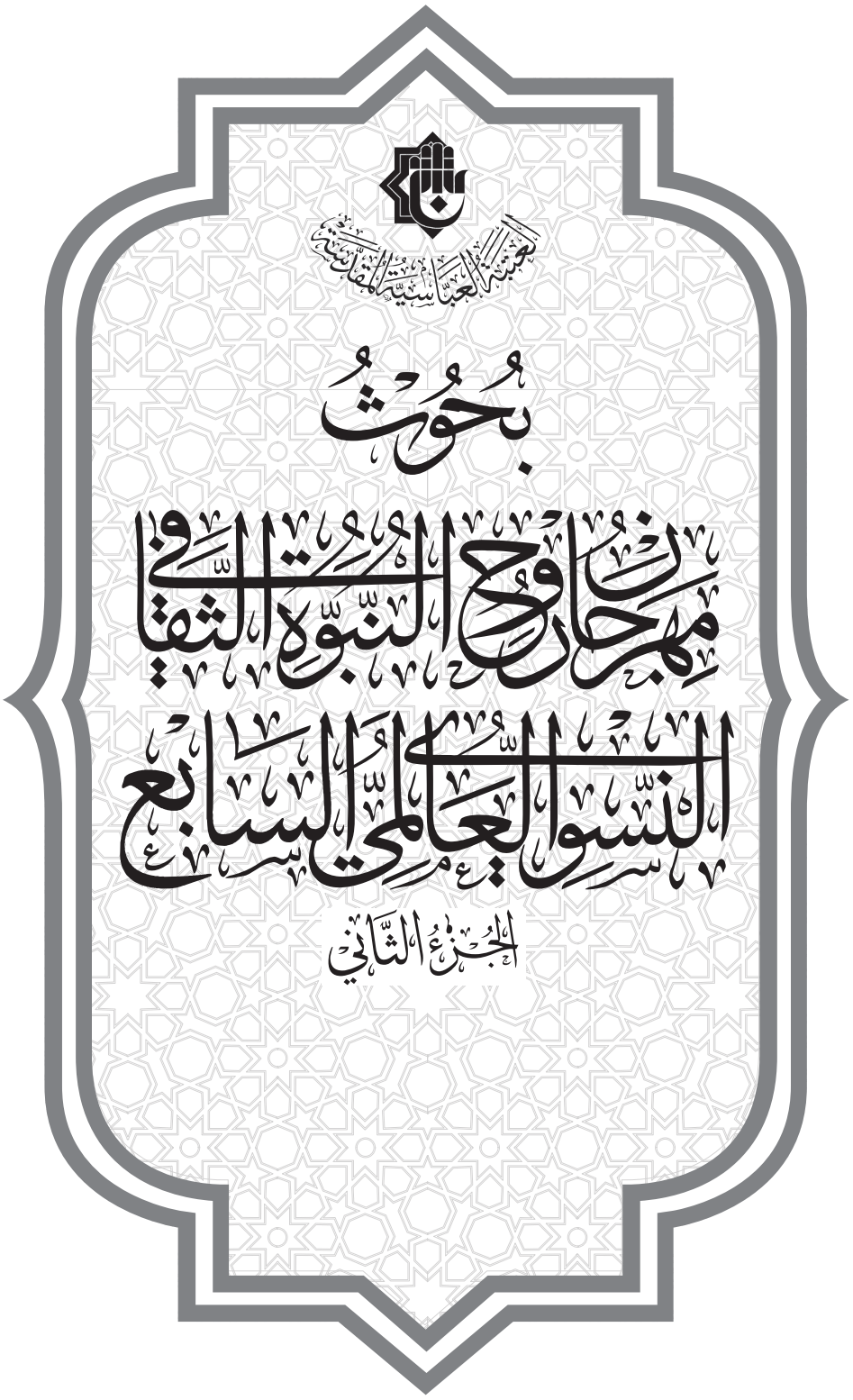
العتبة العباسية المقدسة
بحوث
مهرجان فاروق النبوة الثقافي
للنساء العالمي السابع
الجزء الثاني

الكتاب: بحوث مهرجان روح النبوة االثقافي النسوي العالمي السابع (الجزء الثاني).

الناشر: العتبة العباسية المقدسة.

إشراف وتدقيق: اللجنة العلمية للمهرجان.

الاخراج الطباعي وتصميم: علاء سعيد الاسدي، علي عبد الحليم.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٥٠ .

شهر صفر ١٤٤٧هـ-آب ٢٠٢٥م

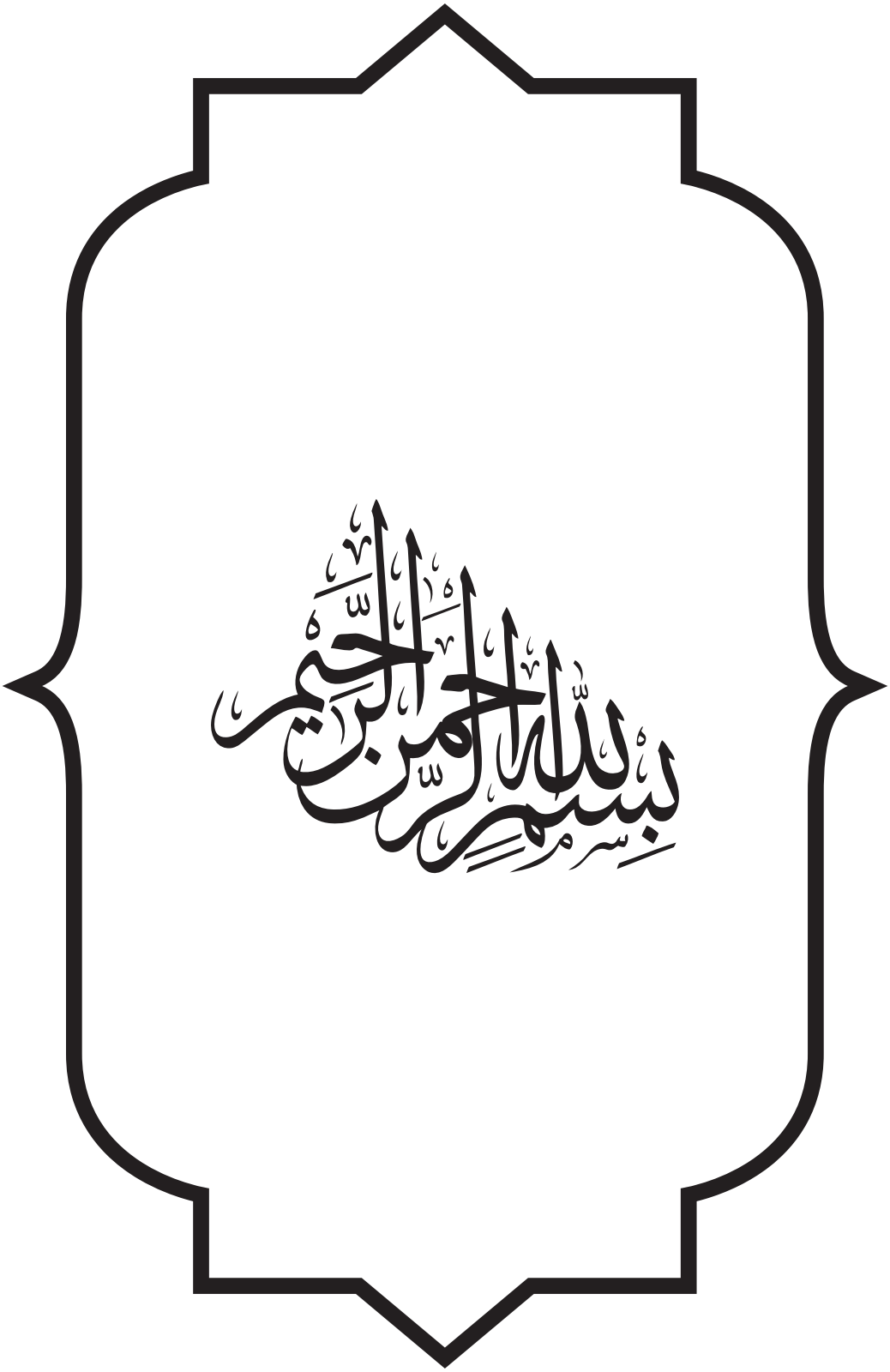
بسم الله الرحمن الرحيم

اللجنة التحضيرية للمهرجان

الست منى وائل عباس	مشرفا
الست بشرى جبار الكناني	رئيساً
الست سارة عبد الله محمد	عضواً
الست سارة حسن الحفار	عضواً
الست نور وديع عبد الجليل	عضواً
الست مشكاة محمد علي	عضواً
الست إسراء حميد ابحيلج	عضواً

اللجنة الإعلامية

الست نور محمد العلي

الست بسمة صالح مهدي

الست غسق مكي سلمان

الست اسراء علي جاسم

الست ازهار عبد الجبار حسن

اللجنة العلمية

أ.د. سلمى عبد الحميد حسين الهاشمي	جامعة البصرة
أ.د. كريمة نوماس محمد المدني	جامعة كربلاء
أ.د. فضيلة عبوسي محسن العامري	جامعة الكوفة
أ.د. نوال عائد هلول الميالي	جامعة الكفيل
أ.د. انتصار عدنان عبد الواحد العواد	جامعة البصرة
ا.د. سكينة حسين كاظم تاج الدين	جامعة المثنى
أ.م. د. زهراء رؤوف جواد الموسوي	الجامعة المستنصرية
ا. م. د. أسماء قاسم	جامعة كربلاء
أ.م. د مواهب صالح مهدي الخطيب	جامعة كربلاء
م. م زهراء عباس محمد الهاشمي	
م. م دعاء حسن سهيل التميمي	شعبة مدارس الكفيل

المحتويات

قراءة في المرويات التأريخية والعقدية للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ٧

الباحثة: م. د. امل حمودي رشيد

التربية عند السيدة الزهراء عليها السلام والفكر الحديث ٣٧

الباحثة: ايمان كامل عبد الله

مواجهة مخاطر الحرب الناعمة على الأبناء ٦٣

الباحثة: بتول حيدر روماني

البعد التكويني للسيدة الزهراء عليها السلام ودوره في تحقيق كمال المرأة ٩٤

الباحثة: حنان عيدان الزبيدي

ايثار السيدة الزهراء عليها السلام ومنطلقات الأفعال بين النفس والعقل ١٣٠

الباحثة: بان محمد عربي

تجليات القيم التربوية والأخلاقية ومقاصدها في سيرة السيدة الزهراء عليها السلام ١٥٥

الباحثة: زينب حسين عبد علي المعموري

مفهوم التكافل الاقتصادي والاجتماعي للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ١٨١

الباحثة: أنوار حميد كريم السلامي

المنظومة القيمية في الخطبة الفدكية واثرها في تحقيق التنمية البشرية ١٩٦

الباحثة: م. م حنين عباس سالم

فاطمة الزهراء عليها السلام في المنظور الأخلاقي والإجتماعي المعاصر ٢٢٧

الباحثة: مروه فالح عبد الحسن محاسن

تجسدات سيدات بيت العصمة (سلام الله عليهن) الرد الأمثل لقضايا المرأة ٢٥١

الباحثة: م.م زينب علاء محمد جواد الأعسم

استراتيجيات الحجاج في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام ٢٩٤

الباحثة: م. سيماء فاضل مشكور الظالمي

السيدة خديجة قدوة واسوة ٣١٢

الباحثة: ميسون موسى عبد الكريم

العفة والستر عن عقيدة وفكر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ٣٣٧

الباحثة: هدى جاسم نعمة

الفضاء المعرفي في تشكيل صورة الزهراء عليها السلام ٣٦٠

أ. م. د منى صالح الدجيلي

Equating and Contrasting in Fadak Sermon of Al-Zahra (peace be upon her) : A Critical Stylistic Study 1

Zainab Hilal Sukkar (MA) Pro. Iman Mingher Obied (Ph.D.)

Fatima Al-Zahra': The Global Archetype of Perfect Womanhood as Perceived by Some Western Feminist Writers 33

Amani Nouri Saeed

The Impact of Sayeda Fatima's Role Modeling on Identity Formation & Self-efficacy 56

قراءة في المرويات التأريخية والعقدية
للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام
في كتاب الكافي للكليني

الباحثة : م. د. امل حمودي رشيد

الملخص

ان السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من أهم شخصيات التاريخية في حياة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله لأسباب عدة منها انها اخصهم لديه منزلة، وقد استمدت منزلتها هذه من منزلتها عند الله عز وجل لأنه يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، فهي احدى الاسماء التي اتمها عز وجل لآدم عليه السلام فقبل توبته، وعليها تدور الدوائر، وهي احدى أهل الكساء الذين لأجلهم خلق الله تعال السموات والارض، وغيرها من الاسباب، وقد وردت سيرتها العطرة بين طيات كتاب الكافي بجميع اجزائه ومنها مروياتها في الجانب العقائدي، بالإضافة إلى بيان مصدر معلومات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وعلومها؛ لما له اهمية عن بيان صدق مروياتها لأنها مستمدة من منابع الدين الإسلامي الاصيلة، وهذا ما سيتم تسليط الضوء عليه في هذه الصفحات من البحث.

الكلمات المفتاحية: المرويات، السيدة الزهراء عليها السلام، كتاب الكافي، الكليني.

Abstract

Lady Fatima Al- Zahra (peace be upon her) is one of the most important historical figures in the life of the Messenger of God Muhammad (may God's prayers and peace be upon him and his family) for several reasons، including the fact that she is the closest to his daughters، and the most important of them is his status. This status was derived from her status with God Almighty، as she is one of the names that the Almighty completed. Glory be to Adam (peace be upon him)، so he accepted his repentance. It is on her that circles revolve، and for her sake God created the heavens and the earth، and other causes. Her fragrant biography was mentioned within the folds of the book Al- Kafi in all its parts، including her narrations on the doctrinal aspect، in addition to an explanation of the source of the information of Lady Fatima Al- Zahra (peace be upon her) and her sciences، which is important for explaining the truthfulness of her narrations. Because it is derived from the authentic sources of the Islamic religion، and this is what will be highlighted in these pages of research.

key words: Narrations، Lady Al- Zahra (peace be upon her)، Al- Kafi's book، Al- Kulayni

المقدمة

نالت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وآله اهتمام الباحثين والمؤرخين منذ القرون الاولى من تدوين التاريخ الإسلامي، ولم يخلوا اي مصنف من ذكر مروياتها وبعضا من سيرتها العطرة، كما كان لها ارتباطا وثيقا بسيرة اشرف الخلق اجمعين سيرة رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، لأسباب عدة اهمها ما أُختصت به عليها السلام منزلتها التي ذكرت في الآيات القرآنية، وشهد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله لها بهذه المنزلة بأحاديث عديدة، فهي أحد الخمسة الذين من اجلهم خلق الله عز وجل الكون، ناهيك عن انها كانت مواكبة لمسيرة والدها صلى الله عليه وآله منذ ولادتها لغاية وفاته صلى الله عليه وآله فكانت اقرب المقربين له، عاشت افراحه واحزانه وشهدت معاركه، محمد صلى الله عليه وآله، لذا جاءت أهمية الموضوع في تسليط الضوء على مروياتها بالجانب العقائدي فكان عنوان البحث (قراءات في مرويات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام التأريخية في الجانب العقائدي من خلال كتاب الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م).

ان من اسباب اختيار الموضوع بيان اهتمام كُتاب المصنفات الحديثية بمرويات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ومنهم ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني كنموذج كونه يعد من الرعيل الاول من كُتاب الحديث ومرويات أهل البيت عليهم السلام، بالإضافة لبيان اهمية هذه المرويات التاريخية في الجانب العقائدي الواردة عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فشمل البحث مبحثين يسبقهما تمهيد ويتبعهم خاتمة وقائمة المصادر التي تم الاستعانة بها، وشمل التمهيد والمبحثين المحاور الآتية:

التمهيد: التعريف بمفاهيم البحث: وهي التعريف بالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وبيان مفهوم العقيدة، وتعريف موجز عن أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، واخيرا تسليط الضوء بشكل موجز بتعريف كتاب الكافي. اما المبحث الأول بعنوان: المرويات التاريخية لأصل علومها الواردة في كتاب الكليني: تم ذكر المرويات التي تثبت أصل علوم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وهو رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلم اللدني الذي نالته السيدة الزهراء من الله عز وجل لمنزلتها عنده، وهذه العلوم والتي وثقها الكليني. في حين كان المبحث الثاني: لوح فاطمة الزهراء عليها السلام: تناول فيه أهم وثيقة تأريخية عقائدية ذكرها ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني تثبت فيها التسلسل الحقيقي لأئمة

أهل البيت عليهم السلام الاثني عشرية الواجب طاعتهم. وقد استعانت الباحثة بعدد من المصادر الاولية مع كتاب الكافي، لزيادة التوثيق.

التمهيد: التعريف بمفاهيم البحث

اولا: فاطمة الزهراء عليها السلام:

أسمها ونسبها هي: «فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله...أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشيّةُ الهاشميّة»(١)، ولابد من الإشارة إلى علة تسميتها «فاطمة» التي نوهت عنها الروايات التاريخية إلى عدة أسباب منها: قول النبي صلى الله عليه وآله: «**شق الله لك يا فاطمة اسما من اسمائه، فهو فاطر وانت فاطمة**»(٢)، وكون الخلق فطموا عن معرفتها، ولان الله فطمها بالعلم وعن الطمث بالميثاق، وفطم الله عز وجل ذريتها عن النار، وفطمها ومحبيها من النار(٣).

كما ورد تسمية السيدة فاطمة عليها السلام في السماء بالمنصورة: «لما ولدت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سماها المنصورة، فنزل جبرائيل، فقال: **يا محمد، الله يقرؤك السلام، ويقرئ مولودك السلام، وهو يقول: ما ولد مولود أحب إلي منها**»(٤).

اما عن كنى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ولها العديد منها، اشهرها: أُمُّ أبيها، أُمُّ الحسنين، أُم الريحانتين، أُم الأئمة وغيرها(٥)، كما لقبت بعدد من الالقاب اهمها:

---

(١) الكُليني، ابي جعفر، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، اصول الكافي، تح: مركز إحياء التراث، (مركز بحوث دار الحديث، قم، د. ت): ج١ ص٣٤٨- ٣٤٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ/ ٩٩١م)، معاني الأخبار، تنقيح: علي اكبر الغفاري، ط١، (مطبعة اعتماد، قم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص٥٥- ٥٦؛ المسعودي، فاضل، الاسرار الفاطمية، (دار منشورات قم، إيران، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ص٣٩١..

(٣) الكليني، الكافي: ج١ ص٤٦٠؛ ابن المغازلي، أبي الحسن علي بن محمد الواسطي (ت:٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تح: عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، ط١، (دار الآثار، صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص١١٨؛ أبن شهر اشوب، مُحَمّد بن علي بن شَهر آشوب السَّروي المازندراني (ت: ٥٨٨هـ/ ١١٩٨م)، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، (دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م): ج٣ ص٨٦٩.

(٤) الذهبي، أبو عبدالله، محمد بن احمد بن عثمان (ت:٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م): ج٢ ص٤٠٠؛ وج٣ ص٤٣٩.

(٥) ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٨٧٢؛ ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت:٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، أسُد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م): ج٧ ص٢١٦؛ المسعودي، الاسرار الفاطمية، ص٢٧١- ٢٨٠.

الزهراء، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمحدثة، والبتول، والحوراء[1].

اما عن مولدها فقد ذكر الكليني في رواية عن أَبَي جَعْفَرٍ عليه السلام انه قال: «**وُلِدَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بَعْدَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِخَمْسِ سِنِينَ**»[2]، وفي ورواية أخرى عن انعقاد النطفة في صلب رسول الله كانت من ثمر الجنة فعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: «**أن الله لما أسرى بي إلى السماء أمر جبرائيل فأدخلني الجنة، وأوقفني على شجرة ما رأيت أطيب رائحة منها، ولا أطيب ثمراً، فأقبل جبرائيل يفرك ويطعمني، فخلق الله منها في صلبي نطفة، فلما صرت إلى الدنيا واقعت خديجة فحملت، وإني كلما اشتقت إلى رائحة تلك الشجرة شممت نحر فاطمة، فوجدت رائحة تلك الشجرة منها، وإنها ليست من نساء أهل الدنيا، ولا تعتل كما يعتل أهل الدنيا**»[3] وقد اختلفت الروايات في نوعها أن كانت من سفرجل أو رطب أو تفاحة أو غيرها، الا انه الثابت انها من ثمار الجنة[4].

تزوجت السيدة فاطمة الزهراء الامام علي بن أبي طالب عليهما السلام: «**لو لم يخلق الله علي بن أبي طالب ما كان لفاطمة كفو**»[5]، وانجبت منه اولادها الاربعة وهم الحسن والحسين وزينب وام كلثوم عليهم السلام، شاركت ابيها في معاركه وحجته، وكانت اول أهل بيته اللحوق به بعد وفاته، وقد اختلفت الروايات عن تاريخ وفاتها عليها السلام فذكر المؤرخين انها عليها السلام توفيت بعد أبيها صلى الله عليه وآله بسبعين يومًا، وقيل ثلاثة أشهر، وقيل ستة أشهر، وكان عمرها الشريف أربعًا وعشرين سنة، وقيل سبعًا وعشرين سنة، وقيل ثمانٍ وعشرين سنة[6]. وقد بشرها والدها رسول الله صلى الله عليه وآله بانها أول الناس لحوقا به في رواية: «دعا النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة، فقال لها: انه قد نُعيت إليه نفسه. فبكت. فقال: «**لا تبكين فأنك أول أهلي لوحقا بي**» فضحكت»[7]، إذ ذكر الكليني عمرها عند وفاتها عليها السلام بقوله: «وَتُوُفِّيَتْ وَلَهَا ثَمَانَ عَشْرَةَ

(١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ/ ٩٩١م)، علل الشرائع، ط١، (بيروت، دار الاندلس، د. ت): ج١ ص٢٣٩؛ ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٨٧٠.

(٢) الكُليني، اصول الكافي: ج٢ ص٤٨٨.

(٣) الكليني، أصول الكافي: ج١ ص٣٤٨؛ الصدوق، الامالي، ص١٣٩- ١٤٠.

(٤) الكليني، أصول الكافي: ج١ ص٣٤٨؛ الصدوق، الامالي، ص١٣٩- ١٤٠؛ ابن المغازلي، مناقب أمير المؤمنين علّي، ص٤٢٢؛ ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٨٩١.

(٥) ابن شهر اشوب، مناقب ال أبي طالب: ج٢ ص٢٩.

(٦) الكُليني، اصول الكافي: ج٢ ص٤٨٩.

(٧) احمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط

سَنَةً وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ يَوْماً»[1].

هذه النبذة المختصرة عن سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تعريفا مبسطا كونه من واجبات التعريف بمفاهيم البحث، الا ان هذه الكلمات ما هي الا قطرة من بحر سيرتها العطرة.

ثانيا: بيان مفهوم العقيدة:

العقيدة لغة: مأخوذة من: (العقد)، وهو: نقيض الحلّ، ويقال: عقدت الحبل، فهو: معقود، ومنه: عقدة النكاح، والعقد: العهد، والجمع: عقود، وهي أوكد العهود. ويقال: عهدت إلى فلان في كذا وكذا، وتأويله: ألزمته بذلك. فإذا قلت: عاقدته، أو: عقدت عليه، فتأويله: أنّك ألزمته ذلك باستيثاق[2].

والمعاقدة: المعاهدة؛ قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾[3] هي العهود، والفرائض الزموها، منها قوله تعالى: ﴿**أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾[4]، قد خاطب الله المؤمنين بالوفاء بالعقود التي عقدها الله تعالى عليهم، والعقود التي يعقدها بعضهم على بعض على ما يوجبه الدين[5].

أمّا العقيدة في الاصطلاح الشرعي فهي: تطلق على الإيمان بأُصول الدين. وقد قرّر العلماء من الفريقين على أنَّ العقائد يجب أن يصل فيها الإنسان إلى الجزم واليقين، ولا يكفي في العقيدة الظنّ؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾[6]؛ وقال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[7]؛ فالعقلاء يهتدون بمن يوصلهم إلى اليقين بالحقائق، أمّا الذي ليس بهادٍ وليس بعارف بالحقيقة فلا يهتدي إلى الواقع؛ فلا يمكن أن يكون هادياً للآخرين، وغاية ما يستفاد من قوله هو الظنّ، وهو لا يغني من الحقّ شيئاً كما تقدّم، فلا بدّ للإنسان

وآخرون، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م): ج٤١، ص٣١؛ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (ت:٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، صحيح البخاري، (دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م): ج٤ ص٢٠٣.

(١) الكُليني، اصول الكافي: ج٢ ص٤٨٨.

(٢) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م): ج١ ص١٦٥؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل (ت: ٧١١هـ/ ١٣١٣م)، لسان العرب، ط٣، (دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م): ج٣ ص٢٩٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ١.

(٤) ابن سيده، المحكم المحيط: ص١٦٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب: ج٣ ص٢٩٦.

(٦) سورة النجم: الآية ٢٨.

(٧) سورة يونس: الآية ٣٥.

من اتّباع الأدلّة للوصول إلى حالة الاطمئنان والعلم بأنَّه على عقيدة صحيحة سليمة.

ثالثا: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م):

اسمه: محمد بن يعقوب بن اسحاق وكنيته ابو جعفر[١]. ولد في قرية كلين التابعة لمدينة الري، التي تعد هي وقراها من مراكز الشيعة الامامية، بالإضافة إلى وجود بقية المذاهب لاسيما المذهب الشافعي والمذهب الحنفي، اما عن سنة ولادته فقد ورد عنها بانه: «لا يمكن القطع بأي تاريخ على وجه التعيين لسنة ولادته، وكل الذي بأيدينا أنه ولد في زمان الإمام العسكري عليه السلام»[٢]، بشكل قطعي الا انه المعروف انه ولد في وقد كان والده من الاجلاء من رجال العلم، وهذا يدل على ان الكليني نشأ وترعرع في بيئة علمية دينية ساهمت في صقل شخصيته وتنمية مواهبه العلمية والمعرفية، وقد ولد في عصر الإمام الحسن العسكري الذي امتدت من(٨/ ربيع الاخر / ٢٣٢هـ) إلى (٨/ ربيع الاول/ ٢٦٠هـ)، وبهذا فقد عاصر السفراء الاربعة ووكلاء الامام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام الخاصين الذين كانوا حلقة وصل بينه عليه السلام وبين شعته واتباعه من الامة، وكانوا ثقاة وعلى مستوى فقهي وثقافي عالي، وكانت لهم منزلة عند الخاصة[٣]. وقد تتلمذ الكليني على يد اشهر شيوخ عصره في الحديث والفقه[٤]، من علماء أئمة أهل البيت عليهم السلام وفقهائهم، ثم انتقل إلى مدينة قم إذ سمع الحديث من بعض رجال الامامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام دون وساطة[٥]، واصبح بعد ذلك شيخا في الحديث فتتلمذ على يديه العديد من طلاب العلم[٦]، ثم في اواخر حياته سافر إلى بغداد وبالتحديد سنة (٣٢٧هـ/ ٩٣٩م)[٧]،

(١) الكليني، أصول الكافي: ج١ ص٥.

(٢) في مقدمة بعض مترجمي الكافي أنه ولد مقارنا بولادة الإمام محمد بن الحسن الحجة عليه السلام عام (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م). ينظر: الكليني، أصول الكافي: ج١ ص٥؛ الغفار، عبد الله الرسول عبد الحسين، الكليني والكافي، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص١٢٥.

(٣) لجنة مؤلفين، اعلام الهداية، السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، (المجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م): ج٣ ص١٣٥.

(٤) من شيوخه: محمد بن الحسن الصفار (ت: ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)، واحمد بن ادريس القمي (٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، احمد بن محمد بن سعيد الهمداني ابن عقدة (ت:٣٣٣هـ/ ٩٣٥م)، وغيرهم. ينظر: الكليني، أصول الكافي: ج١ ص٤٥- ٦٥.

(٥) رجال الامامين العسكريين عليهما السلام امثال: ابو علي أحمد بن إسحاق الأشعري القمي، محمد بن إبراهيم بن مهزيار. ينظر: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، اختيار معرفة الرجال المعروف بـ(رجال الكشي)، تح: جواد القيومي، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص ٥٥٧، النجاشي، ابو العباس أحمد بن علي (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٤٠م)، الرجال، تح: محمد جواد النايئيني، (بيروت، دار اضواء، د.ت)، ص٨٩، ٢٥٠.

(٦) من تلامذته: أحمد بن محمد ابو غالب (ت: ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)، وجعفر بن محمد بن قولويه (ت: ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)، عبد الكريم عبد الله البزاز، وهارون بن موسى التلعكبري (ت: ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م). ينظر: الكليني، أصول الكافي: ج١ ص٦٥- ٧٥.

(٧) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي،

اي قبل سنتين من وفاته ودفن فيها[1]، وكان قد انتهى من تأليف كتابه الكافي. من ناحية أخرى فقد عاصر الكليني الدولة العباسية في عصرها الثاني الذي امتاز بازدهار الحركة الفكرية وانتعاش قوة نشطاها الفكري، وعطائها المعرفي، على الرغم من شدة تدهور الاوضاع السياسية في هذه الحقبة الزمنية في القرنين (٣و٤هـ/ ٩و١٠م)[2].

حاز الكليني على احترام لا مثيل له، دليله المكانة والمنزلة العظيمة التي يمتلكها عند العامة والخاصة على حد سواء، مما يدل على ذلك لم يتعرض للتشكيك أو الاعتراض أو الريبة، وانما على العكس من ذلك فقد نال وثاقة من جميع العلماء، ولقب بالقاب تدل وثاقته منها (ثقة الإسلام)[3]. وقد عرفه عدد منهم في كتبهم تعريفا مختصرا شاملا لترجمته بالقول: «الكليني بضم الكاف وإمالة اللام وقبل الياء نون فهو أبو جعفر بن يعقوب الكليني الرازي شيخ فاضل شهير، من رءوس الشيعة وفقهائهم المصنفين في مذاهبهم وكان ينزل بباب الكوفة في درب السلسلة في بغداد وتوفي بها في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ودفن بباب الكوفة في مقبرتها. ورأيت قبره بالقرب من صراة الطائي عليه لوح مكتوب فيه هذا قبر محمد بن يعقوب الرازي الكليني الفقيه»[4].

رابعا: كتاب الكافي:

عنوان الكتاب (الكافي) وهو منسوب إلى بأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني

(بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م): ج٥٦، ص٢٩٧؛ ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م): ج٧ ص٨٧.

(١) لا يزال قبره مزار من مزارات بغداد ومعالمها الحضارية لغاية يومنا الحاضر في جانب الرصافة من بغداد.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ج٥ ص٢٦٩؛ السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، ط١، (مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٢٥٦- ٢٦٠؛ لجنة مؤلفين، اعلام الهداية، الامام علي بن محمد الهادي، (قم المقدسة، المجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م): ج١٢، ص١٤٦- ١٤٧.

(٣) النوري الطبرسي، الشيخ حسين بن محمد تقي (ت:١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢م)، خاتمة مستدرك الوسائل، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم المقدسة، مؤسسة ال البيت عليهم السلام، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م): ج٣ ص٢٧٢.

(٤) ابن ما كولا، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت: ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م): ج٧ ص١٤٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٧ ص٨٧؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، ط٢، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م): ج٢٤، ص٢٥٠.

(ت: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) وهو الثابت دون شك، يعد موسوعة حديثية، موضوعاته متخصصة في جمع الاحاديث، بدأ من احاديث رسول الله صلى الله عليه وآله ثم ائمة الاثني عشرية عليهم السلام، لذا فانه يستمد اهميته من اهمية الحديث الذي هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وهي: (القرآن الكريم، والأحاديث، والإجماع، العقل) والكتب الاربعة وهي: (كتاب الكافي) للشيخ ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، وكتاب (من لا يحضره الفقيه) للشيخ ابي جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق (ت: ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، (كتاب الاستبصار)، وكتاب (تهذيب الاحكام) كلاهما للشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ/ ١٠٥٠م).

وقد وردت أقوال عن سبب تسميته وتأليفه، الاول بحسب ما ورد عن مؤلفه بقوله انه يريد ان يؤلف كتابا: «ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين، والعمل به بالآثار الصحيحة، عن الصادقين عليهم السلام»[١]، والقول الثاني بانه: «لكون القائم -أي محمد بن الحسن العسكري- قد أطلع عليه واستحسنه وأقر ليكون كافي لشيعتهم»[٢]، وقد ضم كتاب الكافي على ثلاثة أقسام رئيسية هي:

١- أصول الكافي: تناول فيه ثمانية (فصول أو عناوين) تبين الاصول العقائدية للدين الإسلامي نقلا عن أهل البيت عليهم السلام، بالإضافة إلى بعض المحاور التي ترتبط بالقضايا العقائدية.

٢- فروع الكافي: وشمل كتب عديدة جمع فيها مرويات أهل البيت عليهم السلام في المسائل الفقهية امثال: كتاب، الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتاب الجنائز، والعقيقة، والصوم والحج، والصدقة، والنكاح، والطلاق، والعتق، والصيد، والديات، والذبائح، والقضاء، والاحكام، والنذر والكفارة، والايمان، والوصايا، والمواريث، والزي، والأطعمة، والاشربة، والدواجن، وغيرها مما يتعلق بالمسائل الفقهية[٣].

٣- روضة الكافي: وهو القسم الثالث من كتاب الكافي، وهذا القسم خصص لمواضيع مختلفة، ومحاور متنوعة، غير مرتبطة بعضها بالبعض الاخر، ودون تنظيم وفق منهج معين، وإنما جاءت في محاور متنوعة منها: باب تأويل بعض آيات القرآن الكريم وتفسيرها، كما تناول فيه وصايا الأئمة عليهم السلام

(١) الكليني، أصول الكافي: ج١ ص٨؛ النجاشي، الرجال، ص٣٧٧- ٣٧٨.

(٢) المامقاني، الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ عبد الله، (ت: ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، تنقيح المقال، (بيروت، ١٣٢٢هـ/ ٢٠٠١م): ج٣ ص٢٠٢.

(٣) الكليني، الكافي: ج٥؛ وج٦؛ وج٧؛ وج٨؛ وج٩؛ وج١٠؛ وج١١؛ وج١٢؛ وج١٣؛ وج١٤.

ومواعظهم، ثم انتقل إلى استعراض المرويات التاريخية الخاصة بالرؤيا وانواعها، ثم ذكر مرويات الأئمة عن الاوجاع وعلاجها، لينتقل إلى موضوع آخر مختلف تماما حمل عنوان (كيفية خلق العالم وبعض ظواهره)، ثم تأريخ ثلة من الانبياء، فضل الشيعة وواجباتهم، ثم بابا عن الامام المهدي، وأوصافه، وصفات اصحابه، وتأريخ ثلة من الشخصيات الخلص في تاريخ الإسلام امثال: جعفر بن أبي طالب، وابو ذر الغفاري، وزيد بن علي، وثمامة بن أثال وغيرهم[1].

تأتي اهمية هذا الكتاب كما هو واضح كونه موسوعة شاملة لأغلب الاحاديث، وفي زمن قريب من عصر الأئمة لاسيما الإمامان علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، فضلا عن معاصرته العصر السفراء الاربعة[2] للإمام الثاني عشر الامام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام، ناهيك عن معاصرته من زمن رواته وسلسلة أسانيده الثقات، وعدم ابتعاده زمنيا عن زمن الرواية أو الحدث، لذلك فقد حظي باهتمام العلماء والمؤرخين منهم رأي الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) بقوله: «هو من أجل كتب الشيعة، وأكثرها فائدة»[3]، وشهد له العلامة محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ/ ١٦٩٩م) بتفرد هذا الكتاب عن بقية المصنفات قال: «بأنه لم يؤلف مثله بين المسلمين»[4]، كما وصفه الشيخ عبد الله المامقاني (ت: ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م) قائلا: «لم يكتب مثل كتاب الكافي في الإسلام»[5]. وغيرهم ممن سلط الضوء على المعلومات المهمة في هذا الكتاب، أبحر في طياته لينتهل منه، لاسيما طلاب العلم

(١) المصدر نفسه: ج١٥.

(٢) اسماء السفراء الاربعة هم: النائب الاول عثمان بن سعيد العمري الملقب بالسمان، الذي استمرت سفارته السنوات الخمس الاولى من الغيبة الصغرى أي السنوات (٢٦٠- ٢٦٥هـ)، والسفير الثاني محمد بن عثمان العمري أو نيابته السنوات (٢٦٥- ٣٠٥هـ) أي من بدأ من الغيبة الصغرى سنة (٢٦٥هـ) لغاية وفاته سنة (٣٠٥هـ)، والحسين بن روح النوبختي، كان نائب الامام الثالث استمرت نيابته السنوات (٣٠٥- ٣٢٦هـ)، وعلي بن محمد السمري استمرت السنوات الثلاثة الاخيرة قبل بدأ عصر الغيبة الصغرى، أي السنوات (٣٢٦- ٣٢٩هـ) إذ بوفاة السمري سنة (٣٢٩هـ) بدأت الغيبة الكبرى، إذ انه قبل وفاة السَّمري أصدر الإمام الحجة عليه السلام توقيعاً يُنبئ عن قرب وفاة السَّمري، ويعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى، وعهد السفارة بموت السَّمري، ويمنعه من أن يوصي بعد موته إلى أحد ليكون سفيراً بعده، كما حضر الوكلاء عنده واستنسخوا التوقيع، وفي اليوم السادس حضر الوكلاء بين يدي السَّمري، وسألوه عن وصيه من بعده؛ فقال: «لله أمر هو بالغه» وقضى. فهذا آخر كلام سمع منه، بعد وفاة السَّمري انقطع الاتصال المباشر بين النواب والإمام الثاني عشر وبدأت زمن الغيبة الكبرى. ينظر: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٨٧م)، الغيبة، ط١، (بيروت، لبنان، منشورات الفجر، د. ن)، ص٢٧، ٢٤٣؛ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ/ ٩٩١م)، كمال الدين وتمام النعمة، (بيروت، لبنان، مؤسسة الاعلمي، ١٩٩١م): ج٢ ص٥١٦.

(٣) المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، تصحيح إعتقاد الإمامية، (قم المقدسة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٤)، ص٦٨.

(٤) المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م): ج١٠٨، ص١٣٨.

(٥) تنقيح المقال: ج٣ ص٢٠٢.

والباحثين في السيرة النبوية وسيرة أهل بيته الأئمة الاطهار عليهم السلام، إذ لا غنى لطالب العلم من الرجوع لهذا الصرح العلمي العظيم والتزود منه.

المبحث الأول: المرويات التاريخية لأصل علومها الواردة في كتاب الكليني:

تقسم علوم السيدة فاطمة الزهراء إلى نوعين هما: الاول العلم المكتسب أو الموروث من ابيها رسول اللهﷺ ويمكن تعريف هذا العلم بانه: هو العلم الذي يحصل عليه الإنسان عن طريق الاطلاع، أو مجالسة أهل العلم والأخذ منهم، ونحوهما، مِن النظر والبحث والتفكير والتحصيل وصولاً للمطلوبات التصوريّة والتصديقيّة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[1] وعلم لدني وهو العلم الالهيّ الخاص، الذي يَهبه اللهُ عزّ وجل إلى مَن يشاء من عباده وبطرق غير عادية، قال عزّ وجل في كتابه الكريم: ﴿... **وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾[2]. وعلى هذا فان المرويات الواردة في كتاب الكافي تقسم وفق انواع العلم على النحو الاتي:

أولا: العلم المكتسب: هي العلوم التي اكتسبتها ورثتها السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام، من أبيها رسول الله محمدﷺ، وتشمل العلمَ بالقرآن الكريم، فيه توضيح لكل شيء، والعلم بالسنة النبوية الشريفة بأدق تفاصيلها، وأحكامها، والعلوم التي أنزلها الله (عزّ وجل) على أنبيائه من آدمعليه السلام إلى النبي الخاتم محمدﷺ، فهذه العلوم اكتسبتها ورثتها كُلُّها من أبيها محمدﷺ، وهذا ما يفسر ان رسول الله كان يصفها بانهاعليها السلام بضعة منهﷺ فعلومها ما هي الا بضعة هي من علوم أبيهاﷺ، وهذا ما ورد في حديثهﷺ قائلا: «**وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي وهي الحوراء الانسية**»[3]. إذ ان أحد اصول علوم السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام مستمدة من ابيها رسول اللهﷺ، وما علمها اياها، وانها لم تختلف عن الامام عليعليه السلام عند تلقينه العلوم والمعارف الربانية التي انتهلوها من رسول الله محمدﷺ، فقد كانت تنهل السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام علومها فهو من ابيها رسول الله محمدﷺ وكان ذلك في حياته الشريفة، وقد ذكر الكليني روايات عديدة بهذا الخصوص مبينا منزلتها ومكانتها بالإضافة إلى علومها، منها أورد الرواية عن الامام عليعليه السلام بقوله: «**وَقَدْ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلى رَسُولِ اللهِﷺ كُلَّ يَوْمٍ دَخْلَةً وَكُلَّ لَيْلَةٍ دَخْلَةً، فَيُخْلِينِي فِيهَا، أَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ**

(١) سورة النحل: الآية ٧٨.

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٣) الصدوق، الأمالي، ص١٧٥.

دَارَ، وَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ ذلِكَ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي، فَرُبَّمَا كَانَ فِي بَيْتِي يَأْتِينِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَكْثَرُ ذلِكَ فِي بَيْتِي، وَكُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ مَنَازِلِهِ، أَخْلَانِي وَأَقَامَ عَنِّي نِسَاءَهُ، فَلَا يَبْقى عِنْدَهُ غَيْرِي، وَإِذَا أَتَانِي لِلْخَلْوَةِ مَعِي فِي مَنْزِلِي، لَمْ يُقِمْ عَنِّي فَاطِمَةَ وَلَا أَحَداً مِنْ بَنِيَّ، وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُهُ أَجَابَنِي، وَإِذَا سَكَتُّ عَنْهُ وَفَنِيَتْ مَسَائِلِي ابْتَدَأَنِي، فَمَا نَزَلَتْ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْرَأَنِيهَا، وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ، فَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي، وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا، وَنَاسِخَهَا وَمَنْسُوخَهَا، وَمُحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَدَعَا اللهَ أَنْ يُعْطِيَنِي فَهْمَهَا»[1]. يتضح من الرواية بان يستودع النبي محمد ﷺ علومه عند أهل بيته وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وهذه الرواية دليل على ذلك في العبارة «**وَإِذَا أَتَانِي لِلْخَلْوَةِ مَعِي فِي مَنْزِلِي، لَمْ يُقِمْ عَنِّي فَاطِمَةَ وَلَا أَحَداً مِنْ بَنِيَّ**» فهم مستودع علم الله وخزانه، وتراجمت وحيه، فقد وردت رواية عن ابي جعفر محمد الصادق عليه السلام قوله: «**نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض**»[2] وغيرها من الروايات التي تدل على ثبوت علوم أهل البيت وعلى رأسهم امهم فاطمة الزهراء عليها السلام من ابيها رسول الله محمد ﷺ. منها أو اورده الكليني رواية عن رسول الله محمد ﷺ اعطى كراسة ذكر فيها بعض علامات المؤمن واوصافه بقوله: «**فَأَعْطَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كُرَيْسَةً، وَقَالَ: تَعَلَّمِي مَا فِيهَا، فَإِذَا فِيهَا: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ؛ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ؛ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ**»[3]، اي يتضح من النص السابق امران الاول اهتمام النبي ﷺ في تعليم ابنته فاطمة عليها السلام كل ما يوضح اصول الدين وشرح تعاليمه ومنها علامات المؤمن وكيف الحكم على الإنسان ان كان مؤمنا حقيقيا ام غير ذلك عن طريق سلوكه بين افراد المجتمع، الامر الثاني الذي يوضحه النص هو ان العلوم قد جمعها رسول الله ﷺ في كراسة وسلمها إلى ابنته فاطمة عليها السلام لتُعلم الناس هذه المبادئ منها مراعاة الجار بالابتعاد عن ايذائه، وإكرام الضيف، وثالثها عدم التدخل بشؤون الغير الا بالقول الصالح والحسن هي من أهم علامات المؤمن بالله واليوم الاخر، بل انها دليل على صحة ايمانه، بأصول الدين الإسلامي، وليس فقط الانتماء إلى الإسلام بالقول دون العمل بتعاليمه، فالمسلم من سلم الناس من يده ولسانه، هذه الامور توطد من دعائم العلاقات الاجتماعية، وتحفظ للإنسان كرامته، والحفاظ عليها يؤمن السلام الاجتماعي على مر العصور وما دام المجتمع يسير على هذه الركائز الاساسية، فان

(١) الكليني، اصول الكافي: ج١ ص١٦١.
(٢) الكليني، اصول الكافي: ج١ ص١٩٢.
(٣) المصدر نفسه: ج٤ ص٧٥٨.

الإنسان يحيى حياة طيبة في ظله.

أيضا من التعاليم التي علماه رسول الله محمد ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام الواجب عمله من قبل جيران المتوفي اثناء المصاب لأحد افراد العائلة، وهي المواساة من قبل الجيران، وتولي رعايتهم بتأمين الطعام لأهل المتوفي، لما هم فيه من كدر وحزن يذهب عنهم الانشغال باعداد الطعام، في اثناء تلقي نبأ الوفاة، وكان خير تطبيق لهذا الامر عند استشهاد جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ، فقد اورد الكليني رواية عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، انه قَالَ: «**لَمَّا قُتِلَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** عليه السلام، **أَمَرَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ **فَاطِمَةَ** عليها السلام **أَنْ تَتَّخِذَ طَعَاماً لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَتَأْتِيَهَا وَنِسَاءَهَا، فَتُقِيمَ عِنْدَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَجَرَتْ بِذلِكَ السُّنَّةُ أَنْ يُصْنَعَ لِأَهْلِ الْمُصِيبَةِ طَعَامٌ ثَلَاثاً**»[1] أيضاً مما علمه رسول الله محمد لابنته عليها السلام في آداب الحزن على المتوفي هي رواية ذكرها الكليني عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، نقلا عن أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ علي عليه السلام انه قال: «**مُرُوا أَهَالِيَكُمْ بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ عِنْدَ مَوْتَاكُمْ ؛ فَإِنَّ فَاطِمَةَ (سَلَامُ اللهِ عَلَيْهَا) لَمَّا قُبِضَ أَبُوهَا** ﷺ **أَسْعَدَتْهَا**[2] **بَنَاتُ هَاشِمٍ، فَقَالَتِ: اتْرُكْنَ التَّعْدَادَ**[3]**، وَعَلَيْكُنَّ بِالدُّعَاءِ**»[4]. كما ورد في وصية رسول الله ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام في حال وفاته، بان تنبذ العادات والتقاليد المتبعة في عصر الجاهلية من النياح والتفاخر وشق الثياب وغيرها، فقد اورد رواية عن ابي جعفر محمد الباقر عليهما السلام أنه قال «**إِنَّ رَسُولَ اللهِ** ﷺ **قَالَ لِفَاطِمَةَ** عليها السلام: **إِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَخْمِشِي عَلَيَّ وَجْهاً، وَلَا تُرْخِي عَلَيَّ شَعْراً، وَلَا تُنَادِي بِالْوَيْلِ، وَلَا تُقِيمِي عَلَيَّ نَائِحَةً**»[5]. وهذا النصوص كفيلة في بيان السلوكيات الحسنة التي لا بد من الالزام بها وهي وصايا وتعاليم النبي محمد ولا بد من الالتزام بها والتأسي بتعاليهم اولها مراعات حقوق أهل المتوفي بالعناية بهم وتوفير طعامهم لمدة ثلاثة ايام، وثانيا الابتعاد عن النوح والبكاء والتفاخر بمآثر الميت، واللجوء بدل ذلك إلى الدعاء، والاحتشام للنساء والابتعاد عن كل ما هو مسيء للأخلاق الحميدة والافعال المشينة البعيدة عن العمل الصالح. من الجدير بالذكر ان مثل هذه المسائل والتعاليم التي يصدرها رسول الله ﷺ إلى ابنته الزهراء عليها السلام لا تعد بالعلوم التي لا تعرفها أو وتحتاج إلى تعليهما لأنها من المسلمات، وبديهيات وليس علم وانما هي رسائل يصدرها الرسول ﷺ من خلال الزهراء عليها السلام

(١) المصدر نفسه: ج٥ ص٥٥٠.

(٢) أسعدتها: أصل الكلمة الأسعاد الإعانة على النياحة وغيره، الإسعاد المساعدة في البكاء خاصة. ينظر: المناوي، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف (ت: ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م)، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الداية، ط١، (دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م)، ص٦١.

(٣) التعداد: عدّ المفاخر والمكارم وذكر ما فائدة فيه ممّا يشبه الشكوى ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ج٣ ص ٢١٤.

(٤) الكليني، اصول الكافي: ج٥ ص٥٥٣.

(٥) المصدر نفسه: ج١١، ص٢١٢.

لتعليم الناس كونها قدوة واسوة حسنة لهم في المسائل الحياتية كافة.

أيضاً مما علمه رسول الله محمدﷺ لابنته فاطمةعليها السلام في الجانب العبادي ذكره الكليني في باب صلاة السيدة فاطمة الزهراء نقلها أَبَا عَبْدِ اللهعليه السلام عن جدته أنه قال: «**مَنْ صَلّى رَكْعَتَيْنِ يَعْلَمُ مَا يَقُولُ فِيهِمَا، انْصَرَفَ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ ذَنْبٌ**»(١)، وفي رواية اخرى أيضاً عنهعليه السلام نقلا عن جدته فاطمةعليها السلام انه قال: «**مَنْ صَلّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بِمِائَتَيْ مَرَّةٍ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ خَمْسُونَ مَرَّةً، لَمْ يَنْفَتِلْ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ ذَنْبٌ إِلَّا غُفِرَ لَهُ**»(٢). أيضا رواية عن أبي جعفرعليه السلام، انه قال: «**قال رسول اللهﷺ لفاطمةعليها السلام في رؤياها التي رأتها قولي: أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقربون وأنبياؤه المرسلون وعباده الصالحون من شر ما رأيت في ليلتي هذه أن يصيبني منه سوء أو شيء أكرهه، ثم اتفلي عن يسارك ثلاث مرات**»(٣).

ثانيا: العلم اللّدني: هو المصدر الثاني لمعلوماتها هو جبرائيلعليه السلام وقد اورد الكيني في كتابه عددا من الروايات التي تثبت هذا الامر، منها روايته التي نقلها عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهعليه السلام، انه قَالَ: «**إِنَّ فَاطِمَةَعليها السلام مَكَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِﷺ خَمْسَةً وَ سَبْعِينَ يَوْماً، وَكَانَ دَخَلَهَا حُزْنٌ شَدِيدٌ عَلى أَبِيهَا، وَ كَانَ يَأْتِيهَا جَبْرَئِيلُعليه السلام، فَيُحْسِنُ عَزَاءَهَا عَلى أَبِيهَا، وَيُطَيِّبُ نَفْسَهَا، وَيُخْبِرُهَا عَنْ أَبِيهَا وَمَكَانِهِ، وَيُخْبِرُهَا بِمَا يَكُونُ بَعْدَهَا فِي ذُرِّيَّتِهَا، وَكَانَ عَلِيٌّعليه السلام يَكْتُبُ ذلِكَ. فَهذَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَعليها السلام**»(٤). فالوحي لغة: الإعلام الخفي السريع، واصطلاحاً: الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى برسله وأنبيائه لإعلامهم ألوان الهداية والعلم. وإنما جاء تعبير الوحي عن هذه الطريقة باعتبارها خفية عن الآخرين، ولذا عبّر الله تعالى عن اتصاله برسوله الكريم بالوحي، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾(٥)، وهذه الآية حدّدت معنى الوحي المختص بالإيحاء للأنبياء والمرسلين أما قوله عز وجل: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾(٦)، وهي توضح معاني أخرى للوحي غير الانبياء

(١) المصدر نفسه: ج٦ ص١٤.
(٢) المصدر نفسه: ج٦ ص٥٩٨.
(٣) المصدر نفسه: ج١٥، ص٣٤٥.
(٤) الكُليني، اصول الكافي: ج٢ ص٤٨٩، ٦٠٠.
(٥) سورة النساء: الآية ١٦٣.
(٦) سورة الشورى: الآية ٥١.

والرسل من عامة الناس من الاولياء والصالحين من ذكر أو انثى وهو واضح في عبارة (من بشر..)، إذ لفظة بشر تشمل بني آدم كلهم من ذكر وانثى، وأن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إنما كانت محدّثة من قبل الملائكة بنحو من أنحاء الوحي الذي بينته الآيات الآنفة الذكر، فلا محالة أن تكون قد حدثت من قبل الملائكة كما دلّ القرآن على إمكان وقوع ذلك بانه ليس بالأمر الجديد، فالقرآن الكريم ذكر نماذج من النساء تحدّثن وتكلّمن مع الملائكة، وهن لسن بنبيّات ولا وصيّات وإنما كنّ وليات من أولياء الله، منهن ما حصل مع ام موسى عليه السلام عندما امرها الله عز وجل بألقاء ابنها في البحر ارسل لها وحيا يوحي اليها وهذا ما بينته الآية المباركة في قوله: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[1]. وهذا ليس بالغريب لما ورد عن السيدة مريم العذراء، منهن مريم عليها السلام قال تعالى: وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك على نساء العالمين[2]، وهذا ما ورد عند الكليني في رواية عن أبي جعفر محمد الباقر عن آبائه انه قال: «**لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله إلى ملك فأنطلق به لسان محمد صلى الله عليه وآله فسماها فاطمة، ثم قال: إني فطمتك بالعلم وفطمتك من الطمث**»[3]، وايضا هذا ما ورد في حديث: اسحاق بن جعفر بن محمّد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام انه قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إنّما سمّيت فاطمة محدّثة، لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها، كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة، إنَّ الله اصطفاك وطهّرك، واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾**[4]، **فتحدّثهم ويحدّثونها. فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنَّ مريم كانت سيّدة نساء عالمها، وإنّ الله عزّ وجلّ جعلك سيّدة نساء عالمك وعالمها، وسيّدة نساء الأوّلين والآخرين**»[5]، النموذج الثاني تكلم الملائكة مع سارة زوج النبي ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى... ۞ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۞ قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۞ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...**﴾[6]. يتضح مما سبق أن ساره زوجة

(١) سورة القصص: الآية ٧.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٢.
(٣) الكليني، الكافي: ج١ ص٤٦٠.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٢.
(٥) الصدوق، علل الشرائع: ج١ ص١٨٢.
(٦) سورة هود، الآيتان ٦٩- ٧٣.

النبي إبراهيم عليه السلام تحدثت مع الملائكة عاينتهم عندما بشّروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تكن نبيّة، كذلك الحال مع أن أمّ موسى بن عمران، كانت محدّثة ولم تكن نبييّة، وايضا وردت رواية عن محمّد بن أبي بكر لمّا قرأ وقول الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ**﴾[1] ولا محدّث، وهل يحدّث الملائكة إلّا الأنبياء؟ قال: إنَّ مريم لم تكن نبية وكانت محدّثة، وأُمّ موسى بن عمران كانت محدّثة، ولم تكن نبية، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشّروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تكن نبية، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت محدّثة، ولم تكن نبية».

وهذا الامر ليس بعسير أو بعيد على السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كانت محدّثة ولم تكن نبيّة، فالمحدّث هو من تكلّمه الملائكة بلا نبوّة ولا رؤية صورة، إذ المحدث يلهم له ويلقى في روعه شيء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى، أو ينكت له في قلبه من حقائق تخفى على غيره، أو غير ذلك من المعاني التي يمكن أن يراد منه أن الوحي كان ينزل على الزهراء عليها السلام، لا وحي نبوي أي يدل على نبوتها، ولا وحي قرآني أي أنه يحمل لها آيات قرآنية، بل وحي يوحى لها كما أوحي إلى مريم وسارة وأم موسى[2].

من الجدير بالذكر ان كلمة مصحف تطلق على الورق المجموع وأن في المعنى مأخوذة من أصحف جُمعت فيه الصُحف، وان الفرق بين الكتاب والمصحف هو ان: «الكتاب يكون ورقة واحدة ويكون جملة أوراق، والمصحف لا يكون إلَّا جماعة أوراق صحفت، أي جمع بعضها إلى بعض»[3]، فكلمة مصحف مأخوذة من الصحيفة وهي تعني: المصحف هو ما جُمع من الصحف بين دفتي الكتاب المشدود، والقرطاس المكتوب، ولذلك قيل للقرآن مصحف، يتضح من ذلك ان كل كتاب جمع بين دفتين يسمى مصحفاً[4]. وكان مما اورده الكليني معلومات عن مصحف فاطمة عليها السلام نقلا عن أئمة أهل البيت عليهم السلام منها رواية عن أَبَي عَبْدِ الله عليه السلام انه قَالُ: «**تَظْهَرُ الزَّنَادِقَةُ**[5] **فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَذلِكَ أَنِّي نَظَرْتُ فِي مُصْحَفِ فَاطِمَةَ** عليها السلام. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام؟ قَالَ:

(١) سورة الحج: الآية ٥٢.

(٢) الصفار، بصائر الدرجات: ص٣٤١؛ المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ/ ١٧٢٩م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار عليهم السلام، تح: لجنة من العلماء والمحققين، ط١، (بيروت- لبنان، مؤسسة الاعلمي، ٢٠٠٨م): ج٤٣، ص٧٩.

(٣) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو:٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)، معجم الفروق اللغوية، تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط١، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م): ص٤٤٧.

(٤) ابن منظور، لسان العرب: ج١٠، ص١٤٧.

(٥) الزنادقة: جمع الزِنْديق، وهو من الثنويّة، أو القائل ببقاء الدهر، أؤ القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبيّة، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان؛ ويقال عند العرب لكلّ ملحد ودهريّ. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج١٠، ص١٤٧.

إِنَّ اللهَ تَعَالى لَمَّا قَبَضَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله دَخَلَ عَلى فَاطِمَةَ عليها السلام مِنْ وَفَاتِهِ مِنَ الْحُزْنِ مَا لَايَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكاً يُسَلِّي غَمَّهَا وَيُحَدِّثُهَا، فَشَكَتْ ذلِكَ إِلى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَقَالَ لَهَا: إِذَا أَحْسَسْتِ بِذلِكَ وَسَمِعْتِ الصَّوْتَ، قُولِي لِي، فَأَعْلَمَتْهُ بِذلِكَ، فَجَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَكْتُبُ كُلَّ مَا سَمِعَ حَتّى أَثْبَتَ مِنْ ذلِكَ مُصْحَفاً». قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَلكِنْ فِيهِ عِلْمُ مَا يَكُونُ**»[1]. وفي رواية اخرى ذكرها الكليني أيضاً عَنْ أَبِي بَصِيرٍ في حديث طويل مع الإمام أبي عبد الله عليه السلام انه، قَالَ: «**وَإِنَّ عِنْدَنَا لَمُصْحَفَ فَاطِمَةَ عليها السلام، وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام؟**». قَالَ: قُلْتُ: وَمَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام؟ قَالَ: «**مُصْحَفٌ فِيهِ مِثْلُ قُرْآنِكُمْ هذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاللهِ مَا فِيهِ مِنْ قُرْآنِكُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ**»[2]. قَالَ: قُلْتُ: هذَا وَالله الْعِلْمُ، قَالَ: «**إِنَّهُ لَعِلْمٌ، وَمَا هُوَ بِذَاكَ**». ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ، وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**». قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، هذَا وَالله هُوَ الْعِلْمُ، قَالَ: «**إِنَّهُ لَعِلْمٌ، وَلَيْسَ بِذَاكَ**». قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَأَيُّ شَيْءٍ الْعِلْمُ؟ قَالَ: «**مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ الْأَمْرِ، وَالشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[3]. من الجدير بالذكر ان الروايات الواردة عن مصحف فاطمة موثقة في أهم الكتب الحديثية، ولا يوجد خلا في نصوصها والمعنى الوارد فيها[4].

هذا ما وقف عليه البحث عن المرويات الواردة في كتاب الكليني عن مصادر علمية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في كتابه الكافي.

---

(١) الكليني، اصول الكافي: ج١ ص٥٩٦. وينظر أيضاً: الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت:٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، بصائر الدرجات، (بيروت، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م): ص١٥٧.

(٢) وفي بصائر الدرجات زيادة هي: «إنّما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها». ينظر: الصفار: ص١٥١.

(٣) الكليني، اصول الكافي: ج١ ص٩٥٩- ٥٩٦. وينظر أيضاً: الصفار، بصائر الدرجات، ص١٥١؛ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ/ ٩٩١م)، الخصال، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٦٤٧؛ المفيد، أبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري (ت:٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، الاختصاص، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري (منشورات جماعة المدرسين، قم، ١٤١٤هـ): ص٢٨٢.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن رواية مصحف فاطمة عليها السلام ينظر: الصفار، بصائر الدرجات: ص١٥٩؛ النعماني، أبي عبد الله محمد بن ابن إبراهيم بن جعفر الكاتب، (ت حدود:٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، كتاب الغيبة، (منشورات أنوار الهدى، إيران، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م): ج٤ ص٥٤؛ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، الاستبصار فيما اختلف من الاخبار، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م): ج١ ص٤٧٢؛ الفتال النيسابوري زين المحدثين محمد بن الفتال (ت: ٥٠٨هـ/ ١١١٤م)، روضة الواعظين، تقديم: محمد مهدى السيد حسن الخرسان، (منشورات الرضي قم، إيران، د. ت): ص٢٣٢.

المبحث الثاني: الرواية التاريخية عن لوح السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

ان رواية (لوح فاطمة) من أهم المرويات العقائدية، لما لها أهمية بالغة في اثبات اسماء الأئمة الأنثى عشر الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: «**لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، ويكون عليهم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش**»[1]، كونها من الروايات الدالة على إمامة الاثني عشر إمام، اول رواية وردت عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الْأَنْصَارِيِّ، أنه قَالَ: «دَخَلْتُ عَلى فَاطِمَةَ عليها السلام وَبَيْنَ يَدَيْهَا لَوْحٌ، فِيهِ أَسْمَاءُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِهَا، فَعَدَدْتُ اثْنَيْ عَشَرَ آخِرُهُمُ الْقَائِمُ عليه السلام، ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ مُحَمَّدٌ، وَثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ عَلِيٌّ»[2]. وفي رواية اخرى عنه صلى الله عليه وآله انه قال: «**إثنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي، وخلقهم من طينتي**»[3].

ان تأريخ هذا اللوح يعود إلى زمن ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام لأبنها الإمام الحسين عليه السلام، أهداه الله عزو جل لها بهذه المناسبة السعيدة، وقد اورد الكليني عدد من النصوص عن لوح فاطمة أبرزها محادثة بين أَبِي جعفر محمد الباقر عليه السلام، مع جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الْأَنْصَارِيِّ الشاهد على هذا اللوح الفريد، بانه قال الامام الباقر له: «**إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَمَتى يَخِفُّ عَلَيْكَ أَنْ أَخْلُوَ بِكَ فَأَسْأَلَكَ عَنْهَا؟** فَقَالَ لَهُ جَابِرٌ: أَيَّ الْأَوْقَاتِ أَحْبَبْتَهُ، فَخَلَا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، فَقَالَ لَهُ: **يَا جَابِرُ، أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّوْحِ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي يَدِ أُمِّي فَاطِمَةَ عليها السلام بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَمَا أَخْبَرَتْكَ بِهِ أُمِّي أَنَّهُ فِي ذلِكَ اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ**»[4] من الجدير توضيح ان سؤال الامام محمد الباقر عن هذا اللوح ليس لانه لا يعلم كنه معناه وكيف وصل إلى جدته فاطمة عليها السلام انما ليسمع الموجودين في المجلس عن الشاهد العيان وهو جابر بن عبد الله الانصاري

---

(١) البخاري، صحيح البخاري: ج٩ ص٨١؛ مسلم، أبو الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)، صحيح مسلم، (مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م): ج٢ ص١١٩.

(٢) الكليني، اصول الكافي: ج٢ ص٦٩٧- ٦٩٨.وينظر أيضاً: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ/ ٩٩١م)، عيون أخبار الرضا، ط١، (منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م): ج١ ص٤٦؛ الخصال، ص٤٧٧.

(٣) الصدوق، عيون أخبار الرضا: ج١ ص٦٦؛ الطبرسي، ابي علي الفضل بن الحسن بن الفضل، (ت:٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، إعلام الورى بأعلام الهدى، (مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م): ج٢ ص١٧٢.

(٤) الكليني، اصول الكافي: ج٢ ص٦٨١ ٦٨٢. ينظر أيضاً: جاء: «بين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء فعددت اثني عشر أحدهم القائم، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي». الصدوق، الخصال، ص٤٧٨.

الذي عاش دهرا لغاية حياة الامام محمد الباقر عليه السلام وانه عاصر رسول الله صلى الله عليه وآله الذي حمله الرسول صلى الله عليه وآله السلام على الامام عليه السلام، وقد لجأ الامام الباقر عليه السلام إلى ان يروي بعض الروايات عن جابر الانصاري، اذ انه كان يحدث الناس ويقول حدثني جدي فكان بعض جهال المدينة يقولون كيف يحدث عمن لم يره، فأخذ يحدث بعض الاحاديث عن جابر الانصاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

وتتمة الحديث ان جابرٌ اجاب الامام الباقر عليه السلام قائلا: «أَشْهَدُ بِالله إِنِّي دَخَلْتُ عَلى أُمِّكَ فَاطِمَةَ عليها السلام فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، فَهَنَّيْتُهَا بِوِلَادَةِ (الْحُسَيْنِ عليه السلام)، وَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهَا لَوْحاً أَخْضَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ زُمُرُّدٍ، وَرَأَيْتُ فِيهِ كِتَاباً أَبْيَضَ شِبْهَ لَوْنِ الشَّمْسِ، فَقُلْتُ لَهَا: بِأَبِي وَأُمِّي يَا بِنْتَ رَسُولِ الله، مَا هذَا اللَّوْحُ؟ فَقَالَتْ: **هذَا لَوْحٌ أَهْدَاهُ اللهُ إِلى رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله فِيهِ اسْمُ أَبِي وَاسْمُ بَعْلِي وَاسْمُ ابْنَيَّ وَاسْمُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِي، وَأَعْطَانِيهِ أَبِي لِيُبَشِّرَنِي بِذلِكَ.** قَالَ جَابِرٌ: فَأَعْطَتْنِيهِ أُمُّكَ فَاطِمَةُ عليها السلام، فَقَرَأْتُهُ، واسْتَنْسَخْتُهُ فَقَالَ أَبِي: **فَهَلْ لَكَ يَا جَابِرُ أَنْ تَعْرِضَهُ عَلَيَّ؟** قَالَ: نَعَمْ، فَمَشى مَعَهُ أَبِي إِلى مَنْزِلِ جَابِرٍ، فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مِنْ رَقٍّ، فَقَالَ: **يَا جَابِرُ، انْظُرْ فِي كِتَابِكَ لِأَقْرَأَ عَلَيْكَ**، فَنَظَرَ جَابِرٌ فِي نُسْخَتِهِ، فَقَرَأَهُ أَبِي، فَمَا خَالَفَ حَرْفٌ حَرْفاً، فَقَالَ جَابِرٌ: فَأَشْهَدُ بِالله إِنِّي هكَذَا رَأَيْتُهُ فِي اللَّوْحِ مَكْتُوباً: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، هذَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَنُورِهِ وَسَفِيرِهِ وَحِجَابِهِ وَدَلِيلِهِ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَظِّمْ يَا مُحَمَّدُ أَسْمَائِي، وَاشْكُرْ نَعْمَائِي، وَلَاتَجْحَدْ آلَائِي، إِنِّي أَنَا اللهُ، لَا إِلهَ إِلَّا أَنَا، قَاصِمُ الْجَبَّارِينَ، وَمُذِيلُ الْمَظْلُومِينَ، وَدَيَّانُ الدِّينِ، إِنِّي أَنَا اللهُ، لَا إِلهَ إِلَّا أَنَا، فَمَنْ رَجَا غَيْرَ فَضْلِي أَوْ خَافَ غَيْرَ عَدْلِي، عَذَّبْتُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحداً مِنَ الْعَالَمِينَ، فَإِيَّايَ فَاعْبُدْ، وَعَلَيَّ فَتَوَكَّلْ**»[2].

ثم بدأ الله عز وجل بذكر اوصياء رسوله محمد صلى الله عليه وآله الواحد تلو الآخر، وان الوصاية حق لكل نبي ومرسل مبينا في كل وصي مهمته في اكمال الرسالة المحمدية واهم صفاته في حفظ العقيدة الحقة السليمة من كل انحراف أو اباطيل أو زيف[3]، ليكون الوصي بمعنى الكلمة قولا وفعلا كلا بحسب تكليفه الشرعي من الله عز وجل، فقال تعالى: ﴿**إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ نَبِيّاً فَأُكْمِلَتْ أَيَّامُهُ وانْقَضَتْ مُدَّتُهُ إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ وَصِيّاً، وَإِنِّي فَضَّلْتُكَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَفَضَّلْتُ وَصِيَّكَ عَلَى الْأَوْصِيَاءِ، وَأَكْرَمْتُكَ بِشِبْلَيْكَ وَسِبْطَيْكَ: حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ، فَجَعَلْتُ حَسَناً مَعْدِنَ عِلْمِي بَعْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ أَبِيهِ، وَجَعَلْتُ حُسَيْناً خَازِنَ وَحْيِي،**

(١) للمزيد من التفاصيل عن جابر بن عبد الله الانصاري ينظر: الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص٤٩؛ رشيد، أمل حمودي، أهل البيت عليهم السلام في مؤلفات الذهبي، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد، بغداد، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م)، ص٣٤٧.

(٢) الكليني، اصول الكافي: ج٢ ص٦٨١ – ٦٨٢. وينظر أيضاً: النعماني، كتاب الغيبة: ج١ ص٦٣.

(٣) رشيد، أهل البيت عليهم السلام في مؤلفات الذهبي، ص٣٤٨.

وَأَكْرَمْتُهُ بِالشَّهَادَةِ، وَخَتَمْتُ لَهُ بِالسَّعَادَةِ، فَهُوَ أَفْضَلُ مَنِ اسْتُشْهِدَ، وَأَرْفَعُ الشُّهَدَاءِ دَرَجَةً، جَعَلْتُ كَلِمَتِيَ التَّامَّةَ مَعَهُ وَحُجَّتِيَ الْبَالِغَةَ عِنْدَهُ﴾[1]، ثم أكمل جابر بن عبد الله الانصاري ما شهده وشاهده مكتوب في هذا للوح على إمامة العترة الطاهرة التسعة المعصومين من ذرية الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «**بِعِتْرَتِهِ أُثِيبُ وَأُعَاقِبُ: أَوَّلُهُمْ عَلِيٌّ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ وزَيْنُ أَوْلِيَائِيَ الْمَاضِينَ، وَابْنُهُ شِبْهُ جَدِّهِ الْمَحْمُودِ مُحَمَّدٌ الْبَاقِرُ عِلْمِي والْمَعْدِنُ لِحِكْمَتِي، سَيَهْلِكُ الْمُرْتَابُونَ فِي جَعْفَرٍ، الرَّادُّ عَلَيْهِ كَالرَّادِّ عَلَيَّ، حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأُكْرِمَنَّ مَثْوى جَعْفَرٍ، وَلَأَسُرَّنَّهُ فِي أَشْيَاعِهِ وَأَنْصَارِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، أُتِيحَتْ بَعْدَهُ بِمُوسى فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ حِنْدِسٌ ؛ لِأَنَّ خَيْطَ فَرْضِي لَايَنْقَطِعُ، وَحُجَّتِي لَاتَخْفى، وَأَنَّ أَوْلِيَائِي يُسْقَوْنَ بِالْكَأْسِ الْأَوْفى، مَنْ جَحَدَ وَاحِداً مِنْهُمْ فَقَدْ جَحَدَ نِعْمَتِي؛ وَمَنْ غَيَّرَ آيَةً مِنْ كِتَابِي فَقَدِ افْتَرى عَلَيَّ ؛ وَيْلٌ لِلْمُفْتَرِينَ الْجَاحِدِينَ - عِنْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ، مُوسى عَبْدِي وَحَبِيبِي وَخِيَرَتِي - فِي عَلِيٍّ وَلِيِّي وَنَاصِرِي، وَمَنْ أَضَعُ عَلَيْهِ أَعْبَاءَ النُّبُوَّةِ، وأَمْتَحِنُهُ بِالِاضْطِلَاعِ بِهَا، يَقْتُلُهُ عِفْرِيتٌ مُسْتَكْبِرٌ، يُدْفَنُ فِي الْمَدِينَةِ - الَّتِي بَنَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ - إِلى جَنْبِ شَرِّ خَلْقِي، حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَسُرَّنَّهُ بِمُحَمَّدٍ ابْنِهِ وَخَلِيفَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَ وَارِثِ عِلْمِهِ، فَهُوَ مَعْدِنُ عِلْمِي وَمَوْضِعُ سِرِّي وَحُجَّتِي عَلى خَلْقِي، لَايُؤْمِنُ عَبْدٌ بِهِ إِلَّا جَعَلْتُ الْجَنَّةَ مَثْوَاهُ، وَشَفَّعْتُهُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ، وَأَخْتِمُ بِالسَّعَادَةِ لِابْنِهِ عَلِيٍّ وَلِيِّي وَنَاصِرِي، والشَّاهِدِ فِي خَلْقِي، وَأَمِينِي عَلى وَحْيِي، أُخْرِجُ مِنْهُ الدَّاعِيَ إِلى سَبِيلِي وَالْخَازِنَ لِعِلْمِيَ الْحَسَنَ، وَأُكَمِّلُ ذلِكَ بِابْنِهِ (محمد) رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، عَلَيْهِ كَمَالُ مُوسى، وَبَهَاءُ عِيسى، وَصَبْرُ أَيُّوبَ، فَيُذَلُّ أَوْلِيَائِي فِي زَمَانِهِ، وَتُتَهَادى رُؤُوسُهُمْ كَمَا تُتَهَادى رُؤُوسُ التُّرْكِ وَالدَّيْلَمِ، فَيُقْتَلُونَ وَيُحْرَقُونَ وَيَكُونُونَ خَائِفِينَ مَرْعُوبِينَ وَجِلِينَ، تُصْبَغُ الْأَرْضُ بِدِمَائِهِمْ، وَيَفْشُو الْوَيْلُ وَالرَّنَّةُ فِي نِسَائِهِمْ، أُولئِكَ أَوْلِيَائِي حَقّاً، بِهِمْ أَدْفَعُ كُلَّ فِتْنَةٍ عَمْيَاءَ حِنْدِسٍ، وَبِهِمْ أَكْشِفُ الزَّلَازِلَ، وَأَدْفَعُ الْآصَارَ والْأَغْلَالَ،﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾**[2]»[3].

أيضاً من الجدير بالذكر ان هذا الحديث المهم تم ذكره عند كلا من الصدوق[4] (ت: ٣٨١هـ/ ٩٩١م) في كتابيه (إكمال الدين وعيون أخبار الرضا)، والنعماني[5] في كتابه (الغيبة)، والشيخ المفيد[6] (ت:

(١) الكليني، اصول الكافي: ج٢ ص٦٨٣ - ٦٨٦. رشيد، أهل البيت عليهم السلام في مؤلفات الذهبي، ص٣٤٧- ٣٤٨.

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٥٧.

(٣) الكليني، اصول الكافي: ج٢ ص٦٨٣ - ٦٨٦.. وينظر أيضاً: النعماني، كتاب الغيبة: ج١ ص٦٦.

(٤) إكمال الدين وتمام النعمة، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص ٣٠٨؛ وعيون أخبار الرضا، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٣٤.

(٥) كتاب الغيبة، ص٦٢.

(٦) الاختصاص، ص٢١٠.

٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) في كتابه (الاختصاص)، والشيخ الطوسي[١] (ت: ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م) (كتاب الغيبة)، وذكره الطبرسي[٢] (ت: ٥٤٨هـ/ ١١٥٣) في كتابه (الاحتجاج). لذا فان الايمان بمبدأ الامامة (الاثني عشرية من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام بعد امامة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام هي منصب من الله عز وجل احقيتهم به دون قية الخلق هو المبدأ الذي تتوقف عليه مذهب الامامة واتباعهم الذين عرفوا بالامامية أو الجعفرية أو الاثني عشرية وكل هذه الاسماء أو النعوت ما هي الا تأصيلا لمبدأ الامامة عندهم: «إنهم الفئة التي بايعت علياً بالخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً... وأن الامامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الامامة قضية تناط باختيار العامة، وينصب الإمام بتنصيبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن من أركان الدين، ولا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وبثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً من الكبائر والصغائر»[٣].

ومن أهم الاستدلالات من هذا الحديث هي:

١- ان لكل نبي أو رسول وصي وان خاتم الانبياء وأفضلهم محمد صلى الله عليه وآله فان وصيه الامام علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الاوصياء.

٢- الاستدلال على ان الإمامة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام وهم تسعة معصومين، كما تثبت عصمتهم ومنزلتهم عند الله عز وجل وانهم اهلا لهذا المنصب.

٣- تنتهي الامامة بآخر الأئمة وهو الامام الغائب المنتظر محمد بن الحسن عليه السلام.

٤- الراد عليهم والمنكر إمامتهم كالراد على الله عز وجل ومنكر أحكامه.

٥- منزلة الائمة عليهم السلام ليس فقط بتحملهم المحافظة على الدين الإسلامي عبر الازمان فقط، وانما بهم تحفظ الدنيا من الفتن والاغلال والزلازل.

---

(١) كتاب الغيبة، ط١، (منشورات الفجر، بيروت، د. ن): ص٥٣.

(٢) أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب (ت: ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الموسوي الرخساني، ط٤، (منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م): ج١ ص١٦٢.

(٣) الكليني، أصول الكافي: ج١ ص١٣٥؛ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، الهداية، تح: مؤسسة الامام الهادي عليه السلام، (مطبعة اعتماد، قم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م): ج١ ص٣٠؛ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، اوائل المقالات في المذاهب المختارات، (قم، مطبعة رضائي تبريز، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م): ص٤٦؛ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، ط٣، (بيروت، لبنان، دار المعرفة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م): ج١ ص١٦٩.

٦- ان مسألة الامامة هي الحد الفاصل بين المذاهب الإسلامية جمعها، المتوقف على الاعتراف والتصديق بإمامة الأئمة الاثني عشرية من عدمه تدور عليه الدوائر، وعلى أنكراه يترتب كل الانحرافات المذهبية التي اودت بالأمة الإسلامية إلى الانقسامات والضعف، واعطت لأعدائها الفرصة بالدخول والتوغل بين صفوف المسلمين.

الخاتمة

يتضح من دراسة بعضا من مرويات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في كتاب الكافي للكليني امور عديدة اهمها:

- ان علوم السيدة فاطمة عليها السلام ما هي الا من الله عز وجل ورسوله الكريم ابيها محمد صلى الله عليه وآله، فهي محدثة، وصديقة، ومباركة.

- اختصت السيدة عليها السلام عن النساء الهاشميات بمحادثة الملائكة لاسيما بعد وفاة ابيها، وقد كتب حديث الملائكة لها الامام علي عليه السلام ودونه في عدد من الاوراق عرف بمصحف فاطمة، وليس فيه شيء من كتاب الله عز وجل وآياته، وانما بذكر الاحداث من منذ بدأ الخليقة لغاية يوم القيامة.

- ان أهم رواية ذكرها الكليني هي رواية حديث لوح فاطمة عليها السلام الدال على ان الامامة هي منصب إلهي وقد حددت هوية كل امام من الأئمة الاثني عشرية لاسيما التسعة من ذرية الامام الحسين قبل ولادتهم عليهم السلام.

- هذا العلم الموجود في (لوح فاطمة) ما هو الا نقطة في بحر من علم الله عز وجل الذي افاض منه على السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

- عمد الاعلام المعادي على اخفاء هذا الحديث لما فيه من اهمية كبيرة في الحد من الخلافات الحاصلة عن مسألة الامامة، وتحديد من هم الأئمة الاثني عشرية الوارد ذكرهم في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

اولا: المصادر الاولية:

- أبن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت:٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

١- أسُد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٢- الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١،(بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م).

٣- مسند أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١،(مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (ت:٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

٤- صحيح البخاري، (دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م).

٥- المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)

- الذهبي، أبو عبدالله، محمد بن احمد بن عثمان (ت:٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م):

٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، ط٢، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

٨- تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، ط١، (مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

- أبن شهر اشوب، مُحمّد بن علي بن شَهر آشوب السَّروي المازندرانِي (ت: ٥٨٨هـ/ ١١٩٨م):
٩- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، (دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧هـ).
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):
١٠- الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، ط٣، (دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ/ ٩٩١م):
١١- إكمال الدين وتمام النعمة، (بيروت، لبنان، مؤسسة الاعلمي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)
١٢- الأمالي، تح: قسم الدرا رسات الإسلامية،) مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
١٣- عيون أخبار الرضا، ط١،(منشورات الشريف الرضي، قم،١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)
١٤- علل الشرائع، ط١، (بيروت، دار الاندلس، د. ت)،
١٥- معاني الأخبار، تنقيح: علي اكبر الغفاري، ط١، (مطبعة اعتماد، قم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
١٦- الهداية، تح: مؤسسة الامام الهادي عليه السلام، (مطبعة اعتماد، قم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)
- الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت:٢٩٠هـ/ ٩٠٢م).
١٧- بصائر الدرجات، (بيروت، مؤسسة الأعلمي، بيروت،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).
- الطبرسي، ابي علي الفضل بن الحسن بن الفضل(ت:٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).
١٨- الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الموسوي الرخساني، ط٤، (منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م).
١٩- إعلام الورى بأعلام الهدى،(مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٨٧م).
٢٠- الغيبة، ط١، (بيروت، لبنان، منشورات الفجر، د. ن).
٢١- اختيار معرفة الرجال المعروف بـ(رجال الكشي)، تح: جواد القيومي، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
٢٢- الاستبصار فيما اختلف من الاخبار، (دار الكتب الإسلامية، طهران،١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).
٢٣- تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو:٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م).

٢٤- معجم الفروق اللغوية، تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط١، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).
- الفتال النيسابوري زين المحدثين محمد بن الفتال (ت: ٥٠٨هـ/ ١١١٤م).
٢٥- روضة الواعظين، تقديم: محمد مهدى السيد حسن الخرسان، (منشورات الرضي قم، إيران، د. ت).
- الكُليني، ابي جعفر، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م).
٢٦- اصول الكافي، تح: مركز إحياء التراث، (مركز بحوث دار الحديث، قم، د. ت).
ابن ما كولا، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت: ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م).
٢٧- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م).
- المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١هـ/ ١٦٩٩م).
٢٨- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
- مسلم، أبو الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٤م).
٢٩- صحيح مسلم، (مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
- ابن المغازلي، أبي الحسن علي بن محمد الواسطي (ت:٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م).
٣٠- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تح: عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، ط١، (دار الآثار، صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).
- المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م).
٣١- اوائل المقالات في المذاهب المختارات، (قم، مطبعة رضائي تبريز، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م).
٣٢- الاختصاص، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري (منشورات جماعة المدرسين، قم، ١٤١٤هـ)
٣٣- تصحيح إعتقاد الإمامية، (قم المقدسة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٤).
- المناوي، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف(ت: ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م).
٣٤- التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الداية، ط١، (دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م).

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل (ت: ٧١١هـ/ ١٣١٣م).
٣٥- لسان العرب، ط٣، (دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م).
- النجاشي، ابو العباس أحمد بن علي (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٤٠ م).
٣٦- الرجال، تح: محمد جواد النايئيني، (بيروت، دار اضواء، د.ت).
- النعماني، أبي عبد الله محمد بن ابن إبراهيم بن جعفر الكاتب، (ت حدود:٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).
٣٧- كتاب الغيبة، (منشورات أنوار الهدى، إيران، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

ثانيا: المراجع الحديثة:

٣٨- لجنة مؤلفين، اعلام الهداية، السبدة فاطمة الزهراء عليها السلام، المجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
٣٩- المامقاني، الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد حسن بن الشيح عبد الله، (ت: ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، تنقيح المقال، (بيروت، ١٣٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
٤٠- المسعودي، فاضل، الاسرار الفاطمية، (دار منشورات قم، إيران، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ص٣٩١..
٤١- الغفار، عبد الله الرسول عبد الحسين، الكليني والكافي، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
٤٢- النوري الطبرسي، الشيخ حسين بن محمد تقي (ت:١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢م)، خاتمة مستدرك الوسائل تأليف تح:مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم المقدسة، مؤسسة ال البيت عليهم السلام، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

ثالثا: الرسائل والاطاريح:

٤٣- رشيد، أمل حمودي، أهل البيت عليهم السلام في مؤلفات الذهبي، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد، بغداد، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م).

التربية عند السيدة الزهراء عليها السلام

والفكر الحديث

الباحثة : ايمان كامل عبد الله

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان كيفية تربية الاولاد تربية صالحة حتى يكونوا أفراد فاعلين في مجتمعهم، ولكي يتم تحقيق ذلك لابد لنا من العودة إلى الاسس والمعايير التي سارت عليها سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم بيان أهم هذه الاسس المستنبطة من المصدر الاول للتشريع الإسلامي (القران الكريم) ومن المصدر الثاني (السنة النبوية الشريفة)، فضلا عن ذلك تطرقت إلى الاثار المتروكة جراء تطبيقها على أولادها، وما توصل إليه العلم الحديث من اسس في المقابل، واتضح ان الوالدين هما المؤسسان الأولان لما يكون عليه الأولاد فيما بعد فعليهم أن يبدؤوا تعليمهم من الصغر كل ما فيه صلاحهم وأن يجسدوا الأخلاق الفاضلة أمامهم ويتجنبوا كل ما يحرف التربية الصالحة عن مسارها، واتضح أيضا ان الزهراء عليها السلام هي أول من وضع هذه الاسس.

Summary

This research aims to explain the importance of raising children well so that they can be active individuals in their society. In order for this to be achieved، we must return to the foundations and standards followed by the Lady of the Women of the Worlds، Fatima al- Zahra (peace be upon her)، and then explain the most important of these foundations deduced from the first source. To Islamic legislation (the Holy Qur'an) and to the second source (the noble Prophet's Sunnah). In addition، it touched on the effects left behind as a result of applying it to its children، and the foundations that modern science has reached in return It became clear that parents are the first and main founder of what children will become later on. They must begin teaching them from a young age everything that is good for them، embody good morals before them، and avoid everything that deviates good upbringing from its path. It also became clear that Al- Zahra، peace be upon her، was the first to lay these foundations.

الكلمات المفتاحية: التربية – السيدة الزهراء عليها السلام – أسس التربية– الفكر الحديث

المقدمة

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1].

لا شك ان كل إنسان سواء كان مسلماً ام غير مسلم يطمح ان تكون اسرته أفضل الأسر وأن يصل اولاده إلى أعلى وأرقى مستوى في جميع المجالات، لذلك تراه دائما يسعى ويبذل جهودا مضنية من اجل الوصول إلى ذلك الامر، إذ كلما عظم الهدف زادت أهمية السعي إليه، ولا يخفى علينا أن الإنسان له امكانية أن يسمو إلى أن يصل إلى مصاف الملائكة بل أفضل منهم. وعندما نستقرأ التاريخ نجد ان هناك اسرة قد حققت أعلى المعايير وأرقى المستويات في أولادها ولم يرق اليها أحد فكانت اسوة لكل البشرية لا للمسلمين فحسب، هذه الاسرة فيها الام يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، وإذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء، والاب باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله يدور معه الحق اينما دار، والاولاد هما سيدا شباب أهل الجنة، وجدهم سيد الاولين والآخرين. وبالتأكيد هذا لم يأت من فراغ وانما من خلال تطبيق اسس ومناهج استلهموها من القران الكريم وسيرة الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وساروا عليها ولم يعتمدوا على العوامل الوراثية، لأنه كما هو معلوم ان شخصية الإنسان ليست موروثة فقط وانما العوامل البيئية والتربية تلعب دورا كبيرا في تشكيل شخصيته. يقول السيد الخامنئي بهذا الصدد «لاحظوا كم تستلزم وضعيّة هذه المرأة من صلابة حتّى تفيض بها على هذا الزوج. .. وتربّي الأولاد بتلك التربية العالية التي ربّتهم عليها. فإذا قال قائل: إنَّ الحسن والحسين إمامان ومجبولان على العصمة، فزينب لم تكن إماماً، لكنّ فاطمة الزهراء ربّتها تربية صالحة خلال تلك السنوات القصيرة.. إذ لم تلبث فاطمة طويلاً من بعد وفاة الرسول!»[2]، طبعا لا نغفل عن دور أمير المؤمنين عليه السلام في تربيته لأولاده ولما له من الاثر عليهم لكن يبقى الاثر الاكبر للام كما تعلمون، ومن جهة اخرى ان البحث يتناول أثر الزهراء عليها السلام في التربية لذلك كان الكلام مسلطا على منهجها روحي فداها في هذا الجانب.

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

(٢) خطاب السيد الخامنئي بمناسبة اسبوع الشباب في الجمهورية الإسلامية في طهران بحضور جمع من الشباب بتاريخ ١٤١٩/١/١١هـ.

وتعتبر هي التي طبقت المنهج الإسلامي بكامل جزئياته في تربيتها لأبنائها. المنهج الذي يهدف إلى صناعة إنسان صالح له شخصية متكاملة يتمكن من خلالها من قيادة المجتمع بأمثل صورة خلافا للمنهج السائد قبل الإسلام الذي كان يصنع من الإنسان رجل حرب وشدة وغلظه.

إذاً ماهي الاسس التي اعتمدتها الزهراء عليها السلام مع أولادها فأنتجا تلك الثمار؟

من هنا جاءت فكرة كتابتي للبحث الذي كان عنوانه (التربية عند السيدة الزهراء عليها السلام والفكر الحديث)، وبعدما رأيت كثيرا اخفاقات الاهل في تربية أبنائهم واخراجهم للمجتمع نماذج لا تعي شيئا ولا تتحمل حتى مسؤولية نفسها، وانبهار الناس بنظريات الغرب في التربية وتركهم لمناهجنا الإسلامية الصحيحة والمتكاملة. ومن خلال مطالعتي للعديد من الكتب والبحوث في هذا الجانب أحببت أن أدلو بدلوي معهم وأكتب في هذا الجانب بأسلوب شامل لمنهج القران ومنهج الزهراء عليها السلام ومنهج الفكر الحديث وما وصلوا إليه من نظريات بالتربية، آمل أن أساهم في تصحيح تربية الوالدين لأبنائهم ورجوعهم إلى فكرهم الإسلامي الاصيل.

الهدف من اختيار الموضوع:

بيان الاسس التي وضعتها الزهراء عليها السلام للآباء والامهات ليسيروا عليها في تربية أبناءهم.

بيان أن الزهراء عليها السلام قد أخذت هذه الاسس من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة.

بيان أن ما وصل إليه العلم الحديث في التربية وعلم النفس من أسس قد وضعتها الزهراء عليها السلام قبل ألف وأربعمائة عام وطبقتها عمليا وحصلت على ثمارها ونتائجها.

دعوة للمسلمين ان يرجعوا إلى تراث أهل البيت عليهم السلام في كل جوانب حياتهم لأنهم قد أسسوا ووضعوا كل ما تحتاجه البشرية للوصول إلى أرقى المستويات، لا أن يركضوا خلف نظريات الغرب ومناهجهم اذ تبقى لا تفي بالمطلوب لأنها من نتاج بشر عقولهم قاصرة، بينما علوم أهل البيت قد أخذوها من مشرع حكيم وخالق للبشرية وأعرف بمصالحها. والامر الاخر أن هذه الاسس والمناهج قد آتت ثمارها ولمسنا نتائجها وأظهرت لنا رجال قد أحيوا الدين وأصبحوا قدوة للبشرية كالحسين عليه السلام وأخوته، بينما نظريات الغرب لم نرى ثمارها وان وجدت فبصورة طفيفة وغير متكاملة من كل الجوانب.

وقد تضمنت خطة البحث أن قسمته إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة: فقد ذكرت فيها الهدف من اختيار الموضوع وخطة البحث.

وأما التمهيد: فهو جانب من حياة الزهراء عليها السلام والتعريف بمفهوم التربية.

وأما المبحث الاول: أثر الزهراء عليها السلام والاسس التي وضعتها لأولادها في الجانب الاجتماعي.

وأما المبحث الثاني: أثر الزهراء عليها السلام والاسس التي وضعتها لأولادها في الجانب العقائدي والأخلاقي.

وأما الخاتمة: تتضمن ملخص للبحث وأهم ما توصلت إليه من نتائج.

التمهيد

المطلب الاول: جانب من حياة سيدة نساء العالمين عليها السلام

شخصية كلما ازداد البشر نضجا وفهما للحقائق واطلاعا على الاسرار ظهرت عظمتها بصورة اوسع، وتجلت معانيها ومزاياها بصورة اوضح، انها فاطمة الزهراء عليها السلام، الله يثني عليها ويرضى لرضاها ويغضب لغضبها.

ولدت بعد المبعث بخمس سنين أو ثلاث سنين على اختلاف الروايات. امها سيدة نساء العالمين السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام. أما تسميتها بفاطمة يقول الامام الباقر عليه السلام: «**لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عز وجل إلى ملك فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وآله فسماها فاطمة ثم قال: إني فطمتك بالعلم وفطمتك عن الطمث**»[1]. من أسمائها (الصديقة، المباركة، الطاهرة، الراضية).

كانت تنمو في بيت الوحي نموا متزايدا يغذيها ابوها صلى الله عليه وآله بالعلوم الالهية ويربيها أفضل تربية وأحسنها.

بعد وفاة امها خديجة سلام الله عليها هاجر الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة والتحقت به فاطمة سلام الله عليها وبقيت معه تسانده في حروبه ونشره للإسلام وتعتني به كما تعتني الام بابنها حتى كناها بأم أبيها. ولما بلغت من العمر تسع سنين قام العديد بخطبتها من رسول الله صلى الله عليه وآله لكنه ردهم وكان ينتظر أمر السماء في زواجها إلى أن نزل الامر بزواجها من علي عليه السلام بعد أن خطبها، فانتقلت إلى بيت الزوجية مع أمير المؤمنين عليه السلام وولدت له الحسن ثم الحسين ثم زينب عليهم السلام[2].

أما فضائلها سلام الله عليها فهي لا تعد ولا تحصى ذكرها القران في آيات عديدة منها: اية التطهير، واية المباهلة، وغيرها، وذكرتها الروايات بكثرة منها ما قاله النبي صلى الله عليه وآله: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يؤذيني ما اذاها ويريبني ما رابها**»، «**ان فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يغضبني من أغضبها ويسرني من سرها وان الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها**»[3]، «**لوكان الحسن شخصا لكان فاطمة بل هي أعظم، ان فاطمة أفضل أهل الارض عنصرا وشرفا وكرما**»[4]. وعند استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله كانت حاملا بالمحسن عليه السلام، فلما

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، الشيخ محمد كاظم القزويني: ص٤٤.
(٢) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام، إسماعيل الانصاري الزنجاني: ج١٤ ص١٢.
(٣) وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام، السيد عبد الرزاق المقرم: ص٩٢.
(٤) الاسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي: ص٩.

أعتدوا على دارها وعصروها خلف الباب أسقطت جنينها وكسروا ضلعها وبقيت تعاني من المرض والالام حتى انتقلت روحها إلى بارئها واستشهدت سلام الله عليها ولها من العمر ثمانية عشر سنة[١].

المطلب الثاني: تعريف التربية لغة واصطلاحا

لغة: تعني رباه تربية، على تحويل التضعيف، وترباه، على تحويل التضعيف أيضا: أحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن، لك نعمة تربها، أي تحفظها وتراعيها وتربيها، كما يربي الرجل ولده[٢].

التربية اصطلاحا: عملية بناء الطفل شيئًا فشيئًا، إلى حدِّ التمام والكمال.

وتم اختيار كلمة «بناء»: لأنها تعني البذل والجهد، ووضع الشيء في مكانه، ومتابعة النظر إليه؛ بالرعاية والإصلاح، بعيدًا عن الإهمال.

و«شيئًا فشيئًا»: ليكون على سبيل التدرج، وأن ما يصعب تحقيقه اليوم؛ يمكن أن يتحقَّق غدًا.

و«إلى حد التمام والكمال»: يعني: الحد الذي يصل فيه الطفل إلى أن يتمسك بشرع الله من ذاته، ويحاسب نفسه بنفسه، ويراقبها، ويتابع تربية نفسه بتلاوة القرآن، والتمسك بالشرع الحنيف[٣].

ويعتبرها علماء التربية اليوم أنها عملية نفسية ترمي إلى احداث أفضل ما يمكن من التغيير والتهذيب في طبيعة الإنسان لينتفع من ذلك في حياته. والمقصود بطبيعة الإنسان ما وهبه الله تعالى من غرائز واستعدادات وقوى ونزعات مختلفة فغرض التربية اليوم ينحصر في تهذيب الغرائز والسمو بها إلى مستوى راق[٤].

فهي ليست مجرد نظريات علمية يصوغها التربويون أو المؤلفون، وانما هي واقع عملي وسلوكي يعيشه كل فرد وفي كل لحظة. ومن نوع الموجود التراكمي التدريجي لا الموجود الدفعي بمعنى ان التربية عملية معقدة جدا، ذات أطراف كثيرة تتشابك فيما بينها، لتنتج رؤية معينة لدى الطفل، تتحول فيما بعد إلى سلوك عملي ربما يستمر معه طوال حياته[٥].

---

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام، إسماعيل الانصاري الزنجاني: ج١٥ ص٨.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ج١ ص٤٠١.

(٣) آداب التربية في تراث الال والاصحاب، أحمد الجابري: ص٣٢.

(٤) ينظر: تربية الطفل ومبادئ علم النفس لعدة مؤلفين: ص ١١.

(٥) ينظر: التربية مفهومها وخطواتها العملية، الشيخ حسين عبد الرضا الاسدي، الحلقة١: ص١٥- ١٦.

المبحث الأول: أسس التربية عند الزهراء عليها السلام في الجانب الاجتماعي:

أولاً - توفير البيئة السليمة لتنشئة الاسرة

الاسرة هي الدائرة الاولى من دوائر التنشئة الاجتماعية وهي التي تغرس لدى الطفل المعايير التي يحكم من خلالها ما يتلقاه فيما بعد من سائر المؤسسات، فلا بد ان تكون هذه الاسرة بيئة سليمة لنشوء طفل سليم من جميع الجوانب وقد بينت الآيات المباركة ذلك منها قوله تعالى: ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**﴾[1]، فلو نظرنا نظرة متمعن لوجدنا أنه سبحانه وتعالى شبه الاسرة بالتربة الخصبة التي تبتكر الزرع الطيب. وأيضاً بينتها الروايات الشريفة يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[2]. فهنا يشير الرسول الكريم إلى الدور الذي يلعبه الابوان في بناء الطفل اذ انه يولد صفحة بيضاء والابوان هم اول من يؤسس ويكتب في هذه الصفحة ان كان خيرا فخيرا وان كان شر فشرا. ومن هذا المنطلق قامت الزهراء سلام الله عليها بتأسيس اسرتها عبر تحقيق الانسجام بين الابويين المبني على الاحترام والتقدير المتبادل بينهما، فقد كانت الزهراء عليها السلام نعم الزوجة الصالحة التي اجتمعت فيها جميع الفضائل حتى قال عنها الامام علي عليه السلام: «**فو الله ما اغضبتها ولا اكرهتها على امر حتى قبضها الله عز وجل، ولا اغضبتني ولا عصت لي امرا، لقد كنت انظر اليها فتنكشف عني الهموم والاحزان**»[3]، وكان هو نعم الزوج الحاني والعطوف والذي لولاه لم يكن هناك كفؤ لها، وكان لها نعم البعل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله. وشاركها حتى في مسؤوليات البيت يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**ان فاطمة ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب نقل الحطب وان يجيء بالطعام**»[4] بالإضافة إلى ذلك كان بيت تحفه القداسة والروحانية والنور. عن ابن عباس قال: كنت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قرأ القارئ: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ**

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٨.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٥٨/ ص١٨٧.
(٣) المصدر نفسه/ ج٤٣: ص١٣٤.
(٤) المصدر نفسه/ ج٤٣: ص٧.

تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[1] فقلت: يا رسول الله ما البيوت؟ فقال: **بيوت الأنبياء**، واومأ بيده إلى منزل فاطمة»[2].

واغتنمت الزهراء سلام الله عليها وجودها بجانب المسجد، فكانت ترسل أبنائها إليه ليخالطوا الناس ويعرفوا شؤون المسلمين، ويتعلموا مبادئ دينهم من رسول الله ﷺ. وهذا ما رأينا أثره واضحا على اولاد هذه الاسرة المباركة وعلى سيرتهم العطرة حتى أصبحوا «**فعلكم الخير، وعادتكم الاحسان، وسجيتكم الكرم، وشأنكم الحق والصدق والرفق، وقولكم حتم وحكم، ورأيكم علم وحلم وحزم، ان ذكر الخير كنتم أوله....**»[3].

أثبت العلم الحديث ان الاسرة هي المدخل الرئيسي الذي يقوم بتدعيم الصحة النفسية للأطفال، فالاتفاق والانسجام بين الوالدين بالنسبة للأسلوب الذي يتبعانه في تربية أطفالهم هو الذي يؤسس التكامل النفسي عند الاطفال. وهي المنبع الرئيسي الذي يقوم على اشباع الحاجات الاساسية للطفل وخاصة الحاجات النفسية والاجتماعية والفسيولوجية كالأمن والحب والنجاح والتقدير والانتماء وتزودهم بنماذج سلوكية صالحة يمكنهم الاقتداء بها في حياتهم في الحاضر والمستقبل، وان احاطة الطفل بجو أسرى يسوده الحب والدفء والوفاق والتعاون يساعد على ان ينمو الطفل نمو سليما خاليا من الصراعات والعقد النفسية والتوتر والقلق[4].

ثانيا - توفير القدوة الحسنة

من المعلوم أن الاقتداء هو اتباع الغير والتأثر بشخصيته ومتابعته وتقليده والتأسي به، وله دور مهم في حياة الافراد والمجتمعات. والقدوة أحد المؤثرات الاساسية في مسار حياة الناس وعنصر مهم في اعداد الاجيال عبر الازمان وصقل شخصياتهم علميا وتربويا. ولأهمية القدوة في حياة الإنسان نجد ان القران الكريم أشار لذلك وأكد عليه، ووضع لنا القدوات التي نقتدي بها قال تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**[5] «أي مقتدى يقتدي بك الناس، ويتبعونك في أقوالك وأفعالك، فالإمام هو الذي يقتدي

(١) سورة النور: الآية ٣٦.
(٢) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٣٢٦.
(٣) مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي، الزيارة الجامعة/ ص٦٢٠.
(٤) التأثير والتأثر دراسة سيكولوجية – نفسية – تطبيقية: حسام الغزالي/ ص١٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

ويأتم به الناس»[1]. وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[2] وفي الآيتين اشارة إلى أنه ليس كل شخص ممكن أن يكون قدوة، فجعل الله لنا رسوله لأنه أكمل البشرية، ووصل من الكمال درجة لم يصل اليها أحد من الانس والجن حتى مدحه الله تعالى ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[3] فمن استن بسنته وسار بهداه نال سعادة الدارين. لذلك حرصت الزهراء عليها السلام على هذا الجانب في حياة أولادها ووفرت لهم داخل الاسرة أكمل القدوات متمثلة بجدهم وأبيهم وأمهم عليهم صلوات الله تعالى عليهم. اسرة مقدسة طاهرة قال عنهم عز وجل: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[4] فهي سلام الله عليها كانت إنسانة كاملة لما تحلت به من كمالات وبأعلى الدرجات على المستوى الظاهري والباطني كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة خلقت حورية في صورة انسية**»[5] وأما أمير المؤمنين فقد كان نفس رسول الله وربيبه وامام المتقين ويعسوب الدين فهم أكمل البشرية وأفضل الخلق جعلهم الله لخلقه قدوة مطلقة ثابتة على مر العصور فمن أراد الوصول لأعلى الدرجات وأسماها اقتدى بهم.

فكيف بمن تربى في كنفهم ونهل من علمهم وسار على خطاهم إلى اي درجة من الكمال أن يصل!!!؟؟. فقد روي عن الامام جعفر بن محمد عليه السلام «**كان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليهما خلقا وسؤددا وهديا**»[6] فهنا يظهر أثر القدوة جليا وواضحا كيف اتبع الحسن عليه السلام جده المصطفى وسار على إثره حتى أشبهه بأخلاقه وسؤدده وهدايته للناس. ولذلك وصل أولاد الزهراء عليها السلام إلى ما وصلوا إليه من الكمال في كل جوانب حياتهم العلمية والأخلاقية والعقائدية وتركوا ارثا للبشرية لا ينضب إلى يوم القيامة.

وقد أثبت العلم الحديث ان لكل ما تفعله وكل ما تؤمن به وكل موقف تتخذه أثرا على الطريقة التي ينشأ عليها أبناؤك فلا يمكن لطفل أن يكون أفضل من القدوة التي تقدمها له[7]. وان الطفل يتخذ قدوة في الحياة منذ نعومة أظفاره ومنذ ادراكه لما حوله، فالتقليد شيء مهم في حياة الاطفال فيقلد

(١) تفسير الميزان: السيد الطباطبائي: ص٢٧٠.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.
(٣) سورة القلم: الآية ٤.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
(٥) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٧.
(٦) الارشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد: ج٣ ص٥.
(٧) ٣٦٥ طريقة لتنشئة أطفال واثقين، شيلا اليسون وباربرا ان بارنيت: ص١٠.

كل ما يسمعه ويراه وتزداد قدرته على التقليد بعد سن الثانية من عمره فالتقليد ينمي خيال الطفل ويكسبه مفردات لغوية ومصطلحات جديدة ويزيد من قدرته على تخزين المعلومات ويعلمه الكثير من السلوكيات ويتعلم أيضا القيم الجميلة وقد يقلد التصرفات السيئة والتي يجب أن يبتعد عنها الطفل بتعليمه ما يضادها من سلوكيات إيجابية[1].

- ثالثا- تعليمهم الاحسان إلى الناس والعطاء المجاني بدون مقابل

ان الطفل يميل دائما بطبيعته الفطرية التي فطره الله عليها إلى التقليد والمحاكاة وهما كعملية مزدوجة تعد أسرع وأنجز الوسائل بالتربية والتعليم وأيسر الطرق لاكتساب المهارات. لذلك نرى ان الزهراء سلام الله عليها أكدت على التجسيد العملي في تربيتها لأولادها، يروى عن الامام الحسن عليه السلام يقول: «**رأيت أمي فاطمة قامت في محرابها ليلة الجمعة فلم تزل راكعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء لنفسها فقلت: يا اماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك، فقالت: يا بني الجار ثم الدار**»[2]. هذه الرواية لها عدة دلالات منها حبها للناس وتعاطفها معهم وايثارها لهم على نفسها ورفض الأنا بكل أشكالها مصداقا لقوله تعالى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[3] ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[4]، ومن دلالاتها الاخرى انها كانت تدعوا بصوت عال تتقصد ذلك حتى توقظهم من نومهم لتعودهم على العبادة ولتسمعهم كلمات مناجاتها ذات المضامين العقائدية والأخلاقية. وما قامت به سلام الله عليها بحثهم على التصدق بطعامهم لثلاثة ايام متتالية مع حاجتهم الماسة للطعام ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾[5]. فكانوا مصداقًا لقوله تعالى ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[6] فلم تعلمهم الايثار فحسب وانما أعطتهم تمرينا ودرسا بليغا في تعلم الصبر، اذ انه ليس من السهل على الطفل أن يصبر على الجوع لمدة ثلاثة أيام حتى أصبحوا يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع كما ورد في الروايات، وأيضاً درسا في الالتزام بالعهد والنذر والارتباط بالله

(١) ينظر: التأثير والتأثر: ص٤١- ٤٢.
(٢) بحار الأنوار: ج٨٦ ص٣١٣.
(٣) سورة الحجرات: الآية ١٠.
(٤) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي: ص١٩٠.
(٥) سورة الإنسان: الآية ٨- ٩.
(٦) سورة الحشر: الآية ٩.

تعالى وفي الاخلاص له. وايضا ما قامت به من التصدق بعقدها للأعرابي بالقصة المعروفة وغيرها، هذه الدروس جعلتهم عمالقة في مقام العطاء دون رعاية لأمور مادية اخرى. دروس لا نجد اروع ولا أعظم منها آتت ثمارها فيما بعد في اولادها فهذا التأريخ يروي ان الحسن عليه السلام كان يخرج زكاة امواله ثلاث مرات، وروي أنه عليه السلام سمع رجلا يسأل ربه أن يرزقه عشرة الاف درهم فانصرف الامام الحسن عليه السلام إلى منزله وبعث بها إليه،[1] حتى عرف بكريم أهل البيت. أما الحسين عليه السلام كان عندما يسأل الناس من أكرم أهل المدينة فكانوا يدلونهم على الحسين عليه السلام.

وهذا ما أثبته العلم الحديث أن التعليم الفعال الذي يبقى في ذاكرة الطفل يجب ان يكون تطبيقيا عمليا يعطي الطفل فرصة تجربته بنفسه فما يجربه الطفل بنفسه ويراه بعينه لن ينساه.

وان التعاطف مع الاخرين ومساعدتهم في احتياجاتهم سمتان يتمتع بهما الشخص الذي يتصف بالذكاء الاجتماعي الذي هو قدرة عقل الطفل على التعامل مع مختلف أنماط البشر وإدراك مشاعرهم، ويعد أهم أنواع الذكاء الذي يجب تنميته بشكل مستمر عند الطفل وتكمن أهميته لارتباطه بنجاح حياة الفرد سواء على الصعيد الشخصي أو الاجتماعي أو العملي وتلك المهارة لا يتعلمها الطفل الا عندما يراها باستمرار في المحيطين به[2].

رابعا - المساواة وعدم التفرقة بينهم

المساواة بين الابناء هو أساس التربية السليمة وبناء عائلة متماسكة متحابة فيما بينها تسودها الالفة والايثار. وليست المساواة في الحقوق فقط وانما في جميع الامور حتى بالنظرات والقبل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**ان الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل**»[3]وهذا الامر كانت الزهراء سلام الله عليها ملتفتة له ومطبقة له بحذافيره، فقد روي أن الحسن والحسين كانا يكتبان «فقال: الحسن للحسين عليهما السلام **خطي أحسن من خطك**. فقال الحسين: **بل خطي أحسن** فقالا لأمهما: **احكمي بيننا من أحسن منا خطاً**، فكرهت فاطمة تفضيل خط أحدهما عن الآخر، فقالت لهما: **أنا أنثر بينكما هذه القلادة، فمن أخذ من جواهرها أكثر فخطه أحسن**، فنثرتها وأخذ كلاهما الجواهر مناصفةً»[4]. فهذه الرواية دلالتها واضحة على ان الزهراء عليها السلام كانت تراعي مشاعر أولادها ولا

(١) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٣٧٤.
(٢) ينظر: كيف تربي مبدعا، أ. خلود الخليفة: ص٧٣،٧٢.
(٣) كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٦ ص٤٤٥.
(٤) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٣٠٥.

تشعرهم ان أحدهم مفضل على الاخر. بل حتى في كلامها وردها للسلام كان ردها لهم مماثلا كما يروى في حديث الكساء عاملة بقول رسول الله ﷺ اذ أبصر رجلا له ولدان فقبل أحدهما وترك الاخر فقال ﷺ: «**فهلا واسيت بينهما**»[1]. ومقتدية بهدي القران عندما نقل ان أحد أسباب التحاسد هو التفرقة بالتعامل فأولاد النبي يعقوب عليه السلام صرحوا بذلك - وإن كانوا خاطئين في حكمهم على أبيهم، ولكنه احساس يجده الاولاد في داخلهم وإن أخطأوا الحكم - ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[2]، وظهر أثر ذلك في علاقة أولادها فيما بينهم فقد كانت الرابطة فيما بينهم من القوة والمحبة الخالصة لا مثيل لها،فهذا التأريخ يروي ان الامام الحسين عليه السلام كان يقرأ القران ذات يوم، فدخلت عليه السيدة زينب عليها السلام فقام من مكانه وهو يحمل القران بيده كل ذلك احتراما لها[3]. وما فعلته هي في يوم عاشوراء وما بعده ضربت أروع صور بشدة العلاقة الاخوية بينهما سلام الله عليهما.

ويؤكد علماء النفس على أهمية الترابط والتقارب بين الاخوة مشيرين ان كسر رابطة الاخوة لها نتائج وخيمة على الاسرة تؤدي إلى تفككها ونشر العداوة والبغضاء بين أفرادها وأهم اسباب كسر هذه الرابطة هو عدم المساواة بين الاطفال لانهم اذا لم يشعروا داخل الاسرة بانهم جميعا على قدم المساواة فان الجنس البشري لن يتمتع بالكثير من الشعور الاجتماعي وان العلاقة بينهم ستستمر في اثارة مشاكل عظيمة، اذ لا يمكن لأي كائن بشري أن يتحمل التمييز أو التفرقة بدون ان يتضايق ويرفض محاولة وضعه في مستوى أقل من أقرانه وممكن أن يحدث صدمة ذات تأثير طويل على الطفل ويملأه الشعور بالحرمان ويصبح القالب الذي يشكل كل اسلوب حياته[4].

خامسا - اكتشاف امكانياتهم وتطوير مهاراتهم

ان الله عز وجل عندما خلق الإنسان أودع فيه طاقات وامكانيات هائلة عليه ان يكتشفها في نفسه ويطورها لان تسير وفق شكل عمودي هرمي أي انها حياة تكاملية، وهذا يقتضي الاستمرار بالتطوير لما هو موجود، واكتشاف امور جديدة تساعد على التكامل الصعودي في الحياة على اختلاف جهات وأنواع التكامل. وعلى الابوين أن يستهدفا هذه الحقيقة في تربية الابناء ليصلوا بهم إلى الغاية التي

(١) ميزان الحكمة: محمد الريشهري/ ج٤: ص٣٦٧٣.
(٢) سورة يوسف: الآية ٨.
(٣) زينب الكبرى من المهد إلى اللحد: الشيخ محمد كاظم القزويني / ج١: ص٧١.
(٤) ينظر: معنى الحياة: الفريد ادلر، ترجمة وتقديم عادل نجيب يشرى/ ص١٨٦.

خلقهم الله من أجلها وهي ان يكونوا خلفاء الله في الارض ويعمروها[1]. وقد وضع الله سبحانه وتعالى سنن في خلقه منها سنة التغيير وبينها بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[2] فإذا أراد الإنسان أن يغير الله وضعه عليه أن يغير من نفسه، وهذا حث واضح له بأن يسعى دائما لتطوير نفسه وتغييرها للأفضل، وأشار أهل البيت عليهم السلام لذلك في روايات عديدة منها ما جاء عن الامام الصادق عليه السلام: «**من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان اخر يومه شرهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه كان إلى النقصان أقرب، ومن كان إلى النقصان أقرب فالموت خير له من الحياة**»[3].

وعلى هذا المبدأ سارت الزهراء عليها السلام فقامت بالتدريب العملي للحسنان عليهما السلام حيث كانت عليها السلام ترسلهم إلى المسجد ليسمعوا خطب النبي صلى الله عليه وآله وما ينزل عليه من الوحي وعندما يعودون تطلب منهم ان يخبروها بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ويتكلموا كما تكلم. وأيضاً اصطحابها للحسنان وزينب عليهم السلام عند القاء خطبتها بالمسجد له دلالات كثيرة منها لتريهم أساليب الخطابة وكيفية استخدامها في نصرة الحق والمطالبة بالحقوق. وكانت تعقد في بيتها الدروس لتعليم النساء أحكام دينهن وتجيب على أسئلتهن وزينب عليها السلام كانت حاضرة معها تنهل من هذه الدروس وتتعلم كيف تقوم بها لذلك أكملت هذا العمل بعد استشهاد امها عليها السلام فكانت تقيم مجالس للعلم تقصدها كل من أرادت أن تتفقه بالدين وتتعلم تفسير القران الكريم، وهي من روت خطبة امها في المسجد رغم أنها كانت صغيرة عند سماعها الخطبة، وظهر أثر ذلك عليها جليا وكبيرا، فالتأريخ يروي أن زينب عليها السلام عندما وقفت خطيبة في مجلس يزيد جعلت الناس حيارى يبكون وقد وضعوا ايديهم على أفواههم لما بينته من الحقائق وأقامته من الحجج البالغة بأسلوب بليغ يقول بشير بن خزيم الاسدي: «ونظرت إلى زينب بنت علي عليه السلام يومئذ فلم أرى خفرة – والله – أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد أومأت للناس أن اسكتوا. فارتدت الانفاس وسكنت الاجراس».[4]

وأثبت العلم الحديث ان هذه الممارسات ترفع تقدير الطفل لذاته وتقدير الذات لاسيما في مراحل طفولته المبكرة يؤدي إلى تكوين شخصية طفل يتميز بالأخلاق الحسنة والوعي والصلاح والاستقامة لان الطفل الذي يقدر ذاته ويعتز بها يكون متمسكا بجذور تربيته ويحافظ على القيم والمبادئ التي تربى عليها. وأثبتوا أيضا أن هذا الاسلوب ينمي الذكاء اللفظي لدى الطفل وهذا الذكاء يخدم الطفل

(١) ينظر: التربية مفهومها وخطواتها العملية: ح١، ص١١٤.
(٢) سورة الرعد: الآية ١١.
(٣) بحار الأنوار: ج٦٨ ص١٧٣.
(٤) بحار الأنوار: ج٤٥ ص١٠٨.

على صعيد ذاتي كالتعبير عن نفسه وعلى الصعيد الاجتماعي في التواصل مع الاخرين بحيث يكون شخصا مفوها ولا يواجه صعوبة في مواكبة المصطلحات الجديدة وربطها ببعضها بعضا مع المخزون الكامن لديه فالتواصل هو جوهر الحياة البشرية[1]

سادسا / اهتمامها ورعايتها لهم

ان الاهتمام بالأولاد ورعايتهم هي فطرة وغريزة جعلها الله في الوالدين وجعل لذلك منهجا في القران يبدأ من الحمل والرضاعة إلى أن يبلغ أشده ويستقل بنفسه ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**﴾[2].

كانت الزهراء سلام الله عليها هي من تقوم بأعمال البيت وتقوم بخدمة أطفالها وتوفر لهم الغذاء وترعاهم وأول شيء قامت به هو ارضاعهم بنفسها عملا بقوله تعالى ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾[3]، أشار القران لذلك لما لحليب الام من بركة وفائدة للطفل ونقله لصفات الام إلى الطفل، وامتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله «**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...**»[4]، ويروى أن فاطمة عليها السلام جاءت يوم الخندق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو منهمك مع أصحابه في حفر الخندق جاءت وهي تحمل كسرة خبز فرفعتها إليه فقال صلى الله عليه وآله: «**ما هذه يا فاطمة؟** قالت: **من قرص اختبزته لابني جئتك منه بهذه الكسرة**، فقال صلى الله عليه وآله: **يا بنية أما انها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث**»[5]. فرغم صعوبة عيشها ومشاقه التي وصفها أمير المؤمنين عليه السلام «**... أنها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها....**»[6] كان أولادها هم محور اهتمامها ورعايتها بالدرجة الاولى حتى بعدما جاءت فضة خادمة لها أعطتها مسؤوليات البيت من خبز وغيره وهي عليها العناية بأولادها. ووردت أحاديث كثيرة عن اهتمام الزهراء عليها السلام بمظهر ولدها الامام الحسن عليه السلام وأنها ما كانت تخرجه من الدار الا وهو مغتسل متزين، حتى في اخر يوم من حياتها اذ يروي الرواة بانها عجنت وخبزت وغسلت لأولادها ومشطت رأسيهما وهي تبكي لما يصيبهما بعدها من القتل والسم وأوصت

(١) كيف تربي مبدعا: ص٣٨.
(٢) سورة الروم: الآية ٥٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.
(٤) بحار الأنوار: ج٧٣ ص٣٨.
(٥) الاسرار الفاطمية: ص٣٦٠.
(٦) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق / ج١: ص٣٢٠.

أمير المؤمنين عليه السلام بهما خيرا[1].

وهذا ظهر أثره في علاقة أولادها بها سلام الله عليها في حياتها وبعد استشهادها بمواقف ومشاهد سجلها التأريخ منها عند وفاتها عندما جاءا الحسنان إلى البيت قدمت لهما أسماء الطعام فلم يأكلا وقالا لها «**هل رأيت أينا نأكل بغير أمنا؟؟**»[2] فقاما ودخلا عليها ولم يأكلا. فلما علما بدنو الوفاة منها وقع عليها الحسن عليه السلام يقبلها مرة ويقول: «**يا اماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني** وأقبل الحسين يقبل رجلها ويقول **يا اماه أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن يتصدع قلبي فأموت**» فان دل هذا على شيء فهو يدل على عمق العلاقة بينهم وبين امهم سلام الله عليها والى اي درجة من الاحترام والحب يكنون لها اذ لم يأكلوا يوما بدونها وتكاد أرواحهم تفارق أبدانهم لما أصابها وهذا أسمى درجة بالبر والحب للوالدين يقدمها الابناء.

أثبت العلم الحديث ان الطفل الذي يحرم من حنان الام ورعايتها وخصوصا في أدق مراحل النمو الاجتماعي وهي الفترة من (٧ إلى ٢١ شهرا) يبدأ الطفل بالكلام والمشي وتقليد الكبار هذا الطفل يشعر بالاكتئاب، وتنشأ عنده حالة من الغم والقلق تترك بصماتها على شخصيته ويقول العالم الامريكي نيل ميلر «ان عزل الطفل عن والديه ولاسيما عن امه يؤدي به إلى الهبوط الذهني والتوتر وتقوية العدوانية لديه».

وثبت فعلا ان الطفل الذي يشبع من حنان امه ينمو إنسانا سويا ممتلئا بالعاطفة نحو امه بالدرجة الاولى ونحو الاخرين وإذا ضعفت خيوط التواصل بين الام وطفلها أو نضبت لسبب أو لآخر فسيصاب بـ (التقزم العاطفي) الذي يؤدي إلى شروخ نفسية عميقة الاثر في بنيانه العاطفي والنفسي ويرتد سلبا على تكوينه البدني والعقلي ويحول دون تفتح قدراته.[3]

(١) المصدر السابق.

(٢) ينظر: مصارع الشهداء ومقاتل السعداء، الشيخ سلمان بن عبد الله ال عصفور، تحقيق: الشيخ علي ال كوثر: ج١ ص٤٦.

(٣) النماء العاطفي للطفل يتراجع بالاعتماد على عاملات المنازل: عبد العزيز الخضراء/ جريدة الغد- الاردن- ١٧ ايلول ٢٠١٧ م.

المبحث الثاني: أسس التربية عند الزهراء عليها السلام في الجانب العقائدي والأخلاقي

اولا- زرع القيم والايمان بنفوسهم

هناك قيم مكتسبة وقيم فطرية، والقيم المكتسبة هي التي يكتسبها الإنسان من الثقافة الاجتماعية عندما يختلط بالأصدقاء وعندما يدخل للمدرسة. اما القيم الفطرية لابد ان يكتسبها الطفل من الاسرة، فيجب أن يسعى الابوان بجد ومثابرة من أجل حصول أولادهم عليها وحتى يحققوا هذا الهدف عليهم أن يؤمنوا ويعتقدوا بها أولا لان (فاقد الشيء لا يعطيه). لذلك ركزت الزهراء عليها السلام على القيم الفطرية سائرة على خطى الانبياء في هذا الشأن، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**﴾[1] ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[2] ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾[3] فأول هذه القيم واعظمها هي قيمة الارتباط بالله تعالى وقد ركزت سلام الله عليها على هذا الجانب عبر انقطاعها لله، روي عن الحسن البصري: «ما كان في هذه الامة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تتورم قدماها لأنها عرفت معنى العبادة وقيمة العبادة بمقدار معرفتها بعظمة الله تعالى»[4]. وعبر زرعها لهذه القيم في نفوس أولادها ففي ليالي القدر عندما كان الحسنان وزينب سلام الله عليهم اطفال صغار تأمرهم بالنوم نهارا لئلا يغلب عليهم النعاس ليلا وتعالجهم بقلة الطعام وتقول محروم من حرم خيرها[5] وكانت تجلسهم بجانبها في محرابها عندما تصلي وتدعوا، ليتربوا على الانقطاع لله وحده. وظهر أثر ذلك على اولادها في جميع مراحل حياتهم مثلما نقل التأريخ والروايات عن زينب سلام الله عليها في ليلة العاشر وليلة الحادي عشر عن الامام زين العابدين عليه السلام قال: «**رأيتها تلك الليلة تصلي من جلوس**».

وقال عليه السلام أيضاً: «**ان عمتي زينب عليها السلام مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا إلى**

(١) سورة ابراهيم: الآية ٣٥.
(٢) سورة لقمان: الآية ١٣.
(٣) سورة طه: الآية١٣٢.
(٤) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٨٤.
(٥) مفاتيح الجنان: اعمال الليلة الثالثة والعشرون: ص ٢٨٩.

الشام ما تركت نوافلها الليلية»[1].

وأثبت العلم الحديث أن الطفل عندما ينشأ على مبادئ قوية وقيم واضحة سيساعده ذلك في تقوية شخصيته ويكون واثقا من نفسه بين أقرانه وان الارتباط بالله ينمي الذكاء الروحي عند الطفل الذي يعتبر هو الذكاء الشامل اي حين يصل الإنسان إلى مرحلة الوعي العميق بالذات والاتزان النفسي ويشعر بأن لحياته هدفا ومعنى، والايمان بالله سبحانه وتعالى والثقة به عاملان جوهريان يؤديان إلى الاتزان والرضا النفسي وهذا الذكاء يظهر في سنوات النضج ولكن سنوات الطفولة المبكرة هي الممهدة له[2].

ثانيا ـ تعليمهم منذ الصغر

إن صناعة عقل الطفل وسلوكياته انما تكون بيد المؤثرين عليه في بدايات حياته وهي مسؤولية عظيمة تلقى على كل من الاسرة والمدرسة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الصدد: «**إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها قبلته**»[3] يشير إلى ان للطفل قابلية كبيرة على التعلم في صغره وشبهه بالأرض الخالية التي تقبل كل ما يلقى فيها، فلا بد من زرع القيم والمفاهيم لديه منذ الصغر حتى تتشكل منه شخصية واعية متعلمة تخوض غمار الحياة بكل ثقة وصلابة. لذلك كانت الزهراء عليها السلام تعامل اولادها لا على انهم اطفال وانما اشخاص واعين مؤهلين لتلقي التربية والتعليم منذ نعومة اظفارهم فلذلك كانت تكلمهم وتناغيهم بكلمات عقائدية وأخلاقية...

ورد في مناغاتها للحسن عليه السلام:

اشبه اباك يا حسن واخلع عن الحق الرسن واعبد الها ذا منن ولا توال ذا الاحن

وكانت تناغي الحسين عليه السلام:

انت شبيها بابي لست شبيها بعلي[4]

كانت سلام الله عليها دائبة في هذا الشأن لا تترك فرصة دون أن تغتنمها في توجيه أبنائها وزرع المفاهيم الصحيحة في نفوسهم تنهل ذلك من نهج القران الكريم كما جاء في وصية لقمان الحكيم لابنه:

---

(١) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب الشيخ عبد الله الحسن: ص ٦٥.

(٢) كيف تربي مبدعا: ص٧٨.

(٣) نهج البلاغة، خطب الامام علي عليه السلام شرح الشيخ محمد عبده: ج٣ ص٤٠.

(٤) آداب الاسرة في الإسلام، السيد سعيد كاظم العذاري: ص٥٥.

﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2] إلى اخر الآيات الكريمة التي توضح كيف يوصي الاب ابنه بهذه المنظومة الأخلاقية المتكاملة.

وهذا ما أثبته العلم الحديث ان الطفل الرضيع يولد وهو مجهز بمهارات إدراك اساسية (كالتفكير، والذاكرة، والتعلم.....) تساعد على نمو ادراكه واكتسابه المهارات.

وقد قام علماء النفس بإجراء تجربة على عدة اطفال بوضعهم بجهاز التصوير بعد نومهم ومن ثم قاموا بالتكلم معهم بثلاث نبرات، كلام بنبرة حيادية، كلام بنبرة سعيدة وكلام بنبرة غاضبة.

وكما هو متوقع قامت كل نبرة بتفعيل منطقة مختلفة بالدماغ، ولكن مالم يكن متوقعا هو قدرة الطفل الرضيع على تلقي المعلومات ومعالجتها في اثناء النوم[3].

ثالثا - تحمل المسؤولية والانتصار للعدالة والفضيلة

ان تحمل المسؤولية في العادة يحتاج إلى شخصية مهيئة وقادرة وهذا لا يكون الا بالتمرين والاستمرار عليها منذ الصغر لذلك أكد القران الكريم على هذا المنهج في آيات عديدة عندما كان يستعرض قصص الانبياء منها ما ورد في قصة النبي ابراهيم عليه السلام ونهجه مع ابنه اسماعيل عليه السلام منذ أن كان طفلا صغيرا عندما تركه مع امه بواد غير ذي زرع في مكة المكرمة، ولما بلغ معه السعي شارك أباه في الامتثال لأمر الله تعالى بذبحه إلى غيرها من الصور الاخرى ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4] هذه الآية الكريمة فيها دلالة على ان اسماعيل عليه السلام كان يشارك أباه في حمل مسؤولية الدين وفي بناء البيت وتطهيره للطائفين والركع السجود ووصية لقمان لابنه ﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[5] يوصيه ان يتحمل مسؤولية اعماله فمهما كانت صغير سيأتي بها الله يوم القيامة. وعلى هذا النهج سارت الزهراء عليها السلام في اعدادها لأولادها ليتحملوا مسؤولية دين جدهم والدفاع عنه والحفاظ عليه ويبذلوا أنفسهم دونه. ربتهم الزهراء عليها السلام على الانتصار للحق وعلى حب

(١) سورة لقمان: الآية ١٧.
(٢) سورة لقمان: الآية ١٨.
(٣) ألف باء الصحة النفسية للأبناء، مجد مارتيني: ص٤١- ٤٢.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٢٧.
(٥) سورة لقمان: الآية ١٦.

الشهادة ومقارعة الظلم والطغيان تجسد ذلك بمواقف عملية منها اصطحابهم في قضية المباهلة ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[1] واصطحابهم معها عند القاء خطبتها في المسجد لتعطيهم درسا بالتصدي للظلم وعدم الرضوخ للباطل والوقوف مع الحق رغم ما تعرضت له من أذى نفسي وجسدي الا انها وقفت مقارعة للطغيان بكل شموخ وبقيت ثابتة على مبادئها وعدم تنازلها عن حقها عندما طالبت بأرض فدك، وأخذها لهم عندما كانت تذهب لبيت الاحزان كل ذلك ليشاركوها في تحمل مسؤولية الدفاع عن الدين ويبينوا موقفهم في رفض الظلم. هذه الدروس تركت أثرا كبيرا على أولادها حتى أخرجت لنا شهيد هذه الأمة الامام الحسين عليه السلام الذي أحيا دين جده صلى الله عليه وآله ووقف بوجه الطغاة «**يزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله**»[2] فأعز الإسلام والمسلمين. وبين هدفه من خروجه «**إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي** صلى الله عليه وآله»[3].

وهذا ما أثبته علماء النفس اذ ترى المستشارة النفسية التربوية رانيا الطباع بأن المسؤولية من المفاهيم الاساسية التي تخلق مع الإنسان وتتدرج بالنمو والتطور بدءا من مراحل الطفولة الاولى. وإنه عندما يتعلم على تحمل المسؤولية وهو صغير سوف ينعكس ذلك ايجابا على صحتهم النفسية ويعطيهم ثقة بالنفس فيفعلون ما هو صحيح حتى عندما لا يراقبهم أحد ويصبحون صالحين وأشخاصا أكثر أخلاقا ويساهمون بفعالية بمجتمعهم قادرين على اتخاذ القرارات واحترام حقوق الاخرين[4]. وان الطفل يتعلم بالمراقبة وان دفاع الاهل عن حقوقهم وأنفسهم ستكون القاعدة التي سيبنى الطفل[5].

رابعا - التعامل معهم بحب ومودة

كانت الزهراء سلام الله عليها تغدق عليهم الحب والحنان بنظراتها وكلماتها ومناداتها لهم بأحب الأسماء اليهم كما نجده في حديث الكساء عندما يقول لها الحسن عليه السلام (السلام عليك يا اماه) ترده عليه وعليك السلام يا قرة عيني ويا ثمرة فؤادي متبعتا قول الله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ**

(١) سورة آل عمران: الآية٦١.
(٢) بحار الأنوار: ج٤٤ ص ٣٢٥.
(٣)المصدر السابق: ص٣٢٥.
(٤) ينظر: كيف تجعل طفلك أكثر مسؤولية واهتماما؟،منى خير، عمان، شبكة الجزيرة الاعلامية ١٩/ ٧/ ٢٠٢٣م.
(٥) ينظر: ألف باء الصحة النفسية: ص٦٩.

كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[1] وكانت تلاعبهم وتناغيهم بأجمل العبارات كما ذكرنا سابقًا بل ان بعض الروايات تبين كيف كان الامام الحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يديها وهي فرحة بهم، وكيف كانت تمضغ لهم الطعام وتطعمهم عندما كانوا صغارا وتتولى بنفسها تغسيلهم وترتيبهم. ولم نجد أي رواية تقول ان الزهراء عليها السلام كانت تتبع الصراخ أو التهديد أو الاستهزاء أو المقارنة بل كانت هذه المفاهيم غائبة في تربيتها،و كانت تسمح لهم باللعب ليعيشوا طفولتهم وتكتمل شخصياتهم، بل نجد أكثر من ذلك كانت لا تفكر فقط في الحياة الدنيوية لهم بل في الاخرة أيضا كما جاء في الروايات أنها سلام الله عليها أتت رسول الله صلى الله عليه وآله بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه الذي توفي فيه فقالت: يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئا قال: «**أما الحسن فان له هيبتي وسؤددي وأما الحسين فإن له جرأتي وجودي**»[2] لتشعرهم بمدى أهميتهم لديها ولدى جدهم صلى الله عليه وآله وتزرع الثقة في نفوسهم لانهما عندما يسمعان أنهما وريثا رسول (الله صلى الله عليه وآله) هذا ينعكس على شخصيتهما وأفعالهما.

وأثبتت الدراسات الحديثة أن الاحتضان والاشباع العاطفي يساعد في تنمية مخه، وأنها تساعد على تنمية الذكاء الشخصي لدى الاطفال الذي يساعدهم في تكوين شخصيات واثقة بنفسها ولديها المعرفة بذاتها وأفكارها ومعرفة نقاط قوتها وضعفها والوعي بحالاتها المزاجية والانفعالية والاهم أن تكون لديه الدافعية في تطوير ذاته ان يدفع الإنسان نفسه بنفسه ولا يقصر تطورها على مراحل تعليمية محددة فتستمر رحلة تطورها إلى ما شاء الله.[3].

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق: ص٧٧.

(٣) ينظر: كيف تربي مبدعا: ص٧٦.

الخاتمة

أهم النتائج المستخلصة من البحث:

أولاً/ ان الطفل يولد صفحة بيضاء، والبيئة الاولى للطفل هما الوالدان فهما من يكتبان هذه الصفحة ويؤسسان ما يكون عليه الطفل في المستقبل، ويكونان قدوة صالحة له، لان الطفل منذ نعومة أضفاره يتخذ قدوة يقلدها في كل شيء فاذا كانت هذه القدوة صالحة نشأ على الصلاح.

ثانياً/ ان التجسيد العملي للأخلاق هو أسرع وانجح الوسائل بالتربية فكلما رأى الطفل أن الوالدين يطبقون ما يقولون ساروا على تلك الخلاق والمبادئ وطبقوها.

ثالثاً/ ان المساواة بين الاطفال في التعامل وفي اظهار الحب تؤدي إلى تكوين اسرة مترابطة تسودها الالفة والمحبة طيلة حياة أفرادها، وان الرعاية لهم والاهتمام بهم تؤدي إلى نشوء أفراد أسوياء يفيضون بالحب والعطف على والديهم وعلى المجتمع.

رابعاً/ ان التعليم يجب أن يكون من الصغر لأن الطفل مهيئ لاستقبال المعلومات، فيزرعوا القيم الصحيحة في نفوسهم لأنه كما قيل: من شب على شيء شاب عليه، وعلى الوالدين أن يكتشفوا امكانياته وينموها.

خامساً/ ان تحمل المسؤولية يكون من الصغر فكلما تعود الطفل على الصبر والتحمل والدفاع عن مبادئه منذ طفولته كان إنسانا صالحا ليقود المجتمع.

سادساً/ ان الاسس التي وضعها الغرب قد سبقتهم الزهراء عليها السلام اليها قبل ألف واربعمائة عام وقد ظهرت ثمارها على أولادها عليهم السلام، وأن هذه الاسس قد استنبطتها من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة- فمن أراد ان يربي أولاده تربية صالحة يقطف ثمارها في الدنيا والاخرة عليه ان يتبع هذه الاسس- فهي اسس كاملة لا يشوبها نقص وصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.

المصادر والمراجع

القران الكريم

٣٦٥طريقة لتنشئة أطفال واثقين ـ شيلا اليسون وباربرا ان بارنيت ـ مكتبة جرير.

آداب الاسرة في الإسلام: السيد سعيد كاظم العذاري، مركز الرسالة / ط١ ١٤٢٠/ ستاره قم – إيران.

آداب التربية في تراث الال والاصحاب: أحمد الجابري / الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ ه – ٢٠١٦ م/ مبرة الآل والأصحاب – الكويت.

الارشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لتحقيق التراث / ط٢ ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م/ دار المفيد، بيروت، لبنان.

الاسرار الفاطمية ـ الشيخ محمد فاضل المسعودي/ تحقيق: السيد عادل العلوي ـ الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م/ أمير. قم.

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، العلامة محمد باقر المجلسي/ ط٣: ١٤٠٣-١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

التأثير والتأثر عند الاطفال دراسة- سيكولوجية نفسية- اجتماعية: حسام الغزالي / ط١ ٢٠٠٩م- ١٤٢٩هـ، دار نينوى، سورية ـ

تربية الطفل ومبادئ علم النفس: املي عبد المسيح واخرون/ مطبعة الاعتماد ٢٠١٥.

التربية مفهومها وخطواتها العملية، الشيخ حسين عبد الرضا الاسدي، الطبعة الاولى ١٤٤٠هـ/ دار الكفيل، العراق.

تفسير الميزان، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تحقيق: الشيخ حسين الاعلمي / ط١ ١٤١٧هـ- ١٩٩٧/ مؤسسة الاعلمي، بيروت.

الخصال ـ الشيخ الصدوق / تحقيق: علي أكبر الغفاري/ ط٢/ ١٤٠٣ هـ- ١٣٦٢ش/

زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، الشيخ محمد كاظم القزويني: ج١/ دار المرتضى – بيروت

ألف باء الصحة النفسية للأبناء / المؤلف مجد مارتيني / ط١/ ٢٠٢٣م / دار عصير الكتب.

فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، الشيخ محمد كاظم القزويني: الطبعة الاولى١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م / مؤسسة ام أبيها / العراق. بغداد.

كنز العمال في سنن الاقوال والافعال: علاء الدين بن حسام الدين قاضي خان القادري الشهير ب المتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني / ط٥ ١٤٠١هـ- ١٩٨١م / مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

كيف تربي مبدعا ـ أ. خلود الخليفة ـ الطبعة الاولى/ ١٤٤٢هـ- ٢٠٢٢م/ الدار العربية للعلوم، بيروت.

ليلة عاشوراء في الحديث والأدب ـ الشيخ عبد الله الحسن ـ/ الطبعة الاولى ١٤١٨هـ/ مكتبة الشيعة.

لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور/ ج١ / أدب الحوزة: قم - إيران ١٤٠٥ هـ ١٣٦٣ ق.

مصارع الشهداء ومقاتل السعداء، الشيخ سلمان بن عبد الله ال عصفور، تحقيق: الشيخ علي ال كوثر / الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ/ مجمع احياء الثقافة الإسلامية ـ نسخة مقروءة.

معنى الحياة ـ الفريد ادلر ـ ترجمة وتقديم عادل نجيب بشرى/ الطبعة الاولى ـ المجلس الاعلى للثقافة ـ

مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي / ط١٤٢٤ :٣هـ/ دار الفقه، إيران.

من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق / ط٢ ١٤٠٤هـ- ١٣٦٣ش / مؤسسة اية الله العظمى الميلاني لإحياء الفكر الشيعي.

منية المريد ـ الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي/ تحقيق: رضا المختاري / ط١/ ١٤٠٩هـ- ١٣٦٨ش / مكتب الاعلام الإسلامي.

ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج١١/ الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ/ اعتماد، دار الحديث، إيران.

نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده/ ج٣: ص٤٠/ دار المعرفة، بيروت، لبنان.

وفاة الصديقة الزهراء ع، السيد عبد الرزاق المقرم: الطبعة الاولى ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م، مؤسسة الاعلمي/ بيروت.

الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام: إسماعيل الانصاري الزنجاني/ الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ/ مطبعة نكارش ـ قم ـ إيران.

النماء العاطفي للطفل يتراجع بالاعتماد على عاملات المنازل ـ عبد العزيز الخضراء ـ جريدة الغد ـ

الاردن ١٧ ايلول ٢٠١٧ م.

كيف تجعل طفلك أكثر مسؤولية واهتماما؟،منى خير، عمان/ شبكة الجزيرة الاعلامية، https://www.aljazeera.net/women/ 19/7/2023م

مواجهة مخاطر الحرب الناعمة على الأبناء

دراسة في الفكر التربوي للسيدة الزهراء عليها السلام

الباحثة: بتول حيدر روماني

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع الحرب الناعمة ومخاطرها على الأبناء واستشفاف علاج لتلك المخاطر على ضوء الفكر والمنهج التربوي لدى السيدة الزهراء عليها السلام بكونها ربيبة الوحي وزوجة الوصي وأم الميامين الأطهار، وجاءت تلك المواجهة على مراتب، المرتبة الأولى منها استنادها إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة في بيان واقعية تلك الحرب ومفاهيمها، وفي المرتبة الثانية بين البحث أهداف الحرب الناعمة وخصائصها وأدواتها والمخاطر الساعية إلى انتزاع ذهنية وقيم أبناء الأمة وبالتالي انحلال الهوية الإسلامية، وفي المرتبة الثالثة عرض البحث سبل مواجهة مخاطر تلك الحرب الهدامة مستندة إلى مدى حضور أساليب التربية لدى الزهراء عليها السلام مع أبنائها بكونها مصدر ومرجع يتصف بالديمومة لكافة الناس وبمختلف جوانب الحياة وبشكل نستطيع أن نستمد منه سبل النجاة من مخاطر هذه الحرب.

الكلمات المفتاحية: الحرب الناعمة، الأبناء، المخاطر، السيدة الزهراء، أساليب التربية، الهوية الإسلامية.

المقدمة

عُرف تاريخ البشرية باستخدامه الحافل لأساليب الحرب وعندما نقول حرب فإن ما يخطر على البال هو مواجهة الجيوش والأسلحة والدمار وهذا ما يعد أكثر أساليب الحرب شائعة الاستعمال وهو أسلوب الحرب العسكرية الصلبة أو الخشنة بهدف التملك والسيطرة.

ومع ازدياد قدرة ووعي وتطور الطرف المقابل وتصديه لهذا الأسلوب كان لزاماً على قوى الشيطنة والاستعمار اتباع أسلوب ومنهج يوازي بالقوة أسلوب الحرب الصلبة ويضاهيها بالخطورة وهو أسلوب الحرب الناعمة إذ أن خطورته تكمن بتوظيف جاذبيته التي تستخدم التطور بصورة مغايرة زائفة مستغلة بذلك السيطرة على الأمة عبر تغير الهوية والعقيدة لأبناء الأمة الإسلامية وبالتالي انحلال القيم والأخلاق وتعاليم الدين الإسلامي في أذهانهم.

ونحن هنا بصدد معرفة هذا الأسلوب التي سعت الدول الاستعمارية إلى تعلمه واستخدامه، ومعرفة كيف نتصدى لمخاطره الموجهة إلى أبنائنا وفق الفكر التربوي للسيدة الزهراء عليها السلام والذي يعد منهج تربوي متكامل لا يمكن أن نجد أرفع وأسمى منه في تربية أبناء الأمة الإسلامية تربية حقيقية.

أهمية البحث: تسليط الضوء على استخدام أعداء الإسلام والمسلمين لأسلوب الحرب الناعمة واستغلال نقاط قوته بجعلها نقاط ضعف ومخاطر موجهة للأمة الإسلامية عبر أبناءها بكونهم العنصر الأساسي فيها، وكيفية مواجهة هذه المخاطر وفق القيم والأخلاق التربوية الإسلامية المستمدة من الفكر التربوي والسيرة العطرة للسيدة الزهراء عليها السلام والتي تعتبر الأنموذج الأرقى في تربية الأبناء وتحصينهم من استخدام أعداء الإسلام والمسلمين لهم وبالتالي توعية الأمة من الوقوع في شراك هذه الحروب الهدامة للأمم.

مشكلة البحث: إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس ويتركهم عرضة لقوى الشيطنة والاستكبار من دون دستور يرشدهم لطريق الصلاح والكمال وذلك الدستور هو أعظم معجزة خالدة على مر العصور المتمثل بالقرآن الكريم والعترة المطهرين أهل البيت عليهم السلام عليهم.

وإن إشكالية بحثنا جاءت من مظاهر وظواهر باتت منتشرة مخالفة للفطرة السليمة الإنسانية

نتيجة لجوء قوى الاستعمار إلى أسلوب الحرب الناعمة والذي لا زال بعض الناس غافلين عنه وهذه الإشكالية أدت بنا إلى إثبات شمولية المنهج والفكر التربوي لسليلة بيت النبوة السيدة الزهراء عليها السلام بكونها دستور ومثل أعلى يحتذى منه بغرس الأسس والقيم التربوية الأسرية لكل أسرة بكل مكان وزمان وبمختلف جوانب الحياة للتمكن من مواجهة شتى أنواع الحروب ومخاطرها على أبناء الأمة الإسلامية.

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية وجود مخاطر للحرب الناعمة على الأبناء وعلاجها على ضوء الفكر التربوي للسيدة الزهراء عليها السلام، والبحث في صدد إثبات الفرضية آنفة الذكر.

أسباب اختيار البحث: هناك أسباب عدة دعت إلى اختيار هذا الموضوع منها:

١- جدية موضوع الحرب الناعمة في الواقع الحيوي وحاجتنا إلى أن نعيها.

٢- الرغبة في بيان مخاطر الحرب الناعمة على أبناء الأمة الإسلامية وأساليب علاجها وفق الفكر التربوي للسيدة الزهراء عليها السلام.

٣- إعتزاز الإسلام بالدرة البهية والسيدة الأنسية وبسيرتها العطرة الزكية عليها السلام التي تعد أسوة للنساء بمختلف مهامهن في مسير حياتهن.

تساؤلات البحث يحاول البحث الاجابة على عدة أسئلة منها:

١- هل تعتبر المفاهيم الحديثة للتطور حرب ناعمة موجهة لأبنائنا؟

٢- أين تكمن مخاطر أسلوب الحرب الناعمة؟

٤- ما مدى حضور الفكر التربوي للسيدة الزهراء عليها السلام في علاج مخاطر الحرب الناعمة على الأبناء؟

خطة البحث: إن سير خطة البحث مكون من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة.

في المبحث الأول يعرض البحث نظرة عامة عن مفهوم الحرب الناعمة، أما المبحث الثاني يتحدث البحث فيه عن المنظومة المتكاملة للحرب الناعمة، المبحث الثالث يتحدث البحث فيه عن مدى حضور المنهج التربوي للسيدة الزهراء عليها السلام في مواجهة مخاطر الحرب الناعمة على الأبناء.

المبحث الأول: نظرة شاملة لمفهوم الحرب الناعمة ونشأتها.

المطلب الأول: مفهوم الحرب الناعمة في اللغة والاصطلاح

أولا: الحرب الناعمة في اللغة: إن مفهوم الحرب الناعمة مفهوم مركب ولأجل إيضاحه لا بد من شرح مفرداته كل على حدة: الحرب: الويل والهلاك ويقال واحرباه عند إظهار الحزن والتأسف والطلع إذا كان بقشره[1].

والناعمة في اللغة: ناعم بمعنى تنعم، ومنه الحديث: « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقمه »، أي كيف أتنعم، فيوناعمه مناعمة، ونعمه غيره تنعيما: رفهه فتنعم، والناعمة، والمناعمة، والمنعمة، كمعظمة: الحسنة[2].

ثانياً: مفهوم الحرب الناعمة في الاصطلاح: وايضا هنا لا بد من تحليل المركب لنصل لمفهومه

الحرب اصطلاحاً: وردت عدة تعريفات لمصطلح الحرب نذكر منها:

تعريف الجنرال البروسي «كارل فون كلاوزفيتز (١٧٨٠- ١٨٣١): حيث اهتم بتحليل الصراعات التي عاصرها، واستخلص منها أن القصد من الحرب هو فرض الإرادة التي تحددها الأهداف السياسية على الآخر، منوها أن غاية الصراع دحر العدو أو المنافس حتى تستقر هذه الأهداف من خلال استراتيجية تتمثل في وسائل مختلفة، مثل هزيمة القوات المسلحة للخصم باستخدام القوة العسكرية المباشرة، وإضعاف هذا الخصم قبل الحرب بالوسائل غير العسكرية، مثل العقوبات الاقتصادية، الضغوط السياسية، والحملات الدعائية ومن ثم تصبح الأدوات المادية والمعنوية وسائل تحقيق الهدف المراد»[3].

وقيل إن «الحرب: صراع مسلح بين دولتين أو أكثر، لتحقيق أهداف سياسية بقوة السلاح، والحرب بحد ذاتها وسيلة وليست غاية، وهي آخر سهم في الجعبة السياسية، ولا يلجأ إليها إلَّا بعد

(١) ينظر: كتاب المعجم الوسيط، باب الحاء، المكتبة الشاملة: ص١٦٤.
(٢) ينظر: تاج العروس، الزبيدي: ج ١٧ ص ٦٩١.
(٣) طارق الحريري، كلاوزفيتز.. صاحب الرؤية الثاقبة (مقال).

فشل جميع الوسائل السلمية الأخرى»[١].

الحرب الناعمة في الاصطلاح: الحرب الناعمة كمركب اصطلاحا ورد بعدة تعريفات أشهرها هو تعريف جوزيف ناي أستاذ العلاقات الدولية لها، والذي يعد من أبرز الشخصيات الأمريكية ممن كتبوا بهذا الموضوع حيث عرف الحرب الناعمة: «بأنها استخدم القوة الناعمة التي لها القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً عن الإرغام، وهي القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج والأهداف المتوخاة بدون الاضطرار إلى الاستعمال المفرط للعوامل والوسائل العسكرية والصلبة»[٢]، وذكر المحققون تعريفات عدة للحرب الناعمة منها:

١- »استعانة إحدى الدول بالقوة الناعمة لتغيير الأفكار العامة وتغيير رؤى وسلوك الناس السياسي.

٢- العمل المنظم الذي يستعين بالأدوات والاساليب التبليغية والاعلامية والسياسية والنفسية للتأثير على الحكومات والمجتمعات والناس في الدول الاجنبية بهدف تغيير رؤاها وقيمها وسلوكها.

٣- الاستفادة من الاعلام وأدواته للنفوذ إلى الخصوصيات الفكرية للعدو عبر استخدام أساليب تؤدي إلى حصول اهداف الأمن القومي المنفذ للحرب الناعمة»[٣].

٤- »جميع التدابير غير الحركية سواء كانت مقنعة أو قسرية ويشمل التعريف ممارسات مثل الحرب الإلكترونية والعقوبات الاقتصادية والحروب التجارية والحرب الإعلامية والدعاية والمقاومة اللاعنفية والعصيان المدني واستخدام القانون الدولي لأغراض استراتيجية (تسمى أحيانا الحرب القانونية) مع الأخذ في الحسبان أن الحرب الناعمة في جوهرها هي حرب غير عنيفة، في حين أن تقاليد الحرب العادلة لديها الكثير لتقوله عن الحرب <الصلبة>، حيث الرصاص والقنابل والخراب والسيوف، في مقابل أن الحرب الناعمة صامتة تقريباً»[٤]، ويعد هذا التعريف أول تعريف أكاديمي على المستوى الدولي للحرب الناعمة من قبل كاتبين صهيونيين هما الدكتور مايكل جروس من جامعة حيفا، وتمار ميسيلز من جامعة تل أبيب.

« وفضل الأمريكيين استعمال مصطلح القوة الناعمة كما جاء في تعريف جوزيف ناي لها عن

(١) ينظر: معجم المصطلحات العسكرية، موقع وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية.

(٢) ينظر: جوزيف ناي، القوة الناعمة، مكتبة العبيكان ٢٠٠٧: ص ١٢، ص ٢٠.

(٣) مدخل إلى الحرب الناعمة: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية: ص١٣.

(4) Michael L. Groossand Tamar Meisels. Soft War

الحرب الناعمة ولم يستخدموه إلَّا مؤخرا لعدم الكشف عنها بكونها حرب سرية، إلَّا أن البعض استعمل مصطلح حرب القوة الناعمة كمؤلف كتاب (الإعلام الأمريكي بعد العراق- حرب القوة الناعمة)[1]، أذا ما نستطيع التوصل إليه من خلال مفهوم الحرب الناعمة عبر تعريفاتها بأن فكرتها تعتمد على إن (ما لا يأتي بالقوة يأتي باللين) أي أسلوب الحرب الناعمة الذي مزج قوة السيطرة مع منهجية اللين والطراوة»[2].

المطلب الثاني: الحروب المشتركة مع الحرب الناعمة.

لابد لنا من الإشارة إلى وجود عدة نسخ مطورة من الحروب غير العسكرية والتي تشترك مع مفهوم الحرب الناعمة في مجالات ونقاط عديدة ومن هذه الحروب: « حروب الجيل الخامس (الحرب المعرفية) - عقيدة مكافحة التمرد- حرب الأفكار- الحرب الهجينة- الحرب الإلكترونية والسيبرانية- الحرب البيولوجية- الحرب الصامتة- الحروب بالوكالة - حرب اللاعنف أو التحركات غير العنفية (الثورات الملونة) - القدرة على الإرغام - استراتيجية المنطقة الرمادية - الحرب الطويلة - حرب الوعي - حرب الظل»[3].

ومن النقاط التي تشترك فيها هذه الحروب مع الحرب الناعمة:

١- «محاولة تجنب الحرب العسكرية الصلبة بسبب كلفتها العالية البشرية المعنوية والمادية.

٢- لتجنب التبعات القانونية والسياسية وحفاظاً على سرية المصادر.

٣- اللجوء للأدوات غير العسكرية كالأدوات الإعلامية والثقافية والدبلوماسية والأمنية والسيبرانية أو نصف صلبة (بيولوجية).

٤- دمج القوة الاقتصادية لخدمة الأهداف السياسية والعسكرية.

٥- العمل على الوعي البشري التي تركز عليه الحرب.

٦- شرط نجاح أو فشل الحرب عنصري المجتمعات والبيئة لتقويض المنظمة أو النظام المستهدف.

٧- المنظمات غير الحكومية والأطراف المحلية لها دور في الحرب الناعمة.

(١) ينظر: الإعلام الأمريكي بعد العراق.. حرب القوة الناعمة، نيثان غردلز، مايك ميدافوي، (ت.ر) بثينة الناصري، وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٧.

(٢) ينظر: الحرب الناعمة المتحورة، دار المعارف الإسلامية الثقافية: ص٢١-٢٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ص٣١- ٥٩.

٨- للمعلومات وشبكات السايبر دور مركزي في جميع الحروب التي ذكرت»[١].

المطلب الثالث: الحرب الناعمة في الاستعمال القرآني والروايات الشريفة

أولاً: الحرب الناعمة في الاستعمال القرآني: إننا اذا ما حاولنا تقصي مفهوم الحرب الناعمة بحسب المعنى الاصطلاحي والتي تستخدم أسلوب الجذب واللين والاستمالة والترغيب بأن تفعل ما يريدون بإرادتك لا إكراهاً ولا ترهيباً، نجد أن هذا الأسلوب بمصطلحه لم يرد ذكره في القرآن الكريم بما هو عليه ولكننا لو تأملنا وبحثنا في مضمونه بكونه قوة ناعمة جاذبة كما عرفه جوزيف ناي فلا بد أن نجد ما يشير إليه في القرآن الكريم فمن أراد امتلاك شعب ما على المدى البعيد لابد أن يؤثر بذهنيتهم عبر الاستمالة والإقناع العقلي والقلبي وبالتالي يمتلكهم وحلفائهم.

جاء في محكم كتابه الكريم ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[٢]، ومما ورد في تفسير الآية المباركة: أي ادع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته ﴿**بِالْحِكْمَةِ**﴾ أي بالقرآن وسمي القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح..... ﴿**وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ معناه الوعظ الحسن وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع....[٣]، ومن هذه الآية الشريفة نجد أن الدين الإسلامي استخدم القوة الناعمة إلى جانب القوة العسكرية عند حاجتها وإن الإسلام دين الحوار والترغيب والتبيان ولا يوجد له مثيل بما يحمله من أخلاق حسنة ومثل عليا سامية تحفظ للإنسان حقوقه وكرامته، والأسلوب الناعم في الدعوة الإسلامية هو الذي وسع دائرة هذه الدعوة وأدى إلى انتشارها والإقبال عليها في شتى بقاع العالم.

قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[٤]، ورد في تفسير الآية المباركة أنَّ «الدِّين» في الحقيقة، هو التسليم والرضا الحاصلين بسبب العقائد العلميّة التي وقعت بإفاضة الله على القلب المطمئن بالإيمان لمناسبة ذاتيّة، أو كسبية بمزاولة الأفكار والأنظار في طلب الكشف واليقين، وكما أنَّ العلوم الضروريّة تحصل في القلب بمجرّد الإفاضة من غير إكراه وجبر، فكذلك العلوم النظريّة والمعارف الإلهيّة إنَّما تحصل عقيب المبادئ والمقدمات الإلهاميّة، أو التعليميّة بمجرد الإلقاء في الروع،

(١) ينظر: المصدر نفسه: ص٥٩- ٦٠.
(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.
(٣) ينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ج٦ ص٢١٠- ٢١١.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

والتأثير في الباطن، والقذف في القلب من غير إجبار في الظاهر وإكراه في القالب...[1]، «وهذه من إحدى الآيات الدالة على أن الإِسلام لم يبتن على السيف والدم، ولم يفتِ بالإِكراه والعنوة على خلاف ما زعمه عدة من الباحثين من المنتحلين وغيرهم أن الإِسلام دين السيف واستدلوا عليه بالجهاد الذي هو أحد أركان هذا الدين، بل أن آيات القتال الذي ذكرن في القرآن ليست إحراز للتقدم وبسط الدين بالقوة والإِكراه، بل لإِحياء الحق والدفاع عن أنفس متاع للفطرة وهو التوحيد، وأما بعد انبساط التوحيد بين الناس وخضوعهم لدين النبوة ولو بالتهود والتنصر فلا نزاع لمسلم مع موحد ولا جدال، فالإِشكال ناشئ عن عدم التدبر»[2].

وما يجب التأكيد عليه هو أن مفهوم الحرب الناعمة المتمثلة بالقوة الناعمة وإن كان من ابتكارات جوزيف ناي إلَّا أن تطبيقاته موجودةً قديماً ولا تكاد تخلو أي ديانةٍ أو حضارةٍ من تطبيقات القوة الناعمة، وهناك شواهدٌ تاريخيةٍ كثيرةٍ على ذلك، إلَّا أن هناك قوة ناعمة إصلاحية وقوة ناعمة افسادية، بحسب الأهداف والوسائل.

وبتأملنا لآيات القرآن الكريم نجد ما يدل على مفهوم الحرب الناعمة الإصلاحية في مسيرة نشر الدين الإسلامي بكونه يرفض العنف وينكر الوحشية ويجذب الأرواح إلى مقدساتها بالقوة الناعمة والأسلوب الجاذب اللين وسنذكر بعض من تلك الآيات المباركة لا على سبيل الحصر:

١- دعوة القرآن إلى التعامل باللين والرحمة وبالرفق جاء في محكم كتابه الكريم ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[3].

٢- دعوة القران الكريم إلى رفض العنف وحقن الدماء وحرمة قتل النفس المحترمة جاء في محكم كتابه الكريم ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا**﴾[4].

٣- دعوة القرآن الكريم إلى العفو والمسامحة جاء في محكم كتابه الكريم ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا**

(١) ينظر: تفسير صدر المتألهين، الشيرازي، البقرة: ص ٢٥٦.
(٢) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج٢، ص ٣٤٣.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٣.

تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

٤- دعوة القرآن الكريم إلى أهمية طلب العلم والتصدي للجهل جاء في محكم كتابه الكريم **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**[2].

٥- دعوة القرآن الكريم للتعاون لما فيه صلاح الناس ورفض الاعتداء وارتكاب الأثام جاء في محكم كتابه الكريم **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾**[3].

٦- دعوة القرآن الكريم إلى إعداد القوة المتمثلة بالعلم الصبر والبصيرة وفعل الخير جاء في محكم كتابه الكريم **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾**[4].

ولا بد لنا هنا من بيان الفرق بين المنظور القرآني للقوة الناعمة وبين المنظور المادي لها، إذ أنه في المنظور المادي يتم استخدام أسلوب الحرب الناعمة الإفسادية كم أسميناها لتحقيق مصالح الطرف الضال على حساب مصالح الطرف الصالح، بينما في القرآن الكريم دعا سبحانه وتعالى إلى استخدام الحرب الناعمة الإصلاحية المتمثلة بالقوة الناعمة المؤثرة الجاذبة لإعلاء كلمة الحق تعالى وبسط العدل وصلاح الناس.

ومما اشارت له آيات القرآن الكريم إلى اتباع الشيطان ومن معه من المنافقين والمشركين وأعداء المؤمنين لأسلوب الحرب الناعمة بهدف تحقيق مصالحهم الإفسادية المادية آيات عدة نذكر منها أمثلة لا على سبيل الحصر:

١- الشيطان اعتمد أسلوب الجذب والخداع للتأثير والوسوسة ليعمي الناس عن طريق الحق والصواب كما في أسلوب الحرب الناعمة الإفسادية، جاء في محكم كتابه الكريم **﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾**[5].

٢- المنافقون: وهم من أخطر الفرق التي مارست وتمارس العداء الناعم في العالم الإسلامي إذا أنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر طماعين مفتنين فاسدين وما يخادعون إلَّا أنفسهم، فكانوا

(١) سورة النور: الآية ٢٢.
(٢) سورة الجمعة: الآية ٢.
(٣) سورة المائدة: الآية ٢.
(٤) سورة الانفال: الآية ٦٠.
(٥) سورة الحجر: الآية ٣٩- ٤٠.

في عدائهم يظهرون للناس إيمانهم وفي باطنهم خبث ومكر وبغض يدسونه بين الناس كدس السم بالعسل فيثنوهم ويعبثوا بذهنيتهم وقلوبهم، جاء في الآيات الشريفة: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلا**﴾[1]، وقال تعالى ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[2].

٣- اليهود: وهم القوم الذي جاءهم أكثر عدد من المرسلين وذلك لشدة تجبرهم وشهواتهم ومكرهم وطغيانهم وخدعاهم فكانوا أكثر من أفسد في الأرض وسفك بدماء المرسلين والقوم الصالحين ولا زالوا مستمرين إلى يومنا هذا بعدائهم وإضعافهم للإيمان بزعزعة هويته وببث الشكوك في القلوب وتحريف المعتقدات في العقول جاء في محكم كتابه الكريم: ﴿**وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ۞ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ**﴾[3].

٤- المشركين: الذين يدعون التعدد في مبدأ الوجود أو الشراكة مع الله، تعالى الله عن ما يدعون كأمثال مشركي قريش عباد الأوثان والبوذيين اليوم فهم ينشرون معتقداتهم بناءً على التخمين أو على هوى النفس، «حتى إن الديانة البوذية نشأت في شمالي الهند في القرن السادس قبل الميلاد وانتشرت تدريجياً بين عدد كبير من الشعوب الآسيوية بفضل مبادئها الأخلاقية التي تدعو إلى المحبة والتسامح والتعامل بالحسنى والتصدق على الفقراء وترك الغنى والترف وحمل النفس على التقشف والجاذبية التي تمتلكها هذه المبادئ السامية، هي التي أدت إلى انتشارها السلمي الواسع...»[4].

جاء في محكم كتابه الكريم ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى۞ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى۞ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى۞ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى۞ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**﴾[5].

٥- الكفار: وهم من نقضوا الإيمان وكذبوا المرسلين واليوم هم ما يسمون بالملحدين الذين

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ٦٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٩.

(٤) جودت هوشيار، الجذور التأريخية لنظرية القوة الناعمة (مقال).

(٥) سورة النجم: الآيات١٩- ٢٣.

يتوارثون ويروجون لنظرية الانفجار الشمسي بأنها هي سبب الخليقة، وعلى مر العصور والتاريخ كان كلما أرسل الله تعالى لأمة نبي أو رسول اتهموه بالجنون أو عمل السحر وذلك من وسائل وأساليب الحرب الناعمة الإفسادية في تنفير الناس وتزييف الحقيقة كما حصل في قصة النبي نوح عليه السلام: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ**﴾[1].

ثانياً: الحرب الناعمة في روايات أهل البيت: وفي روايات أهل البيت عليهم السلام نجد العديد منهاً يشير إلى أهمية اتباع أسلوب حرب القوة الناعمة نذكر منها لا على سبيل الحصر:

١- عن «سليمان بن مهران»[2] قال: دخلت على الصادق عليه السلام وعنده نفر من الشيعة فسمعته وهو يقول: «**معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفوها عن الفضول وقبيح القول**»[3].

واللافت في الرواية الشريفة أنها تدعوا بأسلوب ترغيبي وجاذب إلى أهمية الأفعال والأقوال الحسنة وبهذا تلفت النظر إلى اعتماد أهل البيت عليهم السلام لأسلوب القوة الناعمة المؤثرة الجاذبة لذهنية الفرد واستمالة قلبه.

٢- عن «زرارة»[4]، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**جاءت فاطمة عليها السلام تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعض أمرها فأعطاها كربة وقال: تعلمي ما فيها فإذا فيها: من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**»[5].

دعا الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الرواية السيدة الزهراء عليها السلام بعدم إيذاء الجار وإكرام الضيف الذي يلحق من لا يكرمه عاراً عند العرب وهذه العظة تعد أسلوب جاذب للاستمالة القلبية والذهنية للتخلق بالأخلاق الحميدة التي تدعوا لها الفطرة السليمة وتؤثر في قلوب الناس وتستميلهم للديانة الإسلامية وهذا من أساليب القوة الناعمة الإصلاحية المتمثلة بالاستمالة القلبية للدين الإسلامي حيث أنه لا

(١) سورة المؤمنون: الآية ٢٤.
(٢) سليمان بن مهران الأعمش، الكوفي، فقيه، شيخ المحدثين، ت ٧٦٥هـ.
(٣) ينظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٦٨ ص ٣١٠.
(٤) عبد ربه بن أعْين بن سُنسُن الشَيباني الكوفي، زرارة بن أعين، راوي حديث، فقيه، كتاب مسند بن زرارة بن أعين، ت ١٥٠هـ.
(٥) ينظر: وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ج ١٢ ص ١٢٦.

إكراه في الدين.

وكما اتبع الانبياء والمرسلين والمعصومين أسلوب الحرب الناعمة الإصلاحية، أيضا هناك من أتبع اسلوب الحرب الناعمة الإفسادية وأول من استعملها هو الشيطان وأتباعه الذين اتخذوا من هذه القوة منهاجاً ليعتمدوها حرباً بغايات باطنية وظاهرية، فالظاهرية عبارة عن صورة مزيفة تحمل شعارات الاهتمام والحرص على المصلحة العامة، والباطنية عبارة عن شر وفساد وعداء الغاية منه حفظ مصلحة المعتدي على حساب المصلحة العامة.

المبحث الثاني: المنظومة المتكاملة للحرب الناعمة

بعد أن تطرقنا لمفهوم الحرب الناعمة في الاستعمال القرآني علمنا أن أول من اتبع هذا الأسلوب هو الشيطان وقد ورد هذا بعدة دراسات سابقة لموضوع نشأة الحرب الناعمة إذا إن إبليس لعنه الله قد اتخذ أسلوب الحرب الناعمة الإفسادية لإحلال الفساد لآدم وبنيه فيأتي بني آدم متلاعباً بالذهن مدعياً النصح مقسماً بالله تعالى على أقواله فيزين الحق باطل والباطل حق فمن عرف إبليس واتخذه عدواً ولم تكن له القابلية للتأثر بوسوسته وإغواءاته كان منتصرا في معركة الدنيا والآخرة.

وإن اتباع الشيطان من المنافقين والكفار والمشركين وأعداء الدين والبشرية اتبعوا هذا الأسلوب بشكل مباشر أو غير مباشر وبصورته الإفسادية وكانت لهم منظومة متكاملة اتبعوها نذكرها:

المطلب الأول: أهداف وخصائص الحرب الناعمة

إننا في معرفة أهداف الحرب الناعمة وتحديدها نستطيع استشفاف داءها وعلاج مخاطرها فإن عرف السبب بطل العجب نذكر منها لا على سبيل الحصر:

١- بث الفرقة وخرق الانسجام وإثارة وتحريك الخلافات السياسية والطائفية.

٢- بث الشك والتشاؤم والإحباط واليأس في نفوس الشعب والمسؤولين.

٣- قلب حقائق البلاد وتحويلها من إنجازات ونقاط قوة إلى أزمات ونقاط ضعف.

٤- وقف عجلة تقدم البلاد علمياً وتقنياً واقتصادياً وعسكرياً وسياسياً.

٥- إدخال العناصر المخربة والخائنة إلى الساحة لافتعال المشاكل والتخريب.

٦- استبدال قادة النظام وشعاراته وسياساته بما يناسب شروط العدو»[1].

وأما خصائص الحرب الناعمة فهي كثيرة ومتنوعة وذلك بسبب تعقيدها واعتمادها على القوة الناعمة، أهمها:

١- «إن الحرب الناعمة هادئة تدريجية سرية، وذلك لتحركها بروية وهدوء إذا أنها غير ملموسة

(١) قراءة في أساليب التهديد وأدوات المواجهة، مركز المعارف للدراسات الثقافيَّة، ص١٤٩-١٥٠-١٥١.

وهذا غاية المعتدي بعدم اكتشافها لتكون نتائجها أشد أثراً في تغيير المعتقدات والقيم.

٢- إن الحرب الناعمة لا تستهدف فئة معينة بل تعد حرب شمولية تستهدف كافة شرائح المجتمع (الثقافية - الاقتصادية- السياسية) لتضليل الرأي العام بشعارات ظاهرها حق وباطنها فساد.

٣- ذهنية لا محسوسة هدفها انتزاع القناعات والمعتقدات الذهنية عبر جذب العقول والتأثير فيها وذلك لتغيير الإرادات وتبديلها.

٤- معقدة لأن تشخيصها يعد أمر صعباً وذلك لاستهدافها الفرد بجميع مستوياته الفكرية العاطفية المعنوية والجسدية فيصعب تشخيصها.

٥- عميقة متجذرة لأنها لها أثار على المدى البعيد بتغيير الهوية للفرد.

٦- منظمة هادفة لأن سيناريوهاتها متزامنة مع خصومة العدو ومخطط لها مسبقاً

٧- فتنوية لأنها تجمل من صورة العدو وتصور الحق باطل والباطل حقا.

٨- التركيز على البعد الثقافي كأكثر أداة يتم استخدامها فيها وذلك لاستبدال ثقافة الشعب وقيمه بتحويل الأمل ليأس والتشكيك فيه بهدف سلب حيوية المجتمع وبالتالي انتزاع ثقافته"[١].

وجميع هذه الأهداف والخصائص غايتها تغير القوالب والهوية المجتمعية بمختلف شرائحها وذلك باستهداف القيم الأخلاقية والمعتقدات والمسلمات الدينية الأساسية عبر بث مسلمات وأفكار ومعتقدات وقيم جديدة تنتزع ما قبلها وتبدلها وبالتالي هدم الهوية القديمة واستحواذ الجديدة.

المطلب الثاني: أدوات وأساليب الحرب الناعمة

«إن أدوات الحرب الناعمة باتت في متناول الجميع وبمختلف الفئات العمرية بلا استثناء، وذلك بمساهمة العولمة والتكنولوجيا والتطورات الحديثة ومن هذه الأدوات»[٢]:

١- الأدوات الكلامية: والتي تتضمن أساليب تستخدمها دول الهيمنة والاستعمار منها:

أ- الحرب النفسية: وهي حرب غايتها تغيير السلوك وميدانها هو الشخصية[٣].

ب- العمليات الإدراكية: « معركة ضد الطريقة التي نفكّر بها، أي تغيير طريقة التفكير التي

(١) ينظر: مدخل إلى الحرب الناعمة، مركز الحرب الناعمة للدراسات ص٢٧- ٣٠.

(٢) ينظر: نفس المصدر. ص٤٠.

(٣) ينظر: د. فهمي النجار، الحرب النفسية (أضواء إسلامية)، ص ٦٦.

يفكر بها الناس. وتُعدّ أقوى وأعمق من الحروب المعلوماتية والنفسية. ويصف باحث آخر في «الناتو» الحرب الإدراكية بأنّها «طريقة لإلحاق الضرر بالدماغ». وتنطوي الحرب الإدراكية على التضليل المعلوماتي والنفسي والهندسة الاجتماعية (Social engineering)[١].

ج- فن الخداع التكتيكي في الديبلوماسية العامة: يهدف إلى تبرير المرتكبات العدائية وإسكات معارضيها، عبر التلاعب بالمعلومات وبثها بين الناس كما استراتيجيات امريكا واسرائيل التي تبيض صور اعتداءاتها الإجرامية في جعلها صورة إيجابية على المستوى العالمي[٢].

٢- الأدوات السلوكية: والتي تتضمن العصيان المدني - الاعتصامات والتدخلات - جذب المعارضة والمعارضين - عدم التعاون.

٣- الأدوات الإلكترونية: بقوة تأثيرها وجاذبيتها الاستحواذية على ذهنية المستهدف من قبل الوسائل الإلكترونية التكنولوجية المواكبة للتطور والتي دخلت كل بيت وأصبحت في متناول كل يد الصغير والكبير وهذا ما ساعد قوة الهيمنة والاستعمار أمريكا وإسرائيل في حربها الناعمة على الأمة الإسلامية. وذلك بنشر أفكارها عبر ما تبثه من شعارات ومدسوسات وسرديات ودعايات ظاهرها حق وباطنها باطل، عبر منتوجات ومنشورات وإعلانات وأخبار وبرامج وتطبيقات على الهواتف الخلوية الذكية والشاشات التلفزيونية والسينمائية وصنع ألعاب الكترونية وغير الكترونية ومن دون أي رقابة وقيود وأصبحت بمتناول الجميع وبكلفة مجانية أو شبه مجانية ابتغاء بسط الهيمنة الذهنية الأمريكية والإسرائيلية في عقول وقلوب الشعوب والأمة الإسلامية[٣].

وكخلاصة لما تقدم يمكننا أن نشير إلى الأدوات التالية المستخدمة في الحرب الناعمة وهي «المؤسسات غير الحكومية المنسجمة، وسائل الإعلام (الإنترنت، الشبكات الفضائية، دور النشر)، النخب السياسية والاجتماعية والعلمية، القابليات المتضادة الموجودة في المجتمع (مثل القوميات والأقليات الاجتماعية المختلفة)، الحركات الاجتماعية (مثل حركة المساواة مع المرأة، نهضة الجامعيين...)، المعارضة من خارج الحكم»[٤].

---

(١) علي رعد، الحرب الإدراكية: أسلوب جديد في القتال، موقع العهد الإخباري، (١٠/ ١٠/ ٢٠٢٤م).

(٢) ابتهال عبد الغني - قراءة في فن الخداع في الدبلوماسية العامة الإسرائيلية (مقال).

(٣) ينظر: مدخل إلى الحرب الناعمة: ص٤٠.

(٤) المصدر نفسه: ص٤١-٤٢.

المطلب الثالث: مخاطر الحرب الناعمة على الأمة الإسلامية وأبنائها.

أن ما يجري في واقعنا اليوم من التغيرات والتطورات قد فرضت على قوى الشر والاستكبار العالمي إلى مضاعفة الاعتماد على الحرب الناعمة وتعديلها وتطويرها فتوسعت مخاطرها وباتت تعرف بالحرب الناعمة المتحورة ومن أسباب تطويرها نذكر منه:

١- الاعتقاد بصوابية نظرية القوة الناعمة وكونها أفضل الوسائل الحديثة للتغيير، بالأخص أن التطور التقني والتكنولوجي وما فرضته وسائل المعرفة الجديدة [وسائل التوصل الاجتماعي على وجه التحديد]، قدّم فرصة ثمينة لتجاوز كافة إشكاليات الحروب التقليدية خصوصًا وأنَّها تحافظ على التفوّق لقوى الاستكبار وتجعلها لاعبًا محوريًا.

٢- إدراك مقدار التحوّل الذي شهده العالم في الآونة الأخيرة على مستويات عدّة من أبرزها ظهور قوى جديدة قادرة على مواجهة الحروب الناعمة وتجاوز تداعياتها، عدا عن امتلاكها قوى ناعمة ذاتية قادرة على صناعة التحصين لديها.

٣- الاعتقاد بإمكانية الدمج بين مجموعة كبيرة من أشكال الاستهداف على سبيل التكامل وأداء مهمات تجعل الخصم مربكًا عاجزًا عن الإتيان بأيّ ردة فعل. ومن هذا المنطلق بدأ التأسيس لنظريّته في كيفيَّة مواجهة ما أطلق عليه «مكافحة حركات التمرّد»، مؤكّدًا أنَّ إخضاع الخصم لا يحصل إلَّا من خلال القضاء على كافّة أشكال القوة الموجودة عنده.

بناءً على ما تقدّم كان التوجّه لتطوير نظرية الحرب الناعمة، مما يجعلها أكثر فعاليّة في الوصول للأهداف، فظهرت أفكار ونظريّات جديدة حوَّرت المفهوم وطوَّرته ورفدته بكل أساب النجاح، فكانت نظريات الحروب الناعمة المتحورة»[1].

وأما مخاطرها التي غايتها هدم الهوية الإسلامية والتي هي الإسلام نفسه وذلك بالقضاء على القيم الأخلاقية والمعتقدات الدينية عبر نقل فكر ومعتقدات وقيم غربية تتعلق باستنساخ الهوية بخيرها وشرها؛ وإحلالها في الأرض العربية والإسلامية، حتى ولو خالفت النص والحس والناس كافة منها:

١- «إبعاد الجيل الجديد عن القيم الدينية، واستبدالها بثقافة اجنبية وافدة، ودفعه نحو الابتذال والفساد الأخلاقي، واضعاف الثقافة الوطنية والإسلامية، لكي لا يهدّد الغرب وسلطته.

٢- التأثير على الاسرة والتقليل من أهميتها التربوية، واضعاف همّة الشباب المسلم، وبث عدم

(١) علي الحاج حسن، قراءة في كتاب «الحرب الناعمة المتحورة».

الثقة بالنفس.

٣- إلقاء اليأس في مريدي حاكمية الإسلام في العالم، واسقاط حيثية واعتبار المقاومة بين الجماهير المسلمة، ومن ثمَّ ايجاد الفرقة والاختلاف بين النشطاء السياسيين»[١].

ومن مخططات المستعمر تصويب هذه المخاطر على أبناء الأمة الإسلامية حيث من المعروف أنك أذا أردت خراب أمة عليك بأبنائها لأن الأبناء هم ثروة الأمم، ومستقبل الأوطان وهم من يعمل ليطور في الدولة، وبما أن المخاطر غايتها انتزاع الأفكار العقائدية الدينية والقيم الأخلاقية الاجتماعية فكان لابد من طرق لإحلالها وذلك عبر:

١- نشر عقيدة الإلحاد: التي تدعو لإنكار وجود الله تعالى وبالتالي السعي لزوال الدين عبر إثارة الشبهات وزعزعة العقيدة الإسلامية في الفكر، وفي الوقت الحاضر يقوم الإلحاد على عدة مفاهيم «نشأة الكون تلقائياً، نتيجة لأحداث عشوائية، دون الحاجة إلى صانع، ظهور الحياة ذاتياً من المادة عن طريق قوانين الطبيعة، الفرق بين الحياة والموت هو فرق فيزيائي بحت، سيتوصل إليه العلم يوما ما، ليس الإنسان إلَّا جسدًا ماديًا، يفنى تماما بالموت، ليس هناك وجود لمفهوم الروح، ليس هناك حياة أخرى بعد الموت، من كل ما سبق، ليس هناك حاجة إلى القول بوجود إله»[٢].

٢- الطعن بالإسلام وكتابه ورسوله والسخرية من المبادئ والقيم الدينية عبر دعواهم بأن الإسلام دين دموي متخلف لا يواكب التطور وأن القرآن كتاب لا يحمل قدسية بكونه نص بشري، وأن محمدﷺ يدعي النبوة، وأطلقوا عليه العديد من الصفات التي تحاول التشويه في نبوته وعصمته وحديثاً بدأ الطعن بالمقدسات عبر أساليب الرسم الكاريكاتورية وصناعة الافلام التي تشوه وتعبث بصورة المقدسات في الذهنية العقلية والعاطفة القلبية.

٣- تسطيح الأفكار وترميز التافهين وذلك بانتشار ثقافة التفاهة بمحتواها الهابط الفارغ فكريا وقيميا والتي تهدف إلى الإغفاء بدل من التفكير، «يقول إدوارد جاليانو[٣] نحن نعيش أوج عصر التفاهة بات عقد الزواج أهم من الحب، مراسيم الدفن وطقوسه أهم من الميت، اللباس أهم من الجسد، قدَّاس الأحد أهم من الله...» والأهم أن التفاهة تشي بالتصنيف الواقفة عليه قوةٌ مجهولة كبرت أم صغرت، وبالتالي كونها مؤثرة فيما يحدث إجمالاً. والانحدار المتردد في الخلفية بنبرة إنسانية قد

(١) حيدر الشمري - مخاطر الحرب الناعمة على الشعوب الإسلامية، (مقال).
(٢) عمرو شريف، الإلحاد مشكلة نفسية، ص ٣٦.
(٣) إدوارد جاليليو أو (جاليانو)، كاتب، صحفي (١٩٤٠- ٢٠١٥م).

لا يخفي على قارئ»[1].

٤- التغريب وخطره في هدم الهوية الإسلامية وذلك عبر تبني الأبناء للقيم الغربية وتقليدهم والتطبع بطبائعهم ومعتقداتهم الى أن يصل الأمر إلى انتزاع الهوية الإسلامية.

٥- الترويج للإباحة والفحشاء عبر وسائل التلفزة والسينما ووسائل التواصل بهدف تفريغ الدين عن محتواه القيمي وقوع الأبناء في الانفلات وارتكاب الفاحش.

٦- الترويج للحركات والأفكار الشاذة: الذي طمحت الدول الاستعمارية لترويج محتواه بالعالم وبالأخص في الدول العربية للإطاحة بالمنظومة الإسلامية، وذلك عبر تطبيع هذا الانحراف في أذهان أبناء الأمة الإسلامية.

٧- الترويج للجندرة: بهدف تغيير الهوية الجنسية للفرد عبر إلغاء الفوارق بين الذكر والأنثى.

٨- الترويج لمساوة المرأة بالرجل في امتهانها بهدف تقيد غريزة الأمومة بعطائها لأبنائها، وبالتالي هدم دور الأم التربوي في الأسرة الإسلامية.

٩- بث الفرق والفتن العنصرية بين المسلمين: بهدف تفكيك وحدة أبناء الأمة الإسلامية عبر بث النزاعات والصراعات والتجزئة الطائفية والعنصرية بين أبناء الأمة الإسلامية بعنوان (فرق تسد) وبالتالي هدم وحدة الأمة الإسلامية[2].

مخاطر الدول المعادية للإسلام والمسلمين والتي يحاولون جعلها تحت رداء القانون ولكنها تبقى أفعال ترفضها الفطرة الإنسانية السوية وينفر منها التفكير السليم.

وبناءً على ما تقدم من المخاطر الموجهة لأبنائنا نتبين جهود قوى الاستبداد العالمي بمضاعفة الاعتماد على الحرب الناعمة المتحورة عبر استخدام قدرة الإرغام بالسياسيات والبرامج القائمة على صناعة الأزمات الاقتصادية السياسية والاجتماعية وفرض عقوبات إرغامية اقتصادية ودولية دون إجراءات عسكرية، وشن الحملات الإعلامية والدعائية والهجمات الإلكترونية والمعلوماتية وضخ الشائعات والتحريضات وافتعال الثورات والاغتيالات الصامتة والعمليات التخريبية القابلة للإنكار ودعم المنظمات غير الحكومية NGOS مما جعل هذه الحرب ناعمة شبه صلبة ولا تزال تعمل[3]، وهي جزء من

(١) سامي عبد العال.. عن التفاهة، (مقال).

(٢) حسين حسن كتاب، المعالجات الاستشرافية للحرب الناعمة في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير.

(٣) ينظر: الحرب الناعمة المتحورة، ص ١٠١.

الاستراتيجيات لقوى الشر ومخاطرها المخالفة للفطرة الإنسانية والشرائع الإسلامية هي ما جعلتها مكشوفة للدول ولم تعد فرضية إنكارها أو التغافل عنها صحيحة.

المبحث الثالث: الفكر التربوي للسيدة الزهراء عليها السلام في مواجهة مخاطر الحرب الناعمة على الأبناء

المطلب الأول: الفكر التربوي للسيدة الزهراء عليها السلام امتداد لكل الأزمنة

إن سر كل حضارة من الحضارات الرفيعة نظام تربوي متقن الصنع يخط مسير الاجيال لبناء تاريخ الأمم وإن هذا النظام التربوي المتقن لابد فيه من وجود قادة رفيعين يخططون ويديرون متانته ووعيه، وكيف إن كانت تلك الحضارة هي الحضارة الإسلامية التي جاءت لتكون خير حضارة للإنسانية المعذبة على مر الأزمان، وأولئك القادة هم من حملوا أكبر رسالة سماوية أبدية للإنسانية جمعاء مفادها معرفة الخالق والتواضع له وإتمام مكارم الأخلاق في نفوس الناس أجمعين عبر الرسالة التي جاء بها قائد الأمة وخاتم أنبيائها محمد صلى الله عليه وآله وما أمرنا بالتمسك به من بعده القرآن الكريم وعترته أهل بيته المعصومين.

ورد في نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «...**فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف، قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد صلى الله عليه، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا وأعز الأرومات مغرسا، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمر لا ينال، فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى...**»[1].

إذ تعد عترة رسول الله صلى الله عليه وآله دستور ونهج ممتد لكل الأزمنة شامل مختلف جوانب الحياة جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إني خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا وإن مثلهما فيكم كسفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق**»[2].

إذن فالمرجع والمصدر لأبناء الأمة الإسلامية هما القرآن الكريم ومحمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٧ ص ٦٢.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ج١ ص٢٦٧.

بكونهم دستوراً ومنهاجاً لا مثيل له في مختلف جوانب الحياة كالجوانب الأخلاقية والتربوية والدينية.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض**»(١).

ومع ازدياد توغل مخاطر الحرب الناعمة التي وظفت العولمة والتطورات التكنولوجية الحديثة على أبنائنا كان لا بد من البحث في كيفية سبل المواجهة وفق أفكار ودراسات ومناهج تربوية، ولم ولن نجد ما يعد أسمى وأشرف وأعظم من الفكر التربوي لبيت بنت النبوة السيدة الزهراء عليها السلام بكونها السيدة التي وصلت لأعلى درجات الكمال فأصبحت سيدة النساء على العالمين، عن عائشة قالت: «أسر النبي صلى الله عليه وآله إلى فاطمة شيئا فضحكت، فسألتها فقالت: **قال لي: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء أمتي**»(٢).

فحينما نقرأ سيرتها العطرة نجد فيها أروع الدروس والحكم للتعلم وللاقتداء منها في محطات مسير حياتنا وأهم تلك المحطات هي أسلوبها في تربيتها لأبنائها وفي معرفة سبل مواجهة أي مخاطر تحيط بهم، فمن كمثل فاطمة الزهراء الحوراء الأنسية التي تربت في كنف أعظم شخصية تاريخية نبوية محمد رسول البشرية وحضن أم المؤمنين خديجة المرضية فكانت متهيئة مستعدة لدورها الرسالي بكونها الأم الأنموذجية المتكاملة التي كسبت من مناهل النبوة ومنزل الوحي أكمل المعارف وأتم المراتب المعنوية العالية من طفولتها إلى حين استشهادها في سن الشباب لتكون منبع نور الهداية وسبل النجاة حتى أخر الزمان، في باب ما أخبر النبي صلى الله عليه وآله بظلم أهل البيت عليهم السلام قال صلى الله عليه وآله: «**وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين، من الأولين والآخرين وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي وهي الحوراء الانسية..**»(٣).

المطلب الثاني: مواجهة مخاطر الحرب الناعمة على الأبناء وفق الفكر التربوي للسيدة الزهراء عليها السلام.

إن الإسلام يدعوا إلى تكامل الإنسان بتمام الأخلاق، وازدهار الطاقات وأداء التكاليف الملقاة على عاتق كل شخص ذكر كان أم أنثى ضمن قاعدة حفظ حقوق الإنسان وتكريمه، وإن السيدة الزهراء عليها السلام بكونها ربيبة الوحي فقط أسهمت بدورها التربوي الذي يدعوا إلى تكامل الإنسان

(١) أصول الكافي، الكليني: ج١ ب٦٨ ص١١٠.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤٣ ص ٣٧.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤٣ ص١٧٢.

وحفظ حقوقه بالتبيين لكل فرد ما يقع عل عاتقه من مسؤوليات وتكاليف حيث أدت السيدة الزهراء دور المرأة الابنة والمرأة الزوجة والمرأة الأم والمرأة كراعية بيتها والمرأة العاملة والمرأة المدافعة وجميع تلك الأدوار لم تتعارض مع بعضها ولم يكن دور على حساب دور فكانت خير أسوة للناس كافة ولا سيما النساء ففي حديث عن الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف قال: «**وفي أبنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أسوة حسنة**»[1]، فإن كانت عليها السلام أسوة للأئمة الميامين الأطهار فكيف لا تكون أسوة لنا.

ولذلك لا بد أن تكون سبل مواجهة مخاطر الحرب الناعمة على الأبناء عبر القيم المنبثقة من سيرتها العطرة في تربيتها لأبنائها منذ الصغر وذلك في عبر موارد نذكر منها:

أولا: الاعتناء بالأبناء وإعطائهم الأولوية: حرصت السيدة الزهراء عليها السلام على الاعتناء بأبنائها وإعطاءهم أولوياتها منذ مرحلة الطفولة تحت رداء الحب الحنان والرعاية وبكونها المغذي الأول لهم مادياً ومعنوياً، وفي حديث الكساء تجلي ظهور تلك العناية والمحبة حينما تقول للحسنين عليهما السلام «**يا قرة عيني وثمرة فؤادي**»، ومن مظاهر إعطاء الرعاية والمحبة ما ورد بأنها كانت عليها السلام ترقص ابنها حسناً عليه السلام وتقول:

«أشبه أباك يا حسن واخلع عن الحق الرسن
واعبد إلها ذا منن ولا توال ذا الإحن

وقالت للحسين عليه السلام:

أنت شبيه بأبي لست شبيها بعلي»[2].

وروي أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يكتبان فقال الحسن للحسين:

«**خطي أحسن من خطك**، وقال الحسين: **لا بل خطي أحسن من خطك**، فقالا لفاطمة عليها السلام: **احكمي بيننا** فكرهت فاطمة أن تؤذي أحدهما، فقالت لهما: **سلا أباكما** فسألاه فكره أن يؤذي أحدهما فقال: **سلا جدكما رسول الله** صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله: **لا أحكم بينكما حتى أسأل جبرئيل** فلما جاء جبرئيل قال: **لا أحكم بينهما ولكن إسرافيل يحكم بينهما** فقال إسرافيل: **لا أحكم بينهما ولكن أسأل الله أن يحكم بينهما** فسأل الله تعالى ذلك فقال تعالى: **لا أحكم بينهما ولكن أمهما فاطمة تحكم بينهما**، فقالت فاطمة: **أحكم بينهما يا رب**، وكانت لها قلادة فقالت لهما **أنا أنثر بينكما جواهر هذه القلادة**

(١) الغيبة، الطوسي: ص ٢٨٦، ف٤، ح٢٤٥.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٥٩.

فمن أخذ منهما أكثر فخطه أحسن، فنثرتها وكان جبرئيل وقتئذ عند قائمة العرش فأمره الله تعالى أن يهبط إلى الأرض وينصف الجواهر بينهما كيلا يتأذى أحدهما ففعل ذلك جبرئيل إكراما لهما وتعظيما»[1].

ومن هذه الرواية يظهر حرص السيدة الزهراء عليها السلام بأهمية الرعاية النفسية لأبنائها وشحذ معنوياتهم وغرس روح الألفة بين الأخوة.

ولذلك يجب على الأمهات ان تقتدي بخيرة النساء السيدة الزهراء عليها السلام بكون منهاجها يتصف بالديمومة لكل زمان ومكان ويشدد على أهمية إعطاء الاولوية للأبناء بالإعتناء بهم وبنفسياتهم بأن تكن حريصات راعيات لصحة أبنائهن النفسية والجسدية والالتفات للمساعي الغربية في وقتنا الحاضر عبر أدوات الحرب الناعمة التي منها وسائل التكنلوجيا الحديثة كالهواتف الخليوية الذكية والشاشات التي بات سهلاً والتي تبث برامج كأفلام الكارتون والأغاني الصاخبة والألعاب والأفلام الخطيرة الموجودة على تطبيقات عديدة أمثال اليوتيوب والتيك توك فتترك هذه البرامج الضار منها للمشاهد وخصوصاً أبنائنا تأثيرات خطيرة على اذهانهم ونفسياتهم، فواجب الأم هنا أن تكون غيورة حريصة على أبنائها وأن تحميهم كما السيدة الزهراء عليها السلام من مختلف المخاطر التي تعبث بعقولهم إما بأبعاد هذه الوسائل عنهم وتقديم أدوات أخرى تنمي أذهانهم نفسياتهم وأجسادهم تنمية سليمة أو عبر الرقابة الأبوية باستخدام هذه الأدوات بما هو مغذي ومفيد لنموهم الصحي السليم.

ثانياً: غرس الأسس الإيمانية الأخلاقية والعبادية في نفوس الأبناء: حرصت السيدة الزهراء عليها السلام على غرس العقائد الدينية والقيم الأخلاقية المتمثلة بالإيمان والتقوى والعبادة بنفوس أولادها، فمنذ طفولتهم كانت تصحبهم إلى محراب عبادتها وتجعلهم إلى جانبها أثناء تهجدها في الليل وفي النهار لتعلمهم كيف يقفون بين يدي الخالق، وكيف يتوجهون إليه سبحانه بخشوع وخضوع وتواضع وإقبال، وكيف يدعون للناس في عباداتهم وصلواتهم ورد عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**رأيت أمي فاطمة عليها السلام قائمة في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راكعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت: يا أماه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني، الجار ثم الدار**»[2].

نستشف من هذه الرواية أن الزهراء عليها السلام تشير إلى أهمية غرس القيم الإيمانية المتمثلة بالعبادات

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤٣ ص ٣٠٩.

(٢) أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الريشهري: ص ٢٧٢.

والطاعات والاستقامة وفعل الخيرات للأخرين في سلوك وأخلاق أبنائها منذ الصغر حيث لا يكفي أن نلتفت إلى شؤونهم الحياتية دون الإيمانية، وذلك لتنشئتهم تنشئة سوية تعينهم في التعامل مع مختلف جوانب الحياة وصعوباتها وما يتعرضون له اليوم من مخاطر الحرب الناعمة في انتزاع الهوية الدينية الإسلامية عبر أدواتها فمن غرس تلك الخصال في سلوك وأخلاق أبنائه لن تعصف به تلك المخاطر وسيقي نفسه شرها.

ثالثاً: تعليم الأبناء الاعتماد على النفس وبناء الثقة في شخصيتهم: اتبعت السيدة الزهراء عليها السلام في تربيتها اساليب زرع الثقة بنفوس أبنائها وتحميلهم المسؤوليات منذ صغرهم وذلك لبناء شخصية قيادية شجاعة حكيمة قادرة على إدارة أمم وشعوب وحل مشكلاتها بنتائج وفاعلية إيجابية منذ الطفولة.

رابعاً: غرس حب التعلم في الأبناء: كانت السيدة الزهراء حريصة بتعليم أبنائها واكسابهم الوعي والمعرفة فكانت ترسلهم ليحضروا خطب الرسول صلى الله عليه وآله لتشجيعهم على التعلم ونقل القيم والفضائل للناس وذكر «ان الحسن بن علي عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أمه فيلقي إليها ما حفظه، فلما دخل علي عليه السلام وجد عندها علما فيسألها عن ذلك فقالت، **من ولدك الحسن...**»[1].

فكما كانت السيدة الزهراء العالمة قدوة بتشجيع أولادها على طلب العلم والمعارف منذ الطفولة، فلابد لكل أم أن تسعى لتعليم أبنائها العلوم الدينية والعلمية منذ الطفولة، ولا بد وأن ترافق سعيهم في مرحلة الشباب بطلبهم للعلم ولمكاسب الحياة فتكون وعاء لمشاعرهم وصديقة لأذهانهم وأن تسعى هي أيضاً لتحصيل العلوم الدينية لتكون متفقهة في شؤون حياتها وتعلم ذلك لأبنائها بشكل لا يتعارض مع أولوياتها، ولأن العلم حياة فلتبدأ كل امرأة بمطالعة كتاب مع أطفالها بما يناسب أعمارهم لتسري ثقافة المطالعة والبحث في أذهانهم منذ الصغر لنضمن بالوعي والعلم المكتسب لأبنائنا قدرتهم على تشخيص ومواجهة شتى أنواع المخاطر التي قد يتعرضون لها فكلما زاد الوعي والعلم عم الصلاح وكلما تفشى الجهل والإنحلال عم الفساد.

خامساً: تعليم الأبناء احترام حقوق الأخرين وعدم التجاوز والاستنصار لحفظ الدين وأهله: استخدمت السيدة الزهراء عليها السلام أساليب متعددة في تعليم أبنائها رعاية حقوق الأخرين والدفاع عنها

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٧٥.

والاستنصار للدين وحفظه وأهله ويوجد شواهد على ذلك نذكر منها ما أوردَه سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام في جوابه للأشعث بن قيس قال: «.. **ثم حملتُ فاطمة وأخذتُ بيد ابني الحسن والحسين، فلم أدعْ أحدا من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلَّا ناشدتُهم الله في حقي ودعوتهم إلى نصرتي**»(١).

ونجد ذلك أيضًا عندما تصدت السيدة زينب عليها السلام للطغاة في محافلهم وكشفت فسادهم وجرائمهم بحق الدين والأمة وخلدت بحكمتها ووعيها وبصيرتها التي ورثتها عن والدتها ثورة الحسين عليه السلام. فقد نهلت مهارة الخطابة والبيان والفصاحة بالكلام من أمها الزهراء عليها السلام عندما كانت تصحبها معها إلى مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله من بعد استشهاده لتواجه طمع وردة وانقلاب الظالمين الذين نسوا الله وميثاقهم فأنساهم أنفسهم فكانوا من أتباع الشيطان بمرتكباتهم وجرائمهم واعتداءاتهم وسلبهم للحقوق، فجذبوا وأثروا بأهل ذلك الزمان باستعمال أسلوب الحرب الناعمة الإفسادية بإظهارهم الحق باطل والباطل حق واشتروا الناس بالأموال وحب الماديات والترغيب بثمن بخس، فكانت الزهراء المدافعة المجاهدة القائمة بواجبها الشرعي الدفاعي عبر أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر في الدفاع عن بيضة الإسلام المتجسد من بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله بشخصية أمير المؤمنين عليه السلام وحقها في فدك فكشفت قناع نفاقهم وزيف دعواهم عند تخلي الرأي العام المسلم عن القيام بوصية رسول الله وانقيادهم للجهة المادية المنقلبة على اعقابها من دون بصيرة، فأعلنت الغضب على من أغضباها إلى يوم الدين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**يا فاطمة إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**»(٢).

وأما الامامان الحسنان عليهما السلام نتعلم منهم كل الدروس العظيمة كالدفاع عن الدين والأخرين ونصرتهم بالأقوال والأفعال وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بعدة شواهد منها مواقفهم في البلاغة حيث كانوا أبلغ أهل زمانهم فصاحة وبيان، «فعندما كان معاوية يدفع بأمثال عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة لإيقاع الإمام الحسن عليه السلام في المطبات الكلامية، لم يكن يجد منه سوى الحكمة والعلم والأخلاق والبلاغة في الكلام ورباطة الجأش، حتى يقول أحدهم: لقد زُقَّ الحسنَ بن علي العلمَ زقّاً، وأن الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وأما الامام الحسين عليه السلام فلم يكن أحد يجاريه في قوة خطابه وبيانه وإلقاء الحجة على اولئك الذين

(١) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري: ص ٢١٦.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤٣ ص٢٢.

وقفوا لقتاله في كربلاء مما اضطرهم في نهاية المطاف إلى رميه بالحجارة والنبال عن بعد لإسكاته»[1].

و بناء على ما ذكرنا من محطات دفاعية ومواقف بطولية للسيدة الزهراء وأبنائها بكونها نصرت الحق والحقيقة ونصرة المستضعفين لما يواجه الدين من موبقات التشتت واللامنهجية، فعلى كل أم أن تحذوا حذوها مع أبنائها وتعلمهم نظم حقوق الأخرين وعدم التعدي عليها، ومواجهة الظالمين وعدم السكوت والخنوع لظلمهم واستكبارهم بوعي وبصيرة وبأمر بمعروف ونهي عن منكر وان توعيهم وتبين لهم أعداء هويتهم الإسلامية أمريكا وإسرائيل وأن تحميهم من مخاطر واشكال الحروب بغرس العقيدة الإيمانية الدفاعية عن كل من يحارب الدين الإسلامي ويقمع المستضعفين ويسلب حقوق الأخرين بكونه عدو للأمة والدين.

(١) الشيخ علي دعموش، منهج الزهراء عليها السلام في التربية: ٣١- ١- ٢٠٢٠.

الخاتمة

وفي ختام بحثنا نجد أن الأم هي المحور الأول في التربية ولها الاثر الكبير على سلامة أبنائها الفكرية والأخلاقية والروحية، فهي مصدر تغذيتهم الأولى، ولهذا عليها أن تقتدي بمن هي أسوة حسنة لكل النساء السيدة الزهراء عليها السلام بأن تجعل أسرتها أسرة صالحة وأبنائها أبناء صالحين وتغرس فيهم العقيدة الإسلامية والقيم الأخلاقية المتينة الرصينة ليتمكنوا من مواجهة مخاطر الحرب الناعمة أو أي مخاطر أخرى قد يتعرضون لها.

وقد توصلت الدراسة لبعض الاستنتاجات أهمها:

١- ضرورة الاقتناع بوجود الحرب الناعمة وديمومتها.

٢- الفهم العميق للحرب الناعمة ومعرفة أدواتها تحدد الإجراء المناسب في الرد.

٣- تربية السيدة الزهراء لأبنائها بكونها ربيبة الوحي تعد أنموذج متكامل في التربية على مدى الازمان.

٤- التعاليم والنظم والأسس التي ربت السيدة الزهراء عليها السلام أبنائها تحصن أبنائنا وتساعدهم بالتصدي لمخاطر الحرب الناعمة.

المصادر والمراجع

- ابتهال عبد الغني، فن الخداع في الدبلوماسية العامة الإسرائيلية، الشروق.
- البحراني، مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، هاشم البحراني(١١٠٧هـ)، تحقيق: لجنة برئاسة الشيخ عباد الله الطهراني الميانجي، ط/ ١، نشر: مؤسسة المعارف الإسلامية (١٤١٥هـ).
- جودت هوشيار، الجذور التأريخية لنظرية القوة الناعمة، موقع مدارات ثقافية (٢٦/ ٠٤/ ٢٠٢٣م).
- الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الشيخ الحسن بن علي الحر العاملي (ت١١٠٤هـ - ١٦٩٢م)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط/ ٢، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- الحرب الناعمة المتحورة، مركز الحرب الناعمة، ط/ ١، دار المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت (٢٠٢٢م).
- حسين حسن كتاب، المعالجات الاستشرافية للحرب الناعمة في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف: د. فاضل مدب متعب، جامعة الكوفة قسم الشريعة والعلوم الإسلامية، كلية الفقه، العراق، الكوفة ٢٠٢٤م.
- حيدر مطشر الشمري، مخاطر الحرب الناعمة على الشعوب الإسلامية، مركز تاج الحضارة للدراسات الاستراتيجية، (يوليو٢٣، ٢٠٢٣م).
- خطاب جورج بوش عن حال الاتحاد اليهودي المسيحي، ترجمة بقلم: أحمد العربي، دنيا الوطن ٢٩ يناير عام ٢٠٠٢م.
- الريشهري، أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الريشهري (ت١٤٤٣هـ)، تحقيق: دار الحديث، ط/ ٢: دار الحديث) ١٣٧٥هـ).
- سامي عبد العال، عن التفاهة، الحوار المتمدن، (١٠/ ٠٦/ ٢٠١٨م).
- سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي (ت ٧٦هـ)، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني.

- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي(ت ٣٨١هـ)، ط/ ١، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، صحح/ علق: علي أكبر الغفاري قم، إيران (١٤٠٥هـ - ١٣٦٣م).
- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ- ١٩٨١م)، ط/ ٧، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، مؤسسة النشر الإسلامي، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).
- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، تقديم: محسن الأمين العاملي، ط/ ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان(١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).
- الطوسي، الغيبة، محمد بن الحسن بن علي (ت٤٦٠هـ)، ط/ ١، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني الشيخ على احمد ناصح، نشر: المعارف الإسلامية، قم (١٤١١هـ).
- علي الحاج حسن، قراءة في كتاب (الحرب الناعمة المتحورة) مُعدّ القراءة، مركز المعارف للدراسات الثقافية (٠٤/ ١٠/ ٢٠٢٣م.
- عمرو شريف، الإلحاد مشكلة نفسية، علم نفس الإلحاد، ط/ ١، القاهرة، نيويورك للنشر والتوزيع (٢٠١٥م).
- فهمي النجار، الحرب النفسية (أضواء إسلامية)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض السعودية (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥مـ).
- الكليني، الكافي في الأصول والفروع، محمد بن يعقوب بن اسحاق، أبي جعفر الرازي (ت٣٢٩هـ- ٨٤٣م تح: علي أكبر الغفاري، ط/ ٣، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، (١٣٦٣هـ- ١٩٧٣م).
- المازندراني، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، مُحمّد بن علي بن شَهر آشوب السَّروي المازندرانِي(ت٥٨٨هـ)، (د.ط)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف(١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م).
- المجلسي، بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت١١١١هـ- ١٦٩٩م)، ط/ ٣، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، (١٣٠٤هـ- ١٨٨٦م).
- مدخل إلى الحرب الناعمة، مركز الحرب الناعمة للدراسات، ط/ ١، مركز الحرب الناعمة للدراسات، بيروت (٢٠١٤مـ).
- المرعشي، ملحقات إحقاق الحق، شهاب الدين الحسيني (ت ١٤١١ هـ)، ط/ ١، نشر: مكتبة

آية الله المرعشي، قم(١٤١٢هـ).
• ملا صدرا، تفسير صدر المتألهين، محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي (١٠٥٠ هـ)،)د.ط) نشر: دار التعارف للمطبوعات (١٩٩٨م).
• المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.
• المعجم الوسيط، المكتبة الشاملة، موقع الكتروني.
• ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، جوزيف صموئيل ناي، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، ط/ ١، نشر دار العبيكان، السعودية (١٤٢٨هـ).

البعد التكويني للسيدة الزهراء عليها السلام

ودوره في تحقيق كمال المرأة

دراسة في مفهوم الإنسان الكامل وميزان الاعمال

الباحثة: حنان عيدان الزبيدي

الملخص

يعد موضوع الكمال من أهم المواضيع التي يسعى الإنسان للوصول اليها، حيث تتعدد الطرق في الوصول إلى هرم الكمال، ولكن الطريق الحقيقي هو الطريق الذي وضعه الله للبشرية، هو اتباع النبي الخاتمﷺ والقرآن والمعصوم فهو من أهم المصاديق كونه الإنسان الكامل والغاية من الخلق وواسطة الفيض، كذلك كان هو الميزان الذي توزن به الإعمال، فالأعمال تحتاج مكيالاً يوزنها، فبثقلها يتحقق الكمال وبخفتها يتحقق التسافل، وبما إن المرأة تلعب الدور الأساسي في التأثير البنائي للأسرة والمجتمع بل ولتحقيق الكمال لنفسها، وبما إن الكمال يتحقق بحقيقته في الإنسان الكامل الذي له بعداً تكوينياً، إذن كان لابد للإنسان والنساء بشكل خاص معرفته والإقتداء به، حتى تتمكن من صب ينبوع المعرفة من مصدرهِ ليحيي به افكارها ويستقيم سلوكها، لما لمعرفة هذا البعد التأثير النفسي والروحي على بناء كمال المرأة، فتطرقنا هنا إلى بحثين مهمين جداً هما: المبحث الاول هو الإنسان الكامل وميزان الأعمال حيث بينا التعريف اللغوي والاصطلاحي للإنسان الكامل ونظرنا إلى الخصائص الوجودية والأخلاقية والمعرفية له، معتمدين على أهم تلك المفاصل التكوينية، والمبحث الثاني هو ميزان الاعمال وبيانه لغوياً واصطلاحياً وتطرقنا إلى بيان حقيقة ميزان الاعمال وقسمنا الميزان إلى عام وخاص، والميزان العام على قسمين ما بين الله والخلق وما بين الخلق والخاتمﷺ فيما يخص فاطمة الزهراءعليها السلام. لذا فأن السعي نحو الكمال يتطلب الوعي بوجودية الإنسان الكامل وميزان الأعمال، فبفضل المعرفة والإيمان، تستطيع كل امرأة تحقيق كمالها الداخلي والخارجي، مما يساهم في بناء مجتمع أكثر اتزاناً ورقياً.

المنهج المتبع في هذا البحث هو منهج تحليلي وصفي

الكلمات المفتاحية: الإنسان، الكمال، الميزان، البضعة

Abstract

The topic of perfection is one of the most important topics that a person seeks to reach، as the methods differed and there were many examples in reaching the pyramid of perfection. Islamically، it takes the Qur'an and the Hadith as basic methods، and the infallible in particular according to the Imamis، as it is one of the most important examples as it is the perfect human being، the purpose of creation، and the means of abundance. Likewise، it was the scale by which deeds were weighed. Deeds need a measure to be weighed. With their heaviness، perfection is achieved، and with their lightness، negligence is achieved. Since women play the primary role in influencing psychologically and spiritually on building women's perfection. Here we touched on two very important studies: The Perfect Man and the Balance of Actions، where we explained the linguistic and terminological definition of the perfect human being and looked at his existential، moral and cognitive characteristics، relying on the most important of these formative joints، as well as the Balance of Actions and its linguistic and terminological explanation. We touched upon Explanation of the reality of the balance of deeds. We divided the balance into general and specific، and the general balance is divided into two parts: between God and creation and between creation Seal، may God bless him and his family، with regard to Fatima Al- Zahra، peace be upon her. Therefore، the pursuit of perfection requires awareness of the existence of the perfect human being and the balance of actions. Thanks to knowledge and faith، every woman can achieve her internal and external perfection، which contributes to building a more balanced and sophisticated society.

The approach followed in this research is a descriptive analytical approach

Keywords: human being، perfection، balance، scarcit

المقدمة

لا يشك عاقل منا إن هذا العالم بكلا قسميه الغيبي والمادي إنما خلق لغاية معينة وهذه الغاية هي الوصول إلى الكمال والسعادة الحقيقة، وإن الله تعالى عندما يضع الغاية يضع الكيفية ويعبد الطريق للوصول اليها، فوضع المعصوم الذي لولاه ماخلق الافلاك، بل سرى كل موجود بسيره التكويني لوجود هذا الكامل في هذه العوالم الحقية والخلقية، فعندما يتمثل الإنسان بإنسانيته في شخصية ملكوتية إنسية تتجلى فيها كل الكمالات، فتكون إنساناً كاملاً صار واسطة للفيض وغاية للخلق وسبب وجود هذا العالم وميزاناً نوزن به الصحيح من السقيم من أعمالنا، كان لابد أن نغوص في هذه الشخصية الملكوتية لعل بريق نورها يلوح في بئر افكارنا فننهل منه ماءً عذباً تخشع به ارض النفوس، فبمعرفتها أهتزت وربت وأثمرت صحاري العقول والافكار أشجار تغني من الجوع وتؤنس الناظر، فصارت ميزاناً على القلوب والارواح ﴿**إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى**﴾[1].

يحتوي هذا البحث على أهم مفاصل من ابعاد سيدة نساء العالمين، كونها اكمل مصداق للكمال، حيث تكَوَّن البحث من مبحثين مهمين الا وهما: الإنسان الكامل وميزان الأعمال فقد بينا التعريف اللغوي والاصطلاحي للإنسان الكامل ونظرنا إلى الخصائص الوجودية والأخلاقية والمعرفية له، معتمدين على أهم تلك المفاصل التكوينية والى ميزان الاعمال وبيانه لغوياً واصطلاحياً وكذلك قسمنا الميزان إلى عام وخاص، والميزان العام على قسمين ما بين الله والخلق وما بين الخلق والخاتم صلى الله عليه وآله فيما يخص فاطمة الزهراء عليها السلام. ورغم إننا لم نذكر معنى البعد التكويني لغةً واصلاحاً ولم نجعل له مطلب خاص لأن كل ما يذكر من مطالب هي في البعد التكويني ذاكرين ذلك ضمناً وكون إن البعد التكويني يتجلى في هذين المقامين: الإنسان الكامل وميزان الاعمال.

اهمية البحث

يتميز بحث الإنسان الكامل وميزان الاعمال بالعمق الوجودي المعنوي للإنسان؛ من حيث إنه يبين الاصل في التكوين والغاية منه، فالاطلاع والغور في تلك الأبحاث له ميزات معنوية عالية بالإضافة

(١) سورة فصلت: الآية ٣٩.

إلى رسوخ البعد العقائدي في القلوب. وإن الإنسان بشكل عام والمرأة بشكل خاص قد تحتاج أن توزن درجة كمالها في جميع مستويات حياتها، وأن يكون هناك ميزاناً ترجع إليه دائماً، خاصة في ضل ضوضاء العصر التي ترسم مفاهيم مغايرة للحقيقة وتجر بالمرأة نحو طرق اخرى، فلابد إذن من وجود نموذج متكامل يكون قدوة وأسوة وسلم نحو العروج إلى ملكوت الحقيقة.

مشكلة البحث

إن المرأة في جميع مفاصل حياتها تحتاج إلى ميزان توزن به اعمالها حتى تصل إلى درجة الكمال والسعادة، فعندما تطّلع المرأة على شخصية إسلامية متكاملة من نفس جنسها وتتعرف على بعدها التكويني وكيف لهذا البعد اثر في بناء شخصيتها تجعل منها ميزاناً لإعمالها، لأننا ننظر في الوقت الحاضر التجاء بعض النساء إلى شخصيات لا تمثل الكمال بالمعنى الإسلامي، وكثرة المنظمات التي تدعوا المرأة إلى التجرد من كمالها، وكذلك تتخذ من غير الإسلاميات قدوة في حياتها، وهذا يؤثر سلباً على البناء التكاملي للمرأة ومن ثم على الأسرة والمجتمع، لذلك كان هذا البحث تعريفاً بالبعد التكويني لدى من هو كامل ومستحق ان يكون ميزاناً للإعمال. النساء اليوم أكثر من اي زمن مضى بسبب التطور العلمي والحضاري هنّ اليوم جنباً إلى جنب مع الرجل في مواجهة الحياة هنّ في قلب المواجهة والتحدي فتكون بحاجة إلى قدوة واسوة في جميع جوانب الحياة، من العفة والصبر، فلابد لها من نموذج من جنسها وصلت إلى الكمال إلى أن صارت سيدة نساء العالمين.

هيكلية البحث

المبحث الاول: الإنسان الكامل مفهومه وخصائصه

المطلب الأول: مفهوم الإنسان الكامل

المطلب الثاني: الخصائص التكوينية الوجودية لفاطمة الزهراء عليها السلام

المطلب الثالث: الخصائص المعرفية لفاطمة الزهراء عليها السلام

المطلب الرابع: الخصائص الأخلاقية لفاطمة الزهراء عليها السلام

المبحث الثاني: فاطمة الزهراء عليها السلام ميزان الاعمال

المطلب الاول: مفهوم الميزان

المطلب الثاني: حقيقة ميزان الاعمال

المطلب الثالث: الميزان العام والميزان الخاص للزهراء عليها السلام

الخاتمة والنتائج

المصادر

المبحث الاول: الإنسان الكامل مفهومه وخصائصه

المطلب الأول: مفهوم الإنسان الكامل

وفي هذا المطلب يتم التطرق إلى أهم التعاريف اللغوية والاصطلاحية لهاتين المفردتين:

الفرع الاول: الإنسان لغةً واصطلاحاً:

اولاً- الإنسان لغة:

١- أنس: «الهمزة والنون والسكون أصل واحد وهو ظهور الشئ. قالوا: الإنس؛ خلاف الجن، وسموا كذلك لظهورهم. والإنس: أَنِسَ الإنسان بالشئ إذا لم يستوحش منه».(١)

٢- «(الإِنْسَانُ) من النَّاسِ أسمُ جِنْسٍ يقعُ على الذكَّرِ والأُنْثى والْوَاحِدِ والجَمْعِ».(٢)

٣- «إن الأصل الواحد في هذه المادة هو القرب والظهور بعنوان الإستئناس، في مقابل النفور والوحشة والبعد وهذا المعنى محفوظ وموجود في جميع صيغ مشتقاتها مما ينفر من الوحوش والحيوان، مالا يظهر ولا يستأنس كالحب».(٣)

يعتقد بعض علماء اللغة إن الإنسان مشتق من النسيان وبعظهم قالوا من الأنس، و(الأنس) هو أحد الأبعاد الروحية للإنسان فهو أكثر انسجاماً مع جانبه الروحي وكماله وفضيلته، لذا لم نذكر ما اشتُق من النسيان لبعده عن بحّثنا، ومن التعاريف المميزة هنا هو التعريف الثاني (أسم جنس يقع على الذكر والأنثى) إذ حيث إن الإنسان بإنسانيته لا بجنسهِ، فالكمال يخص الذكر والأُنثى، وأن الروح والنفس واحدة، فسمي الإنسان إنساناً بإنسانيته.

إذن الإنسان: هو المفكر المتأله، هو المعنى الشامل للذكورة والانوثة، فالإِنسان إنساناً بعقله وفكره وقلبه، وهذه متساوية لدى الذكر والأُنثى.

---

(١) انظر: ابن فارس، احمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة انس؛ انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٦ ص١٢.

(٢) الفيومي، احمد بن محمد، المصباح المنير: ج٢ ص٢٦.

(٣) انظر: الخراساني، محمد واعظ ومجموعة من المؤلفين، المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته: ج٣ ص٨٣١.

ثانياً- الإنسان إصطلاحاً:

١- عرفه الشيخ حسن زادة الآملي: عُرف الإنسان في علم الميزان بأنَّه حيوان ناطق وهذا التعريف عند المنطقي ما يميز الإنسان عن الحيوان - تعريف تام وكامل- إذ إن الإنسان نوع من أنواع الحيوان، أيضاً ويميزه عن سائر الحيوانات الناطقية. إذا ارتفعنا إلى كتب الحكمة، لوجدنا إن الوجود مساوق للحق، وإنه الفصل الحقيقي لجميع أنواع وأشخاص الموجودات من المجرد والمادة وصورها جميعاً، ولأمضينا التعريف المنطقي أيضاً وعرفنا الإنسان بأنه حيوان ناطق ولكن مع هذا الفرق هو أنه صاحب قوة ومِنة، لياقةٍ وقابلية إذا ما أوصلها بالفعلية فسيكون حينئذ إنساناً حقيقياً، فالأنسان الحقيقي: هو ذلك الشخص الذي وصل إلى مقام الفعلية وأتصف بصفات الربوبية، ومحاسن الأخلاق ومحامد الآداب وإلا فهو حيوان ناطق ليس إلَّا.[١]

٢- يعرفه ابن سينا: الإنسان نصفان، نصفه خَلّق، والثاني خُلُق. فإذا صلح النصفان كَمُلَ بما هو إنسان.[٢]

على ذلك يمكن أن نعرف الإنسان بأنه: هو ذلك المخلوق الذي هجر بدنه فلم يعد يُعَرَفْ بالذكورة والإنوثة، بل بالإنسان الذي صقل نفسه إلى أن أوصلها إلى مقام الفعلية، فصار مظهر الحق بخُلُقِهِ وروحهِ لا ببدنه وإنما كان البدن وسيلة للوصول، فهو الحي المفكر المتأله.

الفرع الثاني: تعريف الكامل لغةً واصطلاحاً

أولاً: الكامل في اللغة: وله تعاريف متعددَّة في كتب اللغة منها:

١- عند ابن منظور: «كمل الكَمَال: التَّمام، قيل: التَّمام الذي تَجَزَّأَ منه أَجزاؤه، وفيه ثلاث لغات: كَمَلَ الشيء يَكْمُل، وكَمِلَ وكَمُلَ كَمالًا وكُمولًا، قال الجوهري: والكسر أَرْدَؤُها. وشيء كَمِيل: كامِل، جاؤوا به على كَمُلَ، تَكَمَّل: ككَمَل. وتَكَامَلَ الشيء وأَكْمَلْته أَنا وأَكْمَلْت الشيء أَي أَجْمَلْتُه وأَتممته، وأَكْمَلَه هو وإِسْتَكْمَلَه وكَمَّلَه: أَتَمَّه وجَمَلَه».[٣]

٢- الفيومي: «كمَل: الشَّيءُ كُمُولًا مِن بَابِ قَعَدَ وَ الاسْمُ (الكَمَالُ) وَ يُستَعمَلُ فِي الذَّوَاتِ وَ فِي الصِّفَاتِ يُقَالُ (كَمَلَ) إِذَا تَمَّت أَجزَاؤُهُ و(كَمَلَت) مَحَاسِنُهُ وكَمَلَ الشَّهرُ أَي كَمَلَ دَورُهُ و(تَكَامَلَ)

(١) انظر: الآملي، حسن زادة، الإنسان في عرف العرفان: ص١٩.
(٢) انظر: ابن سينا، حسين بن عبد الله، الاشارات والتنبيهات: ص١٧١.
(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١١، ص٥٩٨

(تَكَامُلًا) و(اكْتَمَلَ) (اكتِمَالًا)»[1]

أما الفرق بين التمام والكمال: فقد بينه الشيخ مطهري حيث قال إن لفظة التمام تطلق على جميع الأشياء اللازمة لوجود شئ ما، وإن كان بعضها غير موجود، فيكون الشئ ناقصاً في ماهيته، فهو لم يوجد كله بل وجد بعضه. فبذلك يكون هذا الشئ قابلاً للزيادة والنقصان، كالبناء لابد أن توجد جميع مستلزماته. أما الكمال فهو درجات ممكن أن يصل اليها الشئ بعد أن يكون تاماً، وإذا لم يوجد الكمال فالشئ موجود بتمامهِ، أي ممكن أن يتضح من خلال أعتبار الكمال خطاً عامودياً أما التمام فخطاً أفقياً فهو يتم أذا إذا بلغ نهايته أفقياً، أما إذا تحرك عمودياً نحو الكمال فهو كامل مثال ذلك أن نقول إن فلانا ًقد كَمُلَ عقله[2].

وبذلك نستنتج إن درجة الكمال أعلى من التمام لأنها تتحقق بعدها. لذا فإن أقرب التعاريف هو ما عرفه الفيومي بحيث يقول إذا تمت أجزاؤه، أي سبق التمام الكمال وهذا ما أوضحه الشيخ مطهري.

ثانياً- الكمال في الاصطلاح

١- الكمال «حصول ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي»[3].

٢- «الكمال ما يتمّ به الشئ كما إن الصورة ما يوجد الشئ بالفعل والغاية ما يصل إليه الشئ».[4]

يمكننا تعريف الإنسان الكامل بإنه: الجامع لجميع العوالم الحقيّة والخلقيّة ومظهر أسم الله، صار بأتمّ مظهر وذلك لفنائه في الحق وتخلقه بأخلاقه تعالى فصار في مرتبة الخليفة والواسطة بين الحق والخلق وصار الغاية من الخلَقِ وروح هذا العالم الذي لولاه ما خَلق الأفلاك[5].

(١) أنظر: الفيومي، احمد بن محمد، المصباح المنير: ج٢ ص٥٤١

(٢) انظر: مطهري، مرتضى، رؤى جديدة في الفكر الإسلامي الإنسان الكامل: ص٩- ١٠

(٣) يدالله، يزدان بناه، العرفان النظري مبادئه وأصوله: ص٤٢٣.

(٤) ملكاف، علاء الدين، نظرية إنسان كامل از ديدكاه عرفان وفلسفة، ص٢٥٠.

(٥) انظر: الزبيدي، حنان عيدان، الرؤية العرفانية للإنسان الكامل، ص٤٥

المطلب الثاني: الخصائص التكوينية الوجودية لفاطمة الزهراء عليها السلام

وهي الخصائص المعنوية الروحية التي يتميز بها الإنسان الكامل وأكرمه الله بها، فصار متصرفاً في الكون والغاية منه وواسطة لفيضه بإذنه سبحانه، حيث إن للإنسان الكامل خصائص وجودية نذكر منها:

اولاً- روح العالم وعلتة الغائية: بما أن المعلول لا يوجد دون علة، كذلك هذا الكون بأرضه وسمائه وأفلاكه وعناصره؛ لايوجد إلَّا بعلة غائية، فعلته هي الإنسان الكامل لأنه سبب وجود العالم وعلة بقائه. ففي تفسير الآية ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾[1] قال صدر المتألهين: «الإنسان الكامل هو على حقيقة الحق المخلوق به، أي المخلوق بسببه العالم، وذلك لأن الغاية المطلوبة بالإيجاد المتقدم عليها ولولاه ما ظهر ما تقدم عليه»[2] إن الإنسان الكامل هو روح العالم كما أن الجسد لا يعيش بلا روح كذلك العالم لا يبقى من دون إنسانٍ كامل، فالروح هي التي تحفظ البدن من التلف وهي التي تحقق له الوجود كذلك الإنسان الكامل من دونه يعدم العالم ويتّلف. وفي الحديث «عن جابر الجعفيّ عن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن اللهّ، **أنَّه سبحانه وتعالى قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا عليّ لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما**»[3] يتبين من ذلك الحديث القدسي النازل من عالم الجبروت والملكوت إن العلل الغائية التي لإجلها خلق ذلك العالم، هم محمد وعلي وفاطمة ويبدأ بفاطمة عليها السلام، وفي حديث آخر هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كما في حديث الكساء الذي يقول «**إني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضا مدحية ولاقمرا منيرا، ولا شمسا مضيئة ولا فلكا يدور، ولا بحرا يجري، ولا فلكا يسري إلَّا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء. فقال الامين جبرائيل: يا رب ومن تحت الكساء ؟ فقال عزوجل: هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها و بعلها وبنوها**»[4] فنرى هنا إن الإبتداء كان بفاطمة ايضاً (سلام الله عليها)، فأن هذا الابتداء يبين المنزلة العظيمة التي وصلت اليها الزهراء عليها السلام فلولاهم لم يخلق الله شيء، فأي ميزة إمتازت بها فاطمة الزهراء عليها السلام وأي كمال ومقام وصلت حتى قال عنها الله هذه الاحاديث العظيمة، حيث ان الله تعالى يخلق الكون بجميع موجوداته وأجرامه وارضه من اجل إنسانُ كامل عرفه وعبده ولم يعصيه قدر أنملة فصارت منهم سيدة نساء العالمين، تلك هي السيدة المباركة

(١) سورة البقرة: الآية ٣٧.
(٢) الشيرازي، محمد بن ابراهيم، تفسير القرآن الكريم: ج١ ص١٩٠.
(٣) الاسماعيلي يزدي، عباس، ينابيع الحكمة: ج١ ص ١٣٢.
(٤) الشهيد الثاني، زين الدين بن على، مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد: ص١٥٥.

التي كانت روح العالم وغايته، انها لم تكن مخلوق عادي بل مخلوق سماوي وملكوتي في صورة بشر.

فكمال العالم بالإنسان مثل كمال الجسد بالروح فكانت هي الروح للعالم كما القلب روح الجسد، عن الامام الصادق عليه السلام وهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الاولى[1] «يقول المفكر الكبير أبو الحسن نجفي في كتابه القيم في هذا الحديث: المقصود بالقرون الأولى من حياة جميع الأنبياء والأولياء وأممهم من النبي آدم إلى حضرة خاتم الأنبياء عليهم السلام صلى الله عليهم جميعاً. هذا يعني إن الله لم يرسل أحداً من الأنبياء إلّا بفضل ومحبة حضرة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام».[2] كذلك أنَّه متىٰ ما عرفنا أنَّه فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين عرفنا عند ذلك انَّ لها مقاماً سامياً وكرامةً ربانيَّة، وخاصَّة نحنُ نؤمِن بأنَّها كانت مفروضة الطاعة على جميع الخلق بما فيهم الملائكة والجنَّ والأنبياء وإنَّه ما تكاملت نبوة نبي حتىٰ أقر بفضلها ومحبتها وعلى معرفتها دارت القرون الأولى، كلّ ذلك له الأثر الكبير في أنَّ يعمق ارتباطنا بفاطمة عليها السلام ويدخل حبها في قلوبنا وفي صميم عقائدنا[3] بأنها قلب هذا العالم وعلته الغائية.

ثانياً- واسطة الفيض: للإنسان وجهان إذا كان كاملاً؛ وجه أفتقار إلى الله، ووجه غنى عن العالم. فيستقبل العالم بالغنى عنه، ويستقبل ربه بالإفتقار إليه، فالإنسان الكامل هو الواسطة بين الحق والخلق كونه له جهتين وجوبية وأمكانية فيأخذ من الحق ويفيض إلى الممكنات وفي تفسير الآية ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[4] وله وجه إلى القدم يستمد به من الحق سبحانه، ووجه إلى الحدوث يمد به الخلق «كون الحق سبحانه القديم الزماني في عالم الوجوب، وكون عالم الإمكان الحادث فصار الخليفة المتصرف على خزائن ملكه وملكوته»[5]. وفي نص زيارة الجامعة الكبيرة (المرويّة عن الإمام علي الهادي عليه السلام) نقرأ: «**بكم فتح اللّه وبكم يختم وبكم ينزّل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض، وبكم ينفّس الهم ويكشف الضرّ**»[6]. إن هذا المقام هو مقام الجمال والرحمة واللطف، وانّ أهل المعرفة هم أهل البيت عليهم السلام وهم واسطة الفيض، فمع وجود الإمام عليه السلام يستمد

(١) الرحماني الهمداني، احمد، فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله: ج١ ص٨؛ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٣ ص١٠٥.
(٢) انظر: سرفاغامات، حسين، سيدة الماء والشمس المشرقة: تصميم جديد في ببليوغرافيا حضرة الزهراء عليها السلام: ج١ ص١٩٣.
(٣) انظر: المسعودي، محمد فاضل، الأسرار الفاطميّة: ج١ ص ٢٢٣.
(٤) سورة البقرة: الآية ٣٠.
(٥) انظر: الشيرازي محمد بن ابراهيم، تفسير القرآن الكريم: ج٢ ص٣٠٢.
(٦) زيارة الجامعة، مفاتيح الجنان: ص ٥٤٤. [المترجم]

العالم وجوده من اللهّ (سبحانه)، وهذا الاستمداد هو الذي يبقي العالم ويحفظ له ديمومته.[1]

خصائص واسطة الفيض

اولاً- فاتح للخزائن: إن الإنسان الكامل إذا كان واسطة للفيض يفتح الخزائن المخزونة عند الله التي لا يصلها ويأخذ منها الا من كان كاملاً يفيض بها على الخلق:

١- فيض الكساء: ان من المتعارف إن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تحدثها الملائكة وبالخصوص جبرئيل الذي كان يحدث أولوا العزم من الأنبياء عليهم السلام وهذا يدل على علوّ المقام السامي عند سيدة النساء، ولكن من العجيب إن في حديث الكساء ذا البركات والفيوضات العظيمة اننا نرى أن فاطمة الزهراء عليها السلام، كانت تنقل ما يقول جبرئيل «**فقال الله عزوجل يا ملائكتي....فقال الأمين جبرائيل... فقال الله: نعم**»[2] فكانت برزخ بين عالم الحق وعالم الخلق، وسبب نزول الفيض، فكان هذا الحديث المبارك، وهذا يدل على إن الزهراء عليها السلام القناة التي تفيض من ابيها صلى الله عليه وآله إلى الخلق.

٢- فيض الدعاء: وينزل الفيض بالدعاء؛ فأن الإنسان الكامل يدعوا للناس قبل دعائه لنفسه كونه به يعطي الله وبه يمسك، «روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن علي بن الحسين عليهم السلام عن فاطمة الصغرى، عن الحسين بن علي عليه السلام، عن أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب قال عليه السلام: **رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعون لغيرك؟ فقالت عليها السلام: يا بني الجار ثم الدار**»[3] فهي واسطة في إنزال الرحمة الالهية، رافعة دعوتها من عالم الخلق مستقرة في عالم الحق، نازلة منه إلى الارض بالرحمة والخير.

ثانياً- مستودع الخير الكثير: إن هذا الإنسان الكامل كان واسطة الفيض والمجرى الذي يصب فيه فيض الله كما يقول جواد آملي في وصف معنى واسطة الفيض بوصف يخبر عن الله تعالى حيث قال «**إنهم جميعاً قنوات لفيضي، فكل ما يصدر عنهم فأنما هو في الحقيقة يصدر عني، إلَّا إنهم المجرى الذي يصب من خلاله فيضي، وهم خلفائي الذين يتصدون لحمل رسالتي مع وجود فارق هو أنني**

(١) المصدر السابق.

(٢) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ص٣٧٥.

(٣) انظر: خامنائي، علي، دروس تربوية من السيرة النبوية، ص ٨٥.

لا أُرى بينما مظاهري تُرى عيانا»[١]. إن رسول الله ﷺ رُزق عدداً من الابناء وهم القاسم والطيب والطاهر وابراهيم، ومع ان أحداً منهم لم يبق على قيد الحياة، إلَّا أن الله سبحانه لم يبشره ويهنئه لمّا رُزق ابناءً، كما لم ترد آية في القرآن الكريم بهذا الصدد، إلَّا أنَّه وبمجرد انعقاد نطفة فاطمة الزهراء عليها السلام في رحم خديجة نزلت سورة الكوثر وبشر بالخير الكثير والدائم.[٢] إن الزهراء هي الخير الكثير وهي كوثر العطاء الالهي قال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت: حدثنا عن ابن عباس انه قال: هو الخير الكثير. فقال: صدقت. واللهّ إنه للخير الكثير[٣]، ولهذا السبب بالذات يطلق على فاطمة الزهراء بضعة رسول الله ﷺ اسم الكوثر، لأنّ فيها الخير الكثير والبركة الواسعة[٤]. ومن باب آخر هناك ما يؤكد إن أهل بيت الرحمة هم وسائط الفيض حيث قالوا عليهم السلام نحن الأعراف ونحن أبواب الله، فلا تتم معرفة الله إلَّا من خلالهم فهم أبواب الدخول إلى حضرته وهو واسطة فيضه لخلقه ومستودع علمه وسره «فهذا تحقيق كون النبي والأئمة عليهم السلام شهداء الله على خلقه، وفي قوله تعالى﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾[٥] ظهر معنى قوله تعالى: نحن الأعراف، أي المعروفون بالذات المشهودون لله بلا واسطة، لكونهم في درجة القرب عند الله من درجات الصراط ومنازله التي لابد للإنسان المرور عليها على طريق الاستقامة حتى يصل إلى درجة القرب منه تعالى»[٦] فهم واسطة في نزول الفيض «السر المستودع في قلوب الأولياء والمقربين الذين عزل الرب عن قلوبهم سلطنة الشيطان ونزغاته بقوله تعالى ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾[٧] أضاف عبوديتهم إلى نفسه إضافة تخصيص وتكريم وجعلهم أتقياء أخفياء تحت ستره ليس لهم أكفاء ولا نظراء... فهم غرباء من الأمثال والأكفاء لهذا السر الموقور في بطونهم»[٨] فالنبوّة والإمامة في وجودها، وهذا من معاني (والسرّ المستودع فيها) فهي تحمل أسرار النبوّة والولاية، تحمل أسرار الكون وما فيه، تحمل أسرار الأئمة وعلومهم، تحمل أسرار الخلقة وفلسفة الحياة[٩]. وفاطمة الزهراء عليها السلام ذات الأصل

(١) جوادي الآملي، عبد الله، المرأة في مرآة الجلال والجمال: ص٣٢١.
(٢) انظر: انصاريان، حسين، الأسرة ونظامها في الإسلام: ص ٣٥١.
(٣) مرتضى زبيدى، محمد بن محمد، إتحاف السّادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: ج١٤ ص ٥٢١.
(٤) مظاهرى، حسين، اليوم الآخر: ص ١٦٨.
(٥) سورة النساء: الآية٤١.
(٦) الشيرازي، محمد بن ابراهيم، شرح أصول الكافي: ج٢ ص٥٤٤.
(٧) سورة الإسراء: الآية ٦٥.
(٨) المرتضى الزبيدى، محمد بن محمد، إتحاف السّادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: ج١٣، ص ٧٨.
(٩) انظر: العلوي، عادل، فاطمة الزهراء عليها السلام سّر الوجود: ج١ ص ٦١.

النوراني في الجنة كماء ولقاح، ووعاء شريف من أصل كريم، وتربة صالحة في الأرض، عند السيدة خديجة عليها السلام، فاجتمعت فيها نورانية وروحانية الجنة، جمال وفضائل الأرض فكانت الكوثر المشهور.

المطلب الثاني: الخصائص المعرفية لفاطمة الزهراء عليها السلام

للإنسان الكامل خصائص معرفية ومراتب، وهذه الخصائص مرتبةٌ حسب الرقعة الوجودية، وبما أن القرآن الكريم هو أهم مصادر المعرفة الذي يحتاج مبين فلابد من كمل يبينون تلك العلوم ولهم علوم لدنية.

أولاً- علم الغيب

لما كان الإنسان الكامل واجداً لأعلى وأكمل مراتب علم الغيب، فهو مَن عَلِمَ الغيب وجوداً، قبل أن يخلق الله شئ، وقد قال سبحانه في سورة البقرة ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[1] إذ كان أعلم من الملائكة بل هو معلم الملائكة حين نأتي إلى الآية ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ إن دلالة (عَلَمَ) أن الله تعالى هو الذي علم آدم، والمقصود من التعليم ليس الحصولي وأنما اللّدني الإلهي كما في ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾[2]، وأن دل هذا على شئ فأنه يدل على القرب الموجود بين الحق تعالى وبين الإنسان الكامل، وعدم قدرة الملائكة على ذلك، بل هو الواسطة في إيصال الفيوضات، ولذلك دلالات منها؛ «أما دلالة القول (بالأسماء كلها) أن (ال) التعريف إذا دخلت على الجمع تفيد العموم كما في علم الأصول، ولكن ليس كل المفسيرين قالوا بذلك[3]، لأن الألف واللام فيها في حالة مضاف إليه كما في قول ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾، ومنهم قال بعمومها[4] فمضافاً إلى الالف واللام جاءت كلمة (كلها) لتؤكد ذلك»[5] وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**لمّا ولدت فاطمة أوحى اللّه إلى ملك فأنطق به لسان محمّد فسمّاها فاطمة، ثمّ قال: إنّي فطمتُكِ بالعلم وفطمتكِ من الطمث، ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: لقد فطمها اللّه بالعلم وعن الطمث في الميثاق**».[6]

قال العلامة المجلسي رضي الله عنه شارحاً هذه العباره ببيانٍ رائعٍ وشامل: «فطمتك بالعلم أي أرضعتك

(١) سورة البقرة: الآية٣١.

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٣) كالشيخ الطبرسي، في جوامع الكلم: ج١ ص٤٢؛ الشيخ البلاغي، آلاء الرحمن: ج١ ص١٧٥؛ ابي السعود في تفسير ابي السعود: ج١ ص١٠٤.

(٤) وهو مذهب العلامة الطباطبائي في الميزان: ج١ ص ١١٧؛ العلامة جواد آملي في تفسير تسنيم: ج٣ ص١٣٦.

(٥) انظر: الربيعي، محمد عدنان، الإنسان الكامل في آيتي الخلافة والاسماء، المصباح، العدد الواحد والاربعون، ص١٨٦- ١٨٨.

(٦) الفيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى، المحجة البيضاء: ج٤ ص ٢١٢.

بالعلم حتى استغنيت، وفطمت أو قطعتك عن الجهل بسبب العلم، أو جعلت فطامك من اللبن مقروناً بالعلم، كناية عن كونها في بدو فطرتها عالمة بالعلوم الربانية، وعلى التقادير كان الفاعل بمعنى المفعول كالدافق بمعنى المدفوق، أو يقرء على بناء التفعيل، أي جعلتك قاطعة الناس من الجهل، أو المعنى لما فطمها من الجهل فهي تفطم الناس منه».[1]

فالزهراء عليها السلام زُقَّت من العلم، وهذا يعني أن العلوم قد تكاملت عندها، فلم تعد بحاجةٍ لأن تتعلم اي شيء، ومما يلاحظ على الرواية:

١- قَسَم الامام (صلوات الله عليه) في نهاية الرواية بقوله (والله لقد فطمها الله بالعلم وعن الطمث بالميثاق)، دليل على تأكيد الأمر وعظمته، وان هذا الحدث قد وقع فعلاً وان وقوعه كان امراً عظيماً قد حدث بأتمِّ صوره فضلاً عن ان الأمر بنفسه كان شيئاً عظيماً.

٢- واذا كان هذا الحديث دليلاً على تكامل العلوم لدى الزهراء عليها السلام وانها قد استوفت واطلعت على كل مراتب العلم وأسراره، فإن هذا الكمال الذي حصل لها في العلم قد تمَّ في اول لحظةٍ من ولادتها كما هو واضح من الرواية، وهذا يعني ان الزهراء عليها السلام عالمة عليمة بل مستغنية عن التعلم بما عندها من العلوم منذ اول يومٍ من حياتها، وهذا من غوامض الاسرار التي خصها الله لمحمد وآله الأطهار عليهم السلام[2] وفي تفسيرها جاء «أُولَئِكَ فَطَمُوا الْعِلْمَ فَطْمًا وَ حَازُوا الْخَيْرَ وَ الْحِكْمَةَ. قال مصنف الكتاب رضي الله عنه معنى قوله فطموا العلم فطما أي قطعوه عن غيرهم قطعا وجمعوه لأنفسهم جمعا».[3] وإن فاطمة الزهراء عليها السلام تعلم الغيب بأذن الله تعالى. عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: «شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام وقد ولج على فاطمة عليها السلام فلمَّا بصرَتْ به نادت: **ادنُ لأحدِّثك بما كان وبما هو كائن وبما لم يكن إلى يوم القيامه** فقالت: **اعلم يا أبا الحسن أنَّ الله تعالى خلق نوري وكان يسبِّح الله جلَّ جلاله، ثُمَّ أودعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت، فلما دخل أبي الجنة أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أنِ اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك، ففعل، فأودعني الله صلب** صلى الله عليه وآله **ثُمَّ أودعني خديجة بنت خويلد فوضعتني وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى**»[4] وهذا يعني ان الزهراء عليها السلام تعلم الغيب(بإذن الله) لكل

(١) المجلسي، محمد باقر، بار الأنوار: ج٣٩، ص١٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣)ابن بابويه، محمد بن على، الخصال: ج١ ص١٣٦.
(٤) البحراني، عبد الله، عوالم العلوم والمعارف: ج٦ ص٧؛ بحار الأنوار: ج٤٣ ص٨.

مجريات عالم الوجود، منذ اول الخلقة حتى انقضائها، وقد قيل في معنى(ما لم يكن) هو(البداء) الذي يتغير، وهذا العلم لم يتحقق الا لأهل البيت عليهم السلام من دون الخلق وعن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال: «**لقد أعطيتُ زوجتي مصحفاً فيه من العلم مالم يسبقها إليه أحد خاصةً من الله ورسوله**».[1]

المطلب الثالث: الخصائص الأخلاقية لفاطمة الزهراء عليها السلام

تعد الأخلاق مفتاحاً للفيوضات الإلهية، وسلماً للإرتقاء إلى درجات القرب، تفتح خزائن الملكوت، وتجلل صاحبها بأبهى حلة فيصبح محل نظر الملك والملكوت، فالأخلاق هي هجرة العارف الكبرى نحو الكمال. منها اخترنا نقطة واحدة لضيق مساحة البحث.

اولاً- الصبر

الصبر من الصفات الأخلاقية التي يتصف بها الكاملون فمعناه في اللغة: «هو منع النفس محابّها وكفّها عن هواها، ولابد للصبر من قوة في الإنسان بها يصبر عن الملذات، ويصبر على المعاصي لأن لكل فعل وأثر مبدأ لامحالة، ومبدأ الأفعال والإنفعالات عند أهل الحكمة تسمى (قوة)»[2] ويعرفه ملا صدرا «هو دواء مر، وشربةٌ كريهةٌ، يجلب اليك كل منفعة، ويدفع عنك كل مضرة»[3]. يختلف الصبر من شخص إلى آخر حسب درجة الكمال. قيل «لكل شئ جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر»[4]، إن الصبر هو الصبر على النفس حتى تصل إلى الكمال وتترقى في المراتب، فيمكننا تقسيم الصبر إلى:

١- الصبر على الطاعة وعن المعصية(العبادة): إن أشد مراتب الصبر كف الباطن عن حديث النفس «ويحصل ذلك بالمراقبة والذكر والفكر وقطع العلائق ولا يكفي ذلك مالم يجعل الهم هماً واحداً هو- الله - ثم توطين النفس على ذلك، ثم حبسها على الآلآم والشهوات، قال تعالى مخاطباً نبيه ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾[5]، وروي عن إبي عبد الله عليه السلام: **أمر الله تبارك وتعالى أنبيائه عليهم السلام بالصبر، وجعل الحظ الأوفر لرسول الله صلى الله عليه وآله حيث جعل صبره بالله- لا بنفسه- فقال﴿ وَاصْبِرْ وَمَا**

(١) الصفار، محمد بن الحسن، بصائرالدرجات: ص٢٠.
(٢) الهندي، علاء الدين، كنز العمال، الباب الاول: ص١٠- ١٥.
(٣) الشيرازي، محمد بن ابراهيم، تفسير القرآن الكريم: ج٣ ص٢٨٩.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) سورة النحل: الآية ١٢٧.

صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾»[1] حتى يصل الإنسان إلى أشد المراحل في الصبر وهي مرحلة الصبر عن الله، هذا ما نراه في عبادة فاطمة الزهراء عليها السلام كانت عبادة نموذجية، يقول الحسن البصري الذي كان أحد العبّاد والزهّاد في العالم الإسلامي حول فاطمة الزهراء عليها السلام بأنّ بنت النبي صلى الله عليه وآله عبدت اللهّ ووقفت في محراب العبادة إلى درجة تورّم الأقدام.

وروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن علي بن الحسين عليهم السلام عن فاطمة الصغرى، عن الحسين بن علي عليه السلام، عن أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب قال عليه السلام: «**رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح**»[2]، ولقد شهد لها رسول الله بذلك حيث قال «**إنَّ ابنتي فاطمة ملأ اللّه قلبها وجوارحها إيمانا ويقينا**»[3] إن نور الله إذا ظهر للكامل فعل الشمس بالجليد، فيدهش روحه ويذيب قلبه، فلا يستطيع مفارقة ذلك الركن النوراني وكان دائم التوجه إليه، إن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مظهر جميع الاوصاف الكمالية، وبلغت اعلي مراتبها وتفردت في بعض الاوصاف حتي يمكن القول بانه: لا نظير لها ولا شبيه، ومن صفاتها التي كانت متميزة فيها بين الخلق، هي وصف العبادة، لإنها كانت عابدة قد عبدت الله تعالى بأحسن صورها وأفضل مراتبها، نعم قد عُرفت السيدة الزهراء عليها السلام بكثرة العبادة، فلأجل هذا من أسمائها: الزكيَّة والزاكية، لاهتمامها بتزكية النفس الموصلة إلى الفلاح كما قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾[4] فكذلك أن العابد اذا يشتغل بالعبادة الحقيقة لا يرى شيئا من الدنيا وما فيها الا ربه عزوجل وسبحانه وتعالى فابنة رسول الله في الحقيقة مصداق هذه الآية الكريمة ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[5]. وأبت السيدة الزهراء عليها السلام إلاَّ أن تكون العبادة هي آخر أعمالها رغم مرضها الشديد. فقد ذكر الخوارزمي «أنها عليها السلام قبيل رحيلها قامت مقام رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتها فصلَّت ركعتين، ثم جلَّلت وجهها بطرف ردائها وقضت نحبها، فسلام الله عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا».[6]

٢- الصبر عند المصيبة: هو الصبر عن المصائب التي تتصدع منها الجبال الصم، فكل ما كان

(١) المصدرنفسه: ص٢٨٣.

(٢)انظر: الخامنائي، على، دروس تربوية من السيرة النبوية: ص٨٥.

(٣) القطب الراوندي، سعيد بن هبه الله، مكارم أخلاق النبي والأئمة عليهم السلام: ص٤٠٣.

(٤) سورة الشمس: الآية ٩.

(٥) سورة ال عمران: الآية ١٩١.

(٦) القطب الراوندي، سعيد بن هبه الله، مكارم أخلاق النبي والأئمة عليهم السلام: ص ٤٠٣.

الإنسان عالماً عارفاً بالله كلما كان أقوى تحملاً وصبراً «فأصل الصبر معرفة ما لأجله الصبر على الشدائد»[1]، و«الصبر جارٍ في الصابر مجرى الأنفاس، لأنه يحتاج إلى الصبر عن كل منهي ومكروه ومذموم ظاهراً وباطناً ولا يتم ذلك إلّا بالعلم»[2] إن اول مصائبها عليها السلام فقد رسول الله «وَ رُوِيَ: أَنَهَّا أَخَذَتْ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ قَبْرِهِ صلى الله عليه وآله فَوَضَعَتْهَا عَلَى عَيْنَيْهَا وَ أَنْشَدَتْ تَقُولُ:-

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا[3]

وكيف لروح النبي وشجنته ان تفارق ابيها ومعلمها الذي كان لايفارقها، فتلك من أعظم المصائب التي مرت عليها عليها السلام فكانت كثيرة البكاء عليه، مِنْ كِتَابِ رَوْضَةِ الْوَاعِظِينَ «قَالَ اَلصَّادِقُ عليه السلام: **الْبَكَّاءُونَ خَمْسَةٌ آدَمُ وَ يَعْقُوبُ وَ يُوسُفُ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَعَلَيْهِمُ وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام.... أَمَّا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَبَكَتْ عَلَى أَبِيهَا حَتَّى تَأَذَّى مِنْهَا أَهْلُ اَلْمَدِينَةِ وَ قَالُوا لَهَا قَدْ آذَيْتِنَا بِكَثْرَةِ بُكَائِكِ فَكَانَتْ تَخْرُجُ إِلَى الْمَقَابِرِ مَقَابِرِ الشُّهَدَاءِ فَتَبْكِي حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا ثُمَّ تَنْصَرِف**»[4]، وذكر عن الطبري أنه روى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: **إن جبريل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم رزية منك فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبراً.**[5] انها كانت ليس لها نظير في كل شئ وذكر ابن الأثير في النهاية في مادة بتل قال: «سميت فاطمة البتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى اللهّٰ تعالىٰ وقال عبيدة الهروي في الغريبين سميت فاطمة بتولاً لأنها بتلت عن النظير».[6] وذلك حتى في درجة الصبر والتحمل لا يناظرها به أحد، وكانت من الصابرين الراضين بضنك العيش وصعوبته، فكانت تعتبره جمال في حضرة المحبوب فهي من المحبين الذين يحبهم الله ويحبونه فيرى كل شئ ميسر للقاءه «عن الصحابيّ جابر الأنصاريّ أنَّه قال: رأى النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة وعليها كساءٌ من أجلّة الإبل وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله فقال: **يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوةِ الآخرة،** فقالت له: **يا رسول الله، الحمد للهِ على نعمائه، والشكر للهِ على آلائه** قال جابر: فأنزل اللهُ عزّوجلّ قوله: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾[7].

(١) المصدر نفسه: ص٢٨٩ص٢٨٣.
(٢) المصدر نفسه: ص٢٨٣ص٢٨٩.
(٣) انظر: العسقلاني، شهاب الدين احمد، فتح الباري: ج٩، ص ٢٠١.
(٤) الطبرسي، حسن بن فضل، مكارم الأخلاق: ص ٣١٥.
(٥) انظر: الحسيني فيروز آبادي، مرتضى، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٣ ص١٩٣.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) الشيرازي، حسن، موسوعة الكلمة: ج٦ ص ١٧٣.

المبحث الثاني: فاطمة الزهراء عليها السلام ميزان الاعمال

المطلب الاول: مفهوم الميزان

نتعرض في هذا المطلب إلى التعاريف اللغوية والاصطلاحية للميزان

الميزان لغةً

قال ابن فارس «الواو والزاء والنون بناء يدل على تعديل واستقامة، ووزنت الشيء وزناً، والزنة: قدر وزن الشيء»(١). اما الراغب الاصفهاني فيقول «الوزن معرفة قدر الشيء، يقال وزنته وزناً وزنة، والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبان»(٢). وذهب ابن منظور إلى ان: «الوزن وزن الثقل والخفة... ووازنت بين الشيئين موازنة وزناً، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محاذيه»(٣)، وجاء في مجمع البحرين: «الوزن عبارة عن اعتدال الأجزاء بمعنى تساويها، فانه لم يوجد بل بإضافته إلى ذلك النوع، وما يليق به»(٤). فالدلالة اللغوية لمادة (وزن) هي الإيفاء تسوية، وعدلًا من غير زيادة ولا نقصان فضلاً عن كونها آلة الوزن التي توزن بها الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون، ومكيال، ومقياس، فضلاً عن معان متعددة.

الميزان اصطلاحاً

من الناحية الاصطلاحية لابد لكل عمل من ميزان يميز به الصحيح من السقيم، كما في العلوم الآلية مثل المنطق والرياضيات فإن لها قواعد وثوابت يعودون إليها في كشف الصحيح من الخطأ، ولا يصلون إلى الغاية إلَّا من خلال السير على تلك القواعد، فوزن الاعمال كباقي العلوم لابد له من ميزان يكشف الصحيح من السقيم، ولابد أن يكون الميزان غير قابلاً للخطأ فلا نجد مصداق يمثل ذلك سوى المعصوم، روي عن هشام بن سالم قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول اللهّ عز وجل:

(١) ابن فارس، احمد، معجم مقاييس اللغة: ج٢ ص٦٣٠.
(٢) الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات الالفاظ: ص٥٩٤.
(٣) ابن منظور، محمد بن احمد، لسان العرب: ج١٣، ص٤٤٦- ٤٤٧.
(٤) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٦ ص٣٢٥.

﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا**﴾[1] قال: **هم الأنبياء والأوصياء**»[2]، وفي رواية اخرى عنهم عليهم السلام «**نحن الموازين القسط ليوم القيامة**»[3]، وايضا جاء الميزان بمعنى الصحف اي انه يوزن به الصّحف فالمراد بالصحف النفوس الإنسانية، وما ورد أن له لساناً وكفتين فتمثيل للمعنى بالصورة كما ورد في ساير نظائره، عن علي عليه السلام: «**دخلت يوما منزلي فإذا رسول اللّه** صلى الله عليه وآله **جالس والحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، وفاطمة بين يديه، وهو يقول: يا حسن ويا حسين، أنتما كفّتا الميزان، وفاطمة لسانه، ولا تعدل الكفّتان إلّا باللسان...**».[4]

ويأتي الميزان بمعنى العدل، وعن الصادق عليه السلام انه قيل له: «أو ليس توزن الأعمال؟ قال: **لا، لأن الاعمال ليست أجساماً وإنما هي صفة ما عملوا وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الاشياء ولا يعرف ثقلها أو خفتها، وأن اللّه لا يخفى عليه شيء**، قيل: فما معنى الميزان؟ قال: **العدل** قال: فما معناه في كتابه فمن ثقلت موازينه؟ قال: **فمن رجّح عمله**»[5].

وقد جاء في التفسير عن معنى الميزان الذي يُقَوَم به الناس يوم القيامة ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ في إن الميزان يعني العدالة «العدالة عبارة عن هيئة حاصلة تحصل به حسن وجه النفس، وهي فضيلة متضمنة لجميع الفضائل الخلقية، وتناسب جميع الهيئات البدنية... ويعبر عنها بالميزان لاشتراكها معه فيما يعرف به مقدار الشئ».[6]

اذن نلاحظ إن أهم مصداق للميزان هو المعصوم وأن العمل يقاس بهم، ومن موضع اخر يقول ثقل الميزان بالحسنات وخفتها بالسيئات وهذا لا يعارض كون المعصوم معيار توزن به الحسنات والسيئات، لان قربهم والاقتداء بهم لهي الحسنات والابتعاد عنهم لهيَّ السيئات، عن أمير المؤمنين عليه السلام «في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِينُهُ... وَ مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِينُهُ**﴾[7] قال: **الحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان**»[8] وكذلك في تفسير بعض الآيات القرآنية التي تفسر الميزان منها: ما قال

(١) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.
(٢) الصدوق، ابو جعفر محمد، معاني الاخبار: ج١ص ٣١.
(٣) الفيض الكاشاني، محمد، علم اليقين،ج ٢، ص ٩٤٤.
(٤) الاربلي، بهاء الدين، كشف الغمه: ج١ ص٥٠٦.
(٥) الطبرسي، ابي منصور، الاحتجاج: ج ٢ ص ٩٨.
(٦) الشيرازي، محمد بن ابراهيم، تفسير القرآن الكريم: ج٦ ص ٢٨٥- ٢٨٦.
(٧) سورة الاعراف: الآية ٨- ٩، وسورة المؤمنون: الآية ١٢٠- ١٠٣.
(٨) الفيض كاشاني، محمد بن شاه مرتضى، الحقائق في محاسن الأخلاق: ص٤٥٦.

الطبرسى أعلى اللهّ مقامه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾[1] ما ملخصه: ذكر فيه اقوال: «احدها» ان الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وانه لا ظلم فيها على أحد «وثانيها» ان اللهّ ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به اعمال العباد «ثالثها» ان المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة فمن اتي بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه اي يعظم قدره فقد أفلح ومن اتي بالعمل السيئ الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر وقال في كيفية الوزن: واختلفوا في كيفية الوزن لان الاعمال اعراض لا تجوز عليها الاعادة ولا يكون لها وزن فقيل: توزن صحايف الاعمال وقيل: تظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فتراها الناس وقيل: تظهر للحسنات صورة حسنة وللسيئات صورة سيئة وقيل: توزن نفس المؤمن والكافر قال: يؤتى بالرجل العظيم جثة فلا يزن جناح بعوضة.[2]

إذن من الناحية اللغوية، الميزان هو أداة تستخدم لقياس الوزن. أما في المعنى الاصطلاحي، فيعني مجموعة من المعايير التي يُستخدم لتقييم الأعمال والأخلاق وهي الفضائل التي تتمثل بالمعصوم.

المطلب الثاني: حقيقة ميزان الأعمال

يصل الإنسان إلى مرتبة ومقام يصير فيها مقياساً للأعمال الصحيحة والخاطئة، فبه توزن الأعمال، وبه يحدد مصيره، فعندما يكون الإنسان كاملاً تتساوى عنده القوة العملية والنظرية، يصبح عندها ميزاناً للأعمال، فإن المقياس أو الميزان يوم القيامة يقاس بالفضائل فيقول الشيخ نصير الدين الطوسي «العدالة تستجمع الفضائل»[3] حيث إن الإنسان الكامل معروف بالاعتدال المزاجي اي اعتدال الفضيلة فاذا تطابق ذلك المعنى مع الميزان كان من الاولى أن يكون الميزان مصداق خارجي نوزن به اعمالنا، لأنها لاتكال بالمكيال. فلا يعني الميزان يوم القيامة هو قياس الشئ الموزون بالكمية كما في الدنيا، فالميزان ميزان وإنّ أختلفت الماهيات. «والموازين لا يجب أن تتساوى في الذّات والماهية، بل في كونها ميزاناً، وإنها مما يعرف به حال الشئ كمية أو كيفية، فالإسطرلاب ميزان، والمسطرة ميزان والمنطق ميزان، والنحو ميزان لإشتراك جميعها بما يعرف بالميزان»[4] أما الميزان الذي نتكلم فيه فسيكون بصورته المناسبة في النشأة الأخروية والدنيوية فممكن أن تقارن نفسك بذلك الميزان هم محمد

(١) سورة الاعراف: الآية٤٧.
(٢) الفيض كاشاني، محمد بن شاه مرتضى، الحقائق في محاسن الأخلاق: ص٤٥٦.
(٣) الطوسي، نصير الدين، أخلاق ناصري: ص٢٥٢.
(٤) نفس المصدر: ص٢٨٦.

وال وآل محمد، فإذا كان عملك كعملهم كنت على الصراط المستقيم وكلما بَعُدَّ بعُدتّ عن الصراط المستقيم، وهذا بيان تسمية أمير المؤمنين عليه السلام بالصراط المستقيم، كونه ميزان الأعمال. وفي رواية في شرح أصول الكافي «جاء أبن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وسأله عن قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ**﴾[1]، فقال: **نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونحن الأعراف الذي لا يُعرف الله إلَّا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يعرفنا الله عز وجل على الصراط، فلا يدخل الجنة إلَّا من عرفناه، ولا يدخل النار إلَّا من أنكرناه**»[2] فهم الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فوقوفهم على الصراط ودخول الجنة والنار بمن عرفوه؛ هذا دليل وبرهان على انهم هم وزن الاعمال. «ليس المقصود من ميزان الأعمال في القيامة المعنى الاصطلاحي الذي يتبادر إلى الذهن عند سماع الكلمة؛ وبالتالي لا ينظر إلى ثقل الأعمال ووزنها من زاوية الكمية، وانّما للميزان في الآخرة مصاديق مختلفة»[3] يقول صدر المتألهين: «ميزان الأعمال، وهو كل أثر أو فعل يوجب الاطمئنان في نفس فاعله، ويقتضي له الثبات والاستقرار، ويزيل عنه الاضطراب، والتزلزل»[4] وهذا الاطمئنان والثبات والاستقرار يتحقق عند وزن العمل بميزان لايقبل الغلط واهم مصاديقه المعصوم حيث ربط رضاه برضاهم وغضبه بغضبهم، أجمل ما يدل على هذا المعنى ويقرّبه هو إن «الأعمال زي أهل الموقف، فيعرف المجرمون بسيماهم كما يعرف الاجناد هنا بزيّهم».[5] فكيف بمن كان زيهم زي محمد وآل محمد. وممّا يدلّ على إدن المعصوم هو ميزان الاعمال ذلك ما جاء في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «**السلام عليك يا ميزان الأعمال**»[6]. وفي ذلك يقول الإمام الصادق: «**نحن الموازين القسط**»[7] اذن كيفية جعل اي إن المعصوم ميزاناً هو ما بينه العلماء والمفسرين حيث يقول مظاهري في كتاب اليوم الآخر: ومن المؤكّد، انّ الميزان بالنسبة لنا (وفق هذا المعنى) هو الالتزام بتوجيهات أئمة الهدى عليهم السلام وتوجيه الخطى نحو منهاجهم والتخلّق بأخلاقهم، والتمسّك بحبلهم وحبّهم وولايتهم. انّ الإنسان الذي يجهل مكانة أهل البيت عليهم السلام في الدنيا ويتنكّب عن طريقهم ومنهاجهم، من المؤكّد انّه لن يكون من أهل الهدى في

(١) سورة الاعراف: الآية ٤٦.

(٢) الشيرازي، محمد بن ابراهيم، شرح اصول الكافي: ج٤ ص٣٨٦.

(٣)مظاهرى، حسين، اليوم الآخر: ص ١٨٧.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الشيرازي، محمد بن ابراهيم، مفاتيح الغيب: ص٥٤.

(٦) وردت الكثير من الأحاديث التي تكد انّ الإمام عليًا والأئمّة من ولده عليهم السلام هم «الميزان» وفي ذلك يقول الإمام الصادق: «**نحن الموازين القسط**» علم اليقين: ج٢، ص ٤٤. [المترجم].

(٧) المصدر نفسه.

الآخرة، لانّ ميزانه سيكون خفيفا. فالقريب إليهم قريب إلى اللهّ (سبحانه)، فيما البعيد عنهم بعيد عن اللهّ (سبحانه). لذلك يستوجب قربهم (صلوات اللهّ عليهم أجمعين) في الحياة الدنيا وموالاتهم واتّباع نهجهم، ثقل ميزان الإنسان في الآخرة.[1] ونقول أحيانا في وصف الناس، انّ فلانا ذو وزن، والمقصود من ذلك الإشارة إلى أخلاقه وروحه العالية، ومنطقه السليم، وما يتّسم به سلوكه من رفعة وإنسانية. بعكسه عندما نقول: لا نقيم لفلان وزنا[2]. وعليه سوف نقسم الميزان عند الزهراء عليها السلام ميزانين: وسوف يرد هذا في المطلب التالي.

المطلب الثالث: الميزان العام والميزان الخاص للزهراء عليها السلام

الميزان الاول: الميزان العام

وهو الميزان التكويني الذي يجعل من فاطمة الزهراء سلام الله عليها ميزاناً عاماً يعتمده الإنسان المجرد عن الذكورة والانوثة، وهذا الميزان له أثر كبير في الكمال الإنساني بشكل عام حينما تكون سيدة النساء عليها السلام هي ميزان العمل وهنا يتفرع الميزان فرعين:

اولاً: بين الله والخلق «**يَرْضَى اللَّهُ لِرِضَاهَا وَيَغْضَبُ لِغَضَبِهَا**».

إن هذا الحديث ما هو إلَّا تعبير عن مقام السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يعكس عظمة مكانتها في الإسلام. وندرك أن فاطمة هي تجلّ من تجليات إرادة الله ورحمته. الفكرة المركزية هنا تدور حول مفهوم «المرآتية» التي تتجاوز العصمة. العصمة تعني إن المعصوم لا يذنب ولا يخطأ ولا يسهو، لكن «المرآتية» تشير إلى كون الشخص تجسيدًا لصفات الله وأحكامه. فكانت فاطمة عليها السلام هي المرآة التي تعكس صفات الله، بما في ذلك رضاه وغضبه.

إن التصريح بأن «رضا الله يدور مدار رضاها» يحمل دلالة عميقة على اتصالها الوثيق بالله. في هذا السياق، يُعتبر رضاها مظهرًا من مظاهر رضاه، وهذا يدلل على أن فاطمة ليست مجرد شخصية عادية، بل هي رمز للفضيلة والخير. كما أن تعبير رسول الله صلى الله عليه وآله عنها يبرز مكانتها؛ فهو لا ينظر إليها كأحد الأفراد فقط، بل كمظهر من مظاهر العظمة الإلهية، فأصبحت ميزاناً نوزن منه صحيح الاعمال من سقمها تبعاً لكفتي الرضا والغضب، كما هو حال أمير المؤمنين عليه السلام لا يحبّه إلَّا مؤمن ولا يبغضه إلَّا منافق ولذا قيل كنا نعرفُ المؤمن من المنافق بحبه وبغضه لعلي. والمقصود من ذلك الولاية التكوينية

(١) انظر: مظاهرى، حسين، اليوم الآخر: ص ١٩٠.

(٢) انظر: المصدر السابق.

«إن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل»[1] الحال في كل أهل البيت الذي عصمهم وأمنهم الله من الزلل، ومن هنا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام عندها الولاية التكوينية حيث ثبتت لها من خلال عدة أمور منها:

١- « إنها حليلة سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي عليه السلام فهي كفؤ له وهو كفؤ لها وهذا يقتضي كونها عندها من المقامات ما لأمير المؤمنين علي عليه السلام إلَّا ما خصه الله تعالى من الولاية التي يتصدى بها لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن المعلوم أن أمير المؤمنين عنده هذه الولاية أعني الولاية التكوينية وقد أعطت الكثير من الكتب الشواهد العديدة على هذه القضية ويكفي شاهد على ذلك في قضية رده الشمس، وهل هذا إلَّا تصرف تكويني، وعليه المقام ثابت للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام.

٢- إنها حجة الله الكبرى على الخلق بما فيهم الأنبياء والأوصياء ويدل على ذلك الحديث المروي نصه: «**ما تكاملت نبوة نبي حتى أقر بفضلها ومحبتها وعلى معرفتها**» والحديث «**وعلى معرفتها دارت القرون الاولى**».[2]

٣- الشفاعة: ففي الحديث الشريف قالت فاطمة الزهراء عليها السلام «**يا رسول اللّه، إنَّ بنات النّاس يتزوّجن بالدراهم، فما الفرق بيني وبينهنّ، أسألك أن تردّها وتدعو اللّه تعالى أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أمّتك**. فنزل جبرائيل عليه السلام ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: جعل اللهّ مهر فاطمة الزهراء عليها السلام شفاعة المذنبين من أمّة أبيها».[3]

٤- النفاذ الروحي: هناك نوعٌ آخر من الولاية، هو فرعٌ من الولاية التّكوينية، يستطيع معها القادة الإلهِيّون، وبواسطة نفوذهم الرّوحي المباشر، في عالم الوجود والتّكوين، من معرفة النّفوس المستعدّة للتربية والإصلاح، والتّصرف المعنوي المُباشر، في المستوى الرّوحي لِلإنسان في خطّ التّربية. وتوضيح ذلك: إنَّ الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام، هم القلب النّابض للأُمّة الإسلاميّة، وكلّ عضوٍ من الأعضاء، يكون له ارتباطٌ وثيقٌ بالقلب، سيتسنى لذلك العُضو أن يسترفِد من المنبع مَنافع أكثر، أو أنَّهم بمنزلة الشّمس المشرقةِ، فكُلّما انقشعت سُحب الأنانية عن القلب، فإنّ تلك الأشعّة ستتولى تربية عناصر الخير في النّفس، فَتورقُ وتثمرُ، وتنعكس آثارها على شخصيّة الإنسان، في إطار

(١) الصغير، جلال الدين، الولاية التكوينية: ص١٠٣.
(٢) المسعودي، محمد فاضل، الاسرار الفاطمية: ص٢٦٤.
(٣) شيرازي، حسن، موسوعة الكلمة: ج٦ ص٢٨٣.

السّلوك والفِكر.[1] كانت سلام الله عليها بحبها تؤَثر في كل من تكلم معها لابل وقد جعل رسول الله ﷺ حبها خلاصاً من النار حدّثنا بشر بن إبراهيم الأنصاري، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: «إنما سمّيت فاطمة فاطمة؛ لأنّ اللهّ تعالى فطم من أحبها من النار»[2] وهذا الحب ليس من طرف واحد إنما مقصود الحديث هو النفاذ الروحي لسيدة نساء العالمين كونها أكمل النساء، تستجمع فيها جميع الفضائل، فهي نور الهداية الذي يخترق القلوب.

يقول القرآن الكريم: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾. فهذه الشَّمس المنيرة، وهذا السّراجُ المنير، يتولَّى وظيفتين، فمن جهة أنَّه يُضيء لِلإنسان الطريق إلى اللهّ تعالى، ليعرف الطّريق الصَّحيح والجادة المؤدّية إلى الحقّ والصّلاح، ويبتعد عن حافّة الهاوية. ومن جهةٍ اخرى، فإنَّ هذا النُّور الإلهي، يؤثّر لا شعوريّاً في واقع الإنسان، ويتولى إصلاح النّفس في خطّ التّربية الأخلاقيّة، ويساعدها في عمليّة التّكامل والرّقي.[3] وهي روحه وعينه.

نرى العلَّامة الشَّهيد المطهَّري قدس سره، يقول في كتابه: «ولاءها وولايتها»: «تستعمل هاتين الكلمتين عادة في أربع موارد: ولاء المحبة: (أي المحبّة لأهل البيت) عليهم السلام، وولاء الإمامة، بمعنى التّأسي بالأئمّة عليهم السلام، وجعلهم القدوة لأعمالنا وسلوكيّاتنا، وولاء الزّعامة، بمعنى حقّ القيادة الاجتماعيّة والسّياسية للأئمّة عليهم السلام، وولاء التّصرف، أو الولاء الرّوحي وهو أسمى هذه المراحل».[4] ويقول أيضاً في نفس المصدر: «إنَّ التّصرف الرّوحي والمعنوي، هو نوعٌ من القُدرة والتّسلط الخارق للتكوين، بمعنى أنَّ الإنسان ومن خلال عبوديّته الحقّة للهّ تعالى، يحصل على مقام القُرب الإلهي المعنوي والرّوحي، ونتيجة لهذا القُرب، يصبح إنساناً كاملاً، يتحرك في طريق هداية الناس نحو المعنويات، ويتسلط على الضّمائر، وتكون له قدرة الشّهود على الأعمال، وبالتّالي يصير حُجّة اللهّ في زمانه! فمن وجهَة نظر الشّيعة، أنَّ كلّ زمان لا يخلو من إنسانٍ كاملٍ، يتمتع بقدرة التّصرف الغيبي في العالم والإنسان، وناظرٌ وشاهدٌ على الأرواح والقلوب، وهذا الإنسان هو حجّةُ اللهّ على الأرض».[5] هذا هو النفاذ الروحي للإنسان الكامل الذي يخترق قلوب العباد تكوينياً. ويمكن أن نخرج من هذا بنتيجة، وهي أنَّ العلاقة المعنويّة، والارتباط بالإنسان الكامل، يمكن أن يساعد الإنسان في عمليّة التّصرف، والنّفوذ في حياة

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، الأخلاق في القرآن: ج١ ص ٣٣١.
(٢) الحاكم النيشابوري، محمد بن عبد الله، فضائل فاطمة الزهراء: ص٧٢.
(٣) مكارم الشيرازى، ناصر، الأخلاق في القرآن: ج١ ص٣٣٢.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.

الأُناس المستعدّين والمتقبلين للإصلاح، وسوقهم تدريجياً في خطّ التّهذيب الأخلاقي، وإبعادهم من جو الرّذائل إلى جو الفضائل الأخلاقية والكمالات الروحيّة.[1] فمن خلال مالهاعليها السلام من الولاية التكوينية وعلوا المقام وصلت إلى أن تكون محل رضا الله وغضبه.

ثانياً: بين الخلق والخاتمصلى الله عليه وآله «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي مَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي**».

فلأن النبي المصطفى هو أكمل الموجودات في عالم الإمكان وأرحبها وأعظمها، لذلك لا مثيل له ولا نظير ولا ندَّ له فيه، فجميع الوجودات الأخرى في هذا العالم غير وجود النبي إما منطوية فيه أو متحدة معه، كل وجود سوى وجود رسول الله؛ إن لم يكن بينه وبين وجود الرسول مسانخة ولا مقاربة فهو ينطوي تحت وجودهصلى الله عليه وآله ويستقي منه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[2]، فكل من في العالمين يستقي من وجود رسول الله وينطوي تحت وجوده «**بكم فتح الله وبكم يختم**» وهناك نوع ثاني من الوجودات متحد مع وجود رسول الله، لأن بينه وبين وجود رسول الله مسانخة ومشاكلة ولذلك هو متحد مع وجود الرسول المصطفى، وهذا الوجود المتحد مع وجود النبي المصطفى عندما يقولصلى الله عليه وآله «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي مَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي.... هِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**»[3] وعند قوله «**إنما فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها**»[4] للإشارة إلى هذا الاتحاد اتحاد نور النبي النور المحمدي والنور العلوي والنور الفاطمي أبعاد ثلاثة لنور واحد، أنحاء ثلاثة لوجود واحد «**لولاك لما خلقت علياً، ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما**» فهذه الثلاثة الأنوار هي نور واحد ووجود واحد يغمر البسيطة بأفضاله ونعمه وبركاته ومواهبه.

قال ابن الأثير: «وفي الحديث: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي**»، البضعة بالفتح، القطعة من اللحم، وقد تكسر، أي: إنَّها جزء مني، كما أنَّ القطعة من اللحم جزء من اللحم»[5]. وعليه، فالزّهراء البتولعليها السلام قطعة من النبيصلى الله عليه وآله إمّا على نحو الاستعارة المبنيّة على التّشبيه، وإمّا نفسه وشبهه على سبيل المجاز المرسل. وهذا المعنى بنفسه يتضمّن أنه يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، فيكون ذكره من التأكيد، لأهمّية المعنى.

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٣) الديلمي، حسن بن محمد، إرشاد القلوب: ج٢ ص٢٣٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ابن الاثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث: ج١ ص١٣٣.

«قوله: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي**» إن الرسول الأعظم عبر عن الإمام الحسين والإمام علي وعبر عن السيدة الزهراء بتعبير آخر، قال:«**حسين مني وأنا من حسين**» وقال: «**علي مني وأنا منه**» فعبر بكلمة مني عن الحسين وعلي ولكنه عبر عن الزهراء بالبضعة، قال: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي**» والبضعة هي القلب، فكأنه يقول: فاطمة قلبي الذي بين جنبي، هذا التعبير أعظم مدلولاً من التعبير بكلمة مني، فكلمة مني وأنا منه تشير إلى المسانخة والمشابهة، فهو عندما يقول: «**علي مني وأنا منه**» أو «**الحسين مني وأنا منه**» فهذا التعبير يعني أن هناك مسانخة ومشابهة بيني وبين علي، بيني وبين الحسين، ولكن عندما يعبر بالبضعة، فالبضعة تعني مدلولاً أعظم من المسانخة، وأعظم من المشابهة، البضعة تعني التمثيل «**بضعة مني**» تعني هي صورة عني، تمثلني، تجسدني، «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي**» أي أن فاطمة صورة أخرى عني، ومثال آخر عني، يجسدني ويمثلني في تمام فضائلي ومناقبي وتفاصيل حياتي. إذن هناك فرق بين التعبير بمني الذي يفيد المسانخة والمشابهة، وبين التعبير بضعة مني فإن البضعة بمعنى القلب، تفيد التمثيل وأن هذا الشخص صورة أخرى عن النبي محمد»[1].

وذكره الفخر الرازي أيضاً في تفسير آية المودة في سورة الشورىٰ وقال: يؤذيني ما يؤذيها وذكره في سورة المعارج أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ**﴾ ولفظه: **فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي**[2]، إن هذه الألفاظ تُظهر أن الشيء جزء من كل، وكل شيء يُعتبر جزءًا من الكل يتكون من مكوناته. فاطمة روحي التي بين جنبي؛ إذا دلت على شيء فإنما تدل على القرب المعنوي والمكاني؛ إذ إن كل ما يُنسب إلى النبي محمدﷺ من مقامات وخصائص وأوصاف هو أيضًا منسوب إلى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها). وعليه، فإن ما يؤذيها يؤذي النبي، وهذا الأمر تكويني، حيث إنها تجسد وجود الخاتمﷺ. يرى الخلق من منظارها، من حيث بهجته وغضبه. ولا شك أن كل ما يُبهج الرسول يرتبط ارتباطًا وثيقًا برضا الله تعالى، وكذلك بالنسبة للغضب، مما يبرز أهمية هذه العلاقة الروحية العميقة. وعن مجاهد قال: خرج النبيّﷺ وسلّم وهو آخذ بيد فاطمة فقال: «**من عرفها فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي وروحي الّتي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّه**»[3]، نستنتج من ذلك انها الميزان التي بين الخاتمﷺ وبين الخلق فكل مايفرحها افرحه وكل شئ آذاها نكبه، تلك الموازين الحق ولا تبديل لكلمات الله.

---

(١) الخباز، منير، شبكة الفجر الثقافية، الموسم العاشورائي، ١٤٤٦هـ.

(٢) المصدر نفسه.

(٣)الفيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى، المحجة البيضاء: ج٤ ص٢١٠.

الميزان الثاني: الميزان الخاص

إن فاطمة الزهراء عليها السلام تمثل الميزان على الصعيد الشخصي، حيث تحتاج النساء إلى قدوة من جنسهن. وكل ما صدر من الإنسان الكامل فاطمة الزهراء عليها السلام، إنما أُسس له تكوينيًا، حتى وإن كان على البعد الشخصي أو الفردي، لأنه نابع من الله تعالى، ويتجلى فيه صلاح الفرد ومن ثم صلاح المجتمع. فحياتها الشخصية عليها السلام تجعل منها نموذجًا يُحتذى به للمرأة، حيث يمكن أن تكون ميزانًا تُقاس به الأعمال الصحيحة من الأعمال السقيمة. «وهكذا فان هذا الامتداد الرسالي الذي تمثله سيدة نساء العالمين عليها السلام، هو مصداق قول النبي صلى الله عليه وآله: «**فاطمة أم ابيها**»، وبذلك فإنها عنوان المرأة المتكاملة، والقدوة والمثل الأعلى لكل النساء اللاتي يردن لأنفسهن الشرف والاستقلال والحشمة، وعدم الابتذال والتهتك. ومن ذلك يتضح أن حق فاطمة عليها السلام على النساء هو حق عظيم. فهي الحجة عليهنّ أولًا، قبل ان تكون حجة بالغة على المؤمنين»[1].

وعلى ذلك اخترنا من بين تلك الموازين ميزاناً واحداً يشكل الرافد الأساسي لبناء الأسرة والمجتمع وهو ميزان الزوجة الصالحة، حيث قالت فاطمة الزهراء سلام الله عليها: «**يا بن عمّ ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني**. فقال عليه السلام: **معاذ اللّه! أنت أعلم باللّه وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفا من اللّه أن أوبّخك غدا بمخالفتي**»[2].

هذه الكلمات الجليلة تعد ميزاناً يكشف لنا الآفاق السامية لتلك الألفة والرحمة فيما بينهم، إذ قامت عليها السلام بمسؤوليّاتها تجاه زوجها وبيتها على الوجه الأكمل، فنهضت بأعباء بيتها المتواضع، وأمّا مسؤوليّتها تجاه الإمام عليه السلام، فنجدها لم تتوانَ عن خدمته والإخلاص له وأداء حقّه، إذ إنَّها تدرك أهمّيّة دورها ومدى تأثيرها في كلّ جوانب حياته، فالمرأة لها نفوذ وتأثير واسع على زوجها، ويمكن أن يكون لها دور في توجّهه إلى أيّ جهة تشاء، فكيف بربيبة الوحي التي سعت لمشاركة زوجها في توجّهاته وحرصت على تحقيق طموحاته، ومضت تقتفي أثره وتسير على خطاه، وتكون إلى جانبه ونِعمَ العون له كما عبر عليه السلام بنفسه عنها، فقد أمّنت له سكناً مطمئنّاً في قلبها وبيتها، يلتجئ إليه كلّما ألـمّت به الخطوب فتفيض عليه بالدفء والطمأنينة، فتزيح عنه آلامه وهمومه، إذ نجده يقول: «**ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان بنظري إليها**» قال علي عليه السلام: «**فو اللّه ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها اللّه عز وجل، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمرا، ولقد كنت أنظر إليها**

(١) المدرسي، محمد تقي، فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة الصديقين: ج١ ص١٧.

(٢)فتال نيشابوري، محمد بن احمد، روضة الواعظين: ج١ ص ٣٤٧.

فتنكشف عني الهموم والأحزان».[1]

من وجهة نظر إسلامية، فإن المجتمع مع علاقاته الإنسانية لابد أن يكون لها لون إلهي وتعبدي. وجميع جوانب السلوك البشري المختلفة من أجل تحقيق الهدف النهائي للخلق، وهو الكمال، وعلى هذا الأساس فإن المجتمع وعلاقاته المختلفة هي مسرح إلهي وبشري، يمَكنه من إقامة علاقات صحيحة وإنسانية مع إخوانه من البشر.[2]

وقد سعت الصدّيقة فاطمة عليها السلام لمراعاة الوضع الاقتصاديّ لزوجها؛ فلم تثقل كاهله بشيء، ولم تكلّفه ما لا يطيق، بل إنَّها كانت تؤثره على نفسها وأولادها، فقد روي أنَّه: «أصبح علي بن أبي طالب ذات يوم ساغباً، فقال: **يا فاطمة هل عندك شيء تغذينيه؟** قالت: **لا، والّذي أكرم أبي بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة، ما أصبح الغداة عندي شيء أطعمناه منذ يومين إلّا شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابنيّ هذين الحسن والحسين،** قال: **أعلى الصبيّين؟! ألا أعلمتِني فآتيكم بشيء،** فقالت: **يا أبا الحسن إنّي لاستحي من إلهي أن أكلّف نفسك ما لا تقدر عليه»** ثمّ إنَّها عليها السلام حفظت له حقّه المفروض عليها، فلم تغضبه يوماً ولم تخالفه أبداً، بل حرصت على معاشرته بما يرضي الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وما كان خطابها له في آخر لحظات حياتها – وهي تستفهمه– إلّا تواضعاً منها وإجلالاً لزوجها، ودرساً لغيرها حيث سألته: «**يابن عمّ، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني**».

فيردّ عليها الامام علي عليه السلام: «**معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوبّخك غداً بمخالفتي...**».[3]

إن هذا الوجود الكامل الذي كانت كل تصرفاته خاضعة لميزان إلهي تكويني بل هي الميزان عينه، حيث جعلت من رضا الله تعالى ميزاناً توزن به اعمالها، فبكماله وتكامله وعدل هذا الميزان عن أي خطأ ولو مقدار عشر معشار الذرة، جعلها ميزاناً لجميع الخلق، حتى يرد السالك طريقهم مناهل الحق ويرتوي من عذب رضا الله تعالى فعليها دارت القرون الاولى فهي قطب دائرة الوجود ومحل تنزيل الرحمة وميزان العدل وقبول الاعمال.

وباعتبار أنَّ مولاتنا الزهراء عليها السلام كانت مفارقة لزوجها وأرادت أن تشهده على أنَّها قامت بكلّ ما يجب القيام به اتّجاه زوجها، وممّا لا شكّ فيه أنَّ الكذب والخيانة والمخالفة من أخطر الأمراض التي

(١) دروس تربوية من السيرة النبوية: ص٨٦.
(٢) انظر: مقدم نيا، محمد، آداب معاشرة: ج١ ص ١٤.
(٣) القائمي، علي، الأسرة وقضايا الزواج: ج١ ص٢٦.

تهدّد الحياة الزوجية، وقد أثبتت التجارب الإنسانيّة خطورة كلّ ذلك على أمان الأسرة واستمرارها، فالصدق أساس الحياة الزوجيّة المبنيّة على الثقة والكذب بكلّ أنواعه يؤدّي إلى فقدان الثقة، ومن ثمَّ انهيار الأسرة بالكامل، ومن الكذب تتفرّع الخيانة بكلّ أنواعها وأشكالها، فالخيانة في أصلها هي هتك الأمانة والمواثيق والعهود والشروط، والزواج هو عقد وميثاق يشتمل على مجموعة من الشروط والحقوق والواجبات، والخيانة ليست إلّا مخالفة الزوجة لتلك الحقوق والواجبات، وعندما تنفي مولاتنا الزهراء عن نفسها الخيانة، فهي تؤكّد التزامها الكامل بكلّ ما اوجبه الله تعالى من حقوق وواجبات بين الزوجة وزوجها.

فإنها قالت لأمير المؤمنين عليه السلام قالت: **حين أراد أن يزوّجني أبي منك قال لي: زوّجتك من عليّ على صداق أربع مائة درهم، قلت: رضيت عليّا، ولا أرضى بصداق أربعمائة درهم**[1]. إن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تعتبر نموذجًا للحكمة والعدالة والتقوى. إنها تجسد الصفات الإلهية في الإنسان، فهي ترى بعين الله وتحكم بحكمته. ليس غريبًا أن تكون فاطمة الزهراء عليها السلام هي القدوة المثالية لكل المسلمين لما تحمله من صفات سامية وأخلاق رفيعة.

وهذا الوصف يعبر عن عمق فهم وإدراك مكانتها العظيمة في الإسلام ويجسد الروحانية والتقدير العميق الذي تحظى به في قلوب المؤمنين. كم نحن محظوظون بأن نتعلم ونستلهم من حياة وشخصية هذه السيدة العظيمة. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام مرّة بشأن فاطمة الزهراء عليها السلام: «**ما أغضبتني ولا خرجت من أمري**»[2].

وفق هذه الموازين، ينبغي أن تكون سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من أقوال وأفعال هي المعيار لتكامل المرأة والمضي بها إلى اعلى درجات السعادة والكمال، حيث حياتها القصيرة ماهي إلَّا ذخيرة من الفضائل في مختلف شؤون حياتها، وعليه يجب أن تلتزم المرأة المسلمة بذلك الدستور الزهرائي.

---

(١) الشيرازي، حسن، موسوعة الكلمة: ج٦ ص٢٨٣.

(٢) قال علي عليه السلام: **فو اللّه ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها اللّه عز وجل، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمرا، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان** (بحار الأنوار العلامة المجلسي: ج١٣٤ ص٣٤).

الخاتمة

وبعد هذا البيان حول فاطمة الزهراء عليها السلام وبعدها التكويني الذي يتجلى في مقام الإنسان الكامل وميزان الاعمال، يظهر لدينا ذلك الطريق المعبد الذي رسمه لنا الله تعالى عن طريق هذا الإنسان الكامل الذي يتجسد في الزهراء عليها السلام، لذا يجب على المرأة المؤمنة السالكة لهذا السبيل سبيل الذين يتكاملون، أن يجعل منها سلام الله عليها النموذج والميزان حتى تستقيم اعمالنا وافكارنا، كون المرأة العنصر الذي يبني إنسان متكامل من جميع الابعاد.

نتائج البحث

١- تبين أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تمتلك الولاية التكوينية، فهي واسطة الفيض والعلة الغائية من الوجود وروح النبي الخاتم صلى الله عليه وآله.

٢- توصل البحث بأن من خصائص الإنسان الكامل: القدرة على فتح خزائن الله تعالى بالدعاء، التحدث مع الملائكة، وكونه مستودعاً للخير الكثير.

٣- أظهر البحث أن كلمات الزهراء عليها السلام وأفعالها معياراً وميزان تُوزن به الاعمال بشكل عام، وميزاناً للمرأة بشكل خاص.

٤- وضحت نتائج البحث أن الجانب المعنوي عند المعصوم هو المقوم الأساسي للسلوك.

٥- توصل البحث إلى معرفة أهم الميزات المعنوية التي ممكن أن تشكل شخصية متكاملة ودراستها من جميع مفاصلها.

٦- حث البحث إلى أن السعي نحو الكمال يتطلب الوعي بوجودية الإنسان الكامل وميزان الأعمال. وبفضل المعرفة والإيمان، تستطيع كل امرأة تحقيق كمالها الداخلي والخارجي، مما يساهم في بناء مجتمع أكثر اتزاناً ورقياً.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- مفاتيح الجنان
- ابن الاثير، المبارك ضياء الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، الطبعة الأولى،١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- ابن بابويه، محمد بن على، الخصال، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - ايران، ١٤١٦ هـ.ق.
- ابن سينا، علي بن الحسين، الاشارات والتنبيهات، مكتب نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ق.
- إبن فارس، احمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى،١٣٧١هـ.
- ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، دارالفكر للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٤ق.
- الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة، دار الضواء - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- البحراني، عبد الله، عوالم العلوم والمعارف والاحوال من الآيات والاخبار، مؤسسة الامام المهدي- قم المقدسة، الطبعة الثانية،١٤٣٠هـ.ق.
- الحاكم النيشابوري، محمد بن عبد الله، فضائل فاطمة الزهراء، دار الفرقان، قاهره - مصر، ١٤٢٩ هـ.ق.
- الديلمى، حسن بن محمد، إرشاد القلوب، الشريف الرضي، قم - ايران، ١٣٧١ هـ.ش.
- الربيعي، محمد عدنان، الإنسان الكامل في آيتي الخلافة والاسماء، مجلة المصباح، العتبة االحسينية، المقدسة، العدد الواحد والاربعون، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.
- الزبيدي، حنان عيدان، الرؤية العرفانية للإنسان الكامل دراسة مقارنة بين تفسيري ابن عربي وملاصدرا، كلمة الحق- قم،الطبعة الاولى، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢١م.
- الشيرازي، حسن، موسوعة الكلمة، هيئه محمد الامين (ص)، كويت - ، ١٤٢٧ هـ.ق.

- الشيرازي، محمد بن ابراهيم، تفسير القرآن الكريم، دار بيدار- قم، ١٤٠٣هـ.ق.
- الشهيد الثاني، زين‌الدين بن على، مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد، مكتبة بصيرتي، قم - ايران
- الصدوق، ابو جعفر محمد، معاني الاخبار، دار المعرفة بيروت- لبنان، بلاط، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- الصغير، جلال الدين، الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، دارالاعراف- بيروت، الطبعة الثانية،١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- الصفار، ابو جعفر محمد، بصائر الدرجات، دار الاعلمي- بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- الطبرسي، ابي منصور، الإحتجاج، دار المرتضى- بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- الطريحي، احمد الحسيني، مجمع البحرين، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- الطوسي، نصير الدين، الأخلاق النصيرية في تعريب الأخلاق الناصرية، تبليغات حوزة علمية قم- اصفهان، الطبعة الاولى، ١٣٩٧هـ.ش.
- العسقلاني، شهاب الدين، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الرسالة العالمية- دمشق، الطبعة الاولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
- العلوي، عادل، فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ الوجود، محاضرات إسلامية حررها وعلق عليها علي الفتلاوي.
- الفيض كاشانى، محمد بن شاه مرتضى، الحقائق في محاسن الأخلاق، دار الكتاب الإسلامي، قم - ايران، ١٤٢٣ هـ.ق.
- الفيومي، احمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، منشورات دار الرضي، قم- ايران، الطبعة الأولى.
- القطب الراوندي، سعيد بن هبه‌الله، مكارم أخلاق النبي والأئمة عليهم السلام، العتبة العباسية المقدسة. مكتبة ودار مخطوطات، كربلاى معلى - عراق، ١٤٣٠ هـ.ق.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، دار إحياء التراث، لبنان- بيروت، ١٤١٢هـ.
- المدرسي، محمد تقي، فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة الصديقين، دار البصائر- النجف الاشرف،

الطبعة الرابعة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٥م.
- المرتضى الزبيدى، محمد بن محمد، إتحاف السّادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٦ هـ.ق.
- المسعودي، محمد فاضل، الاسرار الفاطمية، مطبعة أمير- قم، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- مطهري، مرتضى، رؤى جديدة في الفكر الإسلامي، ت: عبد الكريم الزهيري، دار الكتب الإسلامي، الطبعة الاولى، ٢٠١٠م.
- مكارم الشيرازي، ناصر، الأخلاق في القرآن، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم - ايران، ١٣٨٦ هـ.ش.
- الهندي، المتقي، كنز العمال، تحقيق: بدري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان،١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- اسماعيلى يزدى، عباس، ينابيع الحكمة، مسجد مقدس جمكران، قم - ايران، ١٤٢٨ هـ.ق
- الآملي، حسن زادة، الإنسان في عرف العرفان، ترجمة محمد الربيعي البغدادي، روح وريحان- قم، الطبعة الاولى، ١٤٤٣هـ- ٢٠١٣م.
- انصاريان، حسين، الأسرة ونظامها في الإسلام، صفحه: ٣٥١، انصاريان، قم - ايران، ١٣٨٣هـ.ش.
- الجوادي الآملي، عبد الله، المرأة في مرآة الجلال والجمال، دار الاسراء- قم المقدسة، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ. ش- ١٤٣٨هـ.ق.
- الحسينى الفيروز آبادى، مرتضى، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام، المعاونية الثقافية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢ هـ.ق.
- الخامنائي، علي، رهبر جمهوري إسلامي ايران، دروس تربوية من السيرة النبوية، صفحه: ٨٥، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٩ هـ.ق.
- الخراساني، محمد واعظ و- مجموعة مؤلفين، المعجم في فقه القرآن وسر بلاغته، مجمع البحوث الإسلامية- مشهد، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ق- ١٣٨٥ش.
- الرحماني الهمداني، احمد، فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله، مكتبة مدرسة الفقاهه، بلاط، بلاتا.
- سرفاغامات، حسين، سيدة الماء والشمس المشرقة: تصميم جديد في ببليوغرافيا حضرة

الزهراء عليها السلام.

- فتال نيشابورى، محمد بن احمد، روضة الواعظين، دليل ما قم – ايران، ١٣٨١ هـ.ش.
- القائمي، علي، الأسرة وقضايا الزواج، مكتبة مدرسة فقاهت.
- مظاهرى، حسين، اليوم الآخر، مؤسسة الثقلين الثقافية، بيروت – لبنان، ١٤١٩ هـ.ق.
- مقدم، نيا، آداب معاشرت، مدرسة فقهات.
- ملكاف، علاء الدين، نظرية إنسان كامل ازدايدكاه عرفان وفلسفة، مركز بين المللي، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية– قم، ١٣٩٦ش– ١٤٣٨ق.
- يد الله، يزدان بناه، العرفان النظري مبادئه واصوله، عطاء انزلي، ترجمة: علي عباس الموسوي، مؤسسة اموزشي بزوهشي امام خميني، بيروت، الطبعة الاولى، ٢١٠٤م.

ايثار السيدة الزهراء عليها السلام ومنطلقات الأفعال بين النفس والعقل

الآيات (٨- ١٠) من سورة الإنسان انموذجا

الباحثة: بان محمد عربي

الملخص

يتناول البحث حادثة حدثت في بيت علي وفاطمة عليهما السلام وكانت السيدة فاطمة عليها السلام هي المحور فيها. حادثة عظيمة وافعال عظيمة صادرة من قبل أهل بيت النبوة عليهم السلام بمنطلقات ودوافع أدت إلى نزول ايات مباركه في كتاب الله العزيز تتحدث عن هذه الحادثة ومقام هذه الأفعال والنوايا المضمرة في صدورهم. ان هذه الأهمية البالغة التي يشير اليها رب العزة في كتابه الكريم اوجبت علينا ان نقف عندها لنجد الرسالة الكامنة فيها والمنطلقات التي يجب اتباعها في جميع الأفعال التي نتعرض لها.

ان هذه الحادثة والأفعال نالت قيمة عليا وانزل الله تعالى لنا فيها ايات مباركة ترسم لنا منهجا كاملا للارتقاء بالأفعال التي تصدر عنا لتكون وفق طريقة تحقق اقتداءً بالمنهج القرآني المترجم بأفعال أهل بيت النبوة عليهم السلام.

تم استخلاص المنهج الفكري عن طريق تفسير الآيات المباركة على المناهج التفسيرية المعتبرة، هذا من جهة، وعن طريق تطبيق القواعد الفطرية للأفعال وفق ما وجدناه في مؤلفات السيد محمد باقر السيستاني من جهة اخرى، مع الاستعانة بنظريات فلسفة الأخلاق الإسلامية.

بذلك توصلنا إلى نتيجة البحث وهي بيان مقام الفعل الايثاري الصادر عن أهل بيت النبوة عليهم السلام، وإيجاد منطلقات الأفعال في الآيات المباركة النازلة بهذه الحادثة، لاتخاذها منهجاً عمليا يمكن الاقتداء به في جميع الأفعال التي تصدر عنا.

الكلمات المفتاحية: الايثار- السيدة الزهراء - منطلقات الافعال - منهج - الاقتداء

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا۞ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا۞ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[1].

اتفق المفسرون على إن هذه الآيات نزلت في حق علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وسوف نعرج على الرواية التي ذكرها السيد محمد كاظم القزويني نقلا عن الزمخشري في تفسير الكشاف:[2]

«عن ابن عباس: إن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة عليها السلام وفضة جارية لهم إن برئا (الحسن والحسين) مما بهما أن يصوموا ثلاثة ايام. فشفيا وما معهم شيء (طعام) فاستقرض على من شمعون اليهودي ثلاثة أصواع من شعير، فطحنت فاطمة (سلام الله عليها) صاعاً وخبزت خمسة أقراص على عددهم ووضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد! مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة. فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء، وأصبحوا صياما، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا نفس ذلك فلما أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن والحسين كلمهما عليها السلام وأقبلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: **ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم**. وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة عليها السلام في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءَه ذلك، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: **خذها يا محمد، هنأك الله في أهل بيتك**. فأقرأه السورة».

اما في تفسير القمي ذكرت الرواية الحادثة بطريقة اخرى: «حدثني أبي عن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عند فاطمة عليها السلام شعير فجعلوه عصيدة، فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال المسكين: رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله، فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثها، ولم يلبث أن جاء

(١) سورة الإنسان: الآية ٧- ١١.

(٢) القزويني، محمد كاظم، فاطمة من المهد الى اللحد، ص٢٠٢- ٢٠٣، دار الغدير١٣٩٦هـ.

يتيم فقال اليتيم رحمكم الله، فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثها، ثم جاء أسير فقال: الأسير رحمكم الله، فأعطاه علي عليه السلام الثلث الباقي، وما ذاقوها، فأنزل الله فيهم هذه الآية إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ وهي جارية في كل مؤمن فعل مثل ذلك».[1]

هذه الحادثة في بيت علي وفاطمة عليهما السلام وما تحمل من قيم كامنة في الأفعال الصادرة عنهم، وما أنزل الله فيها آيات مباركات تدعونا للتدبر واستخراج الرسائل والمنهج الذي انطلقت منه هذه الأفعال لترتقي من مجرد أفعال إلى مقامات أخلاقية عليا وصلت ان اظهر الله لنا باطن الأفعال ودوافعها كتذكرة لمن يريد ان يتخذ منهجا في السير إلى الله تعالى، ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ٢٤٣.

المبحث الأول: منهجية البحث

يتناول البحث حادثة حدثت في بيت علي وفاطمة عليهما السلام وكانت السيدة فاطمة عليها السلام هي المحور فيها. حادثة عظيمة وافعال عظيمة صادرة من قبل أهل بيت النبوة عليهم السلام بمنطلقات ودوافع أدت إلى نزول آيات مباركه في كتاب الله العزيز تتحدث عن هذه الحادثة ومقام هذه الأفعال والنوايا المضمرة في صدورهم. وسنتناول في هذا المبحث عناصر مقدمة البحث وكما يأتي:

أولاً: مشكلة البحث

بيان مفهومي الايثار ومنطلقات الأفعال وتطبيقاتها في سورة الإنسان

ثانياً: أهداف البحث

يهدف البحث إلى ما يأتي:

١. إثراء المكتبة الإسلامية برؤية جديدة تتجاوز السرد التقليدي للحادثة التي نزلت فيها الآيات الكريمة من سورة الإنسان، مما يفتح آفاقاً معرفية عميقة أمام الدارسين والباحثين.

٢. استنباط منهج أخلاقي يستند إلى مرتكزات الفعل الإنساني، يرتقي بالإنسان إلى مقامات أخلاقية سامية، تجعل منه قدوة يُحتذى به ونموذجاً يُقتدى به

ثالثاً: فرضية البحث

هناك علاقة تكاملية بين ترجيح المنطلقات العقلية للأفعال على المنطلقات النفسية والوصول إلى القيمة الايثارية للأفعال في ضوء الآيات المباركات (٨- ١٠) من سورة الإنسان.

رابعاً: أهمية البحث

ايجاد منطلقات الأفعال في الآيات المباركة النازلة بالحادثة التي حدثت في بيت علي وفاطمة عليهما السلام، لاتخاذها منهجاً عمليا يحذى به في جميع الأفعال التي تصدر عن الإنسان.

خامساً: حدود البحث

الآيات (٨- ١٠) من سورة الإنسان في القرآن الكريم

سادسا: منهج البحث

من الناحية الفكرية تم استخدام المنهج الاستنطاقي

سابعا: أدوات البحث

القرآن الكريم والحديث الشريف

ثامنا: هيكلية البحث وتقسيماته

المبحث الأول: يتناول منهجية البحث

المبحث الثاني: يتناول مفهوم الايثار

المبحث الثالث: يتناول منطلقات الأفعال الأخلاقية بين العقل والنفس

المبحث الرابع: يتناول ايثار السيدة الزهراء عليها السلام ومنطلقات الأفعال في ضوء الآيات المباركات (٨- ١٠) من سورة الإنسان.

المبحث الثاني: مفهوم الايثار

الإيثار في اللغة: هو تفضيل المرء غيرَه على نفسِه.[١]

الإيثار اصطلاحاً

في اصطلاح علم الأخلاق: الإيثار أرفع درجات الجود والسخاء وهو أن يجود بالشيء مع الحاجة إليه.[٢]

قال الله سبحانه في معرض الثناء على أهل الإيثار: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾.[٣]

في اصطلاح علم النفس:

هنالك عدة تعاريف للإيثار عند علماء النفس وفق ثلاثة مفاهيم رئيسية:

١. وفقا للنوايا والدوافع: عرفه EISENBERG &MILLER 1987 بأنه نوع من السلوك الاجتماعي الايجابي – كما في السلوك التطوعي- يكون بقصد النفع للآخر دون توقع الحصول على اية منفعة خارجية أو تجنب لمكاره أو عواقب خارجية متوقعة[٤].

٢. وفقا لمفهوم الكلفة والمنفعة عرفه Fehr & Fischbacher 2003 بأنه أفعال مكلفة تعود بالمنفعة للآخرين.[٥]

٣. وفقا للسياق المجتمعي عرفه bykov2017 بأنه معيار أخلاقي يقتضي توقعات اجتماعية معينة لمساعدة الآخرين في سياقات اجتماعية مختلفة.[٦]

---

(١) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط، باب الهمزة.

(٢) النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: ج١ ص٤٥٣،انتشارات اسماعيليان، ١٤٢٥هـ.

(٣) سورة الحشر٥٩: الآية ٩.

(4) Eisenberg، Nancy، the relation of empathy to prosocial and related behaviors، 1987.

(5) Fehr، Urs، The nature of human altruism، 2003..

(6) Bykov، Andrey، Altruism: New perspectives of research on a classical theme in sociology of morality، 2017..

الايثار وفلسفة الأخلاق:[1]

ان لكل فعل من افعال الإنسان منطلق ومحرك وهدف ولكل منطلق دافعية داخلية قد تكون عاطفية أو عقلية وعلى هذا الاساس نجد نظريتين اساسيتين في تفسير منطلقات الافعال الأخلاقية للإنسان وهي:

نظرية العاطفة:

هي إحدى أقدم النظريات الموجهة للسلوك الأخلاقي مفادها ان مناط أخلاقية المواقف والأفعال هو العواطف الإنسانية وعلى اساسها تقسم الأفعال البشرية إلى قسمين:

أولاً، الأفعال العادية: المبدأ فيها هو أنانية الإنسان وميله الطبيعي والهدف منها هو جلب المنفعة له واللذة، ومثل هذه الافعال – منشأً وهدفاً – هي افعال طبيعية لا صلة لها بالأخلاق ولا تندرج ضمن الافعال الأخلاقية، وذلك كأغلب الأفعال الصادرة عن الإنسان.

ثانياً، الأفعال الأخلاقية التي يكون فيها المبدأ هو العاطفة التي هي فوق الميول الفردية وأعلى منها. وصاحب العاطفة لا يحب ذاته فقط، بل يحمل في قبله هم مصير الآخرين، ويهتم بهم تماماً كما يهتمون بهمومهم ومصائرهم. فإذا نال الآخرون نفعاً، ابتهجت نفسه لهم أيضاً، كما لو أنه هو نفسه الذي نال النفع.

وان العاطفة تسمو احياناً عند بعض الاشخاص لتصل إلى أعلى مراتبها وتبلغ مرتبة الايثار، فتكون سعادة وسرور الإنسان مرتبطة بإيصال الخير للآخرين.

إن هذه النظرية – بصورة مجملة وإلى حد ما– تعد مشتركة بين الأديان، وأغلب المدارس الفلسفية تلتزم بمبدأ «المحبة»، فلا يوجد دين لم يوص بالمحبة خيراً. وفي الأحاديث الشريفة ما يؤكد هذا، نحو: **«فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا»**

لكن أن بعض المذاهب الفلسفية أو الأديان ترتكز على كون «المحبة» تُشكل اكثر من غيرها، في حين أن البعض الآخر، يعد «المحبة» عنصراً من عناصر الأخلاق، وان هناك عناصر مهمة أخرى تشترك مع المحبة في تركيبة الأخلاق.

(١) مطهري، الشيخ مرتضى، فلسفة الأخلاق: ص ٣٣، دار المعارف الإسلامية الثقافية، ٢٠٢٣.

نظرية الفلاسفة المسلمين:

في هذه النظرية يكون العقل هو المحرك للفعل الأخلاقي، لكن هذا العقل هو العقل الأمير، لا الأسير، فالإنسان عند الفلاسفة المسلمين، هو القوة العاقلة المدركة، جوهره عقله، وسعادته هي سعادة العقل، وسعادة العقل تتحقق بالمعارف والحقائق الإلهية.

فالعقل هو الذي يعطي كل قوة حقها، بلا إفراط ولا تفريط؛ لئلا يفقد العقل حريته ويقع أسيراً بيد الغرائز الطبيعية، من غضب وشهوة وغيرهما. فإذا وازن العقل بين هذه القوى، ضمن صاحبها عدم تعديها، وعدم مضايقة البدن للروح، وهذا يرجع إلى ما ينفرد به الإنسان من إرادة؛ إذ إنه كلما وجد العقل، وجدت الإرادة، وعدم وجود العقل يعني عدم الإرادة.

فنستنتج ان العقل هو الذي يحدد تقديم منفعة الغير على المنفعة الذاتية في العاجل وهو المبدأ للفعل الأخلاقي لنيل منفعة آجلة أو وقاية خطر آجل وهذا منطلق الايثار في نظرية الفلاسفة المسلمين.

اقسام الايثار:[1]

١. الإيثار الجيني: فيه يكون الإنسان أكثر ميلاً لمساعدة الآخرين الذين تربطه بهم صلة قرابة كأفراد عائلته.

٢. الايثار لمجموعة خاصة: يكون فيه الإنسان أكثر ميلا لمساعدة المجموعة التي ينتمي اليها كما في الاعمال التطوعية الدينية.

٣. الايثار المتبادل: يعطي فيه الإنسان المساعدة بناءً على توقعاته برد المساعدة عند احتياجه اليها في المستقبل.

٤. الايثار النقي أو الأخلاقي: يبذل فيه الإنسان المساعدة للآخرين دون توقع اي منفعة أو دون الخوف من اي ضرر مستقبلاً.

شروط الإيثار:

مما تقدم يتضح أنه ليس كل عطاء وكل مساعدة يندرج تحت مفهوم الإيثار بما هو خُلُق رفيع. وحيث ان الايثار يعتبر أعلى درجات الجود والسخاء، توجد شروط اساسية مشتركة للجود والسخاء

(1) Williams، Tristan، altruism: definition، theory and examples.

والايثار وهي:[1]

١. معرفة ما يجب أو ينبغي ان يُنفق بحسب الشرع والمروة والعادة.

٢. معرفة ما يستحب صرفه وان كان غير واجباً كالصدقات للفقراء والمساكين والمحتاجين. فاذا كان له مالا كثيرا وأدى ما عليه من واجب شرعاً ومروةً وعادةً، لكنه لا يبذل ما يُستحب انفاقه من صدقات مستحبة ليكون له عدةً لأيام زمانه، فهو بخيل عند أهل الفطنة وان كان سخيا عند العوام.

٣. ان يكون الاداء بذلا وهو ان يعطي بطيب نفس ولا يشق عليه ذلك، فإذا كان العطاء بتكلف فهو ليس بذلا بل قد يكون بخيلا بالطبع ومتسخيا بالتكلف.

٤. ان لا يكون بذله لأجل غرض دنيوي من خدمة أو مدح أو ثناء. إذ من يبذل المال لغرض المدح والثناء أو غيره فليس بجواد، فهو يشتري المدح بماله، لأن المدح ألذ عنده من ماله.

وعند ملاحظة ان الايثار هو ارفع درجات الجود والسخاء يتضح لنا ان هناك شرطان أساسيان للإيثار تضاف على شروط الجود والسخاء فتجعل الفعل يرتفع إلى مقام الإيثار وهي:

١. البذل مع الاحتياج للمبذول. اي ان يكون محتاجاً لما يبذله.[2]

٢. بذل الكل من الكل: نقول هنا ان هذا الشرط أساسي وهو يتفرع من الشرط الاول، فعند الاحتياج لشيء ما – على المستوى المادي أو المعنوي– فبذله يعني اعطاؤه كاملا برضا تام وليس اعطاء جزء منه ان كان قابلاً للتجزئة. وهذا الشرط نراه اساسي ويختلف عن مفهوم البر والانفاق كما سيأتي.

الايثار في القرآن الكريم والروايات:

ذُكر الايثار في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[3].

وفي نزول هذه الآية روي عن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ يوم بني النضير للأنصار: **ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم وديارکم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم**

(١) النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: ج١ ص٤٥٣،انتشارات اسماعيليان، ١٤٢٥هـ.
(٢) النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: ج١ ص٤٥٣،انتشارات اسماعيليان، ١٤٢٥هـ.
(٣) سورة الحشر: الآية ٩.

دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة. فقال الأنصار: بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها».[1]

فيذكر العلامة الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿**يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ**﴾ انها نزت في الأنصار، حيث انهم يحبون المهاجرين إليهم من دار الكفر إلى دار الايمان والمسلمين. واما قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا**﴾ فان ضمير ﴿**يَجِدُونَ**﴾ و﴿**صُدُورِهِمْ**﴾ يعود إلى الأنصار و﴿**أُوتُوا**﴾ ضميرها يعود إلى المهاجرين. أي انهم لا يخطر ببالهم شيء مما اعطيه المهاجرين دون الأنصار فلا تضيق نفوسهم من تقسيم الفيء دونهم ولا يحسدون. والحاجة هنا يراد بها ما يؤدي إليه الحاجة وهو الغيظ.[2]

واما قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾، يذكر العلامة الطباطبائي: «إيثار الشيء اختياره وتقديمه على غيره، والخصاصة الفقر والحاجة، قال الراغب: خصاص البيت فرجه وعبر عن الفقر الذي لم يسد بالخصاصة كما عبر عنه بالخلة».

اما في تفسير الأمثل يستخرج الشيخ مكارم الشيرازي ثلاث صفات مهمة من الآيات المباركة أوصلت الأنصار إلى مقام الايثار:[3]

١. ﴿**يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ**﴾: أي لا فرق عندهم بين المسلمين والمهم هو قضية الايمان والهجرة وهذا الحب صفة وخصيصة دائمة مستمرة لهم. حيث ان فعل الجملة جاء بصيغة المضارع.

٢. ﴿**وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا**﴾: أي انهم لا غيظ في نفوسهم ولا يطمعون بالغنائم التي قسمت للمهاجرين، وهذا يبين لنا السمو الروحي للأنصار.

٣. ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾: وهذا الايثار يمثل المرحلة العليا من السمو والرفعة للأفعال.

الفرق بين البر والايثار:

عند مقارنة آية الايثار التي جرى ذكرها مع آية البر: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[4]،

(١) الطباطبائي، العلامة محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٩، ص ٢٤١.
(٢) الطباطبائي، العلامة محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٩، ص ٢٣٧.
(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، مختصر تفسير الأمثل: ج٥ ص ١٣٦- ١٣٧.
(٤) سورة ال عمران: الآية ٩٢.

نجد الفرق بين مقام الايثار ومقام البر يتلخص بما يلي:

١. ان الانفاق الذي يوصل إلى مقام البر هو إنفاق بشرط الحب للشيء الذي يتم انفاقه.

٢. يكون الانفاق هنا إنفاق جزء من كل بدليل ﴿**مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ من التبعيضية المذكورة في الآية المباركة.

اما مقام الايثار فهو إنفاق الكل من الكل مع الحاجة التي تؤدي إلى حب الشيء بالضرورة.

يذكر العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية ان البر هو السعة والتوسع في فعل الخير وهو اعم مما يكون اعتقادا وعملا قلبيا فحسب ولا يقتصر على فعل الجوارح كالعبادة والانفاق فقط بل يكون شاملا للجانبين بدليل قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ**﴾[١].

وعند مقارنة الآيتين نجد ان شرط البر في حب الشيء الذي ينفق منه.[٢] وبذلك يتبين لنا ان المصداق الأكبر لهذا الانفاق هو المال بدليل قوله تعالى: ﴿**وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا**﴾[٣].

فضل الايثار في حديث أهل البيت عليهم السلام:

نذكر بعض الأحاديث في فضل الايثار وبيان مقامه في الأفعال الأخلاقية:

عن أمير المؤمنين عليه السلام:[٤]

«الايثار أعلى المكارم»، «الايثار شيمة الابرار»، «من أحسن الاحسان الايثار»، «لا تكمل المكارم الا بالعفاف والايثار»، «غاية المكارم الايثار»، «بالإيثار يستحق اسم الكرم»، «أفضل السخاء الايثار».

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢) الطباطبائي، العلامة محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٤ ص ٣٤٤.

(٣) سورة الفجر: الآية ٢٠.

(٤) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج١ ص١٧.

المبحث الثالث: منطلقات الافعال الأخلاقية بين العقل والنفس

القيمة الخلقية للفعل:

إن الفرق بين الفعل الإنساني والفعل الحيواني والذي يجعل للفعل الإنساني قيمة خلقية هو العقل. فالفعل الصادر عن الغرائز ليس له أي قيمة أخلاقية ولهذا لا يتمتع الفعل الحيواني بأي قيمة أخلاقية. أما أفعال الملائكة فهي صادرة عن العقل وحده فهي ليست ذات قيمة أخلاقية كما في افعال الإنسان لأن أفعال الملائكة صادرة دون ترجيح بين ما يقتضيه العقل والغرائز.

ان ما يجعل فعل الإنسان ذا قيمة أخلاقية كونه يصدر من كائن يمتلك دوافع نفسية غرائزية متدافعة فعند اختياره للفعل بترجيح الجانب الذي يفتي به العقل على الجانب الذي ترغب به النفس وغرائزها. فهو بذلك يدفع رغباته الغرائزية ثمنا يشتري به الفضيلة ولهذا يكون فعله ذا قيمة أخلاقية.[1]

القواعد الفطرية للفعل الإنساني:

إنَّ الاساس لجميع تصرفات الإنسان المعقولة يمكن تلخيصه بقاعدتين فطريتين أساسيتين هما:

١ – قاعدة أتباع الحكمة: هي موازنة النفع والضرر في الافعال والتروك فلا يقدم الإنسان الحصول على لذة على آنية عاجلة على وشقاء ومعاناة طويلة آجلة. ويتم تحصيل ذلك بقوة العقل والتفكير بالعواقب المستقبلية للفعل الصادر عنه.

إن تقديم الاهم على المهم والمهم على غير المهم من البديهيات العقلية ولايزال الناس ينصح بعضهم بعضاً بتأمل عواقب افعالهم والنهي عن العاجل الذي لا يؤمن آجله. والنصح هنا يكون تذكيراً وليس تعليماً.

ويمكن تلخيص هذه القاعدة بما يلي: الاعتبار بالغائب حتى كأنه حاضر والاعتبار بالمستقبل حتى كأنه حال.[2]

---

(١) اليزدي، محمد تقي مصباح، كلمة حول فلسفة الأخلاق، انتشارات در راه حق، ص ٢٠.

(٢) السيستاني، محمد باقر، ضرورة المعرفة الدينية، ص١٣.

فنجد ان المنطلق للأفعال مبني على تقديم اليوم الآخر الآجل على هذه الدنيا العاجلة وله متطلبات عقائدية ترتبط بمفهوم المعاد ومراتب الكمال.

٢- قاعدة الانقياد للفضيلة: وهي ما يقتضيه الضمير الإنساني عن طريق الهدي المودع في باطن الإنسان.[١]

وتقتضي هذة القاعدة تقديم الافعال ذات القيم الأخلاقية وإن أدت إلى الشقاء والعناء العاجل وبذلك فإن القيم الأخلاقية الايجابية (الافعال) والسلبية (التروك) هي من أصول قواعد السلوك الإنساني.[٢]

تأثيرزاوية رؤية الإنسان على الفعل الأخلاقي:

إن الافعال الإنسانية (الايجابية والسلبية) تقع في إحدى الأحتمالات قاعدتي اتباع الحكمة (العقل الحكمي، وقاعدة الانقياد إلى الفضيلة (العقل القيمي):

١- اتفاق العقل الحكمي والعقل القيمي في الحُكم على الفعل الأخلاقي

كما في كون الفعل يؤدي إلى ضرر محتمل للشخص نفسه وضرر مؤكد على الآخرين فهنا يكون تركه للفعل منطِقاً من احتمالين اما من العقل الحكمي لدفع الضرر المحتمل على نفسه أو يكون الترك منطلقا من العقل القيمي لإجتناب إحداث ضرر على الآخرين.

٢- اختلاف العقل الحكمي والعقل القيمي في الحكم على الفعل الأخلاقيوهو يتحقق في موردين:

المورد الأول: ان يكون للعقل الحكمي رأى محايد في الحكم على الفعل حيث يتساوى من حيث النفع والضرر بينما يكون للعقل القيمي رأي يقتضي الفعل رعايةً للقيمة الأخلاقية.

المورد الثاني: وهو مورد بحثنا، حيث يكون رأي العقل الحكمي ان الفعل يؤدي إلى عناء ومشقة عاجلة وتضحية فلا يقتضي بذلك الفعل لكن العقل القيمي يقتضي ترجيح القيمة الأخلاقية وان كانت تؤدي إلى ضرر عاجل رغبةً بالمنفعة الآجلة.[٣]

حيث إن العقل القيمي هو القوة المتضمنة لهدي الإنساني في الحياة، وهو المشخص لحسن الفعل

(١) السيستاني، محمد باقر، ضرورة المعرفة الدينية، ص١٤.
(٢) المصدر السابق نفسه: ص١٤.
(٣) المصدر السابق نفسه: ص١٥- ١٦.

وقبحه.

والعقل الحكمي يدعو إلى المنفعة وتجنب الضرر ضمن حدود العقل القيمي. أما رعاية النفع والضرر خارج حدود العقل القيمي فهو غريزة نابعة من النفس ولسيت تعقلا من الاساس.

تأثير أفق الرؤية على ترجيح الافعال:

كلما انحصرت رؤية الفرد على الحياة الدنيوية يرى ان في الفعل الأخلاقي تقديم للعقل القيمي على العقل الحكمي، حيث أنه يجيز بهذه الرؤية عدم تحقق المنفعة أو تحقق الضرر أو العناءٌ عند ترجيح الفعلالأخلاقي.أما إذا ما وسع الإنسان افق رؤيته إلى آثار الأعمال بعد هذه الحياة الدنيا – وفق مفهوم المعاد– فإن ترجيح حكم العقل القيمي هو الأكثر نفعًا والادفع ضرراً لفاعل الفعل الأخلاقي في جميع الأحوال لأنه إذا فقد نفعاً دنيوياً في هذه الحياة الدنيا الفانية أو وقع في ضرر عند ترحب عند ترجيح الفعل الأخلاقي فإنه يوجب له نفعاً مضاعفاً وباقياً ويدفع عنه شقاءً دائمًا في الحياة الاخرى الباقية.

وبذلك فإن العقل الحكمي يرجح الفعل من منظور أوسع وبالتالي فإن العقل الحكمي والعقل القيمي يتفقان بالحكم إذا كانت الرؤية دينية صحيحة.

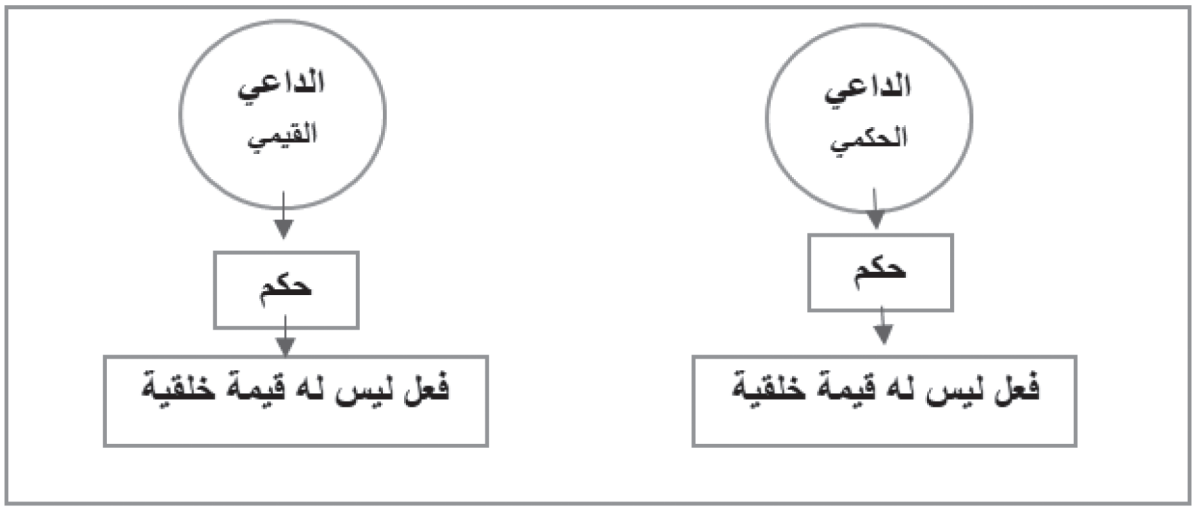

شكل رقم (1): العقل الحكمي والعقل القيمي دون الاعتقاد بالمعاد

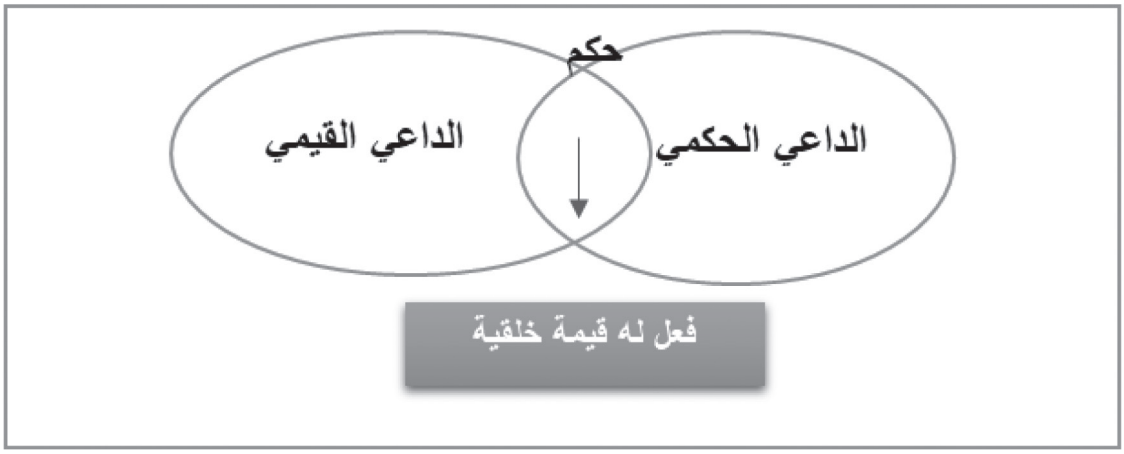

شكل رقم (2): العقل الحكمي والعقل القيمي مع الاعتقاد بالمعاد

دور النية في القيمة الخلقية:[1]

عند تقسيم الافعال الإرادية إلى أفعال غريزية وافعال غير غريزية، تندرج الافعال الغريزية – كما أشرنا سابقاً– ضمن الأفعال الصادرة عن النفس لا العقل وهي لا تتمتع بأي قيمة خلقية حتى لو ان كانت إرادية كما في افعال الأطفال.

أما الافعال غير الغريزية فهي أفعال إرادية ناشئة من ترجيح رغبة معينة على عدة رغبات أخرى متدافعةفي نفس الفاعل. فلا يكفي حكم العقل الإنبعاث الرغبة وتحقق الإرادة بل إن صدور الفعل لابد أن يكون مسبوقاً بانبثاق ميل كامن في نفس الفاعل فيكون باعثاً للرغبة وبالتالي للإرادة.

وهذا الميل الكامن في نفس الفاعل يصطلح عليه الميل الفطري. والرغبة المؤثرة في الفعل وحصول الارادة تسمى الداعي ويمكن تلخيص العلاقة بين النية والعمل الخُلُقي بالتالي:

ان كل فعل يكون مسبوق بِإرادة حرة للجانب الذي يفتي به العقل وهذه الارادة مسبوقة برغبة نابعة من ميل فطري منبعث في النفس وتشكل هذه الرغبة داعياً مرجحا لجانب خاص من الفعل وبالتالي فان هذا الداعي المشعور به الذي يكون مؤثراً في الفعل يصطلح عليه النية والذي بدوره قد يكون مؤدياً إلى كمال فيكون داعياً ايجابيا والفعل بالنتيجة ذو قيمة خلقية وقد يكون الداعي غير مؤدي إلى كمال فيكون الفعل ليست له قيمة خلقية. كما في الشكل رقم (٣).

(١) اليزدي، محمد تقي مصباح، كلمة حول فلسفة الأخلاق، انتشارات در راه حق، ص٢٦.

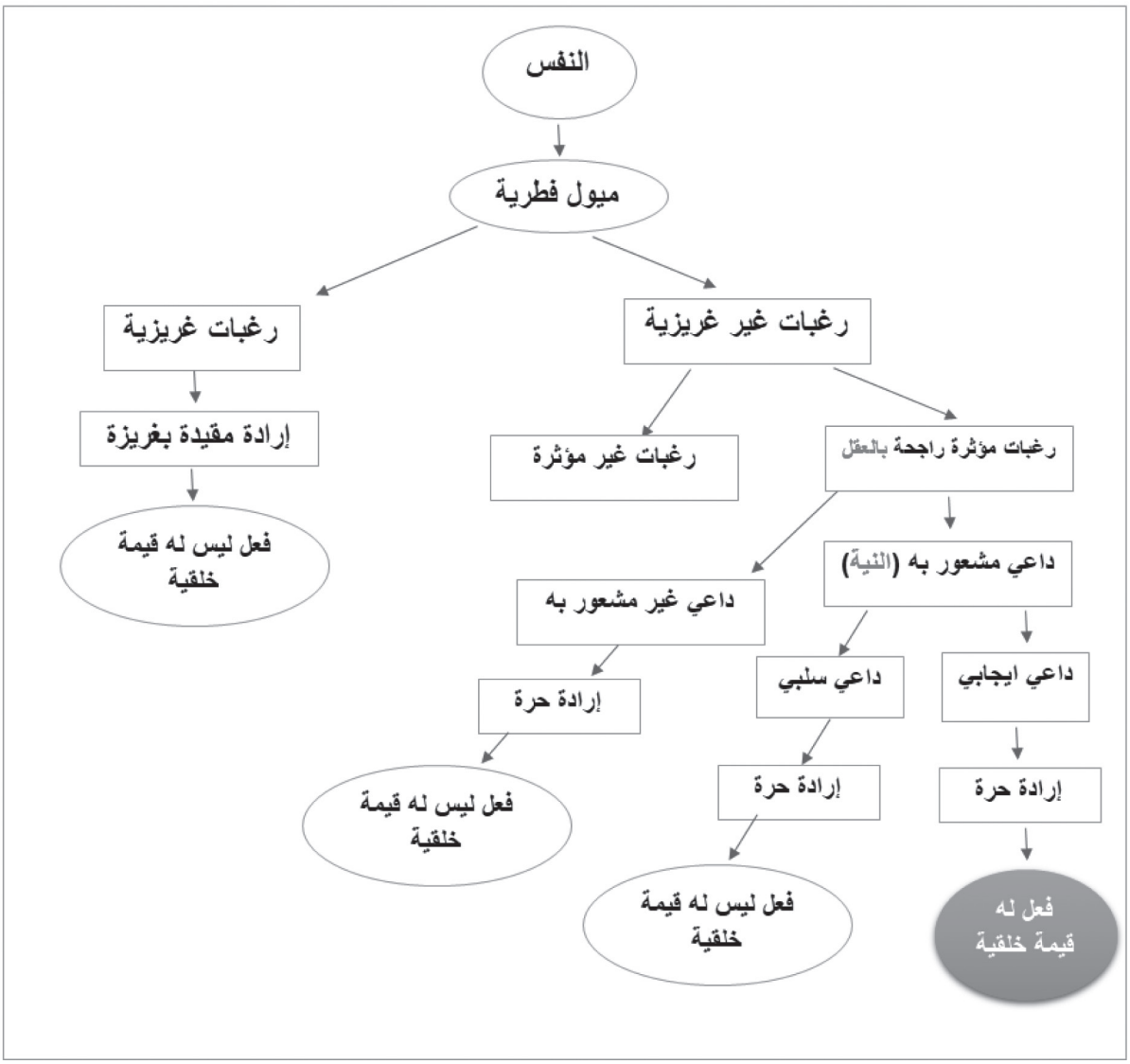

شكل رقم (٣): منطلقات الأفعال بين النفس والعقل

تشخيص النية :[1]

هنالك مشخصات للنية التي ينبغي ان ينويها الأنسان عند الإقدام على الفعل ليكون فعلا أخلاقيا ومشخصات للرغبة التي يجب ترجيها يجب ترجيحها حتى يكتسب الفعل قيمة خلقية.

تعد النية بمنزلة الروح للفعل وهي التي تكسبه قيمة أخلاقية إذا كانت متعلقة بكمال. فأي فعل صالح يصدر من الإنسان تكون له قيمة أخلاقية إذا كان مرتبطاً بنية متعلقة بكمال يؤدي إلى القرب والزلفى عند الله تعالى. أما مصادر المعرفة التي وفقها يتم تشخيص الرغبات وترجيحها ليكون الفعل ذو داعي ايجابي فأنها منوطة بثلاثة مشخصات وهي: الهدي المودع في الإنسان والعقل والوحي.

فأحياناً يكون تشخيص الرغبة من البديهيات الإنسانية المودعة في باطن الإنسان. وفي أحيان أخرى يكون تشخيصها من البديهيات العقلية أو مما يمكن للعقل ان يشخصه عن طريق تزويده بالمعرفة والتزود بالعلوم النافعة. وفي بعض الحالات يعجز الإنسان عن تشخيص الرغبة الواجب ترجيحها ويحتاج بذلك إلى الوحي لهدايته متمثلا بتعليمات الرسل والانبياء والاولياء والكتب السماوية.

فقيمة الافعال الأخلاقية الإختيارية للجوارح والجوانح تشخص بما تتعلق به النية المتقدمة من درجات القرب لله تعالى. فمن الشروط التي يجب توفرها ليتم تشخيص الفعل الأخلاقي:

١. ان يكون الفاعل ذو إرادة حرة بإختياره للقيام بالفعل.

٢. ان يكون الفعل صالحاً.

٣. ان يكون نابعاً عن رغبات متدافعة في نفس الفاعل ويرجح إحداها.

٤. أن يكون الداعي (النية) إلى الفعل ايجابيا (يؤدي إلى كمال).

٥. أن يكون الفاعل ملتفتاً إلى الداعي الباعث لفعله.

٦. ان يكون أساس الترجيح مبني على اسس عقائدية كالاعتقاد بالمبدأ والمعاد والجزاء.

(١) اليزدي، محمد تقي مصباح، كلمة حول فلسفة الأخلاق، انتشارات در راه حق: ص ٣٠.

المبحث الرابع: ايثار السيدة الزهراء عليها السلام ومنطلقات الافعال

سورة الإنسان انموذجا

تمهيد:

سنتناول في هذا المحور آراء تفسيرية للآيات المباركة النازلة في الحادثة مع تطبيق ما ذكرناه في المحور الأول من شروط الايثار وفي المبحث الثاني من منطلقات الأفعال لكي نصل إلى رسالة هذه الحادثة العظيمة في بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

الآراء التفسيرية:

عند البدء في ذكر التفسير نقتصر على الآيات (٧- ١٢) التي هي مورد البحث، فقوله تعالى: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾ هنا يذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الامثل «جملة (يوفون) و(يخافون) والجمل التي تليها جاءت بصيغة الفعل المضارع وهذا يشير إلى استمرارية وديمومة منهجهم».[١]

«لم يكن مجرّد اطعام، بل اطعام مقرون بالإيثار العظيم عند الحاجة الماسّة للغذاء، ومن جهة أخرى فهو إطعام في دائرة واسعة حيث يشمل أصناف المحتاجين من المسكين واليتيم والأسير، ولهذا كانت رحمتهم عامّة وخدمتهم واسعة».[٢]

ويذكر العلامة الطباطبائي ان «ضمير ﴿**عَلَى حُبِّهِ**﴾ للطعام على ما هو الظاهر، والمراد بحبه توقان النفس إليه لشدة الحاجة».[٣] وبهذا اشارة إلى الاتفاق بين مقام البر والايثار.

ويذكر أيضاً «قيل: الضمير لله سبحانه أي يطعمون الطعام حبا لله لا طمعا في الثواب، ويدفعه أن

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، مختصر تفسير الأمثل: ج٥ ص ٣٣١.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) الطباطبائي، العلامة محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢٠، ص ١٣٨.

قوله تعالى حكاية منهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ يغني عنه».[1]

وبالتالي فان حب الشيء الذي ينفق لوجه الله تعالى يعطي الفعل ارتفاعاً إلى مقام البر ومع الحاجة فإنه يرتفع لمقام الايثار وهذا مورد بحثنا.

وأما القول إن الضمير في قوله تعالى ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ يعود لإطعام الطعام، فهنا مورد الضعف في ان إطعام الطعام نفسه ليس فيه فضيلة حتى يمدحوا به.[2]

أما قوله تعالى: ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ فالمراد بالمسكين واليتيم معروف، أما الأسير فالظاهر منه هو المأخوذ من الحرب. والقول إن الأسير هنا من أسارى بدر أو من أهل القبلة في الحرب بأيادي الكافرين أو المراد- بالأسير المملوك أو العبد وغيره من المعاني فإنه من غير دليل يعتد به.[3]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ هذه الخصلة تمثل الإخلاص والذي يتجلى في جميع أفعالهم ويتمحور في منهجهم حيث إن جميع الأفعال التي يقومون بها تكون خالصة لوجه الله ولا يريدون بها جزاءً من الناس ولا شكراً من مخلوقٍ وهذا ما يعطي الفعل قيمة خلقية، فالنية الخالصة لوجه الله تعالى هي التي ترفع الفعل إلى مقامات عُليا.[4]

والآية ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ هنا وجه الله تعالى يقصد به صفاته الفعلية التي يفيض بها الخير على خلقه من الخلق والتدبير والرزق وهو رحمته الواسعة التي يقوم بها كل شيء. وهم عليهم السلام لم يقولوا هذا بل أضمروه في أنفسهم فأخبرنا الله بإضمارهم هذا ونواياهم هذه.[5]

ويذكر الشيخ ناصر مكارم في تفسير الامثل «هذا المنهج والمنطلق ليس فقط منحصراً بفعلهم هذا – أي إطعام الطعام – بل هو منهجهم ومنطلهم في جميع الافعال وجميع ما يقومون به من عمل فهو خالصاً لوجه الله تعالى، حيث إن قيمة العمل تكمن في النية فإن كان بدوافع غير إلهية فليس له قيمة معنوية ولا يكون له ثمناً إلهياً».[6]

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الطباطبائي، العلامة محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢٠، ص ١٣٨

(٣) المصدر السابق نفسه: ص١٣٨ – ١٣٩

(٤) المصدر السابق نفسه: ص١٣٩

(٥) المصدر السابق نفسه: ص١٤٠

(٦) الشيرازي، ناصر مكارم، مختصر تفسير الأمثل: ج٥ ص ٣٣١

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾ هنا لم يكتفوا بنسبة الخوف إلى اليوم بل نسبوه نحواً من النسبة إلى ربهم ﴿**نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا**﴾ لأنهم لم يقصدوا بأعمالهم غير الله تعالى، لذلك فإن خوفهم لا يكون من غيره ورجاؤهم لا يكون من أحدٍ سواه عزَّ جَلَّ، فهم لا يخافون من يوم القيامة الا لأنه من ربهم ويكون الحساب فيه منه تعالى فيجزي عباده.(١)

وأما قوله تعالى قبل ذلك: ﴿**يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾ حيث نسب خوفهم إلى اليوم فإن الواصف هنا الله تعالى وقد نسب اليوم بجميع شدائده إليه تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا**﴾. الخوف هنا من اليوم يكون منسوبا إلى الله تعالى بما فيه من نسبته تعالى اليوم إلى نفسه.(٢)

والاية: ﴿**فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا**﴾ تشير إلى حفظهم ومنع الاذى عنهم في ذلك اليوم، واما معنى ﴿**وَلَقَّاهُمْ**﴾ فلقي الشيء أي استقبله به، والنضرة هي البهجة والسرور في المقابل السوء والحزن. فيكون المعنى: ان الله تعالى حفظهم ومنع عنهم شر اليوم الآجل الذي خافوه في العاجل. واستقبلهم بالنضرة والسرور. فهم ناضرين الوجوه يومئذ ويشير بذلك إلى قوله تعالى مو موضع اخر: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**﴾(٣)

مقام الايثار عند السيدة الزهراء عليها السلام في سورة الإنسان:

تنفق الرويات أن هذه الآيات نزلت بحق أهل بيت النبوة عليهم السلام وان الحادثة كانت في بيت علي وفاطمة عليها السلام مع اختلاف في تفاصيل الحادثة. وهنا عندما نبحث موضوع الإيثار نجد تحقق شروطه في الروايتين.

ففي الرواية الاولى يكون الصوم لمدة ثلاثة أيام يجيء المسكين ويطلب الطعام يعطوه عليهم السلام مع جاريتهم فضة (رضوان الله عليها) جميع الاقراص الخمسة ويبيتون جياعاً، وكذا الحال في اليوم الثاني والثالث مع اليتيم والأسير. وما يؤيد هذا هو وصول الحسن والحسين عليهما السلام إلى حالة الارتعاش الشديد وحالة السيدة الزهراء عليها السلام من الجوع الشديد ووصف التصاق بطنها بظهرها.

هذا البذل الذي يكون بجميع ما يملكون من من طعام هو البذل مع الحاجة، واعطاؤهم الأقراص

(١) الطباطبائي، العلامة محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢٠، ص ١٤٠.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) سورة القيامة: الآية ٢٢.

الخمسة هو بذل الكل من الكل، فعندها يتحقق شرطي الايثار مضافةً إلى الشروط المذكورة للجود والسخاء والتي ذكرناها في تفسير الآيات المباركة من حيث إن الإطعام كان بطيب نفس دون تكلف فهم يستطيعون إعطاء السائل قرصاً واحداً أو اكثر ويبقون ما يسد حاجتهم لكنهم آثروا وابتغوا الوصول لمقام الايثار وكانت نواياهم التي افصح الله تعالى عنها بقوله ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾ هي خالصة لوجه الله تعالى لا يخالطها طلب المدح والثناء ولا الشكر من المخلوق.

أما في الرواية الثانية التي تنقل أن الحادثة كانت في يومٍ واحد وعندما أعدت السيدة الزهراء عليها السلام العصيدة طُرق الباب من قبل المسكين فأعطوه ثلث الطعام ثم لليتيم اعطوا ثلثا آخراً وللأسير اعطوا الثلث الاخير. هنا كان بذله للمسكين واليتيم شاملاً لشروط الجود والسخاء وكذلك شاملاً لشرط البر، أما بذلهم الطعام للأسير فهو الذي حقق شرطي الايثار حيث أعطوه اخر ثلثاً يملكوه من الطعام وباتوا جياعاً مع حاجتهم للطعام.

ويكون بذلك بذلهم للثلثين الأولين وصل مقام الايثار لاحقاً حيث أنه أصبح بذل الكل عندما أعطوا الثلث الأخير بعد أن كان بذل الجزء من الكل، فأفاض البذل للثلث الأخير من الطعام على بذل الثلث الأول والثلث الثاني.

منطلقات الافعال للسيدة الزهراء عليها السلام في سورة الإنسان:

عند عرض الروايتين على مفاهيم المحور الثاني من البحث لغرض تبيين مقام الفعل الأخلاقي الصادر عن أهل بيت النبوة عليهم السلام بعد أن حققت اعلى مرتبة من العطاء والبذل وهي مرتبة الإيثار، نجد ما يلي:

أولا: الفعل الصادر عن أهل بيت النبوة عليهم السلام نابع عن العقل اصالة وليس من العاطفة وذلك عند ملاحظة ما أفصح عنه الله تعالى من نواياهم بقوله ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾ فجرد فعلهم عن هوى النفس والعواطف النفسانية، اما فعل السيدة فضة جاريتهم فهو اقتداءا وهذا يقودنا إلى استنتاج الاقتداء وهو نتيجة البحث.

ثانيا: ان الفعل الصادر عن أهل البيت عليهم السلام لو اننا جردناه من المنطلق الاساسي له هو المعاد واليوم الآخر سيكون واقع ضمن المورد الثاني من احتمالات اختلاف العقل الحكمي والعقل القيمي

حيث يكون العقل الحكمي يحكم بترك الفعل الايثاري باعطاء كل ما يحتاجونه من طعام من حيث انه يحقق ضررا للبدن اما العقل القيمي فيحكم بالفعل لكونه يحقق مرتبة عليا من العطاء وهو الايثار.

اما إذا عرضنا فعل أهل بيت النبوة عليهم السلام على القرآن نجد ان الفعل ضمن إطار المعاد واليوم الاخر يتفق فيه العقل الحكمي مع العقل القيمي حيث يكون الفعل بما فيه من نية خالصة لوجه الله ومنطلقا من عقيدة المعاد ومخافة الله في اليوم الاخر دافعا للضرر الاعظم الآجل محتملا الضرر الاصغر العاجل ضمن قاعدة العقل الحكمي وواصلا لمرتبة العطاء الاعلى- الايثار- ضمن العقل القيمي.

ثالثا: عند ملاحظة نفس الفعل وهو اطعام الطعام نجد ان الطعام يندرج ضمن الحاجات الفطرية الضرورية وتلبة هذه الحاجة من ضمن الرغبات الغرائزية وعليه فإن مخطط النوايا هنا يتضح ضمن تأصيل قرآني متسلسل للفعل الأخلاقي الصادر عن أهل بيت عليهم السلام، فنجد في ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ**﴾ ترجيح رغبة بذل الطعام والوصول إلى مقام الايثار (رغبة غير غرائزية) على رغبة اكل الطعام (رغبة غرائزية)، وعند ملاحظة قوله تعالى:﴿**وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾ هنا تكون الرغبة غير الغريزية المنطلقة من عقيدة المعاد هي المؤثرة في الفعل.

اما نية الفعل التي هي الداعي المشعور به فذكرها الله تعالى وأفصح عما في ضميرهم من اخلاص بقوله: (نطعمكم لوجه الله) ونزههم عن كل ما يضر من دواعي سلبية بقوله (لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا) وثبتت لهم عليهم السلام الدواعي الايجابية بقوله تعالى ﴿**إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾.

فبذلك تكتمل الصورة الايثارية ومنطلقات الفعل الأخلاقي فتكون منهجا أخلاقيا عمليا يتبع في جميع الافعال ليمنحها قيمة خلقية.

الاستنتاجاتالافعال التي تصدر من الإنسان يمكن ان تصبح افعالا أخلاقية وترتقي إلى مقامات عليا بواسطة المنطلقات العقائدية والنوايا المرافقة للأفعال، ففي سورة الإنسان يعرض لنا الله عز وجل انموذجا للفعل اليومي الذي نمارسه وهو موضوعه الطعام وكيفية تحوله من فعل اعتيادي إلى فعل أخلاقي ذو قيمة ايثارية عليا.كما ان فعل بذل الطعام وايثاره اذا لاحظناه بالمعنى الادق فهو يتمحور حول السيدة الزهراء عليها السلام اذ كانت هي التى اعدت الطعام في الروايتين فنالت من هذا الفعل الايثار والاعداد.

اما التكليف المرسوم لنا هنا فهو ان الجارية التي كانت في بيت النبوة فضة رضوان الله عليها فعلت الفعل ونالت مرتبة عالية بمشاركتهم بالإيثار عن طريق الاقتداء باهل البيت عليهم السلام واتباعهم بالفعل

فيتبلور لنا أصل قرآني للتعاطي مع الاحداث والافعال وهو الاقتداء والاتباع بالمنهج المرسوم من قبلهم عليهم السلام والذي هو تجلي ومظهر من مظاهر المفاهيم القرآنية.

وبملاحظة دور المعاد واليوم الاخر في الآيات الشريفة وكيفية تحويلها للفعل من مجرد فعل اعتيادي إلى فعل يمتلك قيمة خلقية عليا. نستنتج ان ذكر الله والمعاد والحساب من قبله عز وجل في كل فعل نقدم عليه هو ما يجعل الداعي للفعل داعيا ايجابيا يقودنا إلى مراتب كمالية عليا.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- القزويني، محمد كاظم، فاطمة من المهد إلى اللحد، دار الغدير١٣٩٦هـ.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٣٥.
- نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط، باب الهمزة.
- النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ج١،انتشارات اسماعيليان، ١٤٢٥هـ.
- Eisenberg، Nancy، the relation of empathy to prosocial and related behaviors، 1987.
- Fehr، Urs، The nature of human altruism، 2003.
- Bykov، Andrey، Altruism: New perspectives of research on a classical theme in sociology of morality، 2017.
- مطهري، الشيخ مرتضى، فلسفة الأخلاق، دار المعارف الإسلامية الثقافية، ٢٠٢٣
- Williams، Tristan، altruism: definition، theory and examples.
- الطباطبائي، العلامة محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٩.
- الشيرازي، ناصر مكارم، مختصر تفسير الأمثل، ج٥.
- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج١.
- السيستاني، محمد باقر، ضرورة المعرفة الدينية.
- الطباطبائي، العلامة محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠.

تجليات القيم التربوية والأخلاقية ومقاصدها
في سيرة السيدة الزهراء عليها السلام

الباحثة : زينب حسين عبد علي المعموري

الملخص

جسدت الزهراء عليها السلام الانموذج الأكمل الذي صاغته يد القدرة الإلهية والرسالة المحمدية في المجتمع الإسلامي فجسدت شخصية المرأة المؤمنة الكاملة وهذا بات جليا من خلال استقراء سيرتها العطرة بجميع أبعادها التربوية والأخلاقية والاجتماعية لأنها ملكوت رحماني تجلى بأخلاق الوجود البشري فقد مثلت المدرسة العلمية والتربوية والأخلاقية التي ما تزال تعطينا الثمار اليانعة رغم مرور الأزمنة فجاء البحث ليسلط الضوء على جانب من اسهاماتها المباركة في بناء الأسرة والمجتمع لذا وقع اختيارنا على المحور الاجتماعي والتربوي والأخلاقي.

عقد البحث بعنوان (تجليات القيم التربوية والأخلاقية ومقاصدها في سيرة السيدة الزهراء عليها السلام) وجاء البحث بتمهيد يعقبه المقدمة ومبحثين الأول (القيم التربوية أساس الدين الإسلامي) واشتمل على ثلاث مطالب الأول (بيت الزهراء عليها السلام) فيما انبرى الثاني (الرؤية التربوية النموذجية الناجحة) وتناول الثالث (الرؤية التربوية في فكر السيدة الزهراء – عليها السلام) وإنعقد المبحث الثاني (التجليات الأخلاقية عند السيدة الزهراء عليها السلام وأثرها في المجتمع) وهو الآخر احتوى على ثلاث مطالب الأول (علمها ومعرفتها والثاني) ايمانها وتعبدها لله وأثره في الأسرة والمطلب الثالث (القيم الأخلاقية المثالية) ثم خاتمة ونتائج.

Abstract

In the name of Allah، the Most Gracious، the Most Merciful

Al- Zahra (peace be upon her) embodied the most perfect model that was formulated by the hand of divine power and the Muhammadan message in the Islamic society، as she embodied the character of the perfect believing woman، and this became clear through the induction of her fragrant biography in all its educational، moral and social dimensions، because she is a kingdom of mercy manifested in the morals of human existence، as she represented the scientific، educational and moral school that continues to give us ripe fruits despite the passage of time، so the research came to shed light on an aspect of her blessed contributions in building the family and society، so we chose the social، educational and moral axis. The research was held under the title (Manifestations of educational and moral values and their objectives in the biography of Lady Al- Zahra (peace be upon her)). The research came with an introduction followed by an introduction and two chapters، the first (Educational values are the basis of the Islamic religion) and included three demands، the first (The house of Al- Zahra (peace be upon her) while the second (The successful exemplary educational vision) and the third dealt with (The educational vision in the thought of Lady Al- Zahra (peace be upon her)). The second chapter (Moral manifestations of Lady Zahra - peace be upon her - and their impact on society) also contained three requirements: the first (her knowledge and understanding)،the second (her faith and worship of God and its impact on the family)، and the third requirement (ideal moral values)، then a conclusion and results.

+

المقدمة

إن من الأمور التي لها الأثر الكبير على سلوك الإنسان وشخصيته هي المظاهر التربوية والأخلاقية ومن أسمى صورها هي السدة الزهراء عليها السلام التي خطت من خلال سيرتها أعلى وأسمى القيم التربوية والأخلاقية والتي ما زالت تستلهم منها المجتمعات القواعد والأصول المهمة للتربية فهي رمز التربية والأخلاق والعفة.

أهمية البحث:

تنطلق أهمية البحث واختياره من عظم سيرة السيدة الزهراء عليها السلام في تاريخ آل بيت النبوة عليهم السلام خاصة وفي التاريخ الإسلامي عامة وعليه لا بد من التعريف بدورها التربوي والأخلاقي للعالم أجمع وبالأخص الجيل الحالي الذي ابتعد كثيرا عن القيم التربوية والأخلاقية بالإضافة إلى ابراز دور أهل البيت عليهم السلام والسيدة الزهراء في الأسرة والمجتمع.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ابراز وبيان المنزلة العظيمة والدور التربوي والأخلاقي للسيدة الزهراء عليها السلام وتشخيص هذا الدور من المجتمع الإسلامي من خلال بيان القواعد الأساسية في التربية الناجحة وربط المجتمع باهل البيت عليهم السلام.

مشكلة البحث:

من أهم المشاكل التي واجهتنا في البحث هو كيفية إعادة المجتمع لأخذ القواعد والدروس من سيرة أهل البيت عليهم السلام ومنهم السيدة الزهراء عليها السلام التي خطت بسيرتها المباركة أروع المعالم التربوية والأخلاقية بحيث صارت سيدة نساء العالمين. لذا لابد من المحافظة على أولادنا ونغرس فيهم الدين الإسلامي في غيبة الامام المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

هيكلية البحث:

لغرض تحقيق أهمية البحث وأهدافه شرعت برسم خطة البحث فجاءت بمقدمة وتمهيد ومبحثين،

انعقد التمهيد للتعريف بمفاهيم العنوان جاء المبحث الأول ليتحدث عن (القيم التربوية أساس الدين الإسلامي) وقد اشتمل على ثلاث مطالب، وانعقد المبحث الثاني (التجليات الأخلاقية عند السيدة الزهراء عليها السلام وأثرها في المجتمع) واحتوى هو الآخر على ثلاث مطالب ثم خاتمة ونتائج.

منهج البحث: اتبعت المنهج الوصفي والاستقرائي للسنة المطهرة لأهل البيت عليهم السلام.

التمهيد

في هذا التمهيد الذي نحسب أن له فائدة للتعريف بـ (تجليات القيم التربوية والأخلاقية في سيرة الزهراء عليها السلام) حيث يمثل مدخل للخوض في الموضوع من أجل بيان مداليل المفردات المذكورة في كتب اللغة.

أولا: التجليات لغة.

تجلى الأمر: انكشف واتضح، بدا للعيان. تجلت في أحسن مظاهرها قال تعالى ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾[1]، تجلت الأزهار تفتحت، تجلت العروش تزينت وتبرجت تجلى الشيء نظر إليه مشرفا[2].

التجلي: الوضوح والكشف والظهور، جلا الأمر جلاء وضح جلا السيف والفضة والمرآة ونحوها كشف صداها وصقلها وأجلى عنه الهم: أزاله وكشفه[3].

ثانيا: القيم.

لغة: جمع كلمة قيمة: وهي الشيء والمقدار أو الثمن[4].

اصطلاحا: مجموعة الصفات الأخلاقية التي يتميز فيها البشر وتقوم الحياة الاجتماعية عليها ويتم التعبير عنها باستخدام الأقوال والأفعال وتعرف أيضا بأنها مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي اعتمدت على التربية الإسلامية في توجيه السلوك البشري.

ثالثا: التربوية.

التربية لغة: من العقل ربا أي نما وزاد ﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ**

(١) سورة الأعراف: الآية١٤٣.
(٢) محيي الدين بن العربي، كتاب التجليات: ص٢٠.
(٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: ج١ص١٣٧.
(٤) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح: ص٢٠٣.

﴿وَرَبَتْ﴾[1]، أي: نمت وزادت[2].

التعريف الاصطلاحي: فقد تعددت تعريفات التربية تبعا لتغير الأزمنة وتطور المفاهيم وظهور الفلاسفة والنظريات المختلفة على مر الأزمنة وتعرف التربية: عملية تشكيل لعقل الفرد وصميمه وخلقه أي التنشئة الاجتماعية والفردية المتكاملة للفرد.

وعرفها الغزالي: بأنها صناعة وهي أشرف الصناعات بهدف غرس الفضيلة والتقرب إلى الله.[3]

والعملية التربوية مشتقة من التربية[4].

رابعا: الأخلاقية: أخلاق إذا كانت الخلوقية فيه لله كما يقال ثياب أخلاق ويجعلون النعت لجماعة أجزائه فيذكرونه للفظ الجمع. وعلم الأخلاق: هو علم السلوك وهو نوع من أنواع الحكمة العلمية ويسمونه تهذيب الأخلاق والحكمة الخلقية أيضا.[5]

والخلق بسكون اللام وضمها السجية (بتخلق) يعتبر خلقه أي يتكفله[6].

خامسا: المقاصد.

مفردها مقصد مكان القصد والجمع مقاصد، بيان الطريق الموصل إلى الحق.[7]

المقاصد: مفاعل وأحدها مقصد قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) القاف والصاد والدال أصول ثلاثة يدل أحدها على إتيان شيء وأمه والآخر على كسر وانكسار والآخر على اكتسار في الشيء فالأصل: قصدته قصدا ومقصدا ومن الباب أقصده السهم إذا أصابه.[8]

المقاصد اصطلاحا: بيان مصالح الطاعات والمعادلات وسائر التصرفات لسعي العباد في تحصيلها وبيان المخالفات لسعي العباد في دربها وبيان مصالح العباد ليكون معيار على خير منها.[9]

---

(١) سورة الحج: الآية ٥.
(٢) محمد بن مكرم بن علي أبو فضل جمال الدين بن منظور الأنصاري، لسان العرب: ج١ ص٣٩٩.
(٣) محمد فرحان الربيعي، أسس ومبادئ التربية والتعليم: ص ١١.
(٤) أبو حامد الغزالي، فاتحة العلوم: ج١ ص٢٢.
(٥) أسس ومبادئ التربية والتعليم: ص١٣.
(٦) مختار الصحاح: ص١٨٧.
(٧) بطرس البستاني، محيط المحيط،: ص١٠- ١١.
(٨) مقاييس اللغة: ص٧٣٨، باب قصر.
(٩) عز الدين عبد السلام، قواعد الأحكام من مصالح الأنام: ٧٤٨، باب قصر.

المبحث الأول: القيم التربوية أساس الدين الإسلامي

إن الأمة الإسلامية بحاجة إلى منهج سليم لكي تسير عليه في خضم المنهجيات السائدة في واقعنا المعاصر وما نتج عنها من المشاكل العديدة التي بدت واضحة على صعيد التطبيق والعمل فهي غير صالحة وفاقدة للحلول وسد الثغرات بما ينسجم مع فطرة الإنسان ودينه ووصوله إلى الكمال.

فلابد من الرجوع إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»(١).

والزهراء عليها السلام هي أم الأئمة والعترة الطاهرة التي أمرنا الرسول صلى الله عليه وآله بالتمسك بهم، لأنهم قدوة وأسوة حسنة ومنار لكل ما نحتاجه في هذا الزمان وكل زمان فـ «**حلال محمد حلال أبدا إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام أبدا إلى يوم القيامة**»(٢).

فإن المنهج التربوي الصحيح هو الذي لا يحد زمان ولا مكان فمن يكون قرين القرآن فمنهجه أحق أن يتبع وأن يصبح دستور يسير عليه الإنسان ويلتزم به.

فقدمت السيدة عليها السلام منهجا تربويا فريد من نوعه وقد لخصته بعدة مطالب:

المطلب الأول: بيت الزهراء عليها السلام

كونت السيدة الزهراء عليها السلام بيت محاط بالقدسية والنور والروحانية فكانت مواد البناء الاحترام والتقدير ويُعْرَف حق هذا البيت كل من عرف فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها.

أصبحت الزهراء عليها السلام أما في ربيع عمرها الشريف ولكن ربت فخر الدنيا والآخرة الحسن والحسين وأختهما فخر المخدرات زينب الحوراء.

وقد برز بيت الزهراء عليها السلام وأسرتها ليكون القدوة والأسوة الذي اختارها الله على علم على العالمين وجعلها سيدة النساء واذهب عنها وعن أبنائها وبعلها الرجس وطهرهم تطهيرا فهي الزوجة المثالية وقرينة لفحل الرجال وأمير المؤمنين فإذا كانت هي سيدة النساء وزوجة أمير المؤمنين فما بالك

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٣٤.

(٢) مولي محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي: ج٢ ص٢٧٠.

في أبنائها وسياسية بيتها. ويقول سماحة السيد المدرسي في كتابه فاطمة الزهراء قدوة الصديقين: «من القضايا والمؤشرات المهمة في حياة سيدتنا ومولاتنا الصديقة الزهراء عليها السلام قضية التربية حيث أن ما عرفناه عنها أنها انجبت الذرية الطيبة التي لا تدانيها ذرية إنسانية أخرى في الصلاح على مدى التاريخ فهي لقمة فوق القمم وهي المثل الأعلى في الخير والأصالة»(١).

فمن الطبيعي أن تسير هذه العائلة على قواعد وأصول تربوية قد ألهمها الله للسيدة الزهراء فهي عالمة غير معلمة وحجة على الأئمة عليهم السلام.

فقد امتلكت عليها السلام ثقافة الأمومة التي أسسها الاحترام البالغ لأبيها وزوجها وأبنائها فهي ولدت في مدرسة النبوة وتعلمت أن تكون أما لأبيها قبل أبنائها قال تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾(٢).

هذا هو بيت فاطمة بيت النبوة والامامة بيت النور الإلهي وفاطمة ملكة البيت فأي تربية كانت وأي مربية كنت سيدتي!.

لذا يجدر بنا أن نعيد قراءة سيرة السيدة الزهراء التربوية لنجعل برامجنا التربوية على المناهج الفاطمية لعلنا نعيد إلى أسرنا الألفة والفرحة والرحمة وإلى أطفالنا التربية الصالحة البعيدة عن العالم الافتراضي الذي جعل منهم كدمى مسيرة؛ ليكونوا رجال هداية وأمهات صالحات في قادم الأيام.

المطلب الثاني: رؤية التربية النموذجية الناجحة

لا ريب أن هناك تربية نموذجية لا يمكن تجاوزها أو التغافل عنها والمربي الأول والأخير هو الله تبارك وتعالى، وعليه لابد من الإشارة إلى هذه الرؤية في التربية والخوض في رؤية السنة المطهرة وإلى آل البيت عليهم السلام في التربية الناجحة، ولذلك لابد من بيان بعض النقاط الضرورية وهي:

أولا: من مظاهر التربية النبوية للسيدة الزهراء عليها السلام.

هناك العديد من البرامج التربوية الإسلامية التي قدمها النبي صلى الله عليه وآله إلى ابنته الصديقة:

١ـ أنه أوصاها بما يلي «**ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه ومن كان يؤمن بالله واليوم**

(١) آية الله سيد محمد تقي المدرسي، قدوة الصديقين: ص ٥٧.
(٢) سورة النور: الآية ٣٦.

الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يسكت»[1].

فقد جسدت السيدة عليها السلام هذه الوصية عندما كانت تجلس الامام الحسن عليهما السلام بقرب سجادتها وهي غارقة في العبادة والتبتل آناء الليل وأطراف النهار متضرعة لله حتى الصباح وهي تدعو لكل الناس ولم تشمل أسرتها بتلك الدعوات مما أثار فيه الامام الحسن ـ السؤال عن السر وراء ذلك فأجابته عليها السلام بكل محبة وحنان «**يا بني الجار قبل الدار**»[2] وبذلك ضربت أعلى مثل للإيثار فهذا جزء من صناعة الأسرة المثالية.

٢ـ من معالي تربية النبي صلى الله عليه وآله أنه علم السيدة الزهراء بعض الأدعية التي فيها سلامة للإنسان ونجاة له ومنها دعاء «**يا الله يا أعز مذكور وأقدمه قدما في العزة والجبروت**»[3] عند نزول المصيبة ولتفريج الهموم والغموم وهناك الكثير من الأدعية في الصحيفة الفاطمية التي تحمل في طياتها أبعاد عقائدية منها التأكيد على إن التوسل عبادة توحيدية، حيث توسلت بالله وعزته وجبروته فإن التوسل والتوجه هو التوحيد التام وترسيخ للروح، وكذلك بينت من خلال أدعيتها أن التوسل والتوجه بالوسائل والوسائط التي جعلها الله لخلقه هو تمام التوحيد من خلال انصياع العبد وخضوعه أمام الأبواب التي جعلها واسطة بينه وبين العبد[4].

٣ـ تسبيح فاطمة عليها السلام من الشعائر التي أكد عليها هي شعيرة التسبيح التي لها أهمية كبيرة في زيادة ايمان الإنسان ودخوله في الهالة النورانية التي أكد عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾[5].

ولقد جاء الحث على التسبيح من قبل الأئمة عليهم السلام في كثير من الأحاديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**ما عبد الله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيحة فاطمة الزهراء عليها السلام ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام**»[6].

عندما كانت تطحن بالرحى حتى أثرت بيديها واستقت بالقربة حتى أثرت بنحرها بكى النبي

---

(١) د. فاضل عبد العباس محمد، الزهراء عليها السلام أصبحت أم أبيها: ص٥٤.
(٢) الشيخ الصدوق، علل الشرائع: ج١ ص١٨١، باب ١٤٥.
(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج٩١ ص٢١٩.
(٤) طارق محمد علي، عقائدنا الواجب معرفتها على كل مؤمن: ج٢ ص٤.
(٥) سورة الإسراء: الآية٤٤.
(٦) الشيخ الكليني، الكافي: ج١٤ ص٣٤٣.

لحالها وقال «**تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة**»[1]، فهو درس عظيم لكل امرأة تبحث عن النجاح والسمو في الحياة فلتفتش عن التكامل في الإسلام ومن خلال سيرة سيدة النساء لتعيش في ظلال رحمة الله سبحانه وتعالى.

إن تسبيح السيدة عليها السلام احتوى على مضامين ثمينة من أهمها هو (الجانب التربوي) حيث نلمس في تركيبة هذا التسبيح ـ التسبيح المتكون من أربع وثلاثين مرة الله أكبر وثلاث وثلاثين مرة الحمد لله وثلاث وثلاثين مرة سبحان الله ـ أنه يبدأ باسم الله وينتهي باسم الله فلفظ الجلالة أحاط التسبيح المقدس كما يحيط الهلال بمجموعة من النجوم حيث ظهرت منه إشارة واضحة إلى المبدأ والمنتهى إلى الله وهو الجانب التربوي لأن التربية مشتقة من الرب وكلمة الرب مشتقة من التربية.

أما الجانب الآخر المهم منه هو اتخاذ القدوة الحسنة ونرى أن السيدة عندما تسبح فهي بذلك أخذت درس من أبيها الذي انطلق بها إلى قبر حمزة بن عبد المطلب الذي اتخذت من تربته لتصنع حبات مسبحتها برائحة الشهادة والفداء ولابد أن يبقى عطر الشهيد فواح على مر الزمن؛ لأنه ضحى بأغلى ما يملك من أجل إعلاء كلمة الحق وأن يحيى الناس في أمن ويعيشون الحرية التي تمكنهم من عبادة الله على أحسن وجه. فقد أعطت السيدة للعبادة أبعاد تربوية توعوية لتزيد في رشد الأمة فهي ليست مجرد مسبحة جامدة بل ممزوجة بدم الشهادة ونور الولاية مما جعل لها قيمة ومن هنا جاء السجود على تربة سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام وأخذ حبات المسبحة فيما بعد من تربته المباركة التي شرفها الله بالحسين عليه السلام ودمه الطاهر وهو درس آخر أن الأرض لا تقوم ولا تزدهر إلَّا بدماء الشهداء، ومن هنا نرى أن الشعائر المليئة بالمضمون تبني الحياة وتسعد القلوب وتربي الأنفس لذا نرى السيدة قد حولت الشعائر إلى سلوك يتحرك في أعماق الإنسان مما يجعله يؤثر في جميع الأجيال.

ثانيا: رؤية التربية الناجحة عند أهل البيت عليهم السلام.

إن صلاح أي أمة من الأمم يكمن في اختيار منهاج تربوي سليم يحمي أفرادها من كل انحراف وهذا يبدو جليا عند الأمم السابقة ولاسيما الغربية منها لذا أكدت على الاهتمام بالدين من خلال علمائهم وفلاسفتهم بغض النظر عن نوعية الديانة لأنهم يسلمون أن الحياة بدون دين تصبح حياة عشوائية مضطربة والدين هو صمام الأمان وضابط الأفراد. وقد حوت الديانات السماوية على الكثير من التعاليم الصحيحة التي بدورها نظمت حياة الأفراد وأفضل تلك الأديان وأسماها هو

(١) علي محمد دخيل، فاطمة الزهراء: ص٦٣.

الدين الإسلامي وبما أن أهل البيت عليهم السلام هم ترجمان القرآن فعند استقراء سيرتهم العطرة نرى أنهم رسموا منهاجا تربويا مميزا حفظ الأمة الإسلامية خاصو والأمم غير الإسلامية عامة، منهاجا حافظ على الطاقات ونبذ الاضطرابات التي تسبب الانهيار النفسي للأفراد؛ لأن «**أهل البيت قد زقوا العلم زقا**»[1].

ومن خلال سيرتهم وضحوا الكثير من العوامل المهمة واخترت أهمها وهي الوراثة والمحيط التربوي:

١ـ الوراثة: إن قانون الوراثة هو من القوانين المهمة التي لها دور فعال في حياة الموجودات الحية، وقد أثبتت الدراسات المتقدمة في علم الوراثة الحديثة أن الصفات الوراثية تنتقل بواسطة الكروموسومات وأن هذه الصفات ترتبط بما يسمى (الجينات) التي تنقل الخواص والصفات من الآباء إلى الأبناء، واعقلوا أن الوراثة ذكرت قديما على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال «**انظر من أي شيء تضع ولذلك فإن العرق دساس**»[2] فهو حديث شرح بوضوح قانون الوراثة وعبر عنه بـ (العرق) وبه تنتقل الصفات صالحها وطالحها من الآباء إلى الأبناء.

وقد روي عن وصية الامام علي عليه السلام حيث قال «**حسن الأخلاق برهان كرم الأعراق**»[3] وهذا برهان على طهارة العائلة للفرد؛ لأنه يرث من الآباء السجايا والصفات الفاضلة فركزوا على اختيار الزوجة الصالحة والأب الصالح واهتموا اهتمام كبير بالمرأة وتغذيتها وحالتها النفسية وكذلك حسبها ونسبها لكي تحصل على أفراد صالحين وبالتالي يكون المجتمع صالحا.

٢ـ المحيط التربوي: اذ دعائم الفرد الروحية والخلقية تعتمد على الأساليب التربوية المتمثلة بالأسرة والمحيط التربوي فيها لأن الأسرة تمثل قناة مهمة من قنوات انتقال الوراثة الحضارية عبر أجيال المجتمع ولأنها حاجة مصيرية للفرد والنزوع إلى بنائها نزوع فطري «والأسرة تعرف: هي الجماعة الصغيرة ذات الأدوار والمراكز الاجتماعية مثل: الزوج والزوجة والأب والابن والابنة ويربطها رباط الدم أو الزواج أو التبني وتشترك في سكن واحد وتتعاون اقتصاديا وترتكز الأسرة في العادة على زواج شخص ذكر وانثى»[4] لذا فإن الأسرة لها دور مهم جدا لأنها تنمي روح الفكر لدى أفرادها من خلال

(١) ابن أبي فتح الأربلي، كشف الغمة، ص٦٠.
(٢) جعفر عباس الحائري، سيرة النبي والأئمة، ص٩٦.
(٣) أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، آمال الصدوق، ص٢٤٤.
(٤) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٦١.

الاهتمام بهم وجعلهم عناصر للإبداع في شتى جوانب الحياة فإن توفير الطعام المعنوي ضروري ولا يقل أهمية عن توفير الطعام المادي مثل تعويد الأطفال على احترام أفراد الأسرة أو صنع المواهب لديهم اذا لم توجد، مثال ذلك وجود مكتبة في البيت فهذه الأمور تساهم بشكل أو بآخر في بناء التفكير العقلي للأفراد فالجو العام في البيت والأسرة له التأثير المباشر على خلق محيط تربوي متميز وبناء شخصية الفرد حتى يجعل الحوار الهادئ يسود جو الأسرة ويكون سببا في تنشيط النضوج الفكري والتربوي للأفراد لأن التعلم في الصغر كالنقش على الحجر. وإن من أهم مقومات المحيط التربوي وهو عفة الأمهات لأنها الأرضية الأنسب لضمان عملية الإصلاح والتربية لذا أكد النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام على هذه المسألة وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال «**طوبى من كانت أمه عفيفة**»(١). هذا الكلام في الأسرة العادية فلو أردنا الكلام عن أسرة السيدة الزهراء عليها السلام وهي العالمة المعصومة وزوجها سيد الأوصياء أمير المؤمنين وابنيهما سيدي شباب أهل الجنة وابنتهما عقيلة بني هاشم السيدة زينب عليهم السلام التي قادت الثورة بعد الامام الحسين عليه السلام فهي خلقت جو تربوي متميز بكل ما تحمله الكلمة من معنى، أسرة تربت في بيت الوحي وعلى عين الرسول صلى الله عليه وآله فهي أسرة مختارة من قبل الله عزوجل حيث تضمنت هذه الأسرة الكثير من المبادئ المهمة منها:

أ- التكافؤ: فهو يمثل الخطوة الأولى في بناء الفرد وبناء منهج صحيح للحياة الأسرية بكل جوانبها الفكرية والتربوية والأخلاقية.

ب - المودة: إن من الأهداف التي تحقق الاستقرار في النظام التربوي هي المودة وهي شرط من شروط استقرار الأسرة قال تعالى ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾(٢).

ت - التعاون: كان أمير المؤمنين عليه السلام عون السيدة الزهراء عليها السلام لاسيما في أمور البيت فقد روي عن الامام الصادق عليه السلام قال: «**كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويسقي ويكنس وكانت فاطمة صلوات الله عليها تطحن وتعجن وتخبز**»(٣).

فإن التعاون بين أفراد الأسرة سبب لإشاعة الألفة والمحبة والتراحم بينهم مما يجعل الفرد ذو شخصية مطمئنة هادئة منضبطة إن هذه الأمور كلها لها دور في خلق محيط تربوي هادئ وفعال في نفس الوقت.

(١) السيد محمد تقي المدرسي، الأسرة وقضايا المرأة: ص٦٧.
(٢) سورة الروم: الآية٢١.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي: ج٥ ص٨٦.

المطلب الثالث: الرؤية التربوية في فكر السيدة الزهراء عليها السلام

إن المنهج التربوي السليم بات من الأمور المهمة التي تقوم الشخصية الإنسانية وإثراء مسيرتها بما يحقق رغبة الإنسان نحو الكمال وهذا من طبيعته وميوله حسب الفطرة التي جبل عليها، وإن ما يحقق لها الهدف المنشود هو الشخصية التي اجتباها الله تعالى فاطمة الزهراء لنطلع على الرؤية التربوية في فكرها عليها السلام من خلال الآتي:

١ـ المنهج التربوي الأسري عند السيدة الزهراء عليها السلام: حققت السيدة عليها السلام الأهداف الرسالية من خلال بيت زوجها أمير المؤمنين عليه السلام من خلال صور رائعة تجلت لنا من خلال شخصيتها فقد ركزت على العطاء والوفاء، كان أثاث بيتها من أبسط الأثاث مع إنه بوسعها شراء أرقى الأثاث وهي بنت رجلا بيده ثروات الأمة الإسلامية آنذاك(١).

فقد أدت عليها السلام رسالة لتعليم المرأة إن الحياة الزوجية ليست من خلال الحدود المادية بل هي شراكة في بناء الحياة وفي بناء الأجيال، فإذا جعلت المرأة سعادتها البيت الفخم والأزياء الجذابة والمكياج الغالي الثمن وغير ذلك من الأمور الكمالية فهي بذلك تنسى دورها الذي أوكل اليها في بناء الحياة الأسرية مما يوقعها في خلافات وشجار وصراع دائم مع زوجها لأنها غفلت عن القضايا الأساسية التي بنيت عليها الأسرة؛ فتتعلم المرأة من السيدة الزهراء عليها السلام وتجعلها قدوة تسير على خطاها. الأمر الآخر الذي نذكره هو التعاون بين الزوجين فإن الامام علي عليه السلام كان يساعد الزهراء عليها السلام والسيدة فاطمة تساعده عن أبي جعفر عليه السلام قال «**إن فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب؛ نقل الحطب وأن يجيء بالطعام**»(٢)، هذا التعاون يعطي درسا أن الحياة عبارة عن أخذ وعطاء وارتباط ليتعلم الأبناء منه التعاون.

العلاقة الزوجية ليست علاقة عاطفية فقط فلو اقتصرت على العاطفة لتأثرت بأي حدث أو خطأ من قبل الزوجين أو أحدهما في حق الآخر بل هي أن يعتبر كل منهما أن الآخر إنسان له كرامته واستحقاقه من الاحترام وهذا ما جسده بيت علي وفاطمة يروي لنا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**لما دخلت بفاطمة صاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي! فقلت لبيك يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ادخل بيتك وألطف بزوجتك وارفق بها فإن فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يؤلمني ما يؤلمها ويسرني ما يسرها أستودعكما الله واستخلفه عليكما، قال علي عليه السلام فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها من بعد ذلك على أمر، حتى قبضها الله عزوجل**

(١) ينظر: إسماعيل الانصاري الزنجاني الخوئيني، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام: ج١ ص٣٣٩.

(٢) هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن: ج١ ص٦٢٢.

إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمرا، ولقد كنت أنظر إليها فتكشف عني الغموم والأحزان بنظري إليها»[1]، فهذا يكشف أن السيدة الزهراء عليها السلام كانت شريكته في القرار والرأي وكان إذا رأى وجهها تتجلى عنه الهموم والأحزان بابتسامتها الحنونة وعطفها الدافئ.

إن شخصية الزهراء لم تكن متوفرة لغيرها من النساء الصالحات اللاتي تحدث عنهن القرآن الكريم من قبيل آسيا بنت مزاحم ومريم بنت عمران وأمها خديجة عليها السلام فكان لها دور في الجانب الأسري فهي زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وأم الزهراء البتول لكن الزهراء امتازت حتى على أمها في الأدوار والضغوطات التي عاشتها في حياتها ورغم ذلك استطاعت حفظ شخصيتها فهي ربت البيت والمرأة العالمية التي تعلم الناس فلم تطلب جارية لتدبير أمور منزلها مثلا لكي تتفرغ للعلم والتعلم بل بزهدها وتواضعها ساهمت في العمل الاجتماعي والتربوي والسياسي ودافعت عن امام زمانها بوقوفها بوجه الطغاة وخطبت خطبتها التي تضمنت قواعد التوحيد والعبادة وكذلك الأصول التربوية والاجتماعية والأخلاقية فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، لذا لابد للمرأة في الوقت الحاضر أن تسعى لاستثمار الإمكانيات الموجودة لديها لتواكب حركتها التكاملية داخل أسرتها لبناء أسرة متكاملة متماسكة فلا تترك أسرتها في مهب قنوات التواصل الاجتماعي المغرضة وحفظ أبنائها وحمايتهم من بريق الموضات والغزو الثقافي الضال. فلابد من نشر ثقافة الأمومة وعدم تسليم الأبناء بيد الخادمات بحجة الانشغال بالعمل فلابد من تربية الأبناء وتأديبهم بآداب أهل البيت عليهم السلام في مقدمتهم السيدة الزهراء والسيدة زينب عليهما السلام.

٢ـ طاعة امام الزمان وثقافة الانتظار: لقد جسدت السيدة الزهراء عليها السلام أروع درس في طاعة امام زمانها وهو الامام علي عليه السلام كإمام منصب من قبل الله تعالى تجلى في طاعتها التامة حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله «**إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيمانا ويقينا إلى حشاشها ففرغت لطاعة الله**»[2]، فكانت طاعتها طاعة حقيقية وهي أعلى مرتبة من طاعة الفرض وهي طاعة الحبيب لمن يحب فهي امتداد لطاعتها لربها كما في قولها عليها السلام «**رضيت بالله ربا وبك يا أبتي نبيا وبابن عمي بعلا ووليا**»[3]، ثم إن السيدة قد استشعرت غربة الامام ومظلوميته كما روي عنها في آخر يوم من حياتها حيث قالت في جوابها لأم سلمة حيث قالت لها «كيف أصبحت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالت: **أصبحت في**

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٣٤.
(٢) مرتضى اليزدي، الفضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٣ ص١٨١.
(٣) السيد نور الله الحسين المرعشي، إحقاق الحق: ج٥ ص١١٧.

كمد وكرب فقد النبي وظلم الوحي»[1] فقدمت التفكر بآلام امامها وغربته على آلامها ومصابها، ونحن نعيش اليوم غياب ولينا وهو يعيش غربتان غربة بعده عن الأهل والأوطان والديار والثانية قلة الأعوان والأنصار روحي لمقدمه الفداء لذا فواجبنا اليوم اتجاه امام زماننا ألخصها في عدة نقاط:

١ـ أن نسعى إلى بلوغ درجة من العلم توصلنا لمعرفة مقامه المقدس والتي يترتب عليها أثر الطاعة واستشعار غربته وألا نكون سببا لزيادة آلامه بل نسعى لنكون سببا لإدخال السرور على قلبه عجل الله فرجه الشريف.

٢ـ تربية الأولاد وإرشادهم على أهمية معرفة الامام عند الله تعالى والإكثار من ذكر والدعاء له وزيارته.

٣ـ غرس في نفوس الأولاد دوام التفكير في المستقبل وهذا جزء من الانتظار وما يتعلق بالارتباط بإمام الزمان حتى يعرفوا أن الامام الحجة عليه السلام إلى طاقات وكفاءات تمهد لظهوره وتتولى مسؤوليات هامة في دولته العالمية ويسألون أنفسهم عن الأدوار التي يتمكنون من تقديمها في دولة الامام.

٤ـ زرع في نفوس الأبناء أن الامام عليه السلام حاضر معنا في كل زمان ويراهم ويراقبهم فلابد أن ينتهوا عن المحرمات وتشجيعهم لأداء الفرائض كالصلاة في أوقاتها وأن صلاتهم ترفع إلى الامام مع باقي الأعمال.

٥ـ تهيئة الجو الأسري الهادئ والبيئة الصالحة التي تتمتع بمقومات الحياة السليمة البعيدة عن الأمراض النفسية والمشاكل العائلية؛ لأن خروج الامام يحتاج إلى مجتمع سليم صالح يتعاضد مع أبنائه.

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج٣٤ ص٢١٨.

المبحث الثاني: التجليات الأخلاقية ومقاصدها عند السيدة الزهراء وأثرها في المجتمع

الأخلاق من الأمور المهمة التي أكدت عليها الرسالة المحمدية ليصل الإنسان من خلالها إلى الكمال، ولا نغفل أنها وعاء الدين فحين نتكلم عن القيم الأخلاقية في سيرة الزهراء عليها السلام يقف القلم حائرا من أين يبدأ وبأي شيء ينتهي حيث لا نهاية لأن الله تعالى اذهب عنا الرجس وطهرها تطهيرا فهي من صنعت في مصنع الرسالة وفقا لإدارة الله عزوجل وربت في أحضانها الامامة فهي رسالة ملكوتية من الله تمشي على الأرض وسوف أتطرق في هذا المبحث لبعض أخلاقها عليها السلام فكان تقسيم المبحث كما يلي:

المطلب الأول: علمها ومعرفتها.

المطلب الثاني: إيمانها وتعبدها.

المطلب الثالث: القيم الأخلاقية المثالية ومنها:

١ـ الصدق.

٢ـ الصبر.

٣ـ العفة.

المطلب الأول: علمها ومعرفتها.

إن الله خلق فاطمة من عظمة نوره فهي امرأة ليست كباقي النساء لما لها من الفضل والقدسية عند الله فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين فيرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها فهي القدوة في الحركة العلمية بحيث كانت عالمة غير معلمة يأتي إليها بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فيتعلمون منها العلم، روي عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**﴾[1]، يقول «**أنا والله أرسلت البحرين علي بن أبي طالب بحر العلوم وفاطمة بحر النبوة يلتقيان يتصلان أنا والله أوقعنا الوصلة بينهما**»[2]، وروي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال لفاطمة عليها السلام «**إن الله أعطى**

(١) سورة الرحمن: الآية١٩.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٤ ص٩٩.

عشرة أشياء لعشرة نساء، التوبة لحواء زوجة آدم، والجمال لسارة زوجة إبراهيم، والحفاظ لرحمه زوجة أيوب، والحرمة لآسية زوجة فرعون، والحكمة لزليخا زوجة يوسف، والعقل لبلقيس زوجة سليمان، والحكمة لأيارخا أم موسى، والصفوة لمريم أم عيسى، والرضى لخديجة زوجة المصطفى، والعلم لفاطمة زوجة المرتضى»[1]، هذه الرواية صرحت أن العلم الذي عند فاطمة عليها السلام هو من الله لأنه صاحب العلم المطلق فيغترف الإنسان منه بقدره والسيدة عليها السلام هي صاحبة الوعاء الأوسع فهي كالبحر لسعة وعائها فتكون بذلك صاحبة العلم الغزير فهي تخبر عن أسرار العلوم وهي في بطن أمها خديجة عليها السلام وهذا يعني أنها عليها السلام كانت أكبر من محيطها الذي تعيش فيه، وذلك لأن الإنسان يكون جنينا ومحيطه جنيني حيث أنها فوق مستوى محيطها وهي تتعداه وتشرق على الحياة الدنيا وما بعد الدنيا حتى لو انكشف لها الغطاء ما ازدات إلَّا يقينا، فعلمها عليها السلام بلغ الذروة والكمال كأي صفة أخرى لديها، عن الامام الباقر عليه السلام قال: «**لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله إلى ملك فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وآله فسماها فاطمة ثم قال: إني فطمتك بالعلم وفطمتك من الطمث**، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: **والله لقد فطمها الله بالعلم وعن الطمث بالميثاق**»[2]، ثم شرح العلامة المجلسي في بحاره هذه العبارة «**فطمها الله بالعلم**» أي فطمتك بالعلم أي أرضعتك بالعلم حتى استغنت وفطمت أو قطعتك عن الجهل سبب العلم أو جعلت فطامك من اللبن مقرونا بالعلم (كناية عن كونها في بداية فطرتها عالمة بالعلوم الربانية). فالزهراء عليها السلام زقت العلم حتى استغنت أي تكاملت العلوم عندها فلا حاجة لأن تتعلم أي شيء وهذا يؤكد أن العلم قد تم في أول لحظة من خلقها المبارك كما بينت الرواية فهي بذلك عالمة عليمة منذ أول يوم في حياتها بل حتى وهي نور في بطن أمها الطاهرة السيدة خديجة عليها السلام وأن علمها من الأسرار الإلهية التي خص بها الله تعالى محمد وآله الأطهار عليهم السلام وهذا يؤكد أن السيدة عليها السلام تعلم العلم التكويني والتشريعي فهي سبقت الخلق بمعرفتها وتعلمت بعد أبيها وبعلها فعلمها هدية من الله ورسوله ووصيه وهذا ما ميز علمها على جميع الخلق لأن من مصادره الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام لأنهما فقط من يستطيعا أن يزودا السيدة بالعلم لأن مصادر علمهما غيبية محمدية علوية تمت بواسطة الالهام والوحي قطعا، هذا الوحي غير وحي النبوة وقد اثبتت الروايات أن أهل البيت عليهم السلام قد ورثوا علوم جميع من تقدمهم من الأنبياء والمرسلين والصالحين وأن ما من علم رفع في السماء أو نزل إلى الأرض إلَّا وهم ورثته وأصحابه.

(١) المصدر السابق: ج٤٣ ص٣٤.

(٢) الشيخ الصدوق، علل الشرائع: ج١ ص١٧٩.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إن العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع والعلم يتوارث وكان علي عليه السلام عالم هذه الأمة وأنه لم يهلك منا عالم قط إلّا خلفه من أهله من علم مثل علمه أو ما شاء الله**»[1]، فمهما تكلمنا لا يمكن أن نحيط بأطراف العلم الفاطمي لسعته وشموله وتعدد مناحيه لأنها المعصومة وهي الحجة على أبنائها كما روى الامام العسكري عليه السلام أنه قال: «**نحن حجج الله على خلقه وأمنا فاطمة سلام الله عليها حجة علينا**»[2]، إن علم الامام المعصوم لدني وهو حجة فكيف يكون علم من هي حجة على الحجج ونستفيد من ذلك أن السيدة لم تغرها الدنيا ولا العلم الذي تحمله فلم تتكبر ولم تتعالى على الآخرين فكانت لينة الجانب وحسنة التعامل مع الناس في الوقت الذي كان يشكون العبيد والجواري من خشونة تعاملهم وإهانتهم كانت خادمة الزهراء عليها السلام السيدة فضة رضي الله عنها تنقل عن عظمة تعامل السيدة وتواضعها وتقاسم عمل البيت معها فلم يكن للزهراء عليها السلام أي تعلق بالدنيا بل كان لها قلب همه ومبتغاه هو رضى الله فخلفت سيرة حسنة وإرث زاخر بالعلم والمعرفة والتواضع.[3]

المطلب الثاني: إيمانها وتعبدها

الإيمان بالله قيمة الإنسان الكامل والتعبد لله هو سلم الوصول إلى ذروة الكمال وقد حصل الأنبياء والأوصياء على مراتب الصدق في دار الكرامة بما اشتملوا عليه من درجات الإيمان وبما أخلصوا في عبادة الله تعالى والعبادة تمثل أهم حلقة اتصال مع الخالق ولها الأثر في نقاء الروح وصفائها فكيف يمكن أن نتصور إيمان وعبادة سيدة نساء العالمين عليها السلام وهي ألق العارفين الذين نظروا إلى الدنيا والوجود بعين الله فأزالت الحجب عن أنظارهم وبان لهم عالم الملكوت الأعلى بجماله وبهائه لأن عبادتها كانت تنقلها إلى عالم آخر عالم العشق الإلهي حيث تحول الروح عن البدن تسافر إلى عالم آخر فعبادتها لا نظير لها لذا سميت بالزكية والزاكية لاهتمامها بتزكية نفسها المقدسة قال تعالى ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾[4].

وقد قص علينا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله من خلال أحاديث عديدة عبادة فاطمة حيث قال «**إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيمانا إلى مشاشها ففرغت لطاعة الله**»[5] وفي حديث آخر «**أنها متى**

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي: ص٢٢٢.

(٢) العلامة عبد الحسين الطيب، أطيب البيان في تفسير القرآن، قيد الطباعة - فارسي- : ج١٣ ص٢٥٥.

(٣) الشيخ محمد باقر الكجوري، الخصائص الفاطمية: ج٢ ص١٨٥، ط١، ١٣٨٠ش، المجموعة: مصادر سيرة النبي والأئمة، تحقيق: ترجمة: سيد علي جمال أشرف.

(٤) سورة الشمس: الآية ٩.

(٥) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٣ ص٤٩. و(مشاشها: رأس العظم اللين).

قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزوجل لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي أشهدكم أني قد آمنت شيعتها من النار»[1]، إن العبد حين يشتغل بالعبادة كأنما يصعد إلى السماء وإن غاية الصعود هو نيل كمال اللذة والبهجة من العبادة، باتت السيدة عليها السلام عنوانا للقدوة الحسنة ووصفت لنا من خلال علاقتها بربها منهاجا عباديا بما نهلته من مدرسة أبيها النبي الأكرم حيث كونت أسلوبا تربويا تبليغيا أخلاقيا راقيا على مستوى العبادة. وعرف عن السيدة الزهراء عليها السلام اهتمامها بالدعاء للمؤمنين في صلاتها قبل الدعاء لنفسها فعن الامام الحسن عليه السلام قال: «**رأيت أمي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعوا للمؤمنين والمؤمنات وتكثر الدعاء لهم ولا تدعوا لنفسها بشيء فقلت لها: يا أماه لما لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار**»[2]، ما كان في الأمة أعبد منها كانت تخصص الساعات الأخيرة من نهار الجمعة للدعاء كما كانت لا تنام الليل في العشرة الأخيرة من شهر رمضان المبارك وهي تحرض جميع من في بيتها بإحياء الليل بالعبادة وسارت على نهجها السيدة زينب عليها السلام حيث صلت صلاة الليل من جلوس وهي كانت تمر في أعظم مصيبة من قتل الأخوة والأبناء والصحبة ولم تترك المستحبات فكيف بأداء الواجبات. عندما ودع الحسين عليه السلام عياله الوداع الأخير يوم عاشوراء قال لها: «**يا أختاه لا تنسني في نافلة الليل**»[3]، إن صلاة السيدة زينب ليلة الحادي عشر من محرم الحرام قطعا طانت شكرا لله على ما أنعم وأنها كانت تنظر إلى تلك الأحداث على أنها نعمة خص الله بها أهل بيت النبوة دون غيرهم من الناس فهي ختمت تلك الليلة بنافلة الليل من جلوس كما ختمت السيدة الزهراء حياتها المقدسة بصلاة ركعتين رغم مرضها الشديد فقد ذكر الخوارزمي أنها عليها السلام قبل رحيلها قامت مقام رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتها فصلت ركعتين ثم جللت وجهها المقدس بطرف ردائها وقضت نحبها فسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حية شفيعة لأمتها وحصنا لجميع المؤمنين حيث تلتقطهم من النار كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء[4]، فهي خير عابدة وزاهدة وعالية الإيمان محبوبة الرحمان فهي نور ومنارا لدينه ودليلا واضحا للإيمان به وتوحيده.

(١) الصدوق بن بابويه القمي، آمال الصدوق: ج٢٤ ص١٠٠.
(٢) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٨١.
(٣) جواد شبر، أدب الطف: ج١ ص٢٤٢.
(٤) حسن الشمري، قبس من نور فاطمة: ص١٢٥.

المطلب الثالث: القيم الأخلاقية المثالية عند السيدة الزهراء عليها السلام.

الزهراء عليها السلام شخصية تضع في يدنا مفاتيح لأهم أبواب الحياة لأنها حوت كل عوامل الرفعة والكمال وضمت جميع المعاني الجليلة بما تحويها الكلمة من معنى. وحديث الثقلين أكبر دليل على عصمة أهل البيت عليهم السلام ومنهم الزهراء عليها السلام فهو حديث روته العامة والخاصة في كتبهم وفي مقدمتهم كتب الصحاح لذا فإن القيم الأخلاقية التي أبرزتها السيدة كثيرة جدا لا يسع البحث لعرضها إلَّا أني سأعرض شيئا منها متمثلة بما يلي:

١ـ الصدق: عند تصفح سيرة الشخصيات الإلهية نجد هناك تلازم بين الصدق والشهادة فقد ذكر تعالى في كتابه المقدس عدد من الآيات التي دلت على هذا التلازم قال تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا**﴾[١]. وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ...**﴾[٢]. فالسيدة صديقة شهيدة وهذه الصفة وصف خاص لفئة من الناس قال الامام الصادق عليه السلام: «**بأن فاطمة عليها السلام صديقة وغسلها بيد علي عليه السلام وهو صديق**»[٣]، وهذا دليل على عصمتها أيضا وهي من أهل الكساء وآية التطهير وشهد الله لها بالصدق وكذلك رسوله حيث قال: «**يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**»[٤]، فالسيدة تمثل الصدق الأعم من الصدق اللساني؛ لأنها شخصية منسجمة ظاهرها وباطنها فبهدى من صدق الزهراء عليها السلام وكونها كانت صديقة علينا أن نكون من أهل الصدق لتنسجم شخصيتنا الظاهرية والباطنية ونكون صالحين لبناء مجتمع صالح.

٢ـ الصبر: وهو من خصائص المؤمنين بل هو في مقدمة الخصائص لأنه صمود مستمر على الأشياء المؤلمة نفسيا وتحملها بروح عالية ونفس طيبة ويشمل الصبر على عدة أنواع فإما يكون الفرد صابرا على طاعة الله، أو صابرا على ترك المعصية، أو صابرا على امتحان الله تعالى وابتلائه له. وطريق الصبر هو الصراط المستقيم وهو هداية نطلبها من الله في كل صلاة ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[٥].

أما صراط الزهراء عليها السلام تمثل بالإيمان والتقوى والإحسان والشكر والحمد على البلاء، فالشكر لا يغاير الصبر إلَّا مغاير العشق والحب وصبرها كان امتحان لبقاء راية التوحيد ولتحقيق ما أراده الأنبياء

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.
(٢) سورة الحديد: الآية ١٩.
(٣) بحار الأنوار: ج٣ ص٨٣.
(٤) المصدر السابق.
(٥) سورة الفاتحة: الآية ٦.

في سبيل الرسالة المحمدية وعندما نقرأ في زيارتها عليها السلام «**يا ممتحنة امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة**»(١).

أي إن الله عالم منذ الأزل أن فاطمة عليها السلام ستحظى بمقام الصابرين فتوصيفها بالممتحنة منذ الأزل لأن ذلك هو ما كان قد قدر لها ولأن الذي قد قدر لها سوف يقع عليها وهي بذلك بلغت مقامها العظيم بامتحان الله تعالى لها وكان نجاحها فيه بالصبر على كل ما مر بها من محن وظلامات فواجهت بكل عزم صابرة محتسبة لم تستسلم بل كانت تستجمع قواها مرة بعد أخرى لتصون الدين من الانحراف وتدافع عن الولاية وتحافظ على امام زمانها عليها السلام بصدها الفاعل حتى آخر لحظات حياتها المباركة حيث أوصت أن تدفن سرا لتكون فيصلا بين الحق والباطل ومن خلال صبرها حققت هدفها في حفظ الشريعة المقدسة.

٣ـ العفة: تقوم الأمم بالعلم وتنهض بالعمل وتحيا بالأخلاق وتضعف بالجهل والكسل والإنغماس بالفواحش والرذائل، وقد روي عن النبي الأكرم أنه قال: «**عليك بالعفة**»(٢)، أي الابتعاد عن الحرام، وفي حديث آخر له صلى الله عليه وآله أنه قال «**الحياء والعفاف من الإيمان**»(٣)، فالعفة ميزان لضبط النفس عن الشهوات والإنسان لا يصل إلى العفة بشكل كامل حتى يكون عفيف اليد والسمع والبصر والبطن والفرج، ولكي يستطيع الإنسان بلوغ العفة لابد أن يستمد من الله العون ويستشعر رقابته لكي تتحقق هذه الصفة العظيمة. وللعفة وسائل عديدة منها:

أـ تقوى الله سرا وعلانية.

ب ـ الدعاء.

جـ ـ الاهتمام بغرس قيم العفة والرقابة في الأبناء منذ الطفولة لتصبح الرقابة خلق ملازما لهم.

بما إن السيدة الزهراء عليها السلام قد بلغت جميع معاني العفة ونالت أعلى وأسمى درجاتها والتي شعت منها الآداب والأخلاق فهي صورة مثالية للفرد السامي وهي القدوة الصالحة والانموذج المثال للاقتداء به فهي رسالة دونتها يد القدرة الإلهية فحيرت العقول بعفتها وسمات شخصيتها، إن عفة الزهراء مضرب للأمثال لأنها مثلت العفة بأبهى صورها فهي القائلة لأبيها حين سألها عن أي شيء

(١) شيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان: ص٧٢.
(٢) محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ص٢٠٠٦/ ٣.
(٣) المصدر السابق: ج١ ص٧١٧.

خير للمرأة؟ فقالت: «**أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل**»[1]، فهذه العبارة من أجلى مصاديق العفة كما أعطت درسا بحجابها الكامل حيث كانت تطأ ذيولها الأرض فهو درس لبناء شخصية المرأة وبيان أن الحجاب ليس مجرد ثوب بل مشروع لحفظ كرامتها وعفتها بل هو منهاج للحفاظ على الدين. وأبت الزهراء عليها السلام إلَّا أن تختتم حياتها بالعفة حيث قالت أسماء بنت عميس: «**ألا تجعلي لي شيئا يسترني فإني اتنصح ما يصنع بالنساء يطرح على المرأة الثوب فيحقها**، فقالت أسماء: إني رأيت شيئا يصنع بالحبشة فصنعت لها هيئة النعش فقالت عليها السلام: **اصنعي لي مثله، استريني سترك الله من النار**»[2]، فكان نعشها أول نعش أحدث في الإسلام واتخذ بعد ذلك سنة، فخرجت من الدنيا وهي بكامل حجابها وعفتها لتضرب لنا أروع مثل ولتكون أسمى قدوة تقتدي بها النساء على مر العصور والأجيال.

(١) بحار الأنوار: ج٨٤ ص٤٣.

(٢) الذهبي، سيرة أعلام النبلاء: ج٢ ص١٢٨.

الخاتمة والنتائج

نحمد الله أن أوصلنا إلى ختام هذا البحث المبين (للتجليات القيم التربوية والأخلاقية في سيرة الزهراء عليها السلام) من أجل تصور وبيان وتوضيح لما تحصل من نتائج نحسب أنها مهمة في إعطاء فكرة واضحة عن البحث وهي:

أولا: كشف البحث عن مجموعة من التجليات التربوية في سيرة السيدة الزهراء عليها السلام وهي قطرة في بحر المعرفة التي انطوت في سيرتها التي حوت على الكثير من الغايات والأهداف في بناء الفرد المثالي في المجتمع.

ثانيا: إن السيدة الزهراء عليها السلام كانت قارئة واعية للمجتمع ومن هنا كانت تؤكد ربط الفرد ومن ثم الأسرة والمجتمع بالقرآن الكريم والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام مهما عصف بهم من مصائب ومصاعب فهم دوما الحل في الخلاص من كل المشاكل التربوية والأخلاقية وجلب المصالح ودفع المفاسد والرذائل.

ثالثا: من خلال بيان التجليات الأخلاقية التي ظهرت في أيقونة الصبر والصدق ومنار العفة فحياتها تضمنت مضامين لضبط النفس عند المصائب والتصرف بأعلى درجات الحكمة رغم كثرة المحن.

رابعا: السيدة الزهراء هي ترجمان صريح لأصل العفة وأشكالها وضوابطها لما لها الأثر البالغ في التكامل.

خامسا: بث التوجيهات التربوية عبر القنوات الإذاعية ومواقع التواصل الاجتماعي لنشر أبعاد شخصية الزهراء عليها السلام الرسالية ومواقفها التربوية والاجتماعية والأخلاقية لتقليل حالات تفكك الأسر التي باتت تهدد مجتمعنا اليوم.

سادسا: إشاعة ثقافة الانتظار وأهميتها وأصولها وأثرها على تربية الفرد اجتماعيا وأخلاقيا.

سابعا: تبقى الزهراء عليها السلام هي القدوة للمرأة المؤمنة على مر العصور والأزمنة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- احقاق الحق، سيد نور الله الحسيني المرعشي، الناشر: المكتبة الإسلامية، ١٣٩٦هـ.
- الأسرة وقضايا المرأة، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، ط٢، مركز العصر للثقافة والنشر، ١٤٤١هـ-٢٠١٦م.
- أسس ومبادئ التربية والتعليم، محمد فرحان الربيعي، ط٣، داخل الحرم الجامعي لكلية الامام الكاظم - أقسام بابل.
- أطيب البيان في تفسير القرآن، عبد الحسين الطيب، ط٢، ١٣٩٣هـ، طهران - مؤسسة الثقافة الإسلامية - مكتبة الإسلام.
- آمال الصدوق، الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط١، ١٤١٧هـ.
- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت: ١١١هـ)، ط١، مؤسسة الوفاء، بيروت: ١٤٠٣هـ.
- تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، الأعلمي: بيروت - لبنان.
- سيرة أعلام النبلاء، أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، ط١١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة بيروت.
- سيرة النبي والأئمة، جعفر عباس الحائري، ط١، قم: ايران، ١٤٢٥هـ.
- شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، ط١، مصادر الحديث الشيعية -قسم الفقه، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- شرح رسالة الحقوق (للإمام زين العابدين)، السيد حسن القبانجي، تاريخ الإضافة: ١٤/ ١١/ ٢٠١١، موقع الكتروني.
- عقائدنا الواجب معرفتها على كل مؤمن، طارق محمد علي، مكان النشر: النجف، الناشر: دار البذرة، تاريخ النشر: ٢٠١٨ مؤسسة دار تراث.
- علل الشرائع، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي.
- غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي، ط١، دار: الثقافة في النجف الأشرف.

- فاتحة العلوم، أبو حامد الغزالي، الناشر: طبع بالمطبعة الحسينية المصرية، تاريخ الانشاء: ٢٨- أغسطس-٢٠١٧.
- فاطمة الزهراء، علي محمد علي دخيل، بيروت: مؤسسة أهل البيت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- الخصائص الفاطمية، شيخ محمد باقر الكجوري، ط١، سنة الطبع: ١٣٨٠ش، تحقيق: ترجمة: سيد علي جمال أشرف، المجموعة: مصادر سيرة النبي والأئمة.
- الفضائل الخمسة من الصحاح الستة، السيد مرتضى الفيروز آبادي، تحقيق: المجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام، مكتبة الروضة الحيدرية.
- قواعد الأحكام من مصالح الأنام، عز الدين عبد السلام، مكان النشر: مصر، الناشر: المكتبة الحسينية المصرية، ١٣٥٣هـ- ١٩٣٤م.
- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، مكان النشر: قم، الناشر: مطبعة الخيام، تاريخ النشر: ١٤٠٣هـ -(١٩٨٢-١٩٨٣) م.
- كتاب التجليات، محيي الدين بن عربي، ط١، الناشر: مركز نشر دانشكاهي،تاريخ الانشاء:٦- سبتمبر-٢٠١٤.
- كشف الغمة، ابن أبي فتح الأربلي، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- محيط المحيط، بطرس البستاني، ط٤، الناشر: مكتبة لبنان، تاريخ النشر: ٤- ١٠- ٢٠١٩.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، دار الرسالة: الكويت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- المعجم الوسيط، مؤلف من قبل نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية في القاهرة، ط٥، الناشر: مجمع اللغة العربية في القاهرة، ٢٠١١م.
- الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام، إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني، ط١، تاريخ الإصدار: ١٤٢٨هـ، ويكي الشيعة.
- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، مؤسسة الأندلس للمطبوعات، بيروت: لبنان.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجبل: بيروت.
- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، ط١، مصادر الحديث الشيعية القسم العام.
- وسائل الشيعة، الحر العاملي، ط٢، ١٤١٤هـ.

مفهوم التكافل الاقتصادي والاجتماعي
للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

الباحثة : أنوار حميد كريم السلامي

المقـدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيته الطاهرين، وعلى فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين.

بينت الزهراء عليها السلام ان الدين الإسلامي دين العطاء في الدينا والاخرة حيث كانت الامة الإسلامية يسود فيها القحط والجوع والحرمان بهذه الامة في حياة الرسول وبعد مماته واوصى الرسول بهذه الامة ووضع قاعدة ان تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لضمان كل ذي حق حقه وكانت الزهراء مكانة في قلب الرسول حيث يوجه المحتاج من الفقراء والمساكين اليها ولبيان عظمة الزهراء وانهم اولياء حجة الله في ارضه وتبدى الزهراء كل ما لديها وتدعوا اليهم في صلاتها وتقدم لهم كل المساعدات الإنسانية والإسلامية وتبادر إلى حل مشاكلهم وتقود النساء المؤمنات إلى الصبر والزهد في الشدائد وتحمل المصاعب والأذى في الدينا، وهي تطبيق للمرأة المثالية التي تدعوا للمسلمين والمسلمات بكل صلاة وتقدمهم على نفسها وجعلت مهرها شفاعة لعصاه امه ابوها وتقضي حاجاتهم وتعلمهم الدروس الإسلامية وتثبت العقيدة الصحيحة وكانت تشارك ابناء مجتمعها في امورهم وتواسيهم في همومهم فقد كانت معينا للفقراء والمساكين تنفق عليهم في سبيل الله وتعتق الرقاب وتؤثر على نفسها واهل بيتها وتناولت في المبحث الاول الانفاق في القرآن الكريم وبعض الآيات التي تحث على الانفاق في سبيل الله واما المبحث الثاني الوضع الاقتصادي والانفاق الاجتماعي في حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

المبحث الاول: الانفاق في القرآن الكريم

أولاً: الانفاق في اللغة والاصطلاح

نَفَق لغة: وهو نَفَق البيع السلعة تنفُقُ إذا غلت ورغب فيها ونفق الدرهم نفاقا[1].

الانفاق لغة: نفقت الدراهم تنفق وانفقتها الانفاق قد يكون في المال وفي غيره وقد يكون واجبا وتطوعا ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[2] الانفاق اصطلاحا: هو عبارة عن بذل المال، في الواقع هو لون وشكل من اشكال العمل في الآية ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾[3] التي وصفته بانه انفاق متوازن وقوام ونعتت به المؤمنين هو الانفاق المال العام بقرينه جعله بين حد الاسراف والاقتار[4] والانفاق من اعظم ما يهتم بأمره الإسلام في أحد ركنية وهو حقوق الناس وقد يتوسل إليه بأنحاء التوسل ايجابا وندبا من طريق الزكاة والخمس والكفارات المالية واقسام الفدية والاتفاقات الواجبة والصدقات المندوبة ومن طريق الوقف والوصايا والهبه وغير ذلك وكان الغرض من ذلك كله ايجاد حياة نوعية متوسطة متقاربه الاجزاء متشابهة ولا يكون ذلك الا بإصلاح حال النوع برفع حوائجها في الحياة معنويا وماليا عن طريق انفاق الافراد ليتم العدالة الاجتماعية وهناك نوعين من الانفاق.

ثانياَ: انواع الانفاق.

١. الانفاق الواجب.

١. الضرائب المترتبة على الاموال أ. الزكاة، ب. الخمس.

٢. الضرائب المترتبة على الاعمال أ. كفارة القتل، ب. كفارة الافطار في شهر رمضان، ج. من افطر يوما، د. فدية الافطار عن مرض، هـ. كفارة الظهار، و. كفارة اليمن، ز. كفارة النذر، ح. كفاره العهد،

(١) محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، دار صادر – بيروت، ٢٠١١ م: ص ٣١١.

(٢) الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن الكريم، ط٣، دار القلم – دمشق، ٢٠٠٢ م: ص ٨١٩.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٧.

(٤) الحكيم، محمد باقر، نافذه على الانفاق، ط١، مؤسسة شهيد المحراب: ص ٢٠.

ط. كفارة المخالفة في الاحرام[1].

ثانيا: الانفاق المستحب

يحفظ الإسلام الفرد في المجتمع من خلاله نظام الانفاق المستحب لأجل اكمال النظام الاقتصادي للبلد وخاصه انه غير مجبر، ان الإسلام بتشريعه الانفاق بنوعيه الالزامي والتبرعي لم يرد للأفراد ان يتكلوا على غيرهم في مجال العيش والعمل بل على العكس نراه يحارب بشده الاتكالية والاعتماد على ايدي الاخرين، بل الإسلام يكره للفرد ان يجلس في داره وله طاقة على العمل ويطلب الرزق من الله فكيف بالطلب من إنسان مثله وشرع الإسلام الانفاق للفقير الذي لا يملك قوت سنته وقد اضطره الفقر لان يجلس في داره[2].

ثالثاَ: شروط الانفاق في القرآن الكريم

اولا: الترغيب والتشويق إلى الانفاق: ان الله يتعهد للمنفق بالجزاء على عمله في الدنيا والأخرة كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾[3] أي يوفر عليكم جزاؤه وثوابه والتوفية اكمال الشي وانما حسن اليكم مع التوفية لإنها تضمنت معنى التأدية وقيل تعطون جزاءه وافر وافيا في الأخرة[4] ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[5] ويبين الله كيفيه الانفاق وثوابه في هذه الحالات أي ينفقون على الدوام لان هذه الاوقات معينة للصدقات ولاقت لها سواها ليدل على الجزاء انما هو من اجل الانفاق في طاعة الله[6].

٢.الاعتدال في الانفاق

ان الاعتدال في الامور كأساس للنظام الاجتماعي كما في الآية الكريمة: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً**

(١) بحر العلوم، عز الدين، الانفاق في سبيل الله، دار الزهراء، بيروت، ١٩٨٩م: ص ٢٧- ٢٨.

(٢) بحر العلوم، عز الدين، الانفاق في سبيل الله، دار الزهراء، بيروت، ١٩٨٩م: ص ٤٢.

(٣) سورة البقرة: الآية٢٧٢.

(٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، المكتبة المرتضوية لاحياء الاثار الجعفرية، طهران، ١٤٣١ ق: ص٢٧٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٧٤.

(٦) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، المكتبة المرتضوية لاحياء الاثار الجعفرية، طهران، ١٤٣١ ق: ص ٢٨١.

إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[1] تبين الآية وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ هو المقياس والضابط للامتناع وعدم القدرة ومسك اليد كما لو كانت يد الإنسان مشدودة إلى عنقه فلا يقدر على البذل والعطاء وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ وهذه الصورة المعبرة لانبساط اليد وعدم الادخار بحيث يبذل الإنسان فلا يبقى شيئا له فالحالتين تؤدي إلى عدم الاعتدال. وجاءت الآية ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾**[2] تبين الاعتدال وضرورته في الآية انفاقهم إنفاق معتدل بعيد عن اسراف وبخل فلا يبذلونه ولا يبذرون بحيث تبقى ازواجهم واولادهم جياعا ولا يقترون بحيث لا يستفيد الاخرون من مواهبهم وعطاياهم[3].

٣.ابتغاء وجه الله

قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[4].

١.وهذه الآية تحث المؤمنين على الانفاق في سبيل الله تعالى فتضرب اولا لزيادة ونموه عند الله سبحانه واحد بسبعمائة وربما زاد على ذلك بأذن الله.

٢. لكونه لا يتخلف عن شانه على ايه حال وتنهى عن الرئاء في الانفاق وتضرب مثلا للأنفاق رئاء الا لوجه الله وانه لا ينمو نماء ولا يثمر اثرا، وتنهى عن الانفاق بالمن والاذى اذ بطلان أثره ويحبطان عظيم اجره. ثم يأمر بان يكون الانفاق من طيب المال لا من خبيثة بخلا شحا ثم يعين المورد الذي توضع فيه هذه الصنيعة وهو الفقراء المحاصرون في سبيل الله[5].

٤.الانفاق من الطيب ومما تنفقون

﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**[6] ان ظاهر الآية ان الجنة محرمة الا على من بذل الطيب من ماله مع العلم ان كثيرا من الناس أو أكثر الناس لا يملكون شيئا[7].

(١) سورة الاسراء: الآية ٢٩.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٧.
(٣) الشيرازي، تفسير الامثل: ص ٢٧٢.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦١.
(٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط٢، مؤسسة دار الكتب الإسلامية – طهران،١٣٨٩هـ: ص٤٠٤.
(٦) سورة آل عمران: الآية ٩٢.
(٧) مغنية، محمد جواد، الكاشف، ط١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٣م، ص١٠٨.

المبحث الثاني: التكافل الاجتماعي في حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

اولا: التكافل تعريفه واهمية وانواعه

الْكَفَالَةُ: الضمان، تقول: تكفلت بكذا، وكفلته فلانا، وقرى ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[1] أي: كفلها الله تعالى وتضمنها. قال تعالى: ﴿جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا﴾[2]، والكفيل: الحظ الذي فيه الكفاية، كأنه تكفل بأمره[3] اما التكافل أن يكفل أفراد المجتمع بعضهم بعضًا. ينعكس هذا في المساعدة المتبادلة، المسؤولية المتبادلة، ألتعاون، القيام بأمر المحتاج وإعالته. من أهم مبادئ التكافل الاجتماعي: مبادئ العدالة الاجتماعية، رعاية حق الفرد والمجموعة.

يشمل التكافل الاجتماعي العديد من الاشكال والانواع.

- التكافل الأسري: يشير إلى التعاون والدعم بين أفراد العائلة....
- التكافل الجيراني: يتعلق بالعلاقات بين الجيران والتعاون المتبادل....
- التكافل القبلي: يحدث بين أفراد العشائر أو القبائل....
- التكافل المجتمعي: يشير إلى التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع بشكل عام.

اما الأنواع التكافل الاجتماعي.

١. تكافل مادي.

وهو عبارة عن مساعدة المحتاجين عن طريق المال والجهد والوقت حتى يحصلوا على حياة أفضل وظروف أحسن.

٢. تكافل معنوي.

والذي يعني الإحساس النفسي بباقي أفراد المجتمع الإسلامي، بحيث يشعر بألمهم وأفراحهم

(١) سورة آل عمران: الآية٣٧.

(٢) سورة النحل: الآية٩١.

(٣) اصفهاني، حسين بن راغب، مفردات الفاظ القرآن الكريم، منشورات ذوي القربى، ايران: ص٧٩٩.

وألا يكره لهم الخير.[1]

ثانيا: الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في حياة الزهراء عليها السلام قبل الهجرة.

ان حياة الزهراء كانت ممزوجة بالمكاره مشفوعة بالإلام والماسي منذ الصغر سنها فأنها فتحت عينها في وجعه الحياة واذا بها ترى اباها خائفا يحاربه القريب والبعيد ويناوءه الكفار والمشركين واشتدت الازمة وزادت المحنة حتى اضطر الرسول صلى الله عليه وآله يختفي في شعب أبي طالب ورافقته عائلته وال أبي طالب وفي كل ليلة يتوقعون هجوم المشركين عليهم وخاصة بعد ان كتب المشركون الصحيفة القاطعة وحاصروا بني هاشم حصارا اقتصاديا فلا يدعوهم يبيعون ولا يشترون شيئا حتى المواد الغذائية بل ومنعوا ايصال الطعام اليهم فاستولى الجوع عليهم واثر في الاطفال اكثر واكثر فلا عجب اذا كانت اصوات بكاء الاطفال تصل إلى مسامع أهل مكة فبين شامت بهم مسرور وبين متألم حزين وحين طالت المدة ثلاث سنين وشهور كانت السيدة فاطمة من الذين شملتهم هذه المأساة وهذه الماسي ايقظت في السيدة روح الجهاد والاستقامة والمثابرة[2]قرر القريشيون محاصرة محمد صلى الله عليه وآله وبني هاشم والضغط عليهم اقتصاديا بعد ان انتبهوا إلى الانتشار السريع للإسلام يوما بعد يوم في مكة وبعد ان رفض النجاشي ان يسلم المهاجرين إلى رسل قريش فكتبوا وثيقة مفادها ان لاحق لاحد ان يقبل تزويج ابناء هاشم وعبد المطلب من نسائه أو يتزوج منهم ولا يحق لاحد ان يتعامل معهم أو ان يبيعهم أو يشتري منهم شيئا ومن ثم علقوا هذه الوثيقة على ان يتعامل معهم أو ان يبيعهم أو يشتري منهم شيئا ومن ثم علقوا هذه الوثيقة على الكعبة وهكذا حوصر بنو عبدالمطلب وبنو هاشم في اواد كان يسمى بشعب أبي طالب[3]. وبعد هجرة الرسول بدأت حياة اخرى للمسلمين في المدينة حيث تقاسموا العيش مع الانصار في المدينة وبدأت الحروب والمعارك التي خاضها المسلمون وتزداد الارامل والايتام والاسرى وغير ذلك.

تجسدت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله في سلوك أهل البيت عليهم السلام ومنها البذل والعطاء فقد بسطوا ايديهم بسخاء نادر إلى الفقراء والسائلين وكانوا متجهون إلى نواحي شتى في عطائهم وهباتهم فلا يضعونها الا في موضعها المرغوب وكثيرا ما تسبب عطائهم في هداية ضال أو ارشاد جاهل أو صلة رحم مقطوعة أو معرفة حقيقة ويتضح لنا ان حب فاطمة عليها السلام للأنفاق في سبيل الله مرتكز على القيمة الاصلاحية

(١) المكتبة الشاملة.

(٢) القزويني، محمد كاظم، فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، بغداد – مؤسسة الرافد، ٢٠١١: ص٩٥.

(٣) جعفر شهيدي، تاريخ الإسلام التحليلي، ط١، لبنان – بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٢: ص٦٠.

للنفس والمجتمع وانعكاساته على بناء طابعها الرحمة وقوامها المؤازرة لخلق احباب الله واقربهم، ان الانفاق في سبيل الله في ظروف صعبه كان يكون صاحبه قليل المال ولكنه ينفق على ما هو افقر منه أو يؤثر الاخرين على نفسه وبها حاجة أو يتحدى بالإنفاق سلطان الطاغوت ويداوي جرح مظلوم حينئذ يكون الجزاء بقدر المشقة وبحسب الظروف الموضوعية والنفسية التي تكتنف الانفاق والله يعلم بهذه الظروف تماما وهو اذن الانفاق في سبيل الله نوع من الاستثمار في الحياة الدنيا والاخرة ولكن هذا الاستثمار مهدد بالخسارة لو يحافظ عليه صاحبة ويقاوم شهوة الشهرة والسلطة والا يتبع انفاقه بالمن والاذى فلا يشبع شهوة الشهرة أو السلطة في نفسه عن طريق الانفاق فيتعالى على الفقير أو يتجبر عليه بغير حق ويكون طبقة ضد الفقراء[1] ان رسول الله بعد قدومه من غزاة علقت فاطمة مسحا أو سترا على بابها وحلت من التحلية الحسن والحسين قلبين من فضة فقدم ولم يدخل فظنت ان ما منعه ان يدخل دارها ما رأى، فهتكت الستر وفكت القلبين من الصبين وقطعته منها فانطلقا إلى رسول الله وهما يبكان فأخذه منهما فقال يا ثوبان اذهب بهذا إلى فلان ان هؤلاء اهلي امره ان يأكلوا طيباتهم الدنيا يا ثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج[2] عن الكاظم قال ان رسول الله ﷺ دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وفي عنقها قلادة فاعرض عنها فقطعتها ورمت بها فقال لها رسول الله **انت مني ائتيني يا فاطمة،** جاء سائل فناولته القلادة[3].

ثالثا: نماذج من التكافل عند السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

١. عطائها عليها السلام خراج فدك إلى الفقراء والمساكين

ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[4] ومعنى الفيء كل مال وصل من المشركين من غير قتال من اموال ولا ايجاف خيل ولا ركاب أي ما جعله الله غنيمة لرسوله ﷺ من غير قتال من اموال الكفار فهذا حكمه كانت لرسول الله ﷺ خاصة[5]. إما فدك فهي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة افاءها الله على رسول ﷺ في سنة ٧ هـ فعندما فرغ

(١) المدرسي، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار القارئ ط٢، ٢٠٠٨م: ص ٣٤٦.

(٢) القزويني: ص١٨٤.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دارالتعارف، لبنان، مجلد ١٨، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م: ص٦٥.

(٤) سورة الحشر: الآية ٦.

(٥) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، الاحكام السلطانية والويلات الدينية، ط١، شركة ومطبعة مصطفى البابي، ١٩٦٠م: ص١٢٦.

الرسول صلى الله عليه وآله من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك وذلك حين بلغهم ما اوقع باهل خيبر فبعثوا إلى رسول الله يصالحونه وفيها عين فواره ونخيل كثيرة وهي التي قالت فاطمة عليها السلام ان رسول الله نحلنيها، وبأسناد عن يونس بن عبدالرحمن عن العلاء عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: «**الهبة والنحلة يرجع فيهما صاحبها ان شاء حيزت أو لم تحز الا لذي رحم فانة لا يرجع فيها**»(١).

وبعدما رجع النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنورة نزل جبريل من عند الرب الجليل بالآية الكريمة ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**﴾(٢) فأنشغل فكر النبي بذي القربى من هم؟ وما حقهم؟ فنزل جبريل ثانيًا عليه صلى الله عليه وآله وقال: **ان الله سبحانه يأمرك ان تعطي فدكا لفاطمة** عليها السلام فطلب النبي ابنته فاطمة وقال: **ان الله تعالى أمرني ان ادفع اليك فدكا**، فمنحها وتصرفت هي فيها واخذت حاصلها فكانت تنفقها على المساكين وفي تفسير هذه الآية للسيوطي في كتاب الدر المنثور دعا النبي صلى الله عليه وآله فكانت فدك في يد فاطمة يعمل عليها عمالها ويأتون اليها بحاصلها في حياة النبي صلى الله عليه وآله وهي كانت تتصرف فيها كيفما تشاء تنفق على نفسها وعيالها أو تتصدق بها على الفقراء والمعوزين ولكن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ارسل ابو بكر جماعة فاخرجوا عمال فاطمة من فدك وغصبوها وتصرفوا فيها تصرفا عدوانيا(٣) اخرج البزاز وابو يعلى وابن حاتم وابن مردودية عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك(٤).

الصدقة عند فاطمة الزهراء عليها السلام وأسرتها.

ان الصدقة ان تساعد الفقير بالمال أو الاكل أو الشرب أو الملبس أو المسكن واي شيء قد يحتاج إليه إنسان اخر لا يستطيع ان يحصل عليه بنفسه لقلة الموارد التي يملكها وهذا الشيء يعينه في حياته(٥)، وردت الآيات القرآنية في الحث على الصدقة منها اطعام الطعام من الصدقات: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**﴾(٦)، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَامٌ**

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، قم: ج١٩، ص٢٣٧.
(٢) سورة الاسراء: الآية ٢٦.
(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر، الدر المنثور في التفسير الماثور، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٤: ج٤ ص ٣٢٠.
(٤) جواد التبريزي، فدك، ط٣، دار الصديقة الشهيدة عليها السلام، ١٤٢٥ هـ: ص١٩.
(٥) الهاشمي، عبد الله، الأخلاق والاداب الإسلامية، لنان، المؤسسة الاعلامية للاعلان، ص ٣٣١.
(٦) سورة المزمل: الآية: ٤٢– ٤٤.

فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾[1]، ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾[2]، ان سبب نزول هذه الآيات بجميع مصداقيها الأتم والأكمل هي لأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسنان عليهم السلام، لأنهم وفوا بما نذروه من الصوم ثلاثة أيام ولم يتناولوا في افطارهم إلّا الماء في حين أن قلوبهم مشحونة بالخوف من الله والقيامة. ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ ولم يكن مجرد اطعام، بل اطعام مقرون بالإيثار العظيم عند الحاجة الماسة للغذاء، ومن جهة أخرى فهو إطعام في دائرة واسعة حيث يشمل أصناف المحتاجين من المسكين واليتيم والأسير، حيث كان صلى الله عليه وآله يقسمهم على المسلمين، ويأمرهم بالحفاظ عليهم والإحسان إليهم، فكانوا يطعمونهم الطعام وعند نفاذ طعامهم كانوا يطلبون العون من بقية المسلمين ويرافقونهم في الذهاب إلى طلب المعونة، أو أن الأسرى يذهبون بمفردهم لأن المسلمين كانوا حينذاك في ضائقة من العيش. وبالطبع توسعت الحكومة الإسلامية فيما بعد، وازداد عدد الأسرى وكذلك المجرمين، فاتخذت عندئذ السجون وصار الإنفاق عليهم من بيت المال. على كل حال فإن ما يستفاد من الآية أن أفضل الأعمال إطعام المحرومين والمعوزين، ولا يقتصر على اطعام الفقراء من المسلمين فحسب بل يشمل حتى الأسرى المشركين أيضا وقد أعتبر إطعامهم من الخصال الحميدة للأبرار. وقد ورد في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**استوصوا بالأسرى خيرا وكان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه**» والخصلة الاخيرة في الآية للأبرار هي الإخلاص، فيقول: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾. إن هذا المنهج ليس منحصرا بالإطعام، إذ أن جميع أعمالهم خالصة لوجه[3] وان الصدقة هي عملية تعكس التعاون بين اعضاء المجتمع وتنطق بروحيه عالية يستشعر الإنسان انه مربوط بأخيه الإنسان ومندفع من خلال هذا الرباط إلى اعانته ومساعدته ومد يد العون إليه[4].

٣.التبرع بمتعلقاتها الخاصة (الحلي والجواهر والثياب)

تعد الحلي نوع من انواع الهبات والهدايا العينية وقدمت لنا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من ارقى نموذج في هذا الجانب عندما وهبت قلادتها لسائل فقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة عليها السلام واذا في عنقها قلادة فاعرض عنها فقطعتها ورمت بها

(١) سورةالبلد: الآية ١٢ – ١٤.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ص٢٥٧ – ٢٥٨.

(٤) الموسوي، عباس علي، الواضح في التفسير، ط١، مركز الغدير، لبنان، ٢٠١٢: ج٢ ص ٣٤٠.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله **انت مني يا فاطمة** ثم جاء سائل فناولته القلادة[1]، وايضا الزهراء تتصدق بثوبها عرسها إلى فتاة فقامت ثوب عرسها في ليلة زفافها ودفعته لفتاة فقيرة في اليوم الثاني دخل رسول الله فلم ير ثوب عرسها عليها فسالها عنه؟ فقالت له **ابتاه لقد طرقت علي الباب فتاة فقيرة تطلب ثوبا فأخذت ثوبي القديم لأدفعه لها الا أني تذكرت قول الله تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**[2] **وانا احب الثوب الجديد فاثرها على نفسي واعطيته لها**[3].

٤. مساعدة الاخرين

كانت الزهراء عليها السلام تعاني من جهد ومشقة في طحنها الطعام لبيتها فأنها كانت تقوم بطحن طعام جيرانها من الضعفاء والعجز طالبة بذلك الاجر من عند الله تعالى حيث تقوم بطحن القمح والشعير في حين لا يوجد رحى في المدينة وحين دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فراها تطحن وعليها كساء من اوبار الابل فبكى وقال لها: «**اصبري على مرارة الدينا لنعيم الاخرة غدا**»[4] وكانت في حال طحنها تتلو قوله تعالى ﴿**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[5] ومن الاعمال التي كانت تسديها لضعفاء جيرانها من العجز والنساء والاطفال انها كانت تملا القربة من ماء الابار وتحملها لهم حتى اثر ذلك في متنها[6].

٥. وصية الزهراء عليها السلام لأبنائها عن البخل

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾[7]، هذه الآية ان ثمرة الانفاق تعود عليكم انفسكم في الدينا والأخرة حيث يقل التفاوت الطبقي وعندها سيعم الامن والهدوء في المجتمع وتحل المحبة والصفاء محل العداوة والحقد هذا ثوابكم اما في الأخرة فستمنحون مقابل كل درهم أو دينار تنفقونه الهبات والنعم العظيمة التي لم تخطر على قلب بشر وعلى هذا فان من يبخل يبخل عن نفسه[8].

---

(١) الصدوق، الامالي: ص ٢٢٥.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٢.
(٣) اعلموا اني فاطمة: ج٢ ص٦٦٥.
(٤) كنز العمال: ج٦ ص٢٩٥.
(٥) سورة القصص: الآية ٦٠.
(٦) اعلمو اني فاطمة: ج٤ ص٥٤٧.
(٧) سورة محمد: الآية ٣٨.
(٨) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الامثل، ط١، مؤسسة البعثة، لبنان، ١٩٩٢م: ج١٦، ص٣٦٨.

وتوصي الزهراءعليها السلام إلى ابنائها الحسينعليه السلام «انها قالت: **قال ابي رسول الله: اياك والبخل فانه عاهة لا تكون في كريم اياك والبخل فانه شجرة في النار واغصانها في الدينا فمن تعلق بغض من اغصانها ادخله النار**» وبلغ من وجودها وسخائها انها كانت تؤثر على نفسها وتعطي الفقراء قوتها الذي لا تملك سواه اقتداء بابيها وبعلها[١].

٦. الايثار: عرف الإيثار على أنه: «**ارفع الدرجات الجود والسخاء وهو ان يجود بالمال مع الحاجة إليه وهو تفضيل الإنسان غيره على نفس**»[٢].

﴿مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

نزلت هذه الآية في علي وفاطمةعليهما السلام بعد أن تصدقوا على أحد الفقراء بما كان لديهم من قوت ليلتهم بأسناد إلى ابي هريرة قال: جاء رجل إلى النبيصلى الله عليه وآله فشكا إليه الجوع فبعث رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى بيوت أزواجه فقلن ما عندنا الا الماء فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله من لهذا الرجل الليلة فقال علي بن أبي طالبعليه السلام انا له يا رسول الله واتى فاطمةعليها السلام فقال لها ما عندك يا ابنة رسول الله فقالت ما عندنا الا قوت العشية لكنا نؤثر ضيفنا[٤] ان ريحانة الايثار فاطمة الزهراءعليها السلام بلغت مرتبة عظيمة لا يرقى اليها الا من سمت نفسه سمؤ نفس فاطمة ولكن هيهات لقد رفضت ان تثقل كاهل من طلب فأعطته بعبء الشكر وواجب الجزاء وذلك في ذروة القيم الإنسانية التي تخشى في أهم ما تخشاه ان يسيل ماء وجه من يسئلها[٥].

٧. عيش الكفاف

أمضت فاطمة الزهراءعليها السلام طفولتها في بيت رسول الله راضية سعيدة بعيش الكفاف الذي اتسم به البيت النبوي وحين تحولت إلى بيت بعلها عليعليه السلام الفت ما كان يعيش عليه من زهد ولم يكن لهما في متاع الدينا وزخرفها ولم يكن غير الاخرة يشغلهما ذلك لأنها خير وابقى وكان يتأسون بقولهصلى الله عليه وآله

(١) الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، دار القلم، بيروت ١٩٧٨: ج١ ص٩٥.
(٢) هيئة محمد الامين، الأخلاق والآداب الإسلامية، دار الاضواء – لبنان، ٢٠٠٩: ص٣٤٦.
(٣) سورة الحشر: الآية ٩.
(٤) تفسير الثقلين: ج٥ ص ٢٨٦.
(٥) ولاء ابراهيم حمود، خالدات في كتاب الله رياحين من القرآن، ط١، دار الهادي، لبنان، ٢٠٠٦ م: ص٣٦.

«اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا»[1]

٨.شهادة أمير المؤمنين لها بالكرم

قال أمير المؤمنين: **كانت فاطمة أبنة رسول الله (صلوات الله عليهم) أكرم أهله إليه وكانت زوجتي جرت بالرحى حتى أثرت في يدها وأستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها وقامت بالبيت حتى أغبرت ثيابها وأقدت تحت القدر حتى أصابها من ذلك ضرر ولقد كانت تعجن وان قصها ليضرب الجفنة أو يكاد يضر بها**[2].

(١) محمد راجي كناس، حياة نساء أهل البيت، ط١، دار المعرفة، لبنان، ٢٠٠٨: ص ٦٤٧.

(٢) عماد الهلالي، معجم اعلام النساء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠ م: ص٢٢٠.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، دار صادر – بيروت، ٢٠١١م.

٣. الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن الكريم، ط٣، دار القلم – دمشق، ٢٠٠٢ م.

٤. محمد باقر الحكيم، نافذه على الانفاق، ط١، مؤسسة شهيد المحراب.

٥. عز الدين بحر العلوم، الانفاق في سبيل الله، دار الزهراء، بيروت، ١٩٨٩ م.

٦. الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، المكتبة المرتضوية لإحياء الاثار الجعفرية، طهران، ١٤٣١ ق.

٧. ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الامثل، ط١، مؤسسة البعثة، لبنان، ١٩٩٢م.

٨. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط٢، مؤسسة دار الكتب الإسلامية – طهران،١٣٨٩ هـ.

٩. محمد جواد مغنية، الكاشف، ط١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

١٠. محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار القارئ ط٢، ٢٠٠٨م.

١١. احمد بن فارس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، الدار الإسلامية – لبنان، ١٩٩٠م.

١٢. الفيروز ابادي، القاموس المحيط.

١٣. عبد الرحمن بن الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، مؤسسة الاعلمي، لبنان، ١٩٨٨.

١٤. ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثر.

١٥. الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، قم، ج١٩.

١٦. محمد بن الحسن الطوسي، الاستبصار، احياء الكتب الإسلامية – قم.

١٧. القزويني، محمد كاظم، فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، بغداد – مؤسسة الرافد، ٢٠١١، ص٩٥.

١٨. احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، الاحتجاج، المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٢٥.

١٩. الطبري، جامع البيان عن تاويل القرآن.
٢٠. عباس علي الموسوي، الواضح في التفسير، ط١، مركز الغدير، لبنان، ٢٠١٢، ج٢.
٢١. محمد بن علي بن الحسين ابن بابوية القمي الصدوق، الامالي.
٢٢. المهاجر، عبد الحميد، اعلموا أنى فاطمة، ط١، افق فردا – ايران.
٢٣. محمد بن علي بن الحسين ابن بابوية القمي الصدوق، عيون أخبار الرضا.
٢٤. هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، دار القلم، بيروت: ١٩٧٨.
٢٥. هيئة محمد الامين، الأخلاق والاداب الإسلامية، دار الاضواء – لبنان، ٢٠٠٩.
٢٦. ولاء ابراهيم حمود، خالدات في كتاب الله رياحين من القرآن، ط١، دار الهادي، لبنان، ٢٠٠٦م.
٢٧. محمد راجي كناس، حياة نساء أهل البيت، ط١، دار المعرفة، لبنان، ٢٠٠٨.
٢٨. عماد الهلالي، معجم اعلام، النساء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠.
٢٩. محمد بن جرير بن رستم الطبري، دلائل الامامة، ط٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٨.
٣٠. جعفر شهيدي، تاريخ الإسلام التحليلي، ط١، لبنان – بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٢.
٣١. المدرسي، محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار القارئ ط٢، ٢٠٠٨م.
٣٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار التعارف، لبنان، مجلد ١٨، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
٣٣. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، الاحكام السلطانية والويلات الدينية، ط١، شركة ومطبعة مصطفى البابي، ١٩٦٠م.

المنظومة القيمية في الخطبة الفدكية

واثرها في تحقيق التنمية البشرية

الباحثة : م. م حنين عباس سالم

الملخص

نظراً للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وكثرة التحديات التي تواجه المجتمعات وسعي المجتمعات إلى تحقيق التنمية البشرية وزيادة الدراسات حولها باعتبار ان الإنسان هو المحور الاساسي للعملية التنمية البشرية، وبما ان الدين الإسلامي هو دين الإنسانية يهدف في الاساس إلى صناعة الإنسان بما هو إنسان وتطوير قابلياته وبناء ذاته فلابد ان تكون كل انجازاته لصالحه فهو خليفة الله في ارضه الذي كرمه وفضله بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، ولكون أهل البيت عليهم السلام هم الامتداد الطبيعي للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الذين اسندت اليهم مسؤولية بناء المجتمع وحمايته من الانحراف عن جادة الحق والصواب وانطلاقاً من هذه المسؤلية عملوا على بناء الإنسان كونه يمثل اللبنة الاساسية في بناء المجتمع الإسلامي، لذلك نجد تاريخهم حافل بالعطاء الإنساني في مجال التنمية البشرية.

لذلك جاء البحث الموسوم (المنظومة القيمية ففي الخطبة الفدكية واثرها في تحقيق التنمية البشرية) لبيان دور السيدة الزهراء عليها السلام في مجال تحقيق التنمية البشرية من خلال ما ورد عنها من تراث فكري تمثل في الخطب الواردة عنها وقد ارتكز البحث على الخطبة الفدكية المشهورة هذه الخطبة العصماء التي كانت على مستوى عالي من الدقة والعمق لما اشتملت عليه من مضامين عالية ومنظومة قيمية لها اثرها في تحقيق التنمية البشرية اذ ان الاحكام الواردة في الخطبة الفدكية ما هي الا معايير قيمية عالية توضح للإنسان سبل السلوك السوي فكل التعاليم التي ذكرتها تحمل قيمة محدده مرغوب فيها أو مرغوب عنها.

لذلك فقد قسم البحث إلى مبحثين تناول المبحث الاول المفاهيم الواردة في البحث واهمية القيم قي تحقيق التنمية البشرية (مفهوم المنظومة القيمية، الخطبة الفدكية، مفهوم التنمية البشرية، اهمية القيم في تحقيق التنمية البشرية)، اما المبحث الثاني فقد قسم إلى عدة محاور تناول (القيم العبادية واثرها في تحقيق التنمية البشرية، القيم الأخلاقية واثرها في تحقيق التنمية البشرية، القيم الاجتماعية واثرها في تحقيق التنمية البشرية، القيم العقائدية واثرها في تحقيق التنمية البشرية).

الكلمات المفتاحية: المنظومة القيمية، التنمية البشرية، القيم العبادية، السيدة الزهراء.

Abstract:

Given the social، economic and cultural transformations and the many challenges facing societies and the societies› efforts to achieve human development and increase studies on it، considering that man is the main axis of the human development process، and since the Islamic religion is the religion of humanity that aims primarily to create man as man and develop his capabilities and build his self، all its achievements must be for his benefit، as he is the caliph of God on his earth، whom he honored and favored by saying: ﴿And We have certainly honored the children of Adam﴾، and since the people of the house (peace be upon them) are the natural extension of the Noble Messenger (may God bless him and his family and grant them peace)، who were entrusted with the responsibility of building society and protecting it from deviating from the path of truth and righteousness، and based on this responsibility، they worked to build man as he represents the basic building block in building the Islamic society، so we find their history full of human giving in the field of human development.

Therefore، the research entitled (The value system in the Fadak sermon and its impact on achieving human development) came to clarify the role of Lady Zahra (peace be upon her) in the field of achieving human development through what was mentioned about her intellectual heritage represented in the sermons mentioned about her. The research was based on the famous Fadak sermon، this powerful sermon that was at a high level of accuracy and depth due to what it included of high contents and a value system that had its impact on achieving human development، as the rulings mentioned in the Fadak sermon are nothing but high value standards that clarify to the human being the ways of proper behavior، as all the teachings that I mentioned carry a specific value that is desirable or

undesirable. Therefore، the research was divided into two sections. The first section dealt with the concepts included in the research and the importance of values in achieving human development (the concept of the value system، the Fadak sermon، the concept of human development، the importance of values in achieving human development). The second section was divided into several axes that dealt with (devotional values and their impact on achieving human development، moral values and their impact on achieving human development، social values and their impact on achieving human development، doctrinal values and their impact on achieving human development).

Keywords: value system، human development، devotional values، Lady Zahra.

المقدمة

الحَمْدُ للهِ الَّذَي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ وَلاِ يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ والصلاة على مُحَمَّدٍ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ وَ إِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَ تَقْدِيمِ نُذُرِهِ واهل بيته دَعَائِمُ اَلْإِسْلاَمِ وَ وَلاَئِجُ اَلِاعْتِصَامِ بِهِمْ عَادَ اَلْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وَ انْزَاحَ اَلْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ عَقَلُوا اَلدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَ رِعَايَةٍ لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَ رِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ اَلْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

نظراً للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وكثرة التحديات التي تواجه المجتمعات وسعي المجتمعات إلى تحقيق التنمية البشرية وزيادة الدراسات حولها باعتبار ان الإنسان هو المحور الاساسي للعملية التنمية البشرية، وبما ان الدين الإسلامي هو دين الإنسانية يهدف في الاساس إلى صناعة الإنسان بما هو إنسان وتطوير قابلياته وبناء ذاته فلابد ان تكون كل انجازاته لصالحه فهو خليفة الله في ارضه الذي كرمه وفضله بقوله: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[1]، ولكون أهل البيت عليهم السلام هم الامتداد الطبيعي للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الذين اسندت اليهم مسؤولية بناء المجتمع وحمايته من الانحراف عن جادة الحق والصواب وانطلاقاً من هذه المسؤلية عملوا على بناء الإنسان كونه يمثل اللبنة الاساسية في بناء المجتمع الإسلامي، لذلك نجد تاريخهم حافل بالعطاء الإنساني في مجال التنمية البشرية.

لذلك جاء البحث الموسوم (المنظومة القيمية ففي الخطبة الفدكية واثرها في تحقيق أهداف التنمية البشرية) لبيان دور السيدة الزهراء عليها السلام في مجال تحقيق التنمية البشرية من خلال ما ورد عنها من تراث فكري تمثل في الخطب الواردة عنها وقد ارتكز البحث على الخطبة الفدكية المشهورة هذه الخطبة العصماء التي كانت على مستوى عالي من الدقة والعمق لما اشتملت عليه من مضامين عالية ومنظومة قيمية لها اثرها في تحقيق التنمية البشرية اذ ان الاحكام الواردة في الخطبة الفدكية ما هي الا معايير قيمية عالية توضح للإنسان سبل السلوك السوي فكل التعاليم التي ذكرتها تحمل قيمة محدده مرغوب فيها أو مرغوب عنها.

لذلك فقد قسم البحث إلى مبحثين تناول المبحث الاول المفاهيم الواردة في البحث واهمية القيم في تحقيق التنمية البشرية (مفهوم المنظومة القيمية، الخطبة الفدكية، مفهوم التنمية البشرية، اهمية القيم

(١) سورة الأسراء: الآية ٧٠.

في تحقيق التنمية البشرية)، اما المبحث الثاني فقد قسم إلى عدة محاور تناول (القيم العبادية واثرها في تحقيق التنمية البشرية، القيم الأخلاقية واثرها في تحقيق التنمية البشرية، القيم الاجتماعية واثرها في تحقيق التنمية البشرية، القيم العقائدية واثرها في تحقيق التنمية البشرية).

أهمية البحث

١ – وقد تمثلت اهمية البحث في كونها محاولة لتسليط الضوء على التراث الفكري للسيدة الزهراء عليها السلام وبيان دورها في ترسيخ منظومة قيمية إسلامية في المجتمع وتحقيق التنمية البشرية.

٢ – ان القيم تعد صمام الامان الذي يقف بوجه التحديات والمشكلات التي توجه المجتمع ولاسيما مع ما يمر به العالم في الوقت الحاضر من مشكلات وتحديات بات تعصف بالمجتمعات عامة ولعل من أهم هذه المشكلات أزمة غياب القيم الإسلامية التي تحكم المجتمع والتوجه نحو القيم المخالفة للشريعة الإسلامية لذلك حرصت السيدة الزهراء عليها السلام على وضع منظومة قيمية إسلامية.

٣– ان ترسيخ القيم يعد ضرورة دينية وحاجة ملحة لها لأن الدين يقوم شخصية الفرد ويقوم سلوكه اذ قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[١].

٤ – من ميزات المنظومة القيمية الواردة في الخطبة الفدكية انها مشتقة من التعاليم الدينية التي اقرها الدين الإسلامي لذلك فانها تتميز بكونها شاملة متناغمة لا تتضارب ولا تتضاد.

وبدءاً وقبل الدخول في محاور البحث لا بد من بيان المفردات الواردة في البحث

– مفهوم المنظومة القيمية

«تعد القيم من القضايا التي دار حولها جدل كبير نتيجة التغيرات والمستجدات في العصر الحديث ولاسيما بعد تنامي موجات العولمة وما رافقها من موجات هائلة في مجال المعلومات وما احدثه ذلك من تغيرات في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع بشكل عام والنسق القيمي بشكل خاص»[٢].

ان كلمة (القيم) مشتقه في اللغة العربية: من مادة (قوم) والقيمة: «واحدة القيم، يقوم مقام الشئ. يقال: قومت السلعة، استقمت السلعة، والاستقامة: الاعتدال. يقال: استقام له الامر. وقوله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ**﴾ أي في التوجه إليه دون الآلهة، وقومت الشئ فهو قويم، أي مستقيم. قوله تعالى:

(١) سورة الأسراء: الآية ٩.

(٢) البقمي، مثيب بن محمد، إسهام الأسرة في تنمية القيم الاجتماعية لدى الشباب (تصور مقترح): ص ١٦.

﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾»[1]، «ويشيع في اللغة العربية المعاصرة استعمال القيمة للدلالة على الفضائل الدينية والأخلاقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني»[2].

ولقد وردت كلمة (القيم) في العديد من الايات القرانية لوصف الدين اذ قال تعالى:﴿عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾[3]، ذلك الدين القيم «الدين المستقيم»[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[5]، وذلك دين القيمة أي الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة[6]، وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[7]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ومعناه استقم للدين المستقيم[8]، وبالرجوع إلى معنى هذه الايات القرانية نجد انه لا يخرج عن المعنى اللغوي وهو الاستقامة والاعتدال.

اما المنظومة القيمية في الاصطلاح: فتعرف بانها «مجموعة من القوانين والاهداف والمثل العليا والمقاييس والافكار المرغوبة التي تنشأ في الجماعة وتحكم بها على الاعمال والاشياء باعتبارها معايير جيدة، تتناول مسائل الحق والباطل والصواب والخطأ والخير والشر في سلوك الافراد ويكون لها من الالزام بحيث من يخرج عنها ينال العقاب من الجماعة»[9]، وتعرف القيمة أيضاً بانها: «فكره أو مبدا أو صفه تكون محل تقديرنا وتمثل معياراً نحكم به على الاشياء أو الافعال وتحدد لنا الغاية التي نطبع اليها أو نرغب فيها وتيسر لنا تصور الحالة الامثل والاكمل أو التي ينبغي ان تكون، وهي تقوم بدور الحافز لنا على تحقيق الغاية المرغوبة كما تقوم بتوجية سلوكنا باتجاه تحقيق الغاية التي تمثلها وتنظيم امور حياتنا على مستوى الفرد المجتمع»[10].

---

(١) الجوهري، الصحاح: ج٥ ص٢٠١٨.

(٢) إيميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في دقائق اللغة العربية: ص٣١٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٦.

(٤) الطبرسي،جامع الجوامع: ج٢ ص٦٢.

(٥) سورة البينة: الآية ٥.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج٤ ص٥٧٤.

(٧) سورة الروم: الآية ٤٣.

(٨) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ج٨ ص٢٥٨.

(٩) وجيهة ثابت العاني، القيم التربوية وتصنيفاتها المعاصرة: ص٢٣.

(١٠) عزمي طه السيد احمد، القيم والمرجعية القيمية في التعليم الجامعي: ص ١٠٣.

وعرف التربويين المسلمين منظومة القيم بانها «صفات إنسانية ايجابية راقية مضبوطة بالشريعة الإسلامية تؤدي بالمسلم الذي يتعلمها إلى السلوكيات الايجابية في المواقف المختلفة التي يتفاعل فيها مع دينه ومجتمعه واسرته ومحيطه المحلي والاقليمي والعالمي»[١].

- مفهوم التنمية البشرية

يعد مفهوم التنمية البشرية من المفايم التي شاعت في العقود الأخيرة فقد حظي مفهوم التنمية البشرية بمكانه مميزه في الفكر التنموي عبر ادبيات برنامج الامم المتحده الانمائي وذلك من خلال عمله الرائد لأصدار تقرير التنميه البشريه الاول عام ١٩٩٠ واستمراره في تطوير هذا المفهوم عبر التقارير الدورية التي واظب على صدورها وبهذا اصبح فكر التنميه الاكثر اهتماما بمسائل العداله في توزيع الدخل وتحليل الفقر واهمية الحاجات الاساسيه لافراد المجتمع كما انه نبه إلى التركيز على تراكم راس المال البشري اذ دلت العديد من الدراسات على ان الانفاق على التعليم مثلا يخلق عوائد اقتصاديه تعادل أو تزيد على العوائد التي يمكن ان يحققها الاستثمار المادي وفي ثمانينيات القرن الماضي باتت المقوله المحوريه في منهج التنميه البشريه هي ان التنميه البشريه تعد عمليه توسيع قدرات الناس لاكثر من كونها زياده منفعه أو رفاه اقتصادي أو اشباع حاجات[٢].

لذلك فقد تعددت تعريفات التنميه البشريه على انها ليست مجرد تحسين القدرات البشريه من خلال التعليم والصحة والتغذية وما إلى ذلك بل تعني انتفاع البشر بقدراتهم وبالتحسينات فيها سواء في مجال العمل والتمتع بوقت الفراغ فالإنسان ليس مجرد وسيله أو عنصر انتاج بل انه الهدف أيضاً من التنميه بمعنى ان التنميه تستهدف تحقيق رفاهيه البشر في نهايه المطاف[٣]، ومصطلح التنميه البشريه يؤكد على ان الإنسان هو اداة وغايه التنمية حيث اعتبر التنمية البشريه وسيلة لضمان الرخاء للمجتمع وما التنميه البشريه الا عملية تنمية وتوسيع للخيارات المتاحه امام الإنسان باعتباره جوهر عملية التنمية ذاتها اي انها تنمية الناس بالناس وللناس[٤].

ورغم تعدد التعريفات لمفهوم التنمية البشريه فانها جميعها تتضمن مفهوم اساسي وهو اتاحه افضل الفرص الممكنه لاستغلال الطاقات البشريه المتاحه من اجل تحقيق مستوى رفاهية افضل للافراد

(١) مهدي رزق الله محمد، القيم التربوية في السيرة النبوية: ص١١.
(٢) احمد درويش، التنمية البشرية مفهومها مؤشراتها وكيفية قياسها: ص ٥٣.
(٣) احمد درويش، التنمية البشرية مفهومها مؤشراتها وكيفية قياسها: ص ٥٣ – ٥٤.
(٤) ستايش علي، التنمية البشرية، ص ٩.

فالبشر هما الهدف الاساسي للتنمية البشرية وهم الاداة الاساسية لتحقيق هذه التنمية كما ان التنمية بهذا المعنى لا تعني فقط زياده الثروه أو الدخل للمجتمع أو حتى الافراد وانما النهوض باوضاعهم الثقافية والاجتماعية والصحية والتعليمية وتمكينهم سياسياً وتفعيل مشاركاتهم في المجتمع مع حسن توظيف طاقاتهم وقدراتهم لخدمة انفسهم ومجتمعاتهم(١).

والملاحظ على هذه التعريفات انها تتسم بالمادية البحته فكل من حاول تعريف التنمية البشرية نظر إلى الجانب الاقتصادي واعتبر زيادة الدخل وهو قمة التنمية أو نقل الشخص والمجتمع من دائرة التخلف إلى دائرة الرقي والتقدم قمة التنمية فهدف التنمية لدى المعاصرين يتمحور حول اسعاد الإنسان بما يحويه هذا الإنسان من مادة وغفلوا جانباً مهماً وهو التنمية الروحية، اما في القران الكريم نجد ان هدف التنمية لم يقتصر على عنصر واحد فقد جمعت بين التنمية المادية والتنمية الروحية فترقى الروح كما يرقى الجسد ولقد جمعهم الله تعالى في قانون للتنمية شامل(٢)، اذ قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾(٣).

الخطبة الفدكية

وهي الخطبه التي القتها السيده الزهراء عليها السلام في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله عندما اجمع ابو بكر وعمر على منعها حقها في فدك، وقد وردت هذه الخطبه في العديد من المصادر منها كتاب (السقيفه وفدك) للجوهري(٤)، وكتاب (بلاغات النساء) لابن طيفور(٥)، وكتاب (الاحتجاج) للطبرسي(٦)، ومما لا شك فيه ان خطبه السيده الزهراء عليها السلام هي من اشرف الخطب واعلاها رتبه في البلاغه وقد اشتملت على المعارف الالهيه التي هزت بها اركان الظلم والطغيان وازالت الغشاوة عن اعين الناس ولم يكن كلامها مجرد محاججة ومجادلة مع القوم فحسب بل كان كلامها دستوراً للعقائد والتشريعات الإسلامية

(١) حسين احمد دخيل سرحان، التنمية البشرية المستدامة وبناء مجتمع المعرفة: ص ١٤١.

(٢) محسن الكومي، السبق القران لمفهوم تنمية الموارد البشرية،

https://democraticac.de/?p=71583.

(٣) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٤) الجوهري، السقيفة وفدك: ص ١٠٠.

(٥) ابن طيفور، بلاغات النساء: ص ١٤- ٢٠.

(٦) الطبرسي، الاحتجاج: ج١ ص١٣١- ١٤٤.

التوحيد والعدل وفي النبوة والامامة والمعاد فكلامها شامل لكل النواحي التكوينية والتشريعية[١].

- دور القيم في تحقيق التنمية البشرية

من أجل تحقيق التنميه البشريه في المجتمع لابد ان تتوفر عده اسس وفي مقدمه هذه الاسس ضروره وجود منظومة قيمية تساعد في بناء الإنسان الذي يعد اللبنة الاساس في بناء المجتمع اذ ان منظومة القيم هي التي تحدد مكانة وقدرة وقيمة الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه وهي الاحكام المعيارية التي يستند اليها الفرد في تقيم سلوكه وسلوك الاخرين من حوله وهي سياج وحصن يحمي الافراد والمعيار الذي سيتم تقيمه عليه في الاخرة اما إلى جنة عرضها السموات والارض أو النار[٢].

يمكن ان نرى اهمية القيم في حياه الافراد والمجتمعات اذا غابت هذه القيم من حياه الإنسان تسير على غير هدى فتكون مضطربة ومشوشة فلا يستقيم لها حال ولا ينتظم فيها مسار وتغلب عليها الاهواء والشهوات عند ذلك ستتعارض اهواء الافراد ومصالحهم الخاصة فتحدث الفوضى والصراعات اذ ستطغى على المجتمع النسبي الغير منضبطة والمنفلتة فتضيع هوية الفرد ويعيش حالة من الانفصام والتيه في سلوكه وتصرفاته مع نفسه ومع الاخرين اما اذا كان الفرد ملتزما في سلوكه بقيم ايجابية فانه سيكون متسقاً مع ذاته ومع المجتمع المحيط به فيسهل عليه التعامل مع الجميع بل ويمكن التنبؤ بما سيكون عليه سلوكه في المواقف المختلفة بعدما حددت له القيمة اهدافة وبينت له المعايير التي تضبط سلوكه وجعلتة يحظى باحترام العقلاء، والقيمة من حيث هي معايير للسلوك وضوابط له تعين الفرد على ضبط جانب مهم من جوانب حياته وتنظيمة وهو جانب الاهواء والشهوات التي اذا اطلق لها العنان بلا ضوابط فانها تؤذي صاحبها جسدياً ونفسياً وقد حذر القران الكريم من الخطر العظيم الناجم عن اتباع الاهواء قال تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ**﴾[٣]، فالقيم الايجابيه تجنب المسلم هذا الخطر في حال التزم بها، ذلك انها تمارس ضغطاً اجتماعياً ونفسياً عليه اذا حاول تجاوزها[٤]، أما على مستوى المجتمع، فمنظومة القيم تحافظ على تماسك المجتمع، فتحدد له أهدافه الكلية ومثله العليا ومبادئه الثابتة، وتساعد المجتمع على مواجهة التغيرات والمستجدات بتحديدها الاختيارات الصحيحة، كما

(١) سلام الخرسان، الفكر الكلامي عند السيدة الزهراء عليها السلام: ص ١٩٥.

(٢) مثيب بن محمد البقمي، إسهام الأسرة في تنمية القيم الاجتماعية لدى الشباب (تصور مقترح): ص٤٠.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٧١.

(٤) عزمي طه السيد احمد، القيم والمرجعية القيمية في التعليم الجامعي: ص١٠٥- ١٠٦.

أنها تحافظ على هوية المجتمع وبصمته الخاصة به، مما يحول دون ذوبان هذه المجتمعات في غيرها وتأثرها بموجات التغريب والتشريق والغزو الفكري والثقافي، كما أنها تعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساساً عقلياً يصبح عقيدة في ذهن أعضاء المجتمع المنتمين إلى هذه الثقافة، أيضا القيم تقي المجتمع من الأنانية المفرطة والنزعات الفردية والشهوات الطائشة، وتزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع العالم وتحدد له أهداف ومبررات وجوده وبالتالي يسلك في ضوئها وتحدد للأفراد سلوكياتهم[1]، مما يساهم في بناء الفرد والمجتمع وتطوير قابلياته وقدراته وتسخير كل مكانياته المتاحة لخدمة المجتمع وبالتالي تحقيق التنمية البشرية.

ولكي تتحقق التنمية البشرية ويعمل المجتمع بشكل سليم لابد من التالف حول قيم اساسية تنحصر في ما هو اساسي لحياة الإنسان وانماءه، ولا يكون ذلك الا بالالتزام بالقيم الإسلامية وتطبيقاتها في حياتنا اليومية وذلك من خلال الرجوع إلى التراث الفكري لاهل البيت عليهم السلام الذي يزخر بالقيم الإسلامية وبيان فلسفتها في تحقيق التنمية البشرية.

(١) شريف عبد العزيز، منظومة القيم وأثرها في بناء المجتمعات وانهيارها،
https://khutabaa- com.cdn.ampproject.org/v/s/khutabaa.com.

المبحث الثاني: المنظومة القيمية واثرها في تحقيق التنمية البشرية

احتوت الخطبة الفدكية على منظومة قيمية واسعة من قيم عبادية وأخلاقية واجتماعية وعقدية تعد وسيلة لضمان التنمية الروحية والمادية للفرد والارتقاء به إلى اعلى درجات الكمال وبالتالي تحقيق اهداف التنمية البشرية وقد قسمت هذه المنظومة القيمية في الخطبة الفدكية إلى:

- القيم العبادية واثرها في تحقيق التنمية البشرية

ان القيم العبادية تعد أحد الوسائل لتنمية الروح وبناء الكيان المنضبط المستقيم لما لها من طبيعة تربوية عظيمة في حياة الإنسان من خلال ترسيخ التواصل بين الإنسان وربه وبين الإنسان ومحيطه الذي يعيش فيه فهي نظام متكامل يصل بالإنسان إلى اعلى درجات الرقي والكمال الإنساني.

لذلك نجد السيده الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية اكدت على ضروره التمسك بهذه القيم العباديه التي من شانها رفع مستوى الإنسان إلى التكامل البشري من خلال بيان الغايات والاهداف التي من اجلها شرعت هذه العبادات وما ترتب عليها من تحقيق اهداف التنمية البشرية ومن هذه الاهداف:

١- الارتقاء بالإنسان فكرياً وسلوكياً

ان من الأهداف التي تسعى التنمية البشرية إلى تحقيقها هي الارتقاء بالإنسان فكرياً وضبط سلوكه وذلك لا يتحقق الا من خلال وجود مجموعة من الضوابط والمحددات لعل في مقدمتها القيم العبادية المتمثلة بالصلاة اذ ورد في خطبة السيد الزهراء عليها السلام «**والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر**»، فللصلاة ابعاد تنموية كبيرة في نفس الإنسان لكونها تعد عملاً عبادياً تربوياً له انعكاساته الكبيرة على الفرد اذ قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾[1]، وبذلك فان لصلاة دور كبير في صناعة شخصية الفرد الرافضة للفحشاء والمنكر لذلك نجد التركيز من قبل السيدة الزهراء عليها السلام على الصلاة وابعادها وتاثيرها لان ذلك من صفات المؤمنين اذ قال تعالى: ﴿**قَدْ**

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1]، ولكون الصلاة المحور الذي تدور عليه بقية الاعمال والعبادات اذ قال النبي الاكرم ﷺ: «**الصلاة عمود الدين، وأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من الأعمال، وأول ما يسأل عنه العبد بعد المعرفة، فإن قبل قبلت ما سواها، وإن ردت رد ما سواها**»[2].

اي ان الصلاة ذات ابعاد تنموية تتمثل في تحطيم الانانية والكبر عند الإنسان ووسيلة تربوية لتربية الإنسان على الفضائل وايضا من ابعادها التنموية المهمة انها تقوي روح الالتزام والانضباط عند الإنسان لانه ينبغي ان تؤدي في اوقات ثابتة لا يجوز التاخير أو التقديم فيها لان ذلك موجب بطلانها كما ان ما فيها من احكام واداب التي يجب مراعاتها عند اداء الصلاه تجعل من اليسير الالتزام بالمنهج الحياتي اذ جاء عن الامام علي الرضا عليه السلام في بيان عله الصلاه وفلسفتها ان «**الصلاة الاقرار بالربوبية وهو صلاح عام لان فيه خلع الأنداد والقيام بين يدي الجبار بالذل والاستكانة والخضوع والاعتراف والطلب في الإقالة من سالف الذنوب ووضع الجبهة على الأرض كل يوم ليكن ذاكر الله غير ناس له يكون خاشعا وجلا متذللا طالبا راغبا مع الطلب للدين والدنيا بالزيادة مع ما فيه من الانزجار عن الفساد جداً، وصار ذلك عليه في كل يوم وليلة لئلا ينسى العبد مدبره وخالقه فيبطر ويطغى وليكون في ذكر خالقه والقيام بين يدي ربه زاجرا له عن المعاصي، وحاجزا ومانعا عن أنواع الفساد**»[3]، وأيضاً من القيم العبادية الأخرى التي لها دور في تحقيق الضبط السلوكي للإنسان الصيام، حيث ورد في الخطبة الفدكية «**والصيام تثبيتاً للأخلاص**»، فالصيام هدف وغاية تنموية وهي تهذيب النفس وتزكية الروح اذ يزرع فيه التقوى اذ قال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[4]، كما يمنع الإنسان من الغضب وسوء الخلق اذ قال رسول الله ﷺ «**ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فان سابك أحد أو جهل عليك فقل انى صائم**»[5].

وقد بين الامام علي الرضا عليه السلام علة الصوم «**فانه قيل: فلم أمروا بالصوم؟ قيل: لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش ويستدلوا على فقر الآخرة، وليكون الصايم خاشعا ذليلا مستكينا مأجورا محتسبا**

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ١ – ٢.
(٢) الصدوق، الأمالي: ص٧٣٩– ٧٤٠.
(٣) الصدوق، علل الشرائع: ج١ ص ٢٥٦.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٣.
(٥) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ج١ ص٤٣١.

عارفا صابرا على ما أصابه من الجوع والعطش، فيستوجب الثواب مع ما فيه من الامساك عن الشهوات، وليكون ذلك واعظالهم في العاجل ورايضا لهم على أداء ما كلفهم ودليلا لهم في الاجر، وليعرفوا شدة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا، فيؤدوا إليهم ما فرض الله لهم في أموالهم»[1].

وايضاً الحج يعد من القيم العبادية التي لها اثر في تحقيق الارتقاء الفكري والسلوكي للفرد والمجتمع كما بينت السيدة الزهراء عليها السلام «**فالحج تشيداً للدين**»، لان الحج ركن من اركان الدين الإسلامي له قيمة كبيرة في نفس الافراد والمجتمع لما له من تاثير على البناء التنموي للإنسان فله اثار روحية وسياسية وثقافية واجتماعية لذلك عندما ذكر القران الكريم منافع الحج ذكرها بصوره مطلقه اذ قال تعالى: ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ**﴾[2]، فهو ليست مجرد فريضة وانما فيه تنمية للذات وتهذيب للسلوك فهو يقضي على الجانب العنصري في نفس الإنسان اذ ان فريضة الحج تقتضي المساواة في اللباس والزمان والمكان مما يؤدي إلى زرع قيمة المساواة بين الافراد، كما ان من الابعاد التنمويه للحج في نفس الفرد للقضاء على السلوكيات غير السوية واعداد وتنظيم السلوك اذ قال تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[3]، وقد ورد في تفسير الاية عن الفخر الرازي « هي أنه قد ثبت في العلوم العقلية أن الإنسان فيه قوى أربعة: قوة شهوانية بهيمية، وقوة غضبية سبعية، وقوة وهمية شيطانية، وقوة عقلية ملكية، والمقصود من جميع العبادات قهر القوى الثلاثة، أعني الشهوانية، والغضبية، والوهمية، فقوله ﴿**فَلَا رَفَثَ**﴾ إشارة إلى قهر الشهوانية، وقوله: ﴿**وَلَا فُسُوقَ**﴾ إشارة إلى قهر القوة الغضبية التي توجب التمرد والغضب، وقوله: ﴿**وَلَا جِدَالَ**﴾ إشارة إلى القوة الوهمية التي تحمل الإنسان على الجدال في ذات الله، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وأسمائه، وهي الباعثة للإنسان على منازعة الناس ومماراتهم، والمخاصمة معهم في كل شئ، فلما كان منشأ الشر محصوراً في هذه الأمور الثلاثة لا جرم قال: ﴿**فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾، أي فمن قصد معرفة الله ومحبته والاطلاع على نور جلاله، والانخراط في سلك الخواص من

(١) الصدوق، علل الشرائع: ج١ ص٢٧٠.
(٢) سورة الحج: الآيتان ٢٧- ٢٨.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

عباده، فلا يكون فيه هذه الأمور، وهذه أسرار نفسية هي المقصد الأقصى من هذه الآيات، فلا ينبغي أن يكون العاقل غافلاً عنها»[1].

وورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام في بيان علة الحج التي تظهر من خلالها ابعاده التنموية قوله: «**إن الله عز وجل خلق الخلق لا لعلة إلَّا أنه شاء ففعل فخلقهم إلى وقت مؤجل، وأمرهم ونهاهم ما يكون من أمر الطاعة في الدين ومصلحتهم من أمر دنياهم فجعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب ليتعارفوا، ولينزع كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمال، ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله، وتعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى، ولو كان كل قوم إنما يتكلون على بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد، وسقط الجلب والأرباح، وعميت الاخبار ولم يقفوا على ذلك فذلك علة الحج**»[2].

٢- تحقيق النمو الاقتصادي والترابط الاجتماعي

من الأهداف الأساسية التي تسعى التنمية البشرية إلى تحقيقة هي النهوض بالمستوى الاقتصادي الافراد والمجتمعات وتحقيق ترابط اجتماعي بين افراد المجتمع فهذه الأهداف تعد ضرورية لرفاهية الافراد والمجتمعات، وبما ان الدين الإسلامي من خلال قيمة العبادية اكد على السعي لرقي بالإنسان مادياً ومعنوياً نجد ان هناك انعكاسات مادية من القيم العبادية فالزكاة تعد ركيزة اقتصادية ذات تاثير يتجاوز المفهوم الديني وهذا ما اكدت عليه السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها اذ قالت: «**والزكاة تزكية للنفس، وانماء في الرزق**».

تعطينا السيده الزهراء عليها السلام درساً تنموياً غاية في الاهمية على شكل قيمة تجلت في(الزكاة)، فالزكاه ذات قيمة عظيمة على مستوى الفرد والمجتمع فعلى مستوى الفرد فيها تطهير الامواله وزيادة البركه فيها اذ جاء في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[3]، وتطهير النفس من الانانية والطمع اما على مستوى المجتمع فهي تزيد الترابط والتعاون بين ابنائه فهي تتعلق بمواساه الفقراء وتقوية اواصر الموده بين الاغنياء والفقراء والتقريب بين فئات المجتمع ومحاربة الفقر الذي يعد خطراً يهدد كيان الامه اي انها ذات ابعاد تنمويه على المستوى الاقتصادي من خلال محاربة الفقر وعلى

(١) التفسير الكبير: ج ٥ ص١٨٢- ١٨٣.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج٩٦ ص٣٣.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

المستوى الاجتماعي من خلال زياده التكافل والترابط الاجتماعي بين افراد المجتمع اذ ورد عن الامام علي الرضا عليه السلام في بيان علة الزكاة وحكمتها انها «**من أجل قوت الفقراء، وتحصين أموال الأغنياء لان الله عز وجل كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ في أموالكم إخراج الزكاة وفي أنفسكم توطين الا نفس على الصبر مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عز وجل، والطمع في الزيادة مع ما فيه من الزيادة والرأفة والرحمة لأهل الضعف، والعطف على أهل المسكنة، والحث لهم على المواساة، وتقوية الفقراء، والمعونة لهم على أمر الدين، وهو عظة لأهل الغنى وعبرة لهم ليستدلوا على فقراء الآخرة بهم ومالهم من الحث في ذلك على الشكر لله – تبارك وتعالى – لما خولهم وأعطاهم، والدعاء والتضرع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات، وصلة الأرحام، واصطناع المعروف**»[1].

٣- حفظ المجتمع واستمرارية التقدم

ان اهداف التنمية البشرية نصت على حماية الإنسان وتنمية قدراته والمحافظة على البيئة وتنمية مواردها، ولو تَمَعَنَّا في تعاليم الإسلام لوجدنا أنَّها تناولت هذه الأهداف وحثت عليها، وخاصة فيما يتعلق بالإنسان فالمقصد الأساسي للتنمية في الإسلام الإنسان، ومن أهم الأولويات تنميه الإنسان المحافظة على: (دينه، ونفسه، ونسله، وماله، وعقله) هذه الأمور الخمسة المهمة والتي تسمى عند علماء الأصول (الضروريات الخمس، أو الكليات الكبرى)، وهي أسس العمران في كل مجتمع، والتي لولاها لما تحققت وسارت مصالح العباد في الدنيا والآخرة ولسادت الفوضى في المجتمعات، ويدخل مبدأ حفظ النفس البشرية بالإعداد الجيد وتجهيز الجيوش لمواجهة أي عدوان خارجي يهلك الحرث والنسل ويمنع التنمية قال عز وجل: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾[2]، وتنشئة جيل في بيئة ملائمة تنهض به وتعده لخدمة المجتمع، بما يضمن استدامة الحياة والمحافظة على ثرواتها وتنميتها[3]، وهذا ما نصت عليه الخطبة الفدكية اذ جاء فيها «**والجهاد عزاً للأسلام**» اذ ان من الفرائض التي فرضها الله تعالى على المسلمين هي الجهاد اذ قال تعالى: ﴿**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٩/ ١٢-١٣.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

(٣) عبد الكريم علي عبد الله، الضروريات الخمس واثرها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، https://www.uoanbar.edu.iq/UEBDC/English/index.php.

(٤) سورة التوبة: الآية ٤١.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، لما في من ابعاد تنموية في اقامة المقاصد الشرعية واعزاز دين الإسلام لذلك اولي عناية خاصة في فكر أهل البيت عليهم السلام لكونه دعامة قوية وركيزة هامة في نصرة واعزاز دين الإسلام وقد اشار إلى ذلك الإمام علي عليه السلام في العديد من الاقوال اذ قال: «**الجهاد عماد الدين ومنهاج السعداء**»[2]، وقال عليه السلام: «**وفرض الجهاد عزا للإسلام**»[3] وقال عليه السلام: «**ثم إن الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام وهو قوام الدين والأجر فيه عظيم مع العزة والمنعة**»[4].

ويستفاد من هذه الروايات ان الجهاد به يدافع عن الدين وبه ينصر دين الله وبه العزة والمنعة للإسلام ووعد الله تعالى المسلمين عليه بالثواب اذ قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[5].

اي ان الجهاد ذو ابعاد تنموية على المجتمع اذ يعد ركن اساسي في بناء الدولة ومنعتها وعز الإسلام فمن خلاله يحفظ الدين والاوطان والابدان والاموال وبالتالي تحقيق اهداف التنمية البشرية وتوفير الرخاء.

فنلاحظ هنا ان كل تشريع عبادي له قيمة وبعد تنموي غاية في الاهمية يصل بالإنسان إلى تطوير الذات وتزكيه النفس وضبطها عن الهوى وبالتالي خلق فرداً متوازناً متحلي بانواع الفضائل، لذلك فقد اشار القران الكريم في العديد من الايات إلى الجانب العبادي واهميته في تربية وبناء الإنسان المتكامل مادياً ومعنوياً بل اشار إلى ان الغاية من خلق الإنسان هي العبادة اذ قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[6]، وهذا الاية تدل على اهمية الجانب العبادي ولكن اي عبادة هذه التي جعلها الله تعالى غاية خلق الإنسان هل هي مجرد الصوم والصلاة والزكاة وغيرها من الاعمال العبادية؟ من المؤكد ان الجواب على ذلك بالنفي فالعبادة اذا لم يكن لها دور ايجابي فاعل يستشعره الفرد في سلوكه وتصرفاته وتكامله الروحي والمادي فهي مجرد حركات لا تغني عنه شيأً، بل ان هذه العبادات تكون أحد حبال ومكائد الشياطين في جر الفرد إلى ارتكاب الانحرافات واتباع الهوى.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٤.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة: ج١ ص٤٤٤.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٩ ص٨٧.

(٤) الكليني، الكافي: ج٥ ص٣٧.

(٥) سورة الصف: الآيتان ١٠-١١.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

لذلك نجد الامام علي عليه السلام يؤكد على الاثار والانعكاسات لهذه العبادات واثرها في حياة الفرد «**يا كميل لا تغتر بأقوام يصلون فيطيلون، ويصومون فيداومون، ويتصدقون فيحسبون أنهم موقوفون، يا كميل أقسم بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الشيطان إذا حمل قوما على الفواحش مثل الزنى، وشرب الخمر، والربا، وما أشبه ذلك من الخنى والمأثم حبب إليهم العبادة الشديدة، والخشوع، والركوع، والخضوع والسجود ثم حملهم على ولاية الأئمة الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون**»[1]، فان العبادات اذا لم تسمو بالجانب الروحي وتصل بالإنسان إلى مرحلة التكامل المادي والمعنوي لا معنى لها لان عملية التنمية البشرية وتطوير الذات وتهذيب صفاته النفسية بحاجة إلى التكامل الروحي والمادي معاً.

- القيم الأخلاقية واثرها في تحقيق التنمية البشرية

حظت القيم الأخلاقي بالجزء الاكبر من اهتمام أهل البيت عليهم السلام اذ ان في مقدمة وظائف الانبياء هي تزكية النفس البشرية والسمو بها إلى اعلى مراتب الكمال اذ قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[2]، بل ان الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله بين انه من اهداف بعثته اتمام مكارم الأخلاق اذ قال صلى الله عليه وآله: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[3] لما للقيم الأخلاقية من اثر في توجية قدرات وامكانيات الإنسان بالطريقة المثله لأستغلال قدراته في تحقيق اهداف التنمية البشرية.

لذلك حرصت السيدة الزهراء عليها السلام على وضع منهاج اخلاقي متكامل يسمو بالإنسان إلى اعلى درجات الرقي والكمال المادي والمعنوي، له اهميته في بناء وتكامل شخصية الفرد والمجتمع، اذ ان للقيم الأخلاقية اثار كبيرة على شخصية الفرد والمجتمع بما ينعكس على تحقيق اهداف التنمية ولعل من ابرز هذه الاهداف:

١- تحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية

اذ نص الهدف السادس عشر من اهداف التنمية المستدامة الذي وضعته منظمة الأمم المتحدة على «تشجيع على إقامة مجتمعات سلمية وشاملة للجميع من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وتوفير إمكانية الوصول إلى العدالة للجميع وبناء مؤسسات فعالة وخاصعة للمساءلة وشاملة للجميع على جميع

(١) المجلسي ن بحار الأنوار: ج٧٤ ص٢٦٧.
(٢) سورة الجمعة: الآية ٢.
(٣) البيهقي، السنن الكبرى: ج١٠ ص١٩٢.

المستويات»[١].

لذلك فان من أهم اهداف التنمية البشرية التي عملت السيدة الزهراء عليها السلام على تعزيزها في المجتمع هي مسألة العدل لما فيها من اثار تنموية على صعيد الفرد والمجتمع اذ قالت: «**والعدل تنسيقاً للقلوب**»، وقد ورد عن الماوردي «ان مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل الذي يدعو إلى وتعمر به البلاد وتنمو به الاموال ويكبر معه النسل ويامن به السلطان:[٢]، ولما للعدل من مكان رفيعة ومنزل سامية كقيمة أخلاقية ومبدأ إسلامي نجد ان الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز يأمر بالعدل ذا قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[٣]، فمبدأ العدل يضمن اقامة مجتمع متماسك تسود بين افراده المودة والتألف ويتحقق فيه السلم الاجتماعي وسعاده وبناء المجتمع اذ يقول الامام علي عليه السلام: «**العدل اساس به قوام العالم**»[٤]، منهج العدل الاجتماعي يحصن المجتمع من الإرباك والفوضى، ناهيك عن تحقيق كل ما تصبو له النفس البشرية من المساواة بين أفراد المجتمع، وضمان تحقيق العدالة هو المعيار الواقعي لشعور الفرد بالاطمئنان[٥].

٢- تنمية الصفات الإيجابية في الشخصية

من الصفات الإيجابية التي عملت السيده الزهراء عليها السلام على ترسيخها وتنميتها في المجتمع هي مسألة تهذيب النفس لملكاتها النفسية وضبط النفس عن الهوى ولعل أهم ما يرمز إلى ذلك الصبر اذ قالت: «**والصبر معونه على استيجاب الاجر**» فهو يساعد على مواجهة الصعاب والتحديات في الحياه دون الاستسلام للظروف الصعبة مما يساهم في تحسين جودة الحياه.

فالصبر له دور فاعل في ضبط انفعالات الفرد ورغباته مما يساهم في بناء الشخصية والصبر من أخلاق أهل العزيمة اذ قال تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى**

(١) اهداف التنمية المستدامة،

https://ar.m.wikipedia.org/wiki.

(٢) ادب الدين والدنيا: ص١٥٣.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٤) الريشهري، ميزان الحكمة: ج٣ ص ١٨٣٨.

(٥) صباح محسن كاظم، فلسفة العدل الاجتماعي،

https://alsabaah.iq/45788- .html.

مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1]، واحسن خلل الايمان واشرف خلائق الإنسانية اذ قال الإمام علي عليه السلام: «**ان الصبر أحسن خلل الايمان، وأشرف خلايق الناس**»[2]، وهو مقدمه الايمان اذ قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**الصبر من الايمان بمنزله الراس من الجسد فاذا ذهب الراس ذهب جسد**»[3].

كذلك من الصفات الإيجابية التي هدفت التنمية البشرية إلى تعزيزها في شخصية الفرد الوفاء اذ يعد من القيم الإسلامية الاجتماعية والأخلاقية المهمة التي لها انعكاسات واثار على الفرد والمجتمع حيث ترسي دعائم الثقة بين افراد المجتمع الواحد اذ قالت السيدة الزهراء «**الوفاء تعريضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين: تغييرا للبخس**».

لذلك فقد امر الله تعالى عباده بعدد من الوصايا وختم تلك الوصاية بخصلة الوفاء اذ قال تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ۞ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[4]، فالوفاء ضمانة لأداء ما امر الله وتعالى واجتناب ما نهى عنه.

وبما ان الإسلام جاء ليعزز من هذه القيم الايجابية ومنها قيمة الوفاء قد بينت السيدة الزهراء عليها السلام الاثر الايجابي الذي يترتب على الالتزام بهذه القيمة الاجتماعية والأخلاقية وهي التعرض لمغفرة الله تعالى.

وتوفية المكاييل والموازين من القيم الاجتماعية التي تحقق النظام والاستقرار في المجتمع لذلك امر الله تعالى بالوفاء بالمكاييل والموازين وحذر من التطفيف بالكيل والوزن بل انه اهلك أمه من الأمم بسببه اذ قال تعالى: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ۞ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ**

(١) سورة لقمان: الآية ١٧.
(٢) الريشهري، ميزان الحكمة: ج٢ ص١٥٥٦.
(٣) الكليني، الكافي: ج٢ ص٨٧.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٥١- ١٥٢.

وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1].

كذلك تعد العفة من القيم الأخلاقية المهمة التي لها اثر في تحقيق أهداف التنمية البشرية على مستوى الفرد والمجتمع العفة فهي ذات اهمية وشأن في اشاعة الامن والاستقرار في المجتمع لذلك امر بالتحلي بالعفة اذ قال الامام علي عليه السلام: «**العفة رأس كل خير**»[2]، فالعفة تعني: «**الكَفُّ عما لا يَحِلّ ويَجْمُلُ، وعَفَّ عن المَحارِم والاطْماع الدَّنِية وقيل: الاستعفاف الصبْر والنَّزاهة عن الشيء**»[3]، لذلك فقد اشارت السيدة الزهراء عليها السلام في هذه المقطع من خطبتها إلى قيمة العفة كقيمة أخلاقية واجتماعية لما له من اثر في بناء مجتمع قائم على الطهارة والعفة التي يجب ان يتصف بها المجتمع الإسلامي اذ قالت: «**ترك السرقة ايجاباً للعفة**».

وتظهر اهمية الاهتمام بالجانب الأخلاقي في فكر أهل البيت عليهم السلام من الاثار المترتبة على الالتزام بهذه الفضائل الأخلاقيـة اذ قال الامام محمد الباقر عليه السلام: «**إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً**»[4].

وبذلك فان هذه الصفات الإيجابية التي تنعكس نتيجة الالتزام بالقيم الأخلاقية تساهم في تنمية القدرات الشخصية للأفراد وتعزيز نموهم الشخصي والاجتماعي فعندما يتعلم الفرد قيماً أخلاقية صحيحة يكسبه ذلك القدرة على اتخاذ القرارات والقدرة على التعامل مع التحديات، كما يساعد في بناء مجتمع يتسم بالعدل والمساواة والتعاون وهذا من أهم اهداف التنمية البشرية.

- القيم العقائدية واثرها في تحقيق التنمية البشرية

لقد كان للقيم العقائدي حضورها في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام اذ احتلت حيزاً كبيراً فيها فقد اهتم أهل البيت عليهم السلام اهتماماً مميزاً بالقيم العقائدي لانها تعد الاساس في بناء شخصية الإنسان المتكاملة مادياً ومعنوياً لذلك قلما نجد خطبة أو دعاء أو رسالة لأهل البيت عليهم السلام تخلو من الاشارة إلى الجانب العقائدي، لذلك نجد السيدة الزهراء عليها السلام اكدت على القيم العقائدية لما لها من اثر في تحقيق اهداف التنمية البشرية، ولعل في مقدمة هذه الأهداف:

١ - إيجاد القيادة الاستراتيجية

(١) سورة هود: الآيتان ٨٤- ٨٥.
(٢) الواسطي، عيون المواعظ والحكم: ص٤٥.
(٣) ابن منظور، لسان العرب: ج٩ ص٢٥٣.
(٤) الكليني، الكافي: ج٢ ص٩٩.

لقد اثبتت الدراسات العلمية بما لا يقبل الشك انه لا غنى للمنظمات مهما كان شكلها وأهدافها عن الإدارة الاستراتيجية في رسم خططها وتحقيق أهدافها وبالتالي فان الإدارة الاستراتيجية مسؤولة عن تحقيق أهداف التنمية المستدامة(١)، وبذلك فان أحد اهداف واسس تحقيق التنمية البشرية هو وجود قيادة استراتيجية قادة على تحقيق التنمية البشرية وقد عبر عن هذه القيادة من خلال القيم العقائدية المتمثلة بموضوع الإمامة التي يعد من أهم الأمور العقدية التي اهتم أهل البيت عليهم السلام على ترسيخها في نفوس المسلمين وذلك لأرتباطها بموضوع استقرار الامة والسير على المسار الصحيح لان المجتمعات البشرية جميعاً حتى تحقق التنمية في جميع نواحي الحياة لابد يكون هناك محور تتجمع حوله الامة وهذا المحور يتمثل بالقيادة الصالحة التي يكون لها الرجحان على جميع افراد المجتمع في جميع الصعد في القدرة على التخطيط والتنظيم والعلم والمعرفه لكي تكون قادره على تحقيق اهداف الافراد والمجتمعات فالقياده الصالحة تعد من أهم اسس التنمية البشرية لما لها من دور على التاثير في سلوك الافراد والمجتمعات وتحقيق نموها لذلك فقد ورد تأكيد على هذه القيمة العقدية في الخطبة الفدكية اذ قالت السيدة الزهراء: «**وطاعتنا نظاماً للأمة، وامامتنا اماناً من الفرقة**» وقد اكد ذلك ما روي عن الإمام علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**معاشر الناس إني مؤد عن ربي عز وجل ولا مخبر عن نفسي فمن صدقني فقد صدق الله، ومن صدق الله أثابه الجنان، ومن كذبني كذب الله عز وجل، وكذب الله أعقبه النيران ثم ناداني فصعدت فأقامني دونه ورأسي إلى صدره والحسن والحسين عن يمينه وشماله، ثم قال: معاشر الناس أمرني جبرئيل عن الله عز وجل أنه ربي وربكم أن أعلمكم أن القرآن هو الثقل الأكبر، وأن وصيي هذا وابناي من خلفهم من أصلابهم حاملا وصاياي هم الثقل الأصغر، يشهد الثقل الأكبر للثقل الأصغر ويشهد الثقل الأصغر للثقل الأكبر كل واحد منهما ملازم لصاحبه غير مفارق له حتى يردا إلى الله فيحكم بينهما وبين العباد**»(٢).

وفرض طاعتهم في القرران الكريم اذ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾(٣) لما في طاعة أهل البيت عليهم السلام من ابعاد تنموية على المجتمع في اجتماع وتألف الامة ففي طاعتهم والانقياد لأوامرهم التقدم والرقي للفرد والمجتمع.

بخلاف ذلك يكون الفرقه والتشتت وسقوط المجتمع اذ ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في عله الامامة

(١) بريجة فاتح، مساهمة الإدارة الاستراتيجية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، مجلة المؤشر للدراسات الاقتصادية، المجلد (٢)، العدد (٣)، ٢٠١٨م.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج٧٤ ص ٢٧٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

قوله «**أنَّه لو لم يجعل لهم إماماً قيماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة وذهب الدين وغيرت السنن والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون، وشبّهوا ذلك على المسلمين، لأنّا وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين، مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتّت أنحائهم، فلو لم يجعل لهم قيماً حافظاً لما جاء به الرسول**صلى الله عليه وآله **لفسدوا على نحو ما بينا، وغيرت الشرائع والسنن والأحكام والإيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين**»[1].

- القيم الاجتماعية واثرها في تحقيق التنمية البشرية

يعد الجانب الاجتماعي من الجوانب المهمة التي اهتم النبيصلى الله عليه وآله وأهل البيتعليهم السلام بها لما لها من دور في توجية سلوك الافراد وبناء وتنمية المجتمع الصالح.

لذا أولت السيدة الزهراءعليها السلام العلاقات الاجتماعية بين الافراد المجتمع عناية كبيرة فقد وضعت اسس للنظام الاجتماعي تحكم علاقات الافراد مع بعضهم البعض ووضعت لهم المناهج الاجتماعية السليمة لتنظيم حياتهم واصلاح شؤونهم التي يمكن للمجتمع من خلال اتباعها الوصول إلى اعلى درجات الرقي الاجتماعي.

اذ كشف في خطيتها الفدكية عن المسار الواجب اتباعة في العلاقات الاجتماعية من اجل بناء مجتمعاً إسلامياً نموذجياً تحكمة مبادئ المحبة والتآلف والوئام اذ بينتعليها السلام مجموعة من القيم الاجتماعية التي تؤدي إلى قوة الروابط الاجتماعية بين افراد المجتمع وتزيد من التكافل الاجتماعي بينهم فهذه القيم من الوسائل التي لها دور كبير في توثيق العلاقات الاجتماعية بين افراد وتنميتها وبالتالي تحقيق أهداف التنمية البشرية ومن هده الأهداف:

١- تعزيز التماسك المجتمعي بين فئات المجتمع

توجه عمل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بشان الحكم الديمقراطي وبناء السلام إلى تعزيز التماسك الاجتماعي بين فئات المجتمع اذ تشير البحوث في علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية وعلم النفس الاجتماعي في ان المجتمعات المتماسكة هي الأكثر احتمالاً في ان يتمتع افرادها بصحة افضل وان تتحقق مساواة اكبر في الدخل وان يكون لها أنظمة دعم وحماية اجتماعية اكثر شمولية[2].

لذلك لابد من وجود الآليات لتحقيق التماسك الاجتماعي وتحقيق أهداف التنمية ومن هذه

(١) الصدوق، علل الشرائع: ج١ ص ٢٥٣.

(٢) تعزيز التماسك المجتمعي، برنامج الأمم المتحدة: ص ١٣- ١٩.

الآليات التي اشارت اليها السيدة الزهراء عليها السلام ولها اثر كبير في صلاح المجتمع ووتحقيق التماسك الاجتماعي هي قيمة الامر بالمعروف «**والأمر بالمعروف مصلحة للعامة**» اذ يعد ركيزا اساسية في بناء وقيام المجتمعات لما لها من اثر في استقرار المجتمعات ومصلحة العامة.

ان لهذه القيمة اثار اجتماعية كبيرة تترتب على الالتزام بها اذ قال الامام محمد الباقر عليه السلام: «**إن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء، ويستقيم الامر الحديث**»(١).

وان الامر بالمعروف فضلاً عن كونها قيمة اجتماعية مهمة تمثل عملية حيوية ترمي إلى المحافظة على بقاء القيم الاخرى حية في نفوس الناس وبالنتيجة فهي تشكل ممارسة عملية لحماية منظومة القيم التي يتبناها الإسلام مما قد يعتريها من تشوه واندثار تحت ضغط الافكار والدعاية المروجة للانحراف فهي تتعلق بحماية العقيدة من خلال مواجهة الافكار المضادة ورد اشكالاتها، كذلك تتعلق بالشريعة احكاماً وأخلاقاً من حيث حفظ جمالها بنظر ابناء الامة(٢).

ويعد بر الوالدين من القيم الاجتماعية والأخلاقية المهمة التي لها العديد من الاثار الايجابية على مستوى الفرد والمجتمع تتمثل في بناء شخصيات قوية ملتزمة بالأخلاق الحميدة والقيم النبيلة المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي وأخلاقه المترسخة في نفوس ابناء المجتمع وتزيد الروابط الاسرية اذ ورد عن السيدة الزهراء عليها السلام «**وبر الوالدين وقاية لكم من السخط**»، فأن بر الوالدين وتوقيرهما وتعظيم قدرهما من اعظم الواجبات واهم الحقوق التي امر الله تعالى بها في العديد من الايات القرانية اذ قرن الله سبحانه وتعالى بين الايمان به وبر الوالدين اذ قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾(٤)، لما لبر الوالدين من اثار ايجابية واضحة في استقرار المجتمعات من خلال استقرار أهم بنية فيه وهي الاسرة كون الوالدين يمثلان عماد كل اسرة فاستقرار الاسرة يعني استقرار المجتمع، ذلك ورد في السنة النبوية ما يدل على اهمية هذه القيمة اذ سُأل النبي الاعظم صلى الله عليه وآله اي الاعمال افضل فقال: «**الصلاة**

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج١٦ ص١١٩.
(٢) جمعية المعارف الإسلامية، حياة المجتمع: ص ٤٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ٨٣.
(٤)سورة النساء: الآية ٣٦.

لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله»[1].

كذلك تعد صلة الارحام من الآليات تحقيق التماسك الاجتماعي التي تسعى التنمية الشرية إلى تحقيقها اذ لخصت السيدة الزهراء عليها السلام قيمة صلة الرحم قي اثرها التنموي المتمثل في قولها: «**وصلة الارحام منساة في العمر ومنماة للعدد**»، حيث تعتبر صلة الارحام من القيم الاجتماعية التي سعى الدين الإسلامي إلى ترسيخها في نفوس ابناء المجتمع لما لها من انعكاسات ايجابية على الفرد والمجتمع فهي من الامور التي تزيد الترابط والتواصل والالفة بين ابناء المجتمع لذلك اكد القرآن الكريم في العديد من الايات على هذه القيمة الاجتماعية اذ قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[2]، كذلك أكد عليها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله حيث روي «أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أخبرني ما أفضل الأعمال؟ فقال: **الإيمان بالله**، قال: ثم ماذا؟ قال: **صلة الرحم**، قال: ثم ماذا؟ قال: **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، قال الرجل: وأي الأعمال أبغض منها؟ قال: **الشرك بالله**، قال: ثم ماذا؟ قال: **قطيعة الرحم**، قال: ثم ماذا؟ قال: **الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف**»[3].

وهذه الرواية تبين عظيم اثر هذه القيمة إذ جاء في المرتبة الثانية بعد الايمان بالله تعالى وأثرها الكبير في بناء متجمع متماسك ومتعاون يكفل بعضه بعضاً، كذلك ورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ما يبين اثار صلة الرحم اذ قال: «**صلة الأرحام تزكي الأعمال وتنمي الأموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسئ في الاجل**»[4].

ولهذا الانعكاسات الايجابية والدور الكبير لصلة الرحام في قيام متجمع متماسك ومترابط يجمع ابنائه رابط الالفة والمحبة والتواصل حذر القران الكريم من قطيعة الرحم حيث قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾[5].

٢- حماية النفس الإنسانية

ان اهداف التنمية المستدامة السبعة عشر التي نص عليها برنامج الأمم المتحدة تتلخص في المحافظة

(١) احمد بن حنبل، مسند احمد بن حنبل: ج١ ص٤١٨.
(٢) سورة النساء: الآية ١.
(٣) ابن بابوية، فقه الرضا: ص ٣٧٦.
(٤) الكليني، الكافي: ج٢ ص١٥٠.
(٥) سورة محمد: الآيتان ٢٢- ٢٣.

على الإنسان وتنمية قدراته والمحافظة على البيئة وتنمية مواردها[1] لذلك فان من أولويات التنمية حفظ النفس البشرية وبقاءها على قيد الحياة لذلك لابد من أيجاد سبل لتحقيق ذلك وفي مقدمة هذه السبل كما ذكرت السيدة الزهراء عليها السلام القصاص «**والقصاص حقناً لدماء**»، اذ ان الله تعالى خلق الإنسان وكرمه وجعل له مجموعة من الحقوق والواجبات التي تساعده على الوصول إلى اقصى درجات الكمال المادي والروحي ومن أهم هذه الحقوق حق الحياة لذلك وضع الله تعالى أحكاماً شرعية للمحافظة عليها وتنظيمها ومن هذه أبرز الأحكام القصاص الذي يمثل القصاص أحد الاحكام الشرعية ذات قيمة اجتماعية كبيرة لما لها من أثر في حياة الناس ففيه صلاح حياة الناس الاجتماعية اذ يؤدي الالتزام بهذه القيمة الاجتماعية إلى ان يسود الامن والاستقرار في حياة المجتمع ويؤدي إلى القضاء على الفساد واضمحلال الجرائم ويقلل من خطر المجرمين ويقضي على كافة انواع الفساد فالقصاص يمثل عقوبة رادعة لمنع المجرمين العابثين والمستهزين بحياة الناس فهي من أبرز الأحكام التي تحافظ على الحياة اذ قال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[2]، لذلك يعد القصاص من دعائم الامن والاستقرار والسلام والبناء الاجتماعي في جميع جوانب المجتمع السياسية والاجتماعية والأخلاقية ومواجهة الفساد بكل صورة واشكاله والاعتداء على الابرياء لما لهذه القيمة من اثر من في حقن الدماء والمحافظة على الارواح لانها تمثل سوراً أمناً من الوقوع في الجريمة والفساد والاعتداء على الاخرين مما يساعد على فرض الأمن الطمأنينة في حياة الفرد والمجتمع.

٣- حماية وحفظ العقل من الانحراف

ان من مقومات تحقيق الأمن الاجتماعي وأهداف التنمية البشرية هو حفظ العقل وإزالة معوقات تنميته وتطويره ابتداء من الخبائث والمسكرات والابتعاد عن الرجس والرذائل حتى نضمن عقلاً سليماً يؤسس للتطور والبناء لذلك اشارت السيدة الزهراء عليها السلام في خطبته الفدكية إلى ذلك اذ قالت: «**والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً لكم عن الرجس**»، فأن الدين الإسلامي نهى عن كل شي من شأنه اشاعة الرذيلة وانتشار الخبائث، لذلك نهى عن شرب الخمر وعن كل ما يوقع العداوة والبغضاء بين ابناء المجتمع ويضر بالامن المجتمعي لذلك فقد خصت السيدة الزهراء عليها السلام هذه الرذيلة بالاشارة لها في خطيتها دون غيرها لما لها من اثار كبيرة تنعكس على المجتمع حيث روي عن الامام جعفر بن

(١) عبد الكريم علي عبد الله، الضروريات الخمس واثرها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، https://www.uoanbar.edu.iq/UEBDC/English/index.php.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

محمد الصادق عليه السلام: «**في حديث أن زنديقا قال له: لم حرم لله الخمر ولا لذة أفضل منها؟ قال: حرمها لأنها أم الخبائث ورأس كل شر يأتي على شاربها ساعة يسلب لبه فلا يعرف ربه ولا يترك معصية إلَّا ركبها ولا يترك حرمة إلَّا انتهكها ولا رحما ماسة إلَّا قطعها ولا فاحشة إلَّا أتاها، والسكران زمامه بيد الشيطان إن أمره أن يسجد للأوثان سجد، وينقاد حيثما قاده**»[1]، ولان «شرب الخمر يؤدي إلى فقدان الشعور، واذا فقد شارب الخمر شعورة اصبح على استعداد على ارتكاب القذف والزنا وغيرها من الجرائم، فضلاً عن ان شرب الخمر يضيع المال، ويفسد الصحة، ويضعف النسل ويذهب العقل والنظام الإسلامي حرم شرب الخمر تحريماً قاطعاً فاتيان هذه الجريمة اعتداء على الجماعة وهدم لنظامها»[2].

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٣١٥.

(٢) فاضل الصفار، الحرية بين الدين والدولة: ص١٩٦.

الخاتمة

١- ان السيدة الزهراء عليها السلام تركت تراث فكري كبير احتوى على منظومة قيمية كبيره مستمدة من القران الكريم والسنة النبوية لها اثرها في الرقي بالإنسان إلى اعلى درجات الكمال الإنساني.

٢- ان المنظومه القيمية التي ذكرتها السيده الزهراء عليها السلام متجانسة متناغمة مع بعضها اذ ان احدها يكمل الاخر فالقيم العبادية تتجسد قيمتها في العمل الصالح وبناء الكيان الإنساني وانعكاساتها على الفرد واعماله وسلوكياته وممارساته في الجوانب الأخلاقية والشخصية والاجتماعية.

٣- احتوت الخطبة الفدكية على مجموعة من القيم الإسلامية باختلاف انواعها (العبادية، الأخلاقية، العقائدية، الاجتماعية) فكل قيمة من هذه القيم لها دورها في تنمية الفرد والمجتمع من خلال تطوير قدراته وقابلياته وتسخير امكانياته لتحقيق اهداف الفرد وخدمة المجتمع مما يؤدي إلى تحقيق التنمية البشرية.

٤- ان كل قيمة إسلامية ذكرتها السيده الزهراء عليها السلام لها ابعادها وغاياتها فبعض القيم لها غايات نفسية في اصلاح سريره الإنسان وتهذيب صفاته أو ابعاد عقلية تهدف إلى حفظ العقل من الانحراف مثل تحريم شرب الخمر أو ابعاد بدنية هدفها حفظ البدن والنفس الإنسانية كتشريع القصاص.

٥- ان هذه القيم التي ذكرت السيده الزهراء عليها السلام لو التزمنا بها واتخذناها منهجاً في حياتنا فانها تؤدي بنا إلى التنمية البشرية بتوفير بيئة مثالية وتحقيق اهداف المجتمع في صناعة جيل واعي يساهم في بناء نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه على كافه الاصعدة.

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- احمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م). مسند احمد، دار صادر (بيروت- د. ت).
- احمد درويش، التنمية البشرية مفهومها ومؤشراتها وكيفية قياسها، مجلة التنمية وادارة الموارد البشرية – بحوث ودراسات، مجلد (٥)، العدد (١٤).
- ايميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في دقائق اللغة العربية، ط١، دار الكتب العملية، (بيروت – ١٤٢٤هـ).
- ابن بابوية القمي، (٣٢٩هـ). فقه الرضا، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، (مشهد المقدسة – ١٤٠٦).
- البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م). السنن الكبرى، دار الفكر (د.م – د. ت).
- جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، حياة المجتمع، الناشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط١، سنة ١٤٢٧هـ.
- الجوهري، أحمد بن عبد العزيز (ت ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م). السقيفة وفدك، تحقيق: محمد هادي الأمين، ط٢، شركة الكتبي للطباعة والنشر (بيروت – ١٩٩٣م).
- الجوهري، اسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، (بيروت – ١٩٥٦م).
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م). المستدرك على الصحيحين، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة (بيروت- د. ت).
- ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية الكبرى (مصر- ١٩٥٩م).
- الحر العاملي،محمد بن الحسن،(١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م). وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة،

تحقيق:مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، مطبعة مهر،(قم – ١٤١٤هـ).

- حسين احمد الدخيل السرحان، التنمية البشرية المستدامة وبناء مجتمع المعرفة، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد (١٦).
- رحالي صجيلة، بوخالقة رفيقة، التنمية من مفهوم التنمية الاقتصادية إلى مفهوم تنمية البشرية.
- الريشهري، محمد. ميزان الحكمة، ط١، (دار الحديث – ١٤١٦).
- سلام الخرسان، الفكر الكلامي عند السيدة الزهراء عليها السلام، العقيدة، العدد(٢)، السنة ١٤٣٧هـ.
- ستايش علي، التنمية البشرية، ط١، الناشر مكتبة النور الالكترونية، سنة ٢٠٢٠م.
- سعاد مريمي، التربية على القيم دعامة اساسة في التنمية البشرية، مجلة سوسيولوجية، مجلد(٥)، العدد (١)، سنة ٢٠٢١.
- شريف عبد العزيز، منظومة القيم وأثرها في بناء المجتمعات وانهيارها، https://khutabaa- com.cdn.ampproject.org/v/s/khutabaa.com.
- صباح محسن كاظم، فلسفة العدل الاجتماعي عند الامام عليه السلام https://alsabaah.iq/45788- .html.
- الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م).
- الامالي، تحقيق: مؤسسة البعثة (قم– ١٤١٧هـ).
- علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية (النجف– ١٩٦٦م).
- الطبرسي، احمد بن علي بن أبي طالب (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م). الاحتجاج، تحقيق وتعليق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر (النجف – ١٩٦٦ م).
- الطبرسي، الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م). جامع الجوامع، تحقيق: مؤسسة الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م). التبيان في تفسير القرآن، ط١، مكتب الاعلام الإسلامي (١٢٠٩هـ).
- ابن طيفور، أبي الفضل بن أبي طاهر(ت ٣٨٠ هـ/). بلاغات النساء، منشورات مكتبة، (قم – د.ت).
- عبد الكريم علي عبد الله، الضروريات الخمس واثرها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، https://www.uoanbar.edu.iq/UEBDC/English/index.php.
- عزمي طه السيد احمد، القيم والمرجعية القيمية في التعليم الجامعي، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد(١٠٢)، السنة ٢٠٢١م.

- فاضل الصفار، الحرية بين الدين والدولة، ط٢، دار سحر للطباعة والنشر، (كربلاء – ٢٠٠٣م).
- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي البكري،(ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م). التفسير الكبير،ط٣، (د.م – د. ت)
- ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). تفسير القرآن العظيم، تحقيق: يوسف عبد الحرمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت– ١٤١٢هـ).
- الكليني،ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق،(٣٢٩هـ/ ٩٤٠م). الكافي، تحقيق: علي اكبر غفاري،دار الكتاب العربي،(طهران – ١٣٦٥ش).
- الماوردي، علي بن محمد البغدادي (٤٥٠هـ/) ادب الدين والدنيا، ط١، الناشر: دار اقراء، (بيروت – د.ت).
- مثيب بن محمد بن عبد الله البقمي، اسهام الاسرة في تنمية القيم الاجتماعية لدى الشباب (تصور مقترح)، جامعة ام القرى، رسالة ماجستير، ١٤٣٠م.
- المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م). بحار الأنوارا الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء (بيروت– ١٩٨٣م).
- محسن الكومي، السبق القران لمفهوم تنمية الموارد البشرية، https://democraticac.de/?p=71583.
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م). لسان العرب، نشر أدب الحوزة (قم – ١٤٠٥هـ).
- مهدي رزق الله محمد، القيم التربوية في السيرة النبوية، ط١، الرياض، ٢٠١٢م.
- الواسطي، علي بن محمد بن شاكر (ت ق ٦ / ق ١٢م). عيون المواعظ والحكم، تحقيق: حسين الحسني البيرجندي، ط١، المطبعة دار الحديث، (ايران – د. ت).
- وجيهة ثابت العاني، القيم التربوية وتصنيفاتها المعاصرة، ط١، دار الكتب الثقافي، (الاردن – ٢٠١٤م).

فاطمة الزهراء عليها السلام في المنظور الأخلاقي والإجتماعي المعاصر

الباحثة : مروه فالح عبد الحسن محاسن

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى معرفة السيدة فاطمة الزهراء من الناحية الأخلاقية والإجتماعية حيث يتناول المبحث الأول أخلاق السيدة فاطمة مع والدها. كيف كانت نموذجاً ل لأخلاق المرضية وأسوة للأنسان الزكي وكانت صادقة في حديثها وأخلاق السيدة فاطمة مع زوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام. شاركت الزهراء زوجها بتحمل مسؤوليات الحياة فكانت نعم الزوجة الصالحة التي تشاطر زوجها في كل صغيرة وكبيرة من أعباء الحياة. وايضاً أخلاق السيدة فاطمة مع أولادها، أن مصدر العطاء للأمومة المثلى هي فاطمة عليها السلام هي قدوة لكل أم في تربية ونشأة أبنائها تنشأة صالحة. أما المبحث الثاني قد تناول فاطمة ودعائها للمجتمع. كانت دائماً في صلاتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها بشيء. وفاطمة ومعارضتها للظلم الإجتماعي، تلك المرأة التي ناهضت الظلم ببلاغة وحكمة أشير إلى بعضها في هذا البحث المتواضع. وايضاً فاطمة وحزنها على انحراف الأمة. فاطمة الزهراء كانت أول امرأة مسلمة مؤمنة وقفت ضد أنحراف السلطة وظلمها وجبروتها. واختتم البحث بعدة نتائج كانت أهمها أخلاق السيدة فاطمة مع والدها يرسم لنا منهاجاً أخلاقياً في بر الوالدين فهي بنت الرسالة تنعكس فيها تعاليم السماء السمحة التي تزخر بالخلق الرفيع والأدب الرباني العالي. ودافعت السيدة فاطمة الزهراء عن الولاية وبذلت مهجتها في هذا السبيل فتحدثت بكل فصاحة وبلاغة. ومن المهم أن تلتفت نساؤنا إلى هذه الأخلاق والصفات التي كانت عليها سيدة نساء العالمين فيقتدين بها ويمثلن سلوكها فيصبرن على أوضاع ازواجهن.

المقدمة

إن التحدث عن حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يشتمل على حوادث كلها عِبَر وحِكَم ودروس يتعرَّف الإنسان بها حياة أولياء الله وخاصته، وكيفية نظرتهم إلى الحياة، ويطلّع على الجانب الإخلاقي المتعلق بحياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بالرغم من قصر عمرها، وإنها كانت تعيش في خدرها ولا يطلَّع أحد على معاشرتها وسلوكها في البيت إلَّا أسرتها ذووها التحدث عن عظمة السيدة ١فاطمة يعتبر تحدثاً عن المرأة في الإسلام من حيث حفظ كرامتها والدفاع عن حقها وعدم السكوت عن الظلم وحفظ كرامتها ويشمل التحدث عنها نموذجاً من المرأة بصفتها بنتاً في دار أبيها، وزوجة في دار بعلها، وأمًّا ومربيّة في البيت الزوجي لما كانت الأخلاق هي من أهم ما أتت الرسالة السماوية لتكميله في نفوس البشر، فلا جرم أن تكون الزهراء عليها السلام ـ وهي بنت الوحي وربيبة الرسالة ـ قد أخذت منها الحظ الأوفر والنصيب الأكمل، فكانت حياتها عليها السلام – على قصرها – مرآة صافية تنعكس فيها تعاليم السماء السمحة التي تزخر بالخُلُق الرفيع والأدب الرباني العالي، لذا كان من الواجب علينا ونحن نرتشف من رحيق هذا العبق الزاخر ما ينعش حياتنا ويرتقي بأنفسنا إلى مقامهم العالي، وكتب التأريخ من أخلاقها القرآنية الكريمة، لتكون دستورا لنا يتعلم منه نساؤنا ورجالنا – على حد سواء – أصولَ الكرم ومعاليَ الأخلاق ومحمود الصفات.

المدخل المفاهيمي

الأمر الإلهي في خلق فاطمة عليها السلام:

قد هيّأ الله تعالى البيئة الصالحة لتكوين شخصية الصّديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، فالأب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأُم خديجة عليها السلام. فقد روي انّ النبيّ صلى الله عليه وآله بينما كان جالساً بالأبطح إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام فناداه «**يا محمد! العليّ الأعلى يقرئك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً**» فبعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وأخبرها بالأمر الإلهي، واقام النبي صلى الله عليه وآله أربعين يوماً يصوم نهاراً ويفطر ليلاً، فلمّا كان تمام الأربعين هبط جبرئيل عليه السلام فقال: «**يا محمّد! العليّ الأعلى يقرئك السلام، وهو يأمرك أن**

تتأهّب لتحيته وتحفته»[1]. فبينما النبي ﷺ كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس، فوضعه بين يدي النبي ﷺ وأقبل جبرئيل عليه السلام وقال: «**يا محمّد! يأمرك ربّك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام**» فأكل النبي ﷺ شبعاً وشرب من الماء ريّاً ثم قام ليصلي فأقبل عليه جبرئيل وقال: «**الصلاة محرمة**[2]. **عليك في وقتك حتى تأتي منزل خديجة، فإنّ الله عز وجل آلى على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرية طيبة**». فوثب رسول الله إلى منزل خديجة عليها السلام. قالت خديجة فقرع الباب فناديت: «من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلّا محمد ﷺ؟.. قالت خديجة: فنادى رسول الله بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه: «**افتحي يا خديجة، فإنّي محمّد**» وفتحت الباب ودخل النبيّ المنزل، فلا والذي سمك السماء وأنبع الماء ما تباعد عنّي النبيّ ﷺ حتى أحسست بثقل فاطمة في بطني»[3].

كانت إذا خرج رسول الله ﷺ من منزلها تكلّمها فاطمة الزهراء في بطنها من ظلمة الأحشاء، وتحدثها وتؤانسها، فدخل يومًا رسول الله وسمع خديجة تحدّث فاطمة فقال لها «**يا خديجة! من تكلّمين؟** قالت: يا رسول الله إنَّ الجنين الذي أنا حامل به إذا أنا خلوت به في منزلي كلّمني وحدّثني من ظلمة الأحشاء، فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: «**يا خديجة! هذا أخي جبرئيل عليه السلام يخبرني أنها ابنتي، وأنها النسمة الطاهرة المطهّرة، وأن الله تعالى أمرني أن أسميها (فاطمة) وسيجعل الله تعالى من ذرّيتها أئمة يهتدي بهم المؤمنون**»[4].

الأخلاق لغة: جمع التكثير من (خلق). وتأتي بمعنى حال للنفس راسخة تتصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير الحاجة إلى فكر ورؤية[5].

الأخلاق اصطلاحاً: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تتصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير فكر ورؤية. فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئى خُلقاً حسناً. وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خُلقاً سيئاً[6].

---

(١) اعلام الهداية فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء). ج ٣. المؤلف: لجنة التأليف: ص ٥٧.

(٢) قد يكون المراد صلاة النافلة اعلام الهداية: ج٣، فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء): ص ٥٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٩ ص١٦- ٨٠، وروى هذا المضمون الذهبي في ميزان الاعتدال: ج٣ ص٥٤٠، والخطيب البغدادي في تاريخة.

(٤) عن الثاقب في المناقب (الطوسي) للتّويسركاني:ص ٧٥. كتاب اعلام الهداية فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء): ج ٣ ص٥٨.

(٥) لسان العرب ابو الفضل ابن منظور (ت. ٧١١ هـ) الناشر: آداب الحوزة، دار صادر بيروت لبنان، ط ١، سنة (١٤٠٥ هـ)

(٦) الجرجاني ابو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. (ت. ١٠٧٨ هـ). تحقيق: ضبطه وصححه جماعه من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، السنة ١٤٠٣ هـ/ ١٩٣٨ م

الاجتماع لغة: التقاء[١].

الاجتماع اصطلاحاً: علم يبحث في نشوء الجماعات الإنسانية ونموها وطبيعتها وقوانينها ونظمها ويقال: رجل اجتماعي مزاول للحياة الإجتماعية. كثير المخالطة للناس[٢].

المعاصرة لغة: من العصر والدهر[٣].

المعاصرة اصطلاحاً: وتعني اجتماع شيئين في عصر واحد. ومنه وصف الشخص بأنه (معاصرٌ). أي: أدرك أهل هذا العصر. واجتمع معهم[٤].

(١) لسان العرب نفس السابق.

(٢) الجرجاني نفس المصدر السابق.

(٣) ابن فارس، ابو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، مرجع سابق: ج ٤ ص ٣٤٠.

(٤)انظر اللويحق، عبد الرحمن بن معلا، الغلو في حياة المسلمين المعاصرة، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ : ص٢١.

المبحث الأول: المفهوم الأخلاقي للسيدة فاطمة الزهراء

المطلب الأول: أخلاقها مع رسول الله ﷺ

الحديث عن فاطمة الزهراء يتجاوز الفسحة التي امتدت بين ساعةٍ أبصرت فيها النور وساعةٍ انطفأت فيها من عينيها لمعة الحياة.

فإنها ابنة نبيّ هزّ جذور الفكر في الإنسان وقفز به فوق الإجيال، كما إنها زوجة رجلٍ هو من ركنٌ من أركان الحقّ وامتداد لأعظم نبيّ في تاريخ الإنسان.

ومثلت الزهراء عليها السلام أشرف ما في المرأة من إنسانية وصيانة وكرامة وقداسة بالإضافة ما كانت عليه من ذكاء وقّاد وفطنة حادّة وعلم واسع، وكفاها فخراً أنَّها تربت في مدرسة النبوة وتحرجت من معهد الرسالة وتلقّت عن ابيها الرسول الأمين ﷺ ما تلقاه من رب العالمين في دار أبويها مالم تتعلّمه طفلة غيرها في مكة[1].

ونشأت الزهراء نشأة إيمان ويقين. نشأة وفاء وإخلاص وزهد. وعلمت مع السنين أنَّها سليلة الشرف لا منازع لها فيه من بنات حوّاء. فوثقت بكفاية هذه الشرف الذي لا يُدانى، وشبّت على انطوائها على نفسها واكتفائها بشرفها في دار الرسالة وعهد الايمان لقد نشأت وهي تحذو حذو أبيها في كل كمال، حتى قالت عنها عائشة: ما رأيت احداً من خلق الله أشبه

حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها ورحّبت به وأخذت بيده فقبّلتها[2].

مكارم أخلاقها:

كانت فاطمة عليها السلام: «كريمة الخليقة. شريفة الملكة. نبيلة النفس. جليلة الحس. سريعة الفهم. مرهفة الذهن. جزلة المروءة. غرّاء المكارم. فيّاحة نفاحة. جريئة الصدر، رابطة الجأش، حميمّة الأنف،

(١) اعلام الهداية فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء) ج ٣. المؤلف: لجنة التأليف: ص ٣٣.

(٢)أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١١٦. اعلام الهداية فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء) ج ٣. المؤلف: لجنة التأليف: ص ٣٤.

نائية عن مذاهب العجب، لا يحدّدها مادّي الخيلاء، ولايثني أعطافها الزهوو الكبرياء»[1].

لقد كانت سبطة الخليقة في سماحة وهوادة إلى رحابة صدر وسعة أناة في وقار وسكينة ورفق ورزانه وركانة ورصانة وعفة وصيانة عاشت قبل وفاة أبيها متهلّلله العزة وضّاحة المحيّا حسنة البشر باسمة الثغر، ولم تغرب بسمتها إلّا منذ وفاة أبيهاﷺ.

كانت لايجري لسانها بغير الحقّ ولا تنطق إلّا بالصدق. لاتذكر أحداً بسوء، فلا غيبة ولانميمة. ولاهمز ولا لمز، تحفظ السّر وتفي بالوعد، وتصدق النصح وتقبل العذر وتتجاوز عن الإساءة. فكثيراً ما أقالت العثرة وتلقت الإساءة بالحلم والصفح.

«لقد كانت عزوفة عن الشّر، ميّالة إلى الخير، أمينة، صدوقة في قولها، صادقة في نيتها ووفائها، وكانت في الذروة العالية من العفاف طاهرة الذيل عفيفة الطرف، لايميل بها هواها إذ هي من آل بيت النبيّ ألّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. وكانت إذا ما كلمت إنساناً أو خطبت في الرجال يكون بينها وبينهم ستر يحجبها عنهم عفةً وصيانة.

ومن عجيب صونها أنَّها استقبحت بعد الوفاة ما يصنع بالنساء من أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها»[2].

لقد كان همّ الزهراء الآخرة. فلم تحتفل بمباهج الدنيا وهي ترى إعراض أبيهاﷺ عن الدنيا وما فيها من متع ولذائذ وشهوات.

وعرف عنها صبرها على البلاء وشكرها عند الرخاء ورضاها بواقع القضاء وقد روت عن أبيهاﷺ «**إنَّ الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه. فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه**»[3].

جودها وايثارها:

• كانت على هدي أبيها في جوده وسخائه. وقد سمعته يقول: «**السخي قريب من الله، قريب من الناس. قريب من الجنة. بعيد عن النار، وأنّ الله سبحانه جواد يحبّ الجواد**» وكان الإيثار من شعائر المصطفىﷺ حتى قالت بعض زوجاته: ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، وكان

(١) أهل البيت: ١٣٢ ـ ١٣٤. اعلام الهداية فاطمة الزهراءعليها السلام (سيدة النساء). ج ٣. المؤلف: لجنة التأليف. ص ٣٦.
(٢) نفس المصدر السابق. ١٣٢ ـ ١٣٤. اعلام الهداية فاطمة الزهراءعليها السلام (سيدة النساء) ج ٣. المؤلف: لجنة التأليف. ص ٣٧
(٣) أهل البيت ١٣٧ ـ ١٣٤. اعلام الهداية فاطمة الزهراءعليها السلام (سيدة النساء) ج ٣. المؤلف: لجنة التأليف. ص ٣٧ / ٣٨.

يقول ﷺ: «**ولو شئنا لشبعنا ولنّا نؤثر على أنفسنا**»[1]. وكانت الزهراء خير من يؤثر على نفسه اقتداءً بأبيها حتى عُرف عنها ايثارها بقميص عرسها ليلة زفافها سلام الله عليها، وكفى بما أوردناه في سورة الدهر شاهداً على عظيم ايثارها وجميل سخائها.

وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنَّه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر فلمّا انفتل جلس في قبلته والناس حوله، فبينا هم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل[2]. قد تهلّل وأخلق. ولا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول الله ﷺ يستحثّه الخبر، فقال الشيخ: يا نبيّ الله، أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فأرشني، فقال ﷺ «**ما أجد لك شيئاً، ولكنّ الدال على الخير كفاعله، إنطلق إلى منزل من يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه، إنطلق إلى حجرة فاطمة**» (وكان بيتها ملاصقاً لبيت رسول الله ﷺ الذي ينفرد به لنفسه من ازواجه) وقال:«يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة»، فانطلق الأعرابي مع بلال فلمّا وقف على باب فاطمة، نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل النبوّة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند ربّ العالمين، فقالت فاطمة:«**عليك السلام فمن أنت يا هذا؟**» قال شيخ من العرب أقبلت على أبيك السيد البشير من شقّه، وأنا يا بنت محمد ﷺ عاري الجسد جائع الكبد فواسيني يرحمكِ الله.

وكان علي وفاطمة ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله ﷺ ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين، فقالت: «**خذ ايها الطارق، فعسى الله أن يختار لك ما هو خير فيه**» قال الأعرابي: يا بنت محمد شكوت اليك الجوع فناولتني جلد كبش ما اصنع به مع ما أجد من السغب؟ قال: فعمدت لمّا سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبد المطلب، فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي وقالت: «**خذ وبعه فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه**»، فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله ﷺ والنبي جالس في أصحابه فقال: يا رسول الله اعطتني فاطمة هذا العقد، فقالت: «**بعه**». قال فبكى رسول الله ﷺ وقال: «**كيف لا يعوّضك به ما هو خير منه؟! وقد أعطتك فاطمة عليها السلام بنت محمد سيّدة بنات آدم**»[3].

---

(١) أهل البيت ١٣٨ . اعلام الهداية اعلام الهداية. فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء): ص ٣٨.

(٢) السمل: الثَوْب الخَلِق، وتهلّل الثوب: انحراقه.

(٣) اعلام الهداية فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء) ج ٣. المؤلف: لجنة التأليف: ص ٣٩.

فقام عمار بن ياسر فقال يا رسول الله أتأذن لي بشراء هذا العقد؟ قال: «**اشتره يا عمار فلو اشترك فيه الثقلان ما عذبهم الله بالنار**» فقال عمار: بكم العقد قال: بشبعة من الخبز واللحم وبردة يمانية أستر بها عورتي وأصلي بها لربّي ودينار يبلغني أهلي..

وكان عمار باع سهمه الذي نفله رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يق معه شيئاً فقال لك عشرون ديناراً ومئتا درهم هجرية وبردة يمانية وراحلتي تبلغك أهلك، وشبعك من الخبز واللحم. فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال يا رجل وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال له رسول الله «اشبعت واكسيت» قال الاعرابي: نعم واستغنيت بأبي أنت وأُمي قال: «فأجز فاطمة بصنيعها» فقال الاعرابي: اللهم إنك إله ما استحدثناك ولا إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا على كلّ الجهات اللهم اعطِ فاطمة مالا عين رأت ولا أُذن سمعت.

فأمّن النبي على دعائه وأقبل على أصحابه، فقال: «**إن الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك، أنا أبوها ولا أحد من العالمين مثلي. وعلي بعلها ولولا عليّ لما كان لفاطمة كفؤ أبداً، واعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما سيدا شباب أسباط الأنبياء وسيدا شباب أهل الجنة**».[1]

الزهراء عليها السلام في آية التطهير:

لقد نزل الوحي بآية التطهير على رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ وذلك حينما كان قد ضم سبطيه الحسن والحسين وأباهما وأُمهما إليه ثم غشّاهم ونفسه بالكساء تمييزاً لهم عن الآخرين والنساء. فنزلت الآية ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2].. وهم على تلك الحال ولم يقتصر صلى الله عليه وآله على هذا المقدار من توضيح اختصاص الآية حتى أخرج يده من تحت الكساء فألوى بها إلى السماء فقال: **اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**، يكرّر ذلك وأم سلمة تسمع وترى وجاءت لتدخل تحت الكساء قائلة: وأنا معكم يا رسول الله، فجذبها من يدها وقال: **لا، أنّك على خير**[3].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد نزول الآية كلّما خرج إلى الفجر يمرّ ببيت فاطمة فيقول: **الصلاة يا أهل**

(١) اعلام الهداية فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء). ج٣. المؤلف: لجنة التأليف. ص ٤١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) راجع صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، ومستدرك الصحيحين: ج٣ ص١٤٧ والدرّ المنثور في تفسير آية التطهير، وتفسير الطبري: ج٢٢ص٥. وصحيح الترمذي: ج٥/ ح٣٧٨٧، ومسند أحمد: ج٦ ص٢٩٢ و٣٠٤، وأُسد الغابة: ج٤ ص٢٩، وتهذيب التهذيب: ج٢ ص٢٥٨.

البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ مستمراً على هذهِ السيرة ستة أو ثمانية أشهر[١].

ودلت الآية المباركة على عصمة أهل البيت من الذنوب وقد صدرت الآية بأداة الحصر فأفادت أنَّ إرادة الله في أمرهم مقصورة على إذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها[٢].

المطلب الثاني: أخلاقها مع زوجها علي بن أبي طالب عليه السلام

اولاً: المهر

يا لروعة الإسلام في معالجته الحاسمة لجميع قضايا الإنسان. انظروا إلى بساطة مهر الزهراء عليها السلام الذي سنة الرسول صلى الله عليه وآله قاعدة لنساء أُمته، حتى لاتكون فيهنّ العوانس، ولافي الرجال العزّاب، لقد قال الرسول صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام **ياعَلِيُّ. أَعنْدَك شَيْءٌ؟**[٣].

فقال علي: **عِنْدِي سَيْفي وَدِرْعي وَفَرَسِي**. وهذا كان كل ما يملكه. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «**أَمّا فَرَسُكَ فَلَا بُدَّ لَكَ مِنْها. وَأَمّا سَيْفُكَ فَلَا غِنى لَكَ عَنْهُ. وَأَمّا دِرْعُكَ فَبِعْهُ**»[٤].. وكان الدرع مَما أفاء الله به عليه من غنائم بدر.

وانطلق الإمام إلى السوق فباع درعه بأربعمائة وثمانين درهماً. وجاء بالثمن معقوداً في طرف ثوبه[٥].. فوضعه بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله. ويلاحظ في هذا المهر البساطة. وهو أقل ما يدفعه الفقراء مهراً لأزواجهم فإنّ الإسلام لم ينظر إلى المهر إلَا بصورة زهيدة حتَى يسري ذلك بين المسلمين[٦].

ثانياً: جهاز فاطمة عليها السلام

وتناول الرسول صلى الله عليه وآله قبضة من الدراهم فأعطاها إلى بلال ليشتري بها شيئاً من الطَّيب والروائح. وناول البعض الآخر إلى سلمان وأُم سلمةّ ليشتريا به بقيّة الأثاث، وماهي إلّا ساعة حتى تمّ جهاز

(١) راجع الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء: ص١٩٢ قال السيد عبد الحسين شرف الدين: اخرجه الإمام أحمد في ص ٢٥٩ من الجزء ٣. واخرجه الحاكم وصَحه الترمذي وحسَنه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والطبراني وغيرهم.

(٢) راجع الكلمة الغرَاء: ٢٠٠.

(٣) موسوعة سيرة أهل البيت سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام. ج ٩. تأليف: باقر شريف القرشي. تحقيق: محمد باقر القرشي: ص١٢٩.

(٤) كفاية الطالب: ص١٦٦. بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٣٠.

(٥) كنز العمَال: ج٧ ص١٤.

(٦) موسوعة سيرة أهل البيت سيدة النساء فاطمة الزهراء (سيدة النساء) ج ٩. ص ١٢٩.

العرس. وكانت محتوياته:

- جلد كبش إذا أرادا أن يناما قلباه على صوفه.
- وسادة من أدم حشوها ليف.
- سرير من جريد النخل.
- رحيين.
- سقاء
- جرّتين.
- أوان من الخزف[1].

هو زهيد في نظر الناس. ولكنَه في نظر الإسلام أثمن من الجوهر وأغلى من الأمتعة الثمينة التي يقدّمها الملوك وذوو الثراء العريض مهراً لأزواجهم. وطرح الجهاز أمام النبيﷺ. فنظر إلى أواني الخزف فقال: **بُورِكَ لِأَهْلِ بَيْتٍ جُلُّ آنِيَتِهِمْ مِنَ الْخَزَفِ**.

وقام الإمام عليعليه السلام فجهّز بيته. ففرش غرفة العرس بالرمل. وركز خشبتين ووصلهما بحبل ليكون منشراً للملابس. هذا هو بيت عليعليه السلام وجهاز عرس سيّدة نساء العالمينعليها السلام[2].

ثالثاً: وليمة الزواج

ولمّا حانت ليلة اقتران النورين التفت النبيﷺ إلى عليّ فقال له «**يا عَلِيُّ. لَا بُدَّ لِلْعَرُوس مِنْ وَلِيمَةٍ**»[3]. ولم يكن عند الإمام شيء. فتبّرع سعد بن عبادة بكبش. كما تبّرع بعض الأنصار بأصوع من ذرة[4].

وصُنِع الطعام. ودُعِي عليه المسلمون وقت العشاء. وأعطى النبيﷺ، وحسر النبيّ عن ذراعيه.

(١) حياة الإمام الحسين بن عليعليه السلام: ج١ ص٣١.

(٢)موسوعة سيرة أهل البيت سيدة النساء فاطمة الزهراءعليها السلام. تأليف: باقر شريف القرشي. ص ١٣٠.

(٣) كنز العمال: ج٧ص١٤. موسوعة سيرة أهل البيت. سيدة النساء فاطمة الزهراءعليها السلام ج ٩. تأليف: باقر شريف القرشي. ص١٣٤.

(٤) الطبقات الكبرى:ج ٨ ص١٧. نفس المصدر السابق ص ١٣٤.

ودعا بسفرة من أدم. وجعل يشذخ[1]. التمر والسمن بالأقط. حتّى اتخّذه حيساً[2].. وقدمه إلى المدّعوين.

وكان الطعام من أفضل ما قُدم في مثل هذه المناسبة.

تقول أسماء: ما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمة عليّ[3].. وتناول المدعوّون طعام العشاء. وبعد فراغهم منه أقبلوا يهنّئون الإمام عليه السلام ويباركون زواجه[4].

رابعاً: حياتها الزوجية

انتقلت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى البيت الزوجي. وكان انتقالها من بيت الرسالة والنبوة إلى دار الإمامة والوصاية والخلافة. وحصل تطور في سعادة حياتها. فبعد أن كانت تعيش تحت شعاع النبوة صارت قرينة الإمامة.

كانت حياتها في البيت الزوجي تزداد إشراقاً وجمالاً. كانت تعيش في جو تكتنفه القداسة والنزاهة. وتحيط به عظمة الزهد وبساطة العيش. وكانت تعين زوجها على أمر دينه وآخرته وتتجاوب معه في اتجاهاته الدينية وتتعاون معه في جهوده وجهاده[5].

وما أحلى الحياة الزوجية إذا حصل الإنسجام بين الزوجين في الاتجاه والمبدأ ونوعية التفكير. مبنياً على أساس التقدير والاحترام من الجانبين وليس ذلك بعجيب. فأن السيدة فاطمة الزهراء تعرف لزوجها مكانته العظمى ومنزلته العليا عند الله تعالى. وتحترمه كما تحترم المرأة المسلمة إمامها. بل أكثر وأكثر، فإن السيدة فاطمة كانت عارفة بحق علي عليه السلام حق معرفته. وتقدَّره حق قدره. وتطيعه كما ينبغي لانه أعز الخلق إلى رسول الله[6].

خامساً: شؤون المنزل

كانت أُم الإمام السّيدة الزكية فاطمة معه في داره. ووزّع الإمام شؤون البيت عليها وعلى سيدة

(١) الشذح: كسر الشيء الأجوف.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٣ ص ١٣٢. الحيس هو خلط التمر بسمن وأقِط. موسوعة سيرة أهل البيت فاطمة الزهراء سيدة النساء عليها السلام: ج ٩ ص ١٣٤.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٨ ص١٤. موسوعة سيرة أهل البيت سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام: ج ٩ ص ١٣٥.

(٤) موسوعة سيرة أهل البيت سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، تأليف: باقر شريف القرشي: ج٩ ص ١٣٥.

(٥) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد. تأليف السيد محمد كاظم القزويني: ص ١٥٥.

(٦) نفس المصدر السابق: ص ١٥٥.

نساء العالمين عليها السلام. فجعل شؤون البيت الداخلية من تهيئة الطعام وغيره عليها. وشؤونه الخارجية على والدته[1].

وكانت فاطمة سلام الله عليها تغزل ملابس أبنائها وزوجها بيديها الطاهرتين. وكان للإمام أمير المؤمنين عليه السلام قميص من غزلها يتّقي به في الحروب[2].

وكانت الحياة بين الإمام عليه السلام وسيّدة النساء عليها السلام حياة مودّة وأُلفة. وقد تحدّث الإمام عليه السلام عن ذلك بقوله: «**فَواللهِ ! ما أَغْضَبْتُها وَلَا أَكْرَهْتُها عَلى أمْر حَتى قَبَضها اللهُ عَزَّوَجَلَّ. وَلَا أَغْضَبَتْني وَلا عَصَتْ لِي أَمْراً. وَلَقَدْ كُنْتُ أَنْظُرُ إليْها فَتَنْكَشِفُ عَنّي الْهُمُومُ وَلْأَحْزانُ**»[3].

المطلب الثالث: أخلاقها مع أولادها عليهم السلام

فاطمة الزهراء عليها السلام في دور الأُمّ:

إنَّ الأُمومة من الوظائف الحسّاسة والمهام الثقيلة التي أُلقيت على عاتق الزهراء عليها السلام حيث أنجبت خمسة أطفال هم: الحسن والحسين وزينب وأُم كلثوم في حين أسقط جنينها المحسن قبل ولادته[4].

وقد قدّر الله سبحانه وتعالى أن يكون نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وذُرّيّته من فاطمة عليها السلام. كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «**إنَّ الله جعل ذرّيّة كلّ نبيّ في صلبه وجعل ذرّيّتي في صلب عليّ بن أبي طالب**»[5].

إن الزهراء عليها السلام ـ وهي ربيبة الوحي والنبوّة ـ تَعرِف جيداً مناهج التربية الإسلامية والتي تجلّت في تربيتها لمثل الحسن عليه السلام الذي أعدّ ته ليتحمّل مسؤولية قيادة المسلمين ويتجرّع الغصص في أحرج اللحظات من تأريخ الرسالة. والزهراء عليها السلام قد ربّت مثل الحسين عليه السلام الذي اختار التضحية بنفسه وجميع أهله وأعزّ أصحابه في سبيل الله ومن أجل مقارعة الظلم والظالمين. ليُروي بدمه شجرة الإسلام الباسقة.

وربَّت الزهراء عليها السلام مثل زينب وأُمّ كلثوم. وعلّمتهنّ دروس التضحية والفداء والصمود أمام الظالمين. حتى لا يذعنّ ولا يخضعن للظالم وقوته. ويقلن الحقّ. أمام جبروت بني أُمية بكلّ جرأة

(١) الاستيعاب (المطبوع على هامش الاصابة): ج٤ ص ٣٦٣: تهذيب الكمال: ج٣ ص ٢٤٨.
(٢) بحار الأنوار: ج٣٩ ص ٥٤.
(٣) بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٣٣، نقله عن آمالي الشيخ الطوسي.
(٤) روضة الواعظين: ج١ ص١٥١، اعلام الهداية فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء) ج ٣. المؤلف: لجنة التأليف. ص ٩٩.
(٥) تاريخ بغداد: ج١ ص ٣١٦، كنز العمّال: ج١١ / ح ٣٢٨٩٢. اعلام الهداية: ج٣ ص ٩٩.

وصراحة. لتتّضح خطورة المؤامرة على الدين وعلى أُمّة سيّد المرسلين[1].

بينما النبّي صلى الله عليه وآله والناس في المسجد ينتظرون بلالاً أن يأتي. فيؤذن إذ أتى بعد زمان. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: **ما حبسك يا بلال؟** فقال: إنّي اجتزت بفاطمة عليها السلام وهي تطحن الرّحى واضعة ابنها الحسن عند الرّحى وهّي تبكي. فقلت لها: أيّهما احبّ إليك إن شئت كفيتك إبنك وإن شئت كفيتك الرّحى.

فقالت: **أنا أرفق بأبني**، فأخذت الرّحى. فطحنت. فذاك الّذي حبسني. فقال النبي صلى الله عليه وآله: **رحمتها رحمك الله**[2].

كانت فاطمة الزهراء عليها السلام خير أُم لأطفالها: الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم عليهم السلام خير أُم، فكانت تقوم بشؤونهم. وتغذيتهم بالفضيلة والتقوى. وتربيهم بأحسن ما يكون.

وقد ورد: إنها كانت تحثهم على إحياء ليالي الجُمع من أول الليل إلى الصباح. وكذلك ليالي القدر. فكانت عليها السلام تأمرهم بالنوم نهاراً حتى يتمكنوا من إحياء الليل. وبمثل هذهِ التربية الرفيعة ربت الزهراء عليها السلام أولادها. فكانت خير أُم عرفتها البشرية جمعاء.

وقد ورد: إن الإمام الحسن عليه السلام عند ما كان يرجع من مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله تستفسره عن كلام الرسول صلى الله عليه وآله وخطبته في المسجد. وكانت تربي ابنتها العقيلة زينب خير تربية وتعلمها على الصبر، وتبين لها مواقفها المستقبلية. وقد قالت لزينب (عليها الصلاة والسلام): **أذا أدركتِ يوم كربلاء فقبّلي عنّي نحر الحسين عليه السلام ساعة يأتي للوداع الأخير..**

فكانت تهيأ هؤلاء الأولاد الميامين عليهم السلام لمختلف ميادين العبادة والجهاد والفضيلة والتقوى. إلى جنب تهيئتها لهم ما يحتاجه كل طفل جسمياً وعاطفياً وغير ذلك.

وكانت عليها السلام تقوي روحهم المباركة. كما تعتني بخدمتهم الجسدية من غسل وكنس وطبخ ونسج وغير ذلك[3].

(١) اعلام الهداية فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء) ج٣، المؤلف: لجنة التأليف: ص ١٠٠.

(٢) تنبيه الخواطر: ج٢ ص٣٠، مجموعة ورام: ج٢ص٣٣٠، وعنه بحار الأنوار: ج٤٣ص٧٦.

(٣) فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل أسوة للنساء تأليف: المرجع الديني الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي: ص ٢٦ / ٢٧.

المبحث الثاني: المفهوم الإجتماعي للسيدة فاطمة الزهراء

المطلب الأول: فاطمة ودعائها للمجتمع

روي عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**رأيت أُمّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها. فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح. وسمعتُها تدعوا للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم. ولا تدعو لنفسها بشيء. فقلت: يا امّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بُني الجار ثم الدار**»(١).

فاطمة الزهراء تدعي: أغفر لمن نصر ولدي(٢).

إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾(٣).. فإذا قالها: لم يبق أحد إلّا رفع رأسه. فإذا قال: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾(٤).. لم يبقى أحد إلاّ طأطأ رأسه إلاّ المسلمين والمحبّين. قال: ثم ينادي: هذهِ فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله تمرّ بكم. هي ومن معها إلى الجنّة. ثمّ يرسل الله لها ملكاً فيقول: **يا فاطمة! سليني حاجتك**. فتقول: **يا ربّ. حاجتي أن تغفر لي ولمن نصر ولدي**(٥). **اللهم شفّعني فيهم إذا كان يوم القيامة** نادى مناد من بطنان العرش: **يا أهل القيامة. أغمضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد** صلى الله عليه وآله. مع قميص مخضوب بدم الحسين عليه السلام فتحتوي على ساق العرش فتقول: **أنت الجبّار العدل. اقض بيني وبين من قتل ولدي**. فيقضي الله بسنّتي ـ وربّ الكعبة.

ثم تقول: **اللّهم أشفعني فيمن بكى على مصيبته. فيشفّعها الله فيهم**(٦).

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣. كتاب فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد. تأليف: السيد محمد كاظم القزويني، ص ٢٠٨.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ١٥٣: حدثني محمَد بن عيسى بن زكريَا الد هقان، قال حدثنا عبد الرحمن ـ يعني سَراج ـ قال: حدثنا أبو جعفر عن أبي حمزة الثمالي، عن عليَ بن الحسين عليه السلام قال....

(٣) سورة الزخرف: الآية٦٨.

(٤) سورة الزخرف: الآية٦٩.

(٥) موسوعة الكلمة.. كلمة فاطمة الزهراء. تأليف: السيد حسن الشيرازي: ص ٨١ / ٨٢.

(٦) عوالم سيدة النساء: ج٢ ص ١١٧٢، عن ينابيع المودة عن علي عليه السلام.

فيقول الله لزبانية جهنم حذو بسيماهم. بزرقة الأعين وسواد الوجوه. **خذوا بنواصيهم فألقوهم في الدّرك الأسفل من النّار. فإنَّهم كانوا أشدّ على أولياء الحسين من آبائهم الذين حاربوا الحسين فقتلوه.** فيسمع شهيقهم في جهنّم.

ثم يقول جبرائيل عليه السلام: **يا فاطمة. سلي حاجتك.** فتقول: **ياربّ. شيعتي.** فيقول الله عزّ وجل: **قد غفرت لهم.**

فتقول: **يا ربّ. شيعة ولدي.** فيقول الله: **قد غفرت لهم.** فتقول: يا ربّ. **شيعة شيعتي.** فيقول الله عزّ وجل: **انطلقي فمن اعتصم بك فهو معك في الجنة.**

فعند ذلك يودّ الخلائق أنَّهم كانوا فاطميّين[1].

المطلب الثاني: فاطمة ومعارضتها للظلم الإجتماعي

فضح الزهراء عليها السلام للطغاة:

لم تتوقف الزهراء عليها السلام طريق الحق رغم ما أوجده الحاقدون على الإسلام من الموانع والعقبات أمامها فقد قامت بفضح الجرائم المنكرة التي قام بها حكام المدينة آنذاك وأعلنت للمسلمين كفر الغاصبين وانحرافهم عن الإسلام. وكانت أوّل خطوة لها هي الخطابة في المسجد النبويّ. وقد أورد ابن طيفور أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر (٢٠٤ ـ ٢٨٠ هـ) خطبتها في كتاب السقيفة وفدك كما شرح نهج البلاغة: ج١٦ ص ٢١٠ والسيد المرتضى في الشافعي:ص٢١ والطبري في دلائل الإمامة: ص٣٠ والطبرسي في الاحتجاج: ج١ ص٩٨ – ١٠٦، ولكن هذه الخطوة لم تثمر ثمارها في تلك الفترة للكبت الذي كانت عليه أجواء المدينة آنذاك والإرهاب الذي أوجده عمر منذ اللحظات الُأولى من اغتصاب الخلافة[2]. والذي سلب من المسلمين حتى القدرةعلى التفكير أحياناً[3].

الخطوة الثانية التي خطتها الزهراء في سبيل فضح المتآمرين كان هو البكاء بلا انقطاع وهو أقلّ ما يمكن للمظلوم التظلّم به. وكان داعياً للتساؤل عن سبب البكاء خصوصاً حين كان مصدره حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وابنته الوحيدة التي خلّفها في أُمته. ولقد كادت ان تفلح لو لا أن القوم منعوها حتى من

(١) موسوعة الكلمة. كلمة فاطمة الزهراء. السيد حسن الحسيني الشيرازي: ج ٦ ص٩٢ / ٩٣.

(٢) لقد ابن ابي الحديد صوراً من هذا الارهاب في شرح النهج: ج٢٦ ص٢١٩ وكيف أنهم كانوا يخبطون الناس في الازقة ويجرونهم سحباً إلى ابي بكر للبيعة.

(٣) وفي خطبة الزهراء عليها السلام اشارة إلى هذه البيعة.

البكاء إما في الليل أو النهار[١].

ولما عرض علي عليه السلام الأمر عليها. أبت ذلك. فلم يمنعها عليها السلام من انفاذ إرادتها. فكانت تخرج إلى خارج المدينة وتستظل بظل أراكة وتبكي. فعمد القوم إلى الأراكة وقطعوها ليلاً. فبنى علي عليه السلام لها بيتاً من جريد النخل في البقيع سمّاه (بيت الأحزان)[٢].

والخطوة الثالثة للزهراء في تظلّمها من الغاصبين كانت مقاطعة الظالمين وعدم رضاها بإظهار نبأ وفاتها أو حضور جنازتها[٣].

وهذهِ الخطوة كانت صرخة خالدة في وجه الظالمين وما لم يمكن لأيّ منهم اسكاته[٤].

لما غصبوا فاطمة فدكاً طالبتهم به وأقامت عليه شهوداً فردّوا شهودها. فقامت مغضبة وقالت: **اللّهم إنهما ظلما ابنة محمد نبيك حقّها. فاشدد عليهما.**

ثم خرجت وحملها عليّ على أتان عليه كساء له خمل. فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار، **انصروا الله فإنّي ابنة نبيّكم. وقد بايعتم رسول الله صلى الله عليه وآله ببيعتكم.** قال: فما أعانها أحد. ولا أجابها ولا نصرها.

قال: فانتهت إلى معاذ بن جبل. فقالت: **يامعاذ بن جبل. إنّي قد جئتك مستنصرة وقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله على أن نتصره وذرّيّته. وتمنعه ممّا تمنع منه نفسك وذرّيّتك، وإن أبا بكر قد غصبني على فدك. وأخرج وكيلي منها**[٥].

ما كانت السيدة فاطمة الزهراء تنتظر أن ترى في حياتها يوماً كذلك اليوم ومأساة كتلك المأساة وإن كان أبوها صلى الله عليه وآله قد أخبرها بذلك. ولكنّ السماع شيء والرؤية شيء آخر. وتأثير المصيبة يختلف سماعاً ورؤية. إن كانت عليها السلام سمعت من أبيها أنَّ الأُمور تنقلب عليها وأنّ الأحقاد سوف تظهر بعد وفاته صلى الله عليه وآله فإنَّها قد شاهدت تلك الأحداث. فقد هجم القوم على عرينها ليخرجوا زوجها من ذلك

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج٢ ص١٧.

(٢) قال السمهودي في تاريخ المدينة: ج ٢ ص٩٥ ان الغزالي ذكر استحباب الصلاة في مسجد فاطمة بالبقيع،وقال غيره انه المعروف ببيت الحزن لأن فاطمة اقامت فيه ايّام حزنها على ابيها.

(٣) وهذه وصايا مذكورة في جميع الكتب التي تعرضت لحياة الزهراء عليها السلام.

(٤) مسند فاطمة الزهراء. جمعهُ سماحه العلامة السيد حسين شيخ الإسلامي التويسركاني، راجعهُ السيد محمد جواد الحسيني الجلالي: ص٢١.

(٥) عوالم سيدة النساء: ج٢ ص٦٤٧ عن الاختصاص.

البيت الذي ما كان رسول الله ﷺ يدخله إلّا بعد الاستئذان من فاطمة عليها السلام[1].

كانت الزهراء تتذكّر كيف أنَّ زينب بنت رسول الله ﷺ تجهّزت للّحوق بأبيها. وخرجت من مكة على بعير لها وهي في الهودج فخرج في طلبها هبّار بن الأسود فروّعها برمح ـ وهي في الهودج ـ وكانت حاملاً. فلمّا رجعت طرحت ما في بطنها. فلذلك أباح رسول الله ﷺ يوم فتح مكة دم هبّار بن الأسود[2].

لما رأى الإمام علي عليه السلام خذلان النّاس إياه وتركهم نصرته. واجتماع كلمتهم مع أبي بكر. وطاعتهم له. وتعظيمهم إياه لزم بيته. فقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع. فإنه لم يبق أحد إلَّا وقد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة. فقال عمر: نرسل إليه قنفذاً. وهو رجل فظّ غليظ جاف من الطلقاء. أحد بني عديّ بن كعب. فأرسله إليه. وأرسل معه اعواناً. فانطلق فاستأذن على علي عليه السلام. فأبى أن يأذن لهم فرجع الصحابي قنفذ إلى أبي بكر وعمر. وهما جالسان في المسجد والنّاس حولهما. فقالوا: لم يؤذن لنا. فقال عمر: اذهبوا فإن أُذِنَ لكم. وإلَّا فادخلوا عليه بغير إذن!!

فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة عليها السلام: **أُحرج عليكم أن تدخلوا على بيتي بغير إذن**. فرجعوا فقالوا: إنَّ فاطمة قالت كذا وكذا. فتحرجنا أن ندخل بيتها بغير أذن. فغضب عمر. وقال مالنا وللنساء!! ثمّ أمر أناساً أن يحملوا الحطب.

فحملوا الحطب. وحمل معهم عمر فجعلوه حول منزل عليّ وفاطمة وابناها عليهم السلام ثم نادى عمر حتّى أسمع عليّاً وفاطمة عليهما السلام والله لتخرجنّ ياعلي ولتبايعنّ خليفة رسول الله. وإلَّا أضرمت عليك (بيتك) النار. فقالت فاطمة عليها السلام: **يا عمر. مالنا ولك؟** فقال: افتحي الباب. وإلَّا أحرقنا عليكم بيتكم. فقالت: يا عمر. **أما تتقي الله تدخل عليّ بيتي؟!** فأبى أن ينصرف. ودعا عمر بالنّار فأضرمها في الباب. ثم دفعه فدخل. فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: **يا أبتاه. يا رسول الله**. فرفع عمر السيف ـ وهو في غمده ـ فوجأ به جنبها فصرخت **يا أبتاه!** فرفع السوط فضرب به ذراعها[3].

كان علي عليه السلام يصلي في المسجد الصلوات الخمس. فلمّا صلّى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ قد كان بيننا وبينها ما قد علمت. فإن رأيت أن تأذن لنا فنعتذر إليها من ذنبنا قال: ذاك إليكما. فقاما فجلسا بالباب ودخل علي على فاطمة عليها السلام. فقال لها: **أيّتها الحرّة. فلان وفلان بالباب.**

(١) اعلام الهداية فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء): ج ٣ ص ١٦٥.

(٢) اعلام الهداية فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء): ص١٦٥.

(٣) موسوعة الكلمة كلمة فاطمة الزهراء السيد حسن الحسيني الشيرازي: ج٦ ص٢٢٧- ٢٢٨.

يريدان أن يسلّما عليكِ فما ترين؟

قالت: **البيت بيتك. والحرّة زوجتك. افعل ما تشاء.** قال: **شدّي قناعك.** فشدّت قناعها وحوّلت وجهها إلى الحائط فدخلا وسلّما وقالا: ارضي عنّا رضى الله عنكِ. فقالت: **ما دعاكما إلى هذا؟** فقالا: اعترافنا بالإساءة. ورجونا أن تعفي عنّا وتخرجي سخيمتك. فقالت: **فإن كنتما صادقين فأخبراني عمّا أسألكما عنه. فإني لا أسألكما عن أمر إلّا وأنا عارفة بأنكما تعلمانه.** قالا: سلي عمّا بدا لك. قالت: **نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله ﷺ يقول: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فمن آذاها فقد آذاني»؟**

قالا: نعم. فرفعت يدها إلى السماء فقالت: **اللهمّ إنَّهما قد آذياني. فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك. لا والله لا أرضى عنكما أبداً. حتّى ألقى أبي رسول الله ﷺ وأُخبره بما صنعتما. فيكون هو الحاكم فيكما.** فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور، وجزع جزعاً شديداً. فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة؟[1]

ترى ماذا سيقول رسول الله ﷺ حين يرى القوم لا يراعون حرمة ولا كرامة لدار حبيبته الزهراء؟

بل ولا هيبة ولا احتراماً لبضعته حين يتجرّأ القوم فيضربونها ويروّعونها فيكون ذلك لسقوط جنينها ومرضها ثم وفاتها؟ بالرغم من أنَّ المواجهة التي حصلت في دار الزهراء عليها السلام كانت لفترة قصيرة ووقعت في مكان محدود غير أنَّ صداها بقي لأجيال وأجيال إلى يومنا هذا[2].

المطلب الثالث: فاطمة وحزنها على انحراف الأمة خرجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى المتجمهرين على بيتهم لإخراج عليّ عليه السلام إلى البيعة فوقفت خلف الباب ثمّ قالت: **لا عهد لي بقوم أسوء محضراً منكم. تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم فيما بينكم ولم تؤمّرونا. ولم تروا لنا حقّاً، كأنّكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خمّ؟ والله لقد عقد له يومئذ الولاء. ليقطع منكم بذلك منها الرجاء. ولكنّكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيّكم. والله حسيب وبينكم. في الدنيا والآخرة**[3].

لما انصرفت فاطمة من عند أبي بكر أقبلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقالت له: **يا بن أبي طالب اشتملت شملة الجنين. وقعدت حجرة الظنين. نقضت قادمة الأجدال. فخانك ريش الأعزل. هذا**

(١) كتاب سليم بن قيس: ص ٢١١/ ٢١٢ ضمن ح٥٢.
(٢) أعلام الهداية فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء): ج٣ المؤلف لجنة التاليف: ص١٦٥.
(٣) الاحتجاج: ج٢ ص١٠٥.

ابن أبي قحافة قد ابتّزني نحيلة أبي وبليغة ابني. والله لقد أجهد في ظلامتي. وألّد في خصامي. حتّى منعتني القيلة نصرها والمهاجرة وصلها. وغضّت الجماعة دوني طرفها. فلا مانع ولا دافع. خرجتُ والله كاظمة وعدت راغمة. ولا خيار لي. ليتني متّ قبل ذلّتي وتوفّيت دون منيّتي. عذيري والله فيك حامياً. ومنك داعياً ويلاه في كلّ شارق ويلاه. مات العمد ووهن العضد. شكواي إلى أبي. وعدواي إلى ربّي. اللهمّ أنت أشد قوّة. فأجابها أمير المؤمنين عليه السلام: **لا ويل لك. بل الويل لشانئك. نهنهي عن وجدك يا بنت الصفوة وبقيت النبوّة. فوالله ما ونيت في ديني. ولا أخطأت مقدوري. فإن كنتِ تريدين البلغة. فرزقك مضمون وكفيلك مأمون. وما أُعد لك خير ممّا قطع عنك. فاحتسبي الله. فقالت: حسبي الله ونعم الوكيل**[1].

جمع عمر بن الخطاب جماعة من الطلقاء والمنافقين. وأتى بيهم إلى منزل أمير المؤمنين عليه السلام فوافوا بابه مغلقاً فصاحوا به: أخرج يا عليّ. فإنّ خليفة رسول الله يدعوك. فلم تفتح لهم الباب، فأتوا بحطب فوضعوه على الباب. وجاؤؤا بالنار ليضرموه. فصاح عمر، وقال: والله لئن لم تفتحوا لنضرمنّه بالنّار. فلمّا عرفت عليها السلام أنّهم يحرقون منزلها قامت وفتحت الباب. فدفعها القوم قبل أن تتوارى عنهم. فاختبأت فاطمة عليها السلام وراء الباب والحائط. ثم إنّهم تواثبوا على أمير المؤمنين عليه السلام وهو جالس على فراشه. واجتمعوا عليه حتّى أخرجوه سحباً من داره. ملبّباً بثوبه يجرّونه إلى المسجد. فحالت فاطمة عليها السلام بينهم وبين بعلها. وقالت: **والله. لا أدعكم تجرّون ابن عمّي ظلماً. ويلكم ما أسرع ما خنتم الله ورسوله فينا أهل البيت. وقد اوصاكم رسول الله صلى الله عليه وآله باتّباعنا ومودتنا والتمسك بنا**[2]. **وقال تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي القربى﴾**[3].

كان أختيار الثائرة فاطمة الزهراء عليها السلام الثائرة لهذا الطريق مما يوافق طبعها. ويلتئم مع شخصيتها المركزة على الانتصار للحق. والاندفاع في سبيله، وكانت حولها نسوة من حفدتها ونساء قومها كالنجوم المتناثرة يلتفن بها بغير انتظام. وهن جميعاً سواسيه في هذا الاندفاع والالتياع.

وقائدتهن بينهن تستعرض ما ستقدم عليه من وثبة كريمة تهيء لها العدة والذخيرة. كلما استرسلت في استعراضها تضاعفت قوة الحق التي تعمل في نفسها. واشتدت صلابة في الحركة. وانبعاثاً نحو الدفاع عن الحقوق المسلوبة. وكانت في لحظاتها الرهيبة التي قامت فيها بدور الجندي المدافع شبحا

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢ ص٢٠٨.
(٢) اليقين في اصول الدين للكاشاني: ص٦٨٦ قال ـ في حديث.
(٣) سورة الشورى: الآية ٢٣.

قائماً ترتسم عليه سحابة حزن مرير، وهي شاحبة اللون. عابسة الوجة. مفجوعة القلب. كاسفة البال. ضعيفة الجانب. مائعة الجسم. وفي صميم نفسها. وعميق فكرها المتأملة اشاعة بهجة. واثارة طمأنينة والاستبشار بالثورة. وكانت الطمأنينة ثقة بنجاح. ودفعتها أفكارها في وقفتها تلك إلى الماضي القريب يوم كانت موجات السعادة تلعب بحياتها السعيدة. يوم كانت نفس أبيها يصعد. ونسمه يهبط[1].

تلك هي الحوراء الصديقة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ريحانة النبوة. ومثال العصمة. وهالة النور المشعة ابوة في أزهى الأبواب في تاريخ الإنسان وافيضها. ولم تقف الحوادث المرة عند هذا الحد الرهيب. بل عرضت الزهراء لخطب آخر قد لا يقل تأثيراً في نفسها الطهور، وإيقاداً لحزنها. وإذكاء لأساها عن الفاجعة الأولى وهو خسارة المجد الذي سجلته السماء لبيت النبوة على طول التاريخ.

فدك: هي قرية في الحجاز، بينها وبين يومان. وقيل ثلاثة وهي أرض يهودية في مطلع تاريخها المأثور، وكان يسكنها طائفة من اليهود. ولم يزالوا على ذلك حتى السنة السابعة حيث قذف الله الرعب في قلوب أهليها فصالحوا رسول الله ﷺ على النصف من فدك وقيل انه صالحهم عليها كلها.

وابتدأ بذلك تاريخها الإسلامي. فكانت ملكاً لرسول الله ﷺ لأنها مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ثم قدمها لابنته الزهراء. وبقيت عندها حتى توفي أبوها ﷺ فانتزعها أبو بكر عندما تولى الخلافة ـ على حد تعبير صاحب الصواعق المحرقة ـ وأصبحت من مصادر المالية العامة وموارد ثروة الدولة يوم ذاك حتى تولى عمر الخلافة فدفع فدكاً إلى ورثة رسول الله ﷺ وبقيت فدكاً عند آل محمد إلى أن تولى الخلافة عثمان بن عفان فأقطعها مروان بن الحكم على ماقيل. ثم يهمل التاريخ أمر فدك بعد عثمان فلا يصرح عنها بشيء. ولكن الشيء الثابت أن أمير المؤمنين علياً انتزعها من مروان على تقدير كونها عنده في خلافة عثمان ـ كسائر ما نهبه بنو أمية في أيام خليفتهم[2].

عتاب السيدة فاطمة مع المسلمين: «**إلّا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة. أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن تخشوة إن كنتم مؤمنين**».

أدمجت السيدة فاطمة عليها السلام هذه الآية في حديثها. وإن كانت الآية نزلت في مشركي مكة الذين أرادوا إخراج رسول الله ﷺ من مكة أو نزلت في اليهود والنصارى الذين نقضوا عهدهم وهمّوا بإخراج الرسول من المدينة[3].

(١) فدك في التاريخ،السيد محمد باقر الصدر: ص١٥.

(٢) فدك في التاريخ، السيد محمد باقر الصدر: ص١٦/ ٢٦

(٣) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، تأليف: السيد محمد كاظم القزويني: ص٣٩٢.

فإن السيدة فاطمة الزهراء لا تقصد بكلامها إثارة الفتنة ولا إراقة الدماء. ولا تريد أن تقود جيشاً. أو تتزعم حزباً. قالت السيدة فاطمة اني خطبت فيكم وقلتُ ما قلت لاطمعاً في نصرتكم. ولا رجاءً في حمايتكم وإنما كان ذلك لأسباب نفسية ودينية. الاسباب النفسية ذكرتها والأسباب الدينية فهي تقدم الحجة. أي إعلامكم بكل ما يلزم. وذكر كل دليل وبرهان وحجة على ما أقول. لئلا تعتذروا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين أو ناسين أو جاهلين. ما أبقيت لذي عذر عذراً. ولا لذي مقال مقالاً عرَّفت نفسي ونسبي لكم. وذكرت ما يتعلق بالإمامة. وذكرت حقي من فدك واستنهضتكم لنصرتي والطلب بحقي. فلم أجد فيكم مجيباً ولا مُعيناً ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾ وأي جزاء سيجازون وأي جحيم وعذاب سيصيرون إليه! ﴿**وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**﴾ انتظروا عواقب أفعالكم ونحن ننتظر عواقب الصبر على المحن[1].

(١) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، تأليف: السيد محمد كاظم القزويني: ص٣٩٤ / ٣٩٥.

الخاتمة

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1].

وفي نهاية البحث فإننا نشكر الله تعالى على نعمة العلم. والهدى على مصابيح العلم العديدة وقد نخرج بنتائج البحث «فاطمة الزهراء في المنظور الأخلاقي والإجتماعي المعاصر».

وقد بذلت كل الجهد لكي يخرج البحث في هذا الشكل:

١ـ أخلاق السيدة فاطمة مع والدها يرسم لنا منهاجاً أخلاقياً في بر الوالدين فهي بنت الرسالة تنعكس فيها تعاليم السماء السمحة التي تزخر بالخلق الرفيع والأدب الرباني العالي.

٢ـ حياتها مع زوجها وأولادها نموذجاً للأسرة المسلمة الصالحة لأن منبعهم هو رسولنا الكريم وأكد الأسلام على العدالة في تربية الأولاد فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله «**واعدلوا بين اولادكم في النحل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف**».

٣ـ تعلمنا من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام عدم الرضا والسكوت على الظالم والخروج بمطالبة الحق والثبات على الموقف.

٤ـ تعلمنا من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام العمل بأوامر الله تعالى والجار قبل الدار.

٥ـ دافعت السيدة فاطمة الزهراء عن الولاية وبذلت مهجتها في هذا السبيل وتحدثت بكل فصاحة وبلاغة.

٦ـ من المهم أن تلتفت نساؤنا إلى هذهِ الأخلاق والصفات التي كانت عليها سيدة نساء العالمين فيقتدين بها ويمثلن سلوكها فيصبرن على أوضاع أزواجهن.

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

المصادر والمراجع

- أعلام الهداية. فاطمة الزهراء (سيدة النساء). لجنة التأليف، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، البلد: قم، الطبعة، الأولى، تاريخ النشر، ١٤٣٣هـ.
- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، مركزالنشر: مكتبة بصيرتي. قم. شارع ارام، سنة الطبع: ١٤١٤ هـ ق.
- فدك في التاريخ، السيد محمد باقر الصدر، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى، السنة:١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م.
- في نور محمد فاطمة الزهراء، تأليف: عبد الفتاح عبد المقصود، تحقيق: شوقي محمد، الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، البلد: الجمهورية الإسلامية إيران ـ طهران، الطبعة: الثانية، السنة:١٤٣٠ هـ ق / ٢٠٠٩ م .
- مسند فاطمة الزهراء، سماحة العلامة حجة الإسلام والمسلمين، وآخرون، الناشر: دار الصفوة، بيروت لبنان. الطبعة: الأولى، السنة:١٤١٤ هـ/ ١٩٩٢ م.
- موسوعة سيرة أهل البيت الجزء ٩، سيدة النساء فاطمة الزهراء، تأليف: باقر شريف القرشي، الناشر: دار المعروف مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام، العراق، النجف الأشرف ـ شارع الرسول

تجسدات سيدات بيت العصمة (سلام الله عليهن)

الرد الأمثل لقضايا المرأة

الباحثة : م.م زينب علاء محمد جواد الأعسم

ملخص البحث

تفاقمت الإشكاليات المعاصرة حول قضايا المرأة، متجاوزةً التساؤل عن دورها الطبيعي إلى محاولات إنكار الاختلاف بين الجنسين واتهام القوانين الإلهية بالظلم، وعلى الرغم من تعدد المناهج الإسلامية التي واجهت هذه الإشكاليات، إلا أن غياب الحلول الجذرية جعل الحاجة ملحّة لتقديم منهج تطبيقي مقنع.

وفي هذا السياق، يركز البحث بعنوان «تجسدات سيدات بيت العصمة – الرد الأمثل لقضايا المرأة» على دور المرأة الحقيقي كما أراده الله، مستندًا إلى نموذج سيدات بيت العصمة عليهن السلام باعتبارهن التجسيد الأمثل للقيم القرآنية، معتمدًا على الأدلة القرآنية، والروائية، والتطبيقية، لتوضيح حجية هذه النماذج في الرد على الإشكاليات المعاصرة.

وقد قُسم البحث إلى أربعة مباحث مترابطة؛ حيث عرّف المبحث الأول مفردات العنوان، وتناول المبحث الثاني الأدلة الشرعية المثبتة لحجية مواقف سيدات بيت العصمة، ثم استعرض المبحث الثالث التطبيقات العملية التي جسّدت القيم القرآنية، وصولاً إلى المبحث الرابع الذي بيّن آثار هذه التجسدات في الحياة الدنيا والآخرة.

واختتم البحث بجملة من النتائج، أبرزها:

قدرة القوانين الإسلامية على معالجة مشاكل المرأة.

حجية المواقف التطبيقية لسيدات بيت العصمة في الرد على الإشكاليات.

بيان انسجام فطرة المرأة مع القيم القرآنية.

كما أبرز البحث النماذج الناجحة للمرأة المسلمة، محطّمًا الصور السلبية عنها ومعززًا ثقتها بنفسها ومكانتها في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: المرأة، القيم القرآنية، سيدات بيت العصمة، الإشكاليات المعاصرة، المنهج التطبيقي.

المقدمة

١. المشكلة البحثية:

أ. إن قضايا المرأة وما يتعلق بها من كيان الأسرة وغيره، قد تعددت واتسعت وتفاقمت في العصور المتأخرة فضلاً عن المتقدمة، حتى أصبح كلٌ يدعي بأن رؤيته وتفسيره لها هو الأنسب والأصح بما يتناسب مع طبيعة المرأة، إلا أنهم مع كل ذلك لم يصلوا إلى الحل الجذري والرؤية المتوافقة مع استقامة حياة المرأة وحل مشاكلها.

ب. وما ذلك إلا لابتعادهم عن المصدر الأساسي والرؤية الأصح لخالق الكون، والإنسان، والمرأة بشكل خاص، العالم بما يلائم تكوينها وطبيعتها وما خلقت عليه، القيوم المتعال الله عز شأنه، وما أَكَّدَ عليه من: اتباع من جسدوا وصاياه بأتم تجسيد (الرسول صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى في بيان آياته عز وجل، والمعصومين من عترته)، الذين وصف رسول الله صلى الله عليه وآله مُتَبِعَهُم بعدم الضلال.

ج. إن الحاجة إلى نموذج تطبيقي واقعي لمعالجة قضايا المرأة المعاصرة أصبح ضرورة ملحة في ظل تعدد النظريات وتضارب الآراء حول حقوق المرأة ودورها في المجتمع.

٢. القضية الأساسية التي يعالجها البحث:

بيان إن الله عزوجل لم يتوقف على الرجال من المعصومين صلوات الله عليهم في الإقتداء والإتباع فقط، بل جعل منهم سيدة هي سيدة نساء العالمين والحجة على الحجج بوصف المعصوم عليها السلام؛ لتكون القدوة، والمُجسدة، والمُبينة لنصوص القرآن وأوامره تطبيقياً لأمور المرأة والتكليف الملقى عليها، التي أكد المعصومون عليهم السلام بأن هناك سيداتٍ كذلك نهلن من تعاليمها حتى كن المظهرات لحقيقة قيم المرأة القرآنية أيضًا، ومن أجل ذلك وللرد على الإشكالية القائمة حول قضايا المرأة بمنهجٍ تطبيقي لقيم القرآن، صيغ عنوان هذا البحث الموسوم بـ: «تجسدات سيدات بيت العصمة – الرد الأمثل لقضايا المرأة»؛ لنثبت من خلاله مدى حقيقة ذلك، بالأدلة القرآنية والروائية والتطبيقية.

٣. أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

أ. تقديم نموذج عملي وتطبيقي لكيفية معالجة قضايا المرأة من خلال الإستناد إلى القرآن الناطق والمفسر الحقيقي لآياته وتوصياته.

ب.التركيز على دور سيدات بيت العصمة عليهم السلام في تجسيد قيم القرآن.

ج. سد الفجوة المعرفية في الدراسات الأكاديمية المتعلقة بالتطبيق العملي للقيم القرآنية في حياة المرأة المعاصرة.

د. تقديم حلول عملية للإشكاليات المعاصرة التي تواجه المرأة من خلال نماذج واقعية.

٤. منهج الحل:

اعتمد البحث المنهج التطبيقي القائم على دراسة وتحليل مواقف سيدات بيت العصمة عليهم السلام وتطبيقاتهن العملية للقيم القرآنية.

٥. الدراسات السابقة:

لم يتم التطرق لموضوع البحث بشكلٍ مستقلٍ وشاملٍ، حسب علم الباحثة، عدا ما تطرقت إليه رسالتنا التي قُدمت إلى مجلس كلية الفقه، جامعة الكوفة عام ٢٠٢٣م، كجزءٌ من متطلّبات نيل درجة الماجستير، والحاصلة على تقدير الإمتياز، بعنوانها الموسوم: تجسيد سيّدات بيت العصمة للقِيم القرآنية- دراسة موضوعية، على الرغم من وجود بعض الكتب والمؤلفات التي تطرقت بشكل موجز لأثر مواقف بعض سيدات بيت العصمة في الرد على إشكالية محدودة حول المرأة، إلا أنها افتقرت إلى التركيز على جوانب التجسيد المعمقة، كما اتّبعت منهجيّة مبسّطة، وركّزت على التوصيات لا الجانب البحثي، ولم تتناول بشمولية الإشكاليات المعاصرة حول قضايا المرأة، حيث من تلك الدراسات والمؤلفات:

أ.الزهراء القدوة وقضايا المعاصرة. السيد عبد الله الغريفي

ب.المرأة واستعادة هويتها الحقيقية – كلمات مختارة من السيد علي الخامنئي

ج. الزهراء القدوة. حسين الخشن

د. كوني فاطمة الزهراء. أميرة ابراهيم

٦. خطة البحث:

المبحث الأول: دلالة أهم مفردات العنوان

المبحث الثاني: الأدلة القرآنية والروائية المثبتة لحجية مواقف السيدات سلام الله عليهن

المبحث الثالث: التجسدات التطبيقية لسيدات بيت العصمة لقيم المرأة

المبحث الرابع: أثر تلك التجسدات في الدنيا والآخرة

الخاتمة

راجية من الله أن يتقبل هذا القليل بمنه وكرمه، كما تفضل عليّ بفيوضاته، واعتذر عن أي خلل او سهو قد يشين البحث؛ لأنني بشر ومن شأن البشر أن يفوته الكمال، والفضل لمن لفت نظري إليه، وما توفيقي إلا بالله تعالى، وهوعز وجل من وراء القصد وهو يتولى الصالحين.

المبحث الأول: دلالة أهم مفردات العنوان

إنّ من أهم المصطلحات التي ينبغي أن توضح في بداية البحث لفهم الأساسيات المرادة من العنوان هي:

المطلب الأول: التجسيد

وهو مصدر من الفعل جسَّدّ يجّسِد تجسيداً[1]، يعني «إبراز الأمر المعنوي الغيبي من خلال تركيبه على شيءٍ مادي ليصبح محسوسًا ظاهرًا للإنسان الذي من صفاته المادية كذلك»[2]، إذ جسَّدَ الأمر: مثَّلهُ، أبرزه في قالب أو شكل محسوس[3]، إذ إن الإنسان بطبيعته ووفقًا لصورته المادية يتأثر أكثر بالأمور المحسوسة التي تكون أكثر وقعًا على نفسه؛ لما يمنحه ذلك من السكون والاطمئنان النفسي، لكونها ماثلة أمامه، لذلك ورد أنّ من أسباب طلب النبي إبراهيم عليه السلام من الله عز وجل بأن يريه إحياء الطيور هو إنما كان ليزداد بصيرةً بمضامة العيان إلى الوحي[4]، وورد عن الإمام الرضا عليه السلام أيضًا جوابًا على ذلك بقوله عليه السلام: «**كان على يقين، ولكنه أراد من الله الزيادة في يقينه**»[5]، ووالذي يبينه الشيخ الطبرسي قدس سره بقوله: «معناه لأعاين ذلك، ويسكن قلبي إلى علم العيان بعد علم الاستدلال»[6]، وهو ما أثبتته الدراسات الحديثة كذلك وأعطت له الأولوية والمنصب الأكبر.

ثم إن الإنسان عندما يحس بإحدى حواسه، بالتطبيقات للقيم المعنوية، ويرى ما حققته تلك التطبيقات من الغاية المرادة من القيمة والنتيجة المرجوة، يندفع لتطبيق تلك القيمة؛ نتيجةً لحب الكمال وحب المنفعة عنده، من خلال غريزة التقليد والمحاكاة الذي وهبه الله إياها ليكتسب السلوك

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصر، احمد مختار عمر. ط١. عالم الكتب، ١٤٢٩هـ: ج١ ص٣٧٣.

(٢) ينظر: تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم، إشراف أ.د محمد محمود زوين، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الفقه-جامعة الكوفة ٢٠٢٣م: ص١٠.

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصر، احمد مختار عمر: ج١ ص٣٧٣.

(٤) ينظر: تفسير كنز الدقائق، ميرزا محمد المشهدي، تحقيق آقا مجتبى العراقي، د.ط، مؤسسة النشر الإسلامي، قم: ايران ١٤٠٧هـ: ج١ ص٦٣٤.

(٥) كتاب المحاسن، أحمد بن محمد البرقي، تصحيح جلال الدين الحسيني، ط٢، دار الكتب الإسلامية قم: ايران ١٣٧١ ق: ج١ ص٢٤٧.

(٦) مجمع البيان، الطبرسي، د.ط.دار المعرفة، د.ت: ج٢ ص٦٤٤.

الصحيح، ولذلك أكدت الرؤية الإسلامية على أهمية التجسيد وخاصةً للقيم المثلى، لما له من الأثر الكبير على فهم المعاني وإبراز الفكرة لدى المتلقي، ومن أجل ذلك كان من أهم أهداف خلق الإنسان وإختباره التحلي بالقيم[1]، قال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا**﴾[2]، إذ إن العمل هو إبرازٌ للأمر المعنوي على أرض الواقع سواء كان حسنً او غيره، وهذا ما نجده عند استقراء النصوص القرآنية التي دلت على أهمية التجسد، قال تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[3]، حيث تبين كيف إن الإيمان لا يتحقق إلا إذا خالط الإسلام تجسيدًا له بالعمل[4]، إذ الإسلام هو: الشكل الظاهري الذي يُطلق على من تشهد بالشهادتين بلسانه ودخل زمرة المسلمين، فتجري عليه أحكامهم، أما الإيمان هو الأمر الواقعي الذي يصدر من قلب الإنسان لا من لسانه[5]، وهذا ما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وآله: «**ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن الإيمان ما خلص في القلب**»[6]، وهو ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام بقوله: «**قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي اكتب، فقلت: ما أكتب؟ فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الإيمان ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال**»[7]، وذكره الإمام الباقر عليه السلام: «**الإيمان إقرار وعمل والإسلام إقرار بلا عمل**»[8]، وهو لا يكتمل عند الشخص إلا بظهور الأمر المعنوي للعيان عند المصيبة أو الوقت الذي يكون فيه الإنسان تحت تأثير إنفعالات نفسية كالحزن والفرح والأحداث النفسية الأخرى، وعندما تكون أفعاله مطابقة للقيمة المعنوية المراد إظهارها.

(١) ينظر: الدين بين معطيات العلم و إثارات الإلحاد، منير الخباز: ص١٤٤، ينظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ج١٩، ص٣٤٩، ينظر: الكشاف، الزمخشري: ج٢ ص٣٨٠.

(٢) سورة الملك: الآية ٢.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٤.

(٤) ينظر: التبيان، الشيخ الطوسي: ج٩ ص٣٥١.

(٥) ينظر: معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص١٨٧.

(٦) تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ص ٣٧٠.

(٧) مستدرك سفينة البحار، علي النمازي، تحقيق حسن علي النمازي، د.ط، مؤسسة النشر الإسلامي، قم: ايران د.ت: ج٥ ص١١٠.

(٨) تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ص٢٩٧.

المطلب الثاني: سيدات بيت العصمة

أ. سيدات:

من «سادَ يَسُود سيادة»[١]، فهو سَيّد، «يطلق على الرب و المالك و الشريف و الفاضل و الكريم»[٢]، إذ «سيد كل شيء: أشرفه وأرفعه»[٣]، وأطلق تشريفًا على الأشراف من نسل الرسول صلى الله عليه وآله[٤]، و«الأنثى سيدة»[٥]، وهو في أصله يدل على «التشخّص مع التفوّق في مقابل أفراد أُخر»[٦]، لما لهم من المجد و الشرف[٧]، اللواتي هنَّ بمثابة الحقيقة للتفوق في مقابل أفراد أُخر، إذ المجد يعني: العظمة في سعة وعلو[٨]، وفرقه عن الشرف يكون في أن الشرف في الشخص يكون بحسب الملكات والصفات التي يمتلكها، بينما المجد يكون في ذات الشخص[٩]، ولذلك «قيل لكل من كان فاضلاً في نفسه سيد»[١٠]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيما رواه الأصبغ بن نباتة عن الإمام علي عليه السلام: «**أنا سيد ولد آدم و أنت يا علي و الأئمة من بعدك سادة أمتي**»[١١]، وقال صلى الله عليه وآله في حق السيدة الزهراء سلام الله عليها: «**سيدة نساء العالمين**»[١٢].

ب. بيت العصمة

البيت معروف[١٣]، وهو المآوى والمسكن، ومجمع الشمل[١٤]، من بات يبيت[١٥]، ويقال أيضًا

(١) تاج العروس، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، د.ط، دار الفكر، د.ت: ج٥ ص٣٢، ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ج٣ ص٢٢٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ج٣ ص٢٢٩، ينظر: تاج العروس، الزبيدي: ج٥ ص٣٢، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصر: ج٢ ص١١٣٠.

(٣) لسان العرب، ابن منظور: ج٣ ص٢٣٠.

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصر: ج٢ ص١١٣٠.

(٥) تاج العروس، الزبيدي: ج٥ ص٣٢.

(٦) التحقيق في كلمات القرآن، المصطفوي، ط١، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران: ايران ١٣٨٥ش: ج٥ ص٣١١.

(٧) ينظر: النور المبين في شرح زيارة الأربعين، مهدي تاج الدين، ط١، دار الأنصار، د.ت: ص١٠٤.

(٨) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن، المصطفوي: ج١١ ص٣٣.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ج١١ ص٣٣.

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداوودي.ط١، دار القلم، بيروت ١٤١٢ هـ: ص٤٣٢.

(١١) الأمالي، الشيخ الصدوق، تحقيق مؤسسة البعثة.ط١.دار الثقافة، قم: ايران ١٤١٤هـ: ص٥٦٣.

(١٢) المصدر نفسه: ص٥٧٥.

(١٣) ينظر: الصحاح، الجوهري: ج١ ص٢٤٤.

(١٤) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: ج١ ص٣٢٤.

(١٥) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ج٢ ص١٥.

لعيال الرجل وأسرته[1]، وبيت العصمة هم المنتمون إلى النبوة والوحي، أي من كانت لهم «وشائج معنوية خاصة على وجه يصح مع ملاحظتها عدّهم أهلاً لذلك البيت»[2]، وهي تشمل كل من يرتبط ببيت النبوة والعصمة عن طريق السبب والنسب[3].

ج. المراد من تحديد لفظة – سيدات بيت العصمة – في العنوان قصد البحث باللفظة كل من لها ارتباط بالمعصوم من جهة السبب والنسب، وفق مراعاة بعض الأمور:

١. أورد البحث لفظة «سيدات» بدل النساء، لما ثبت في اللغة والاصطلاح القرآني والروائي وغيره، من أن المقصود بالسيادة أفضل القوم؛ إذ العنوان يبحث عمّن جسدت القيم القرآنية، والمُجَسِد للقيم القرآنية بلا شك هو الأفضل للسيادة، كما ثبت بالدليل.

٢. أورد البحث لفظة «بيت العصمة» دون غيرها من الألفاظ:

– للكناية بلفظة – بيت – عن كل من كان لها ارتباطٌ سببيٌّ أو نسبيٌّ مع المعصوم.

– لشمول لفظة – العصمة – على النبي صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام، لما ينحصر فيه اللفظ من تقييد للمعنى لو كانت «بيت النبوة، أو بيت الإمامة».

– لكي تختص السيدات المذكورات، بمن كانت لها رابطة معنوية قيمية مع أهل البيت المعصومين عليهم السلام، أي كانت ممّن رضيَ عنها إمام زمانها المعصوم عليه السلام، لتجسيدها للقيم، فكانت أهلًا لأن تكون من أهل بيته.

المطلب الثالث: قضايا المرأة

القضايا هي: كل «مسألة يتنازع فيها و تعرض على القاضي او القضاة للبحث و الفصل»[4]، أي هي عبارة عن: «حدث معين يحدث في مجتمع ما نتيجة تغيرات طارئة عليه بفعل عوامل خارجية او عوامل دخيلة»[5]، حيث ينقسم على المجتمع على أثرها إلى قسمين: يتفق الأول مع موضوعها، باعتباره تطوراً من الأفضل أن يحدث في المجتمع، أو لطمعه للحصول على المصالح، ويعارضها الآخر

(١) ينظر: الصحاح، الجوهري: ج١ ص٢٤٤، ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: ج١ ص٣٢٤.
(٢) مفاهيم القرآن، محاضرات جعفر السبحاني، جعفر هادي، ط٣، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، د.ت: ج١٠ ص١٣٦.
(٣) ينظر: المصدر نفسه.
(٤) معجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين: ج٢ ص٧٤٣.
(٥) أهم الفروق بين المشكلة و القضية، د. أحمد ابراهيم خضر، مقالة في موقع الوكة ١٤٣٤هـ.

www.alukah.net

لعلمه بأنها انما طرأت لفعل عوامل دخيلة[1]، وعلى ذلك فإن قضايا المرأة هي: «مجموعة من المسائل والشؤون المتعلقة بالمرأة، التي حصل فيها خلاف و تعدد لوجهات النظر عند العلماء و الباحثين ؛ نظرًا لاختلاف وتباين الرؤى والمنظورات الفكرية لكلٍ منهم، تجاه هذه القضايا»[2].

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم، إشراف أ.د محمد محمود زوين، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الفقه-جامعة الكوفة ٢٠٢٣م: ص٢٧.

المبحث الثاني: الأدلة القرآنية والروائية المثبتة لحجية مواقف السيدات سلام الله عليهن

أكد واهتم القرآن الكريم والسنة الشريفة على أهمية الاقتداء بسيدات بيت العصمة سلام الله عليهن، والأخذ عنهن للتوصل إلى القيم التي أرادها الله عز وجل من المرأة، والتي تستطيع المرأة الإعتماد عليها في مواقفها، للرد على كل إشكالية قد ترد على قيم القرآن، أو على المرأة بشكل عام، حيث من ذلك ما نجده في:

المطلب الأول: تأكيد القرآن والسنة الشريفة على الاقتداء بمن جسدن القيم التي أرادها الله، وجعلهن الحجة على الناس:

إن ذكر القرآن الكريم لسيداتٍ جسَّدنَ ما أمر الله به من القيم المؤدية إلى رضاه، وجعلهن مثالًا للذين آمنوا ليتأسوا بمواقفهن، حتى بلغن شرف ذكر أسمائهن في القرآن، - كالسيدة مريم عليها السلام التي أورثتها عبادتها وتصديقها لكلمات ربها الاصطفاء الإلهي، لقوله تعالى: ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ وَكانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ**﴾[1]، حتى وصفها الله عز وجل بالآية والحجة بمواقفها على الناس، بقوله:﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً**﴾[2]، والسيدة آسيا بنت مزاحم عليها السلام التي أورثها صبرها وموقفها مع عدو الله عز وجل الاصطفاء كذلك، بقوله تعالى:﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[3]، وغيرهن من السيدات- وذكر الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لمواقف سيدات جئن بمواقف مشابهة لسيدات القرآن من تجسيد قيمه تعالى ونيل رضاه، هو خيرُ دليلٍ على اثبات حجية تجسدات سيدات بيت العصمة صلوات الله عليهن، بل إن بعضهن ورد لنا بالدليل على انهن حزن شرف أن يكونن أفضل من سيدات القرآن، كما نستقرئه فيما ورد عن:

أ.السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حقها، -وما كلامه إلا وحي يوحى- قوله: «**إنها سيدة نساء العالمين**، فقيل له: يا رسول الله، أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال

(١) سورة التحريم: الآية ١٢.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥٠.
(٣) سورة التحريم: الآية ١١.

النبي صلى الله عليه وآله: **ذلك لمريم بنت عمران، فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم، فيقولون: يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**»[1]، وكذلك ما ورد من تشرف سيدات القرآن وحضورهن بولادتها سلام الله عليها.

ب.السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام، وذلك فيما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في روايته لمولد الإمام علي عليه السلام وتشرف السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام بالدخول إلى الكعبة وولادتها فيها، حيث ينقل لنا قولها بعد أن خرجت من الكعبة، بقوله: «**معاشر الناس ان الله عزوجل اختارني من خلقه، وفضلني على المختارات فيمن مضى قبلي وقد اختارني من خلقه، قد اختار الله آسية بنت مزاحم فإنها عبدت الله سرًا في موضع لا يحب الله أن يعبد فيه الا اضطرارًا ومريم بنت عمران حيث اختارها الله و يسر عليها ولادة عيسى عليه السلام فهزت الجذع اليابس من النخلة في فلاة من الأرض حتى تساقط عليها رطبًا جنيا وان الله تعالى اختارني وفضلني عليهما وعلى كل من مضى من نساء العالمين، لأني ولدت في بيته العتيق وبقيت فيه ثلاثة ايام، آكل من ثمار الجنة و اوراقها، فلما أردت ان اخرج وولدي على يدي هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة سميه عليًا، فأنا العلي الأعلى و اني خلقته من قدرتي وعز جلالي وقسط عدلي**»[2]، وغيرها من الأدلة..

المطلب الثاني: تأكيد الرسول صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة الواجبين الإطاعة على رضاهم عن السيدات وتوصيتهم بالإقتداء بهن:

إن تبيان الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام لرضاهم عن بعض النسوة وتوصيتهم بالأخذ عنهن، والاقتداء بهن، من خلال أقوالهم وأفعالهم أو تقريرهم عليهم السلام، وهم واجبوا الطاعة بنص الباري عز شأنه ومن خلال آيات عديدة، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ**﴾[3]، وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[4]، وغيرها من الآيات التي تدل على الطاعة التامة لهم بكل ما أخبروا به سواء في السلم أو في أي أمرٍ آخر[5]، ومن

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٥٧٥.
(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٧٠٧.
(٣) سورة الانفال: الآية٢٠.
(٤) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٥) ينظر: الأمثل، الشيرازي: ج٥ ص٣٥٦.

ذلك ما يرتبط بالقضايا التي تحدث يومًيا وتتجدد، أي في كل الحقول الحياتية المتجددة، إنما يعد تبيانًا لحجية التجسدات للسيدات عليهن السلام؛ لأنها صدرت ممن أوجب الله طاعته والإقتداء له بكل ما يقول ويفعل، كذكر الرسول صلى الله عليه وآله للعصمة الكبرى للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من الله عز وجل فيما نزل فيها وفي أصحاب الكساء عليهم السلام من آية التطهير، بقوله: «**منا خمسة معصومون**، قيل يا رسول الله، من هم ؟ قال: **أنا وعلي و فاطمة و الحسن و الحسين**»[1]، وما ورد عن الإمام علي عليه السلام في خير دليل على عصمتها، الذي أورده لنا الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**لما بويع أبو بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بَعث إلى فدك من أخرج وكيل فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله منها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟ قال: نعم، قال: أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾فيمن نزلت فينا أم في غيرنا؟، قال: بل فيكم قال: فلو أن شهودًا شهدوا على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بفاحشة ما كنت صانعًا بها؟ قال: كنت أقيم عليها الحد كما أقيمه على نساء المسلمين، قال: اذن كنت عند الله من الكافرين، قال: ولم؟ قال لأنك رددت شهادة الله لها بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها**»[2]، حيث الطهارة تعني: «النقاء من الدنس و النجس»[3]، في الأفعال والصفات، وهو أعم من أن يكون ماديًا أو معنويًا[4]، أي «التنزه عن كل عيب و رجس مادي او معنوي و في اي مرتبة من مراتب الأفكار والصفات و الأعمال و في التكوين وهو الكمال الأتم»[5]، وهو ما ينطبق على السيدات كذلك اللواتي ذكرهن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، الذين لا ينطقون عن هواهم صلوات الله عليهم، والذي يعد الناكر لما أقروه وشهدوه لهن من الكافرين، كما وصفه الإمام علي في الرواية السابقة..

حيث نجد من السيدات اللواتي وصفهن المعصوم بالعصمة، وثبتت لهن العصمة الصغرى السيدة زينب صلوات الله عليها، والسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام بما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام بخبر صحيح عند سؤاله عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ يقول: «محمد بن مروان: قلت لأبي عبد الله عليه السلام هل قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ان فاطمة أحصنت فرجها، فحرم الله ذريتها على النار؟** قال: **نعم، عنا بذلك**

(١) تحفة الأبرار، عماد الدين الطبري، ط١، مكتبة آستان قدس رضوي، مشهد: ايران ١٤٢٤هـ: ص١٢٨.
(٢) الاحتجاج، الطبرسي: ج١ ص٩٢.
(٣) مصباح المنير، الفيومي: ص١٩٦.
(٤) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن، المصطفوي: ج٧ ص١٢٧.
(٥) التحقيق في كلمات القرآن، مصطفوي: ج٧ ص١٣٠.

الحسن والحسين وزينب وام كلثوم»[1]، وما يستلزمه التحريم على النار من العصمة لتلك الذرية الطاهرة[2]، وما ورد في السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام من نصٍ صريح عن الإمام الرضا عليه السلام في حقها، وذلك فيما ورد في قوله عليه السلام: «**من زار المعصومة بقم كان كمن زارني**»[3]، وما ورد من نصوص حول أمهات الأئمة عليهم السلام كالذي ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام في حديثه عن الأئمة عليهم السلام: «**انوار انتقلوا من اصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات**»[4]، حيث المطهرات جمع مطهرة وهي تعني: «المبالغ في طهارتها من قبل طرف آخر قام بتطهيرها تكوينًا وهو الله جل وعلا»[5]، وأيضًا ما ورد في السيدة آمنة بنت وهب عليها السلام الذي يشهد لها عبد المطلب عليه السلام وهو يصفها لولده عبدالله عليه السلام بقوله: «فوالله ما في بنات مكة مثلها؛ لأنها محتشمة في نفسها طاهرة مطهرة»[6]، فضلاً عما تذكره الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله في طهارة آبائه وامهاته، وما ورد في حق السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام من خلال الروايات المتواترة الدالة على ولادة الإمام علي عليه السلام في جوف الكعبة، وبقائها ثلاثة أيام هناك[7]، وما ورد في حق السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام بنص المعصوم الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين، بقوله للإمام الحسين عليه السلام: «**أشهد أنك كنت نورًا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة**»[8]، مثبتًا طهارة أرحام جميع أمهاته، و ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام في طهارة السيدة حميدة المصفاة ام الكاظم عليه السلام اختصاصًا، بأنها: «**مصفاة من الأدناس والأرجاس**»[9].

وما نجده من تسمية الإمام الكاظم عليه السلام للسيدة تكتم أم الإمام الرضا عليه السلام بالطاهرة[10]، وما تدله التسمية للشخص على دلائل طغيان الصفة على الشخص حتى صار ينادى بها بدلًا عن اسمه[11].

وما جاء في حق السيدة خيزران أم الإمام الجواد عليه السلام من تفصيل في ذلك عن الإمام الرضا عليه السلام بقوله

---

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص١٠٦.

(٢) ينظر: الحقيقة الغراء في تفضيل سيدتنا الصديقة الكبرى زينب الحوراء على السيدة مريم العذراء، محمد جميل حمود العاملي، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان ١٤٣٦هـ: ص٣١٧.

(٣) سيدة عش آل محمد، ابو الحسن الهاشمي، ط١، مطبعة العلمية ١٤١٦هـ: ص٣٧.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني: ج٤ ص١٩٢.

(٥) آمنة بنت وهب خيرة الله من خلقه، ماجد جياد الخزاعي: ص٢٢-٢٣.

(٦) الأنوار و مفتاح السرور و الأفكار في مولد النبي المختار، احمد بن عبدالله البكري: ص١١٧.

(٧) ينظر: الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٧٠٧.

(٨) إقبال الأعمال، ابن طاووس، ط٢، دار الكتب الإسلامية، طهران: ايران ١٤٠٩هـ: ج٢ ص٥٨٩.

(٩) الكافي، الكليني: ج١ ص٤٧٧.

(١٠) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ج٨ ص٣٦٩.

(١١) ينظر: لوامع البينات، فخر الدين الرازي.د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية، قاهرة: مصر ١٤٠٦هـ: ص٢٧.

عند ولادتها: «**قدست أمٌ ولدته قد خلقت طاهرة مطهرة**»[١]، إذ التقديس هو: «التطهير والتبريك»[٢]، وكذلك ما جاء في حق السيدة الجدة للمولى صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف أم الإمام العسكري عليه السلام عن الإمام الهادي عليه السلام بقوله: «**سليل مسلولة من الآفات والعاهات والأرجاس والأنجاس**»[٣]، وما تعنيه كلمة مسلولة من «انتزاع الشيء و إخراجه»[٤].

وما ورد في السيدة ليلى أم علي الأكبر عليه السلام من قول الإمام الصادق عليه السلام في زيارته لعلي الأكبر عليه السلام «**صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأمهاتك الأخيار الأبرار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**»[٥]، إلى آخره مما ورد في غيرهن من السيدات، إضافةً لما ورد عنهم صلوات الله عليهم من شهاداتٍ تثبت الإيمان التام عند سيدات بيت العصمة[٦]، وتجسيدهن لقيم القرآن[٧]، ومآلاتهن نتيجةً لمواقفهن[٨]، وغيرها من النصوص الدالة على إثبات حجية مواقفهن.

المطلب الثالث: تأكيد الله عزَّ شأنه على الإتباع والتأسي والإقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام:

إن إبلاغ الناس من قبل الله سبحانه بوجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وآله والاقتداء به، بقوله ﴿**وَاتَّبِعُوهُ**﴾[٩]، والتأكيد على الاقتداء بسنته القولية والفعلية و التقريرية ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾[١٠]، و﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾[١١]، هو دليلٌ جلّي لإثبات حجية تجسداتهن سلام الله عليهن؛ لما نجده من إتباعهن لأقواله وأفعاله وتقريراته، بدليل ما شهد لهن الرسول صلى الله عليه وآله أو أحد أوصيائه الأئمة عليهم السلام الذين نص صلى الله عليه وآله على إن كلامهم وشهادتهم هو إتباعٌ للقرآن وله صلى الله عليه وآله، بقوله: «**من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن**

(١) عيون المعجزات، حسين بن عبدالوهاب، ص١٠٨.
(٢) لسان العرب، ابن المنظور: ج٦ ص ١٦٨.
(٣) اثبات الوصية، المسعودي: ص٢٤٤.
(٤) لسان العرب، ابن منظور: ج١١ ص٣٣٨.
(٥) كامل الزيارات، بن قولوية. تحقيق عبد الحسين أميني، ط١، دار المرتضوية، النجف: العراق ١٣٥٦ ش: ج١ ص٢٣٩.
(٦) ينظر: تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم، إشراف أ.د محمد محمود زوين، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الفقه-جامعة الكوفة ٢٠٢٣م: ص١٥٦.
(٧) ينظر: المصدر نفسه: ص١٥٧.
(٨) ينظر: المصدر نفسه: ص١٦٠.
(٩) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.
(١٠) سورة الاحزاب: الآية٢١.
(١١) سورة آل عمران: الآية٣١.

جنة عدن غرسها ربي، فليوال عليا من بعدي، وليوال وليه، وليقتدِ بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي»[1]، إضافة لكونه ﷺ لا ينطق عن الهوى وانما كل ما يقوله ويفعله ويقرره هو صادرٌ عن الوحي دون أي عاطفة أوهوى قد يؤثر عليه، بما أثبته له تعالى بقوله ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2]، والذي يثبت لنا بأن كل ما قرره وما أورده وأثبته في حق إحدى السيدات هو دليل على حجية مواقفهن سلام الله عليهن، وهو ما نستفيده من قول الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية، إذ قال عليه السلام: «**يقول ما ضل في علي عليه السلام وما غوى وما ينطق فيه عن الهوى وما كان ما قاله فيه الا بالوحي الذي اوحى اليه من الله تعالى**»[3]، وكذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «**ان رضى الناس لا يملك و السنتهم لا تضبط و كيف تسلمون مما لم يسلم منه انبياء الله و رسله وحجج الله، ألم ينسبوا نبينا محمد ﷺ إلى انه ينطق عن الهوى في ابن عمه علي عليه السلام حتى كذبهم الله فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾**»[4]، فضلاً عن أقوال الأئمة وأفعالهم وتقريراتهم في حق السيدات، الذين أثبت لهم الرسول ﷺ بالنصوص المتواترة على أنهم لا ينطقون عن هواهم كذلك، وسنتهم هي بمثابة قول الله سبحانه.

(١) بحار الانوار، المجلسي: ج٢٨ ص٢٠٠.
(٢) سورة النجم: الآية٤.
(٣) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، ط٣، دار الكتاب، قم: ايران ١٤٠٤هـ: ج٢ ص٣٣٤.
(٤) بحار الانوار، المجلسي: ج٦٧ ص٢.

المبحث الثالث: التجسدات التطبيقية لسيدات بيت العصمة لقيم المرأة

إن المتدبر بعد الإستقراء لروايات المعصومين عليهم السلام وكتب التاريخ والسير في حق سيدات بيت العصمة سلام الله عليهن، وما ورد عنهن، يتأكد عنده مدى تجسد القيم التي أرادها الله عز شأنه من المرأة عندهن وفيهن، بل صورة المرأة الكاملة التي أراد عزوجل أن تصل النساء إليها، بما اظهرنَه من القيم المعنوية للعالم المادي بأفضل صورة ممكنة، حتى تجسدت القيمة بشكل مصداق تطبيقي فيهن، فاتصفن بها لطغيانها على مواقفهن، حتى كن مصداقًا للقدوة والإقناع بالقيمة المتجسدة للنساء الأخريات فضلاً عن الرجال، لما أكده تجسيدهن بجعل القيم جزءًا من واقعهن المعيشي، وبالتالي المساعدة في نشرها في المجتمع الإسلامي، حيث من أبرز تلك التجسدات التي يمكننا من خلالها إثبات حقيقة ما أُشكِل من قيم المرأة، بما أوردوه من في قضايا في الحجاب، والقوامة، والمساواة، والتعليم، والنفقة، والعمل السياسي والاقتصادي، وغير ذلك، لمطابقة تلك التجسدات مع نصوص القرآن والسنة الشريفة للرسول صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام، هي:

المطلب الأول: تجسدهن لقيمة العفة والحجاب:

تميزن صلوات الله عليهن بالعفة والحجاب، حتى صارت القيمة من أجل المظاهر الواضحة عليهن، وكُنَّ متصفات بها منذ زمن آدم عليه السلام، بقوله تعالى في وصيته له عليه السلام حول نور محمد وآل محمد عليهم السلام: «**لا تودعه إلَّا الأصلاب الطاهرة من الرجال والأرحام من النساء الطاهرات العفيفات**»[1]، حيث أوصاه عز شأنه بأن لا يكون ذلك النور إلَّا في الطاهرة العفيفة، وهو ما يثبت مدى ترسُّخ هذه القيمة عندهن، حتى جعلها الله تعالى صفة ظاهرةً لآدم عليه السلام فيهن، ليستطيع اختيارها هو عليه السلام ومن بعده ممن ينتقل إليهم ذلك النور عند إرادتهم اختيار الزوجة الكفوءة، وهي كذلك متجسدة عند نساء المعصومين عليهم السلام اللواتي وصفن بالإيمان من قِبَل الأئمة، أو من جزاء مواقفهن المظهرة لذلك، حيث نجد «ان القيمة التي هي عبارة: عن حدود فطرية فرضها الله لترتيب الحياة الاجتماعية الراشدة من خلال استقامة الغريزة وتوازنها»[2]، تجسدت بكافة شروطها في مواقف سيدات بيت العصمة سلام الله عليهن.

(١) المصدر نفسه: ج١٥، ص٢٦.

(٢) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم، إشراف أ.د محمد محمود زوين، رسالة

ولذلك نجد في مواقف سيدات كربلاء سلام الله عليهن، حرصهن الشديد على ذلك، لتجسد قيمة العفة في نفوسهن، حتى كانت هي المصدر الأكبر لعذابهن سلام الله عليهن، لا التعذيب والضرب والسبي؛ لما للتعدي على قيم القرآن من التأثير الكبير على النفس، وخاصةً مع من كُنَّ مصداقًا ومظهرًا كليًا للقيمة.

إذ نجد:

أ.السيدة زينب بنت علي عليها السلام عقيلة بني هاشم عليها السلام تعترض بشدة وصرامة على من تعدى على حرمتهن، وهُنَّ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله ونساءه، بقولها ليزيد بن معاوية في مجلس الشام: «أمن العدلِ يبن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، يشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف، وليس معهن من رجالهن ولي...»[1]، حيث أظهرت مدى تعديه على قيم القرآن، وبالأخص قيمة العفة، مبينةً حقيقتها والأصل الذي أراده الله منها بتوضيحها لما فعله يزيد مع نساءه حرائره وإماءه، إذ جعلهن مخدرات وجعل بنات رسول الله صلى الله عليه وآله مهتوكات الستر أمام الناس، متسائلة عن العدل في ذلك، - والذي لا شك لأحدٍ في مدى صدق كلامها، وهي العالمة غير المعلمة، الفهمة غير المفهمة لنصوص القرآن الكريم وحقيقة دين الحق، كما وصفها الإمام المعصوم علي السجاد عليه السلام- إضافةً لما ورد عن هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز، زوجة يزيد التي اعترضت على زوجها بعدما رأت ما فعله بحرمات رسول الله وحرائره، وهو يدعي أنه خليفة المسلمين، حيث تقول الرواية: «فشقت الستر وهي حاسرة»[2]، وكيف أن يزيد لم يرضَ لها ذلك «فغطاها»[3]، مما يثبت لنا حقيقة قيمة العفة، والصورة التي أرادها الله في إيصائه بتجسيدها لتترتب الحياة الاجتماعية.

ب. السيدة أم كلثوم بنت الإمام علي عليه السلام تعترض كذلك على هتكِ قيمة العفة، بقولها لأهل الكوفة في خطبتها: «أما تستحيون من الله ورسوله أن تنظروا إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله»[4]، إذ إن الحياء

مقدمة إلى مجلس كلية الفقه-جامعة الكوفة ٢٠٢٣م، ص١٢٠.

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم، د.ط، مؤسسة البعثة.د.ت، ص٣٥٨.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي: ج٢ ص٨١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الدمعة الساكبة في أحوال النبي والعترة الطاهرة، محمد باقر بن عبد الكريم البهبهاني، صححه وعلق عليه حسين الأعلمي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت: لبنان ١٤٠٩هـ: ج٥ ص٤٨.

هو: «ملكة النفس توجب انقباضها عن القبيح، وانزجارها عن خلاف الآداب، خوفًا من اللوم»[١]، مؤنبةً و زاجرةً لأنفسهم على عدم استحيائهم من الله عز وجل ورسوله ﷺ لعدم تركهم لذلك، مذكرةً إياهم بوقوفهم أمام الله ورسوله يوم القيامة وبما سيتلقونه من اللوم في ذلك اليوم، وكذلك ما نجده من موقفها المبين لعدم رضاها وأذيتها من هتك حرمتهن والتجاسر عليها، بطلبها من الشمر- الذي فعل بأخيها وإمام زمانها ما فعل- بأن يدخلهن في طريق يكون فيه الناس قليلون، لتقليل النظر إليهن.

ج. ما فعلته السيدة سكينة بنت الحسين عليه السلام من موقفًا مشابهًا فيما نُقِلَ عن سهل بن سعد في الشام عندما رأى دخول سبايا الحسين عليه السلام وسألها إن كانت لهم حاجة، من قولها عليها السلام: «يا سهل قل لصاحب هذا الرأس أن يقدمه أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه، ولا ينظروا إلى حرم رسول الله ﷺ»[٢]، وما لذلك من دلالة على مدى تجسد العفة عندها، إذ وهي في ذلك الحال من الأذى وكل ما واجهته هي والسيدات عليهن السلام في تلك الظروف العصيبة -سواء في واقعة كربلاء أو ما في بعدها- إلا إنها كانت تحاول وبصرامة على أن تحافظ على وصاياه عزَّ شأنه وتنهى عن الإعتداء الذي أثر بهن كثيرًا وهو إبرازهن من خدورهن، فلم تطلب منه شيئًا من الممكن أن يساعدهم من حالتهم تلك، بل أكدت وطلبت ما يحافظ على عفتها وحجابها سلام الله عليها.

مقتبسات لذلك كله من سيدتهن وسيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام التي أخفت نفسها وراء الباب عند الهجوم على دارها من قبل العسكر، وتحملت طرأ عليها للحفاظ على العفة، والتي أدى إلى إسقاط جنينها وكسر ضلعها وشهادتها، إضافةً لما ورد عند خروجها للخطبة الفدكية، وكيف كانت قد «لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها»[٣]، لتحافظ على حجابها، إذ معنى اللوث: الطيّ[٤]، وجعل الشيء فوق الآخر، «والتفاف بعضه ببعض»[٥]، وما فيه من الدلالة على القوة، ولذلك يقال للأسد الليث، أي الشديد والقوي[٦]، أما الجلباب فهو ما تغطي به المرأة ثيابها كالملحفة[٧]، إلى جسمهن لتثبيت العباءة وعدم ظهور المفاتن، والاشتمال هو: الإحاطة بالشيء[٨]،

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج٦٨ ص٣٢٨.
(٢) المجالس السنية في مناقب ومناصب العترة النبوية، محسن الأمين العاملي، د.ط، دار الثقافة للمطبوعات، د. ت: ص١٦٧.
(٣) الاحتجاج، الطبرسي: ج١ ص١٣٤.
(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ج٢ ص١٨٧.
(٥) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين: ج٢ ص٨٤٤.
(٦) ينظر: لسان العرب، بم منظور: ج٢ ص١٨٨.
(٧) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: ج٣ ص٢١٥.
(٨) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ج١١ ص٣٦٨.

يقال: اشتمل بثوبه إذا تلفف[١]، أي «أداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده»[٢]، وهو ما يطابق قوله تعالى: ﴿**يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ**﴾، الذي أوصى فيه النساء بأن لا «يدعنه كيف ما كان بحيث يقع من هنا وهناك فينكشف البدن»[٣]، ولم تكتفِ السيدة الزهراء صلوات الله عليها بذلك فقط بل جسد حجابها أسمى مصاديق العفة، حيث تورد لنا الرواية بأنها كانت تطأ ذيولها وهي تمشي[٤]، وبعد كل هذا الحجاب «أنيطت دونها ملاءة»[٥]عند دخولها للمسجد، أي عُلِقَت فيما بينها وبين الجالسين ستارة لكي لا تجلس أمام الرجال مباشرة، حيث كانت سلام الله عليها تنظر للحجاب النظرة التي رسمها الشرع له، الذي عدّ الحجاب من ملازمات الحفاظ على انسانية الشخص فأوجبه على الرجل والمرأة، وذلك بأن يغطي كل واحد منهم موارد الإغراء والإثارة لغرائز الطرف الآخر كلًا حسب الجوانب النفسية التي فُطِّر عليها[٦]، ولذلك نجدها صلوات الله عليها عندما استأذن رجلٍ أعمى عليها فيما ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه، عن الإمام علي عليه السلام: «**تحجبت منه وقالت: إن لم يكن يراني فإني أراه وهو يشم الريح**»[٧]، قاصدةً بذلك مدى ضرورة العفة ومبينةً للجوانب النفسية عند الطرفين، وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وآله على موقفها ذاك وأثبت مدى تجسده لوصية الشرع في العفة والحجاب، إذ قال: «**أشهد أنكِ بضعة مني**»[٨]، ولم تكتفِ بذلك، بل من مدى تجسدها لقيمة العفة تصفها الروايات بأنها كانت قلقة على ما سيحدث لها بعد وفاتها، – إذ كانت الجنائز ترفع دون أن يكون غطاء أو تابوت يغطي جسد الميت–، ولذلك تقول في كلامها مع السيدة أسماء بنت عميس عليها السلام: «**إني استقبحت ما يصنع بالنساء، انه يطرح على المرأة الثوب فيصفها**»[٩]، حيث يظهر الثوب شخصها وصفة جسدها للناظرين، ولكن تظهر لنا الرواية تجسد القيمة عند السيدة أسماء بنت عميس عليها السلام كذلك، والتي كانت قد استلهمتها من سيدتها الزهراء عليها السلام، حيث تذكر لها ما رأته عند هجرتها إلى الحبشة مع زوجها جعفر الطيار عليه السلام من فكرة النعش المغطى، مقترحةً على السيدة

(١) ينظر: المصدر نفسه: ج١١، ص٣٦٧.

(٢) معجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين: ج١ ص٤٩٥.

(٣) من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي: ج٧ ص٢٣٨.

(٤) ينظر: الاحتجاج، الطبرسي: ج١ ص١٣٤.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية–دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم، إشراف أ.د محمد محمود زوين، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الفقه–جامعة الكوفة ٢٠٢٣م: ص٦١.

(٧) الاسرار الفاطمية، المسعودي: ص٣٥٤.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) كشف الغمة في معرفة الأئمة، المحدث الأربلي، د.ط، منشورات الرضي.د.ت: ج١ ص٤٧٥.

الزهراء عليها السلام أن تصنعه لها[1]، وقد أكدت السيدة رضاها عن ذلك بإستحسانها للفكرة، وكيف تذكر الرواية بأنها عليها السلام تبسمت وفرحت لهذا الإقتراح بعد إن لم تكن ضحكت بعد أبيها صلى الله عليه وآله، ثم دعت للسيدة أسماء على ذلك، بقولها عليها السلام: «**استريني، سترك الله من النار**»[2].

د. وكذلك تجسدات باقي السيدات اللواتي لا يسع البحث بالتفصيل في كل موقفٍ من مواقفهن، كالسيدة شهربانو أم الإمام السجاد عليه السلام التي تذكر الروايات - على تعددها واختلاف مضامينها - مدى عفتها وتجسيدها للقيم، إذ تقول عليها السلام عند سؤالها عن سبب اختيارها للحسين عليه السلام كزوجًا لها بعد أن خُيرت بأمر الإمام علي عليه السلام: «**كنت حين طيف بي على الجماعة - فأنا ألحظهم ليقع اختياري على من يملكني منهم - لا أرى أحدًا إلّا يرمقني بطرفٍ حديد ونظر شديد غير هذا الكهل وابنيه** - وأشارت إلى علي عليه السلام - **فإنهم ما لحظوني ولا التفتوا إلي، فرأيت النزاهة والهمة هناك، فبينت الاختيار**»[3]، وهو ما يوضح مدى حرصها على الاختيار الصحيح الذي يضمن لها سلامة دينها ودنياها، وهي آنذاك كانت مختمرة، وفق ما ترويه الرواية التي تقول: «لما فتحت المدائن وجُمِعت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة الغنائم.. أُبرِزت شهربان بنت يزدجرد وهي مختمرة»[4]، وكذلك ما ورد عن دلائل الإمامة: «خيرت وخوطبت من وراء حجاب والجمع حضور»[5]، حيث الحجاب هو الخافي لا الساتر فقط[6].

وكالسيدة آمنة بنت وهب عليها السلام، الذي يصفها عبد المطلب عليه السلام لولده عبد الله عليه السلام، بقوله: «والله ما في بناتِ مكة مثلها، لأنها محتشمة في نفسها طاهرة مطهرة»[7].

المطلب الثاني: تجسدهن لقيمة التعلم

تعددت الشبهات حول قضية تعلم المرأة ونظرة الإسلام منها، إلا أن المتتبع لمواقف من جعلهن الله حجة بمواقفهن وصورةً متكاملة للقيمة التي أرادها الله عز شأنه، بما وصلن إليه وشهدوا لهن

(١) ينظر: المصدر نفسه: ج١ ص٤٧٤.
(٢) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج١ ص٤٦٩.
(٣) العقد النضيد والدر الفريد، محمد بن حسن القمي: ص١٤٥.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) دلائل الإمامة، الطبري: ص١٩٥.
(٦) ينظر: تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص٦٢.
(٧) الأنوار ومفتاح السرور والأفكار، أحمد بن عبد الله البكري، تحقيق أحمد روحاني، ط١، دار الشريف الرضي، قم: ايران ١٤١١هـ: ص١١٨.

المعصومين عليهم السلام، يتوصل إلى مدى الصورة الصحيحة لنظرة الإسلام في ذلك؛ لما يراه من صورة تطبيقية ومواقف متجسدة عمن وصلن إلى ما وعد الله عليه، إذ بينت مواقفهن كيف أن قيمة التعلم هي الغاية المنظورة من خلق هذا العالم المادي، بقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[1]، ليكون خليفته في الأرض ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[2]، حيث من أهم شروط التعلم: أن يكون الإنسان مقتبساً علمه من العقل والوحي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تجعلوا علمكم جهلا**»[3]، وأكده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾[4].

فنجد:

أ. موقف السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام الذي يبين كيف أن تعاليمها كانت مقتبسة مما جاء به الوحي، لعلمها بأن هذا الطريق هو من سينجيها وييسر ولادتها، حين أتت لبيت الله وهي في ساعة المخاض الصعبة، قائلة: «أي ربِّ إني مؤمنةٌ بك وبما جاء به من عندك الرسول وبكل نبي من أنبيائك وبكل كتابٍ أنزلته، وإني مصدقة بكلام جدي ابراهيم الخليل، وانه بنى بيتك العتيق، فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه وبهذا المولود الذي في احشائي... وأنا موقنة أنه احدى آياتك ودلائلك لمّا يسرت عليَّ ولادتي»[5]، متوسلةً إليه بعد بيانها لإيمانها به سبحانه وبرسله وكتبه، بمن هي عالمة ومتيقنة بأنه من بآيات الله العظمى.

ب. تجسيد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لقيمة التعلم من خلال مواقفها، ورواياتها، وخطبها، وأدعيتها، حتى شهدت لها عائشة بقولها: «ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا و حديثًا برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة»[6]، وما فيه من الدلالة على أنها كانت من ذات رسول الله صلى الله عليه وآله، بما نقتبسه من خطبها العظيمة التي «كلَّ منها بيان كل بليغ و أُخرِسَ لسان كل فصيح و تلجلج كلام كل خطيب»[7].

ج. تجسيد ابنتها السيدة زينب عليها السلام، التي وصفها المعصوم شاهدًا لها بأنها: «**عالمة غير معلمة،**

(١) سورة البقرة: الآية ٣١.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.
(٣) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ص٧١٤.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٥) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٧٠٦-٧٠٧.
(٦) احقاق الحق وإزهاق الباطل، التستري: ج١٠، ص٢٥٠.
(٧) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام. اسماعيل الانصاري الزنجاني: ج١٣، ص١٦٥.

فهمة غير مفهمة»[1]، فهي قد أخذت العلم حتى قال عن كلامها حذيم الأسدي بعد خطبتها: «لم أرَّ خفرة قط أنطق منها، كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام»[2]، ولذلك نجدها صلوات الله عليها النائبة عن إمام زمانها علي بن الحسين عليه السلام، حيث تقول الرواية: «كان الناس يرجعون إليها في الحلال و الحرام حتى برئ زين العابدين عليه السلام من مرضه»[3]، فكان علمها واضح جلي ظاهر لكل من عرفها و قرأ عنها، ولم تكتفِ بأن تكون المظهرة للصورة الحقيقية لقيمة التعلم، بل كانت تعلم الناس وخاصة النساء، بما ورد من عقدها للمجالس في بيتها أيام إقامة أبيها عليه السلام في الكوفة، ودروسها في تفسير القرآن الكريم للنساء[4]، إضاقةً لكونها أعظم خطيبة في الإسلام بعد أمها الزهراء صلوات الله عليها، حيث قلبت الرأي العام بخطبتها وجندته للثورة على الحكم الأموي[5].

د. تجسد القيمة عند السيدة أم البنين فاطمة الكلابية عليها السلام، زوجة أمير المؤمنين عليه السلام، إذ كانت عليها السلام عالمة بقدر وعظمة أولاد علي والزهراء عليهم السلام عند دخولها لدارهم قائلة: «ما جئت هنا لأحل مكان أمكما أنا هنا خادمة لكم، جئت لخدمتكم، فهل تقبلون بهذا و إلَّا فإني راجعة إلى داري»[6]، ناذرةً نفسها لخدمتهم هي وأولادها الذين كانوا من صلب أمير المؤمنين عليه السلام كذلك، لعلمها بمقام السيدة الزهراء عليها السلام، حتى نجدها علَّمَت وربَّت أولادها منذ نعومة أظفارهم أن اولاد الزهراء سلام الله عليها هم ساداتهم، بما نجده من أبي الفضل العباس عليه السلام، الذي لم يكن ينادي الحسنين إلا بسيداي، ولم ينادِ الحسين عليه السلام بأخي إلا عندما وقع عن جواده، فأظهرت سلام الله عليها مدى علمها وتعلمها الذي زاد شرفًا بعد أن ارتبطت ببيت الوحي والإمامة، حيث إنها عليها السلام كانت على سعةٍ من المعرفة والعلم مظهرةً لذلك حتى عُرِفَت به واتصفت بتجسيدها له، بما نجده من جواب عقيل بن أبي طالب عليه السلام المباشر للإمام علي عليه السلام -عندما طلب منه الإمام أن يجد له امرأة تلد له الغلام الذي سينصر أخاه في كربلاء[7]- الدال على انها كانت معروفة بمواقفها آنذاك بين الناس، إذ المرأة في ذلك الزمان كانت مخدرة لا يعلم عنها أحد إلا من تصدت وكانت عالمة عارفة، حيث لا يمكن لأحد أن يدعي ان عقيل اختارها لصلاح أهلها وشجاعتهم فقط، خاصةً مع شرائط أمير المؤمنين عليه السلام، لما لها من التأثير على

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ج٢ ص٣١.
(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٩٢.
(٣) زينب الكبرى. جعفر النقدي: ص٣٥.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ص٣٦.
(٥) ينظر: الاحتجاج، الطبرسي: ج١ ص١٣٤.
(٦) العباس رجل العقيدة والجهاد. محمد علي يوسف الأشيقر: ص٣٤.
(٧) ينظر: اعيان النساء. محمد رضا الحكيمي. ط١. مؤسسة الوفاء. بيروت: لبنان ١٤٠٣هـ وط: ص٤٧-٤٨.

تجسدات الولد الذي يريد منها الإمام أن تجعله مجسدًا للقيم التي تجعله مستطيعًا للتغلب على غرائزه، كالأنا وغيرها.

هـ. السيدة شهربانو عليها السلام أم الإمام السجاد عليه السلام، التي تجيب على السابي لها آنذاك، عند سؤالها عن سبب اختيارها للحسين عليه السلام وهي تعلم ان جوابها من الممكن أن يؤدي الى قتلها، لكنها أجابت بالجواب الذي ينم عن مدى ايمانها وتعلمها بتعاليم الدين الحقة، بقولها: «الصدق أنجى و أرجى»[1].

و. ما جسدته السيدة أسماء بنت عميس عليها السلام، من استزادتها الدائمة للتعلم المرتبط بالوحي، حيث كانت «تتابع الرسول صلى الله عليه وآله بمواقفه وتستقصي آثاره؛ لتزداد يقينًا ومعرفة، وليكون تعلمها نابعًا من بيت الوحي والنبوة»[2]، فقد كانت معه صلى الله عليه وآله منذ بداية الإسلام، إضافةً لكونها من السابقات والمهاجرات للدين الإسلامي، حيث روي عن ابن عباس أنه قال: «اخبرتني أسماء بنت عميس أنها رمقت النبي صلى الله عليه وآله فلم يزل يدعو لهما – يعني عليًا و فاطمة – خاصة، لا يشركهما في دعائه أحدا»[3]، وروايتها لحادثة رد الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام[4]، وغيرها من الروايات حتى وصلت لشدة علمها وقبول روايتها عند المعصومين عليهم السلام بأن يروون عنها، كرواية الإمام السجاد عليه السلام عنها التي أوردها الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عنه عليه السلام[5].

ز. تجسد القيمة عند السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام بأعظم تجسيد، بما نقرأه من خطبتها وهي في أصعب ظرف من المشاهد المروعة لأبيها وإمام زمانها والشهداء عليهم السلام، وكذلك أسرها والتعدي على القيم التي يصعب على المتجسد بها التعدي عليها أمامه[6]، إضافةً لتعليمها للعلم الحقيقي ونشره[7]، وروايتها للحديث عن السيدة الزهراء عليها السلام[8]، وبعض الروايات العبادية والتربوية.

ح. تجسده عند السيدة ام فروة عليها السلام أم الإمام الصادق عليه السلام، التي أوصلت بعملها حكماً شرعياً للنساء كان خافياً عن الناس، حين ردت على من قال لها عند الطواف أنها أخطأت السُنة، بقولها: «إنا

(١) العقيد النضيد و الدر الفريد، محمد بن حسن القمي: ص١٤٥.
(٢) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٢٨.
(٣) كشف الغمة، الأربلي: ج٢ ص١٠١.
(٤) ينظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ج١ ص٢٠٣.
(٥) ينظر: الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٣٦٧.
(٦) ينظر: الاحتجاج، الطبرسي: ج٢ ص٣٠٢.
(٧) ينظر: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي النعماني المغربي: ج٣ ص٢٧١.
(٨) ينظر: معاني الأخبار. الشيخ الصدوق: ص٣٥٤.

لأغنياء عن عملك»[١].

ط. تجسده عند السيدة حميدة المصفاة عليها السلام أم الإمام الكاظم عليه السلام، التي اعتمد الإمام الصادق عليه السلام عليها للإجابة عن الأسئلة الفقهية[٢].

ي. تجسده عند السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام بما روي من اجابتها لجمع من الشيعة، وهي لم تصل لسن البلوغ، حيث أعقب على إجاباتها الإمام الكاظم عليه السلام بقوله: «فداها أبوها»[٣].

ك. ما ورد عن السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، التي كانت سفيرة عن الإمام المهدي عليه السلام[٤]، والمستودعة لأسرار آل محمد صلى الله عليه وآله[٥]، والسيدة سمانة أم الإمام الهادي عليه السلام، التي وصفها الإمام بأنها عالمة بحقه[٦].

وهكذا باقي السيدات اللواتي لا يسع البحث ذكر مواقفهن، ولم يكتفن بالتجسيد والإظهار للقيمة، «بل كن من باب أن زكاة العلم نشره، ومسؤولية الخلافة في الأرض الذي تستدعي التعريف بالدين الحق وأهله، راوياتٍ عن أهل بيت العصمة عليهم السلام»[٧].

المطلب الثالث: تجسدهن لقيمة الإستخلاف (العمل الاقتصادي):

أبرزنَ سيدات بيت العصمة سلام الله عليهن، من خلال مواقفهن بتجسيد هذه القيمة الحقيقة التي يجب أن تكون عليها المرأة في مسؤولية إعمار الأرض وتدبير شؤونها، من خلال المحافظة على الأمانة التي جعلها الله في عنق الإنسان ليقيمها كما أراد عز وجل، متغلباتٍ على الدوافع الغريزية من حب الراحة والتملك وغيرها، بتحديدها وفق المحددات الإلهية التي أرادها في تلك القيمة، مضحياتٍ بكل ما لديهن لإستقامتها، مُظهراتٍ للمظهر الحقيقي والصورة المثلى للقيمة ومدى الثقل والمسؤولية لتلك الأمانة الإلهية.

حيث نجدهن يبينن بأن للمرأة أن تملك وترهن وتستقرض وتعمل في المجال الاقتصادي كما

(١) الكافي، الكليني: ج٤ ص٤٢٨.
(٢) ينظر: تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج٥ ص٤١٠.
(٣) سيدة عش آل محمد عليهم السلام، ابو الحسن هاشم. ط١. المطبعة العلمية. ثم: ايران ١٤١٦هـ: ص
(٤) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة. الشيخ الصدوق: ج١ ص٤٢٩.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ج١ ص٤٥٥.
(٦) ينظر: اثبات الوصية، المسعودي: ص٢٢٨.
(٧) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٣١.

الرجل، لكن لا أن يكون ذلك من باب التملك للشيء ونسيان حقيقة ذلك المال، الذي هو عائدٌ إلى الله عز وجل، حيث الأمانة التي استودعها الإنسان ليديرها في إعمار الأرض، كما هو من مسؤولية الرجل كذلك، إذ تبين الروايات بأن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام رهنت درعها وتصرّفت بأملاكها، في الاتجاه الذي يرضى به الله عز شأنه، حيث ورد عن سلمان الفارسي، قولها له: «يا سلمان، خذ درعي هذا ثم امضِ به إلى شمعون اليهودي وقل له: تقول لك فاطمة بت محمد صلى الله عليه وآله: إقرضني عليه صاعًا من تمر وصاعًا من شعير، أرده عليك إن شاء الله تعالى»[1]، حيث كان استقراضها ذلك لإطعام ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف أدى ذلك إلى إسلام اليهودي فيما بعد أيضًا[2]، إضافةً لمواقفها في العمل كالغزل والطحن والسقي بنفسها حتى يروي الإمام علي عليه السلام وهو يصف عملها، بقوله: «**استقت بالقربة حتى أثرت في صدرها و طحنت بالرحى حتى مجلت يداها وكسحت البيت حتى أغبرت ثيابها وأوقدت النار حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضر شديد**»[3]، مع ما كان لها من خادمات ومساعدات كالسيدة فضة واسماء بنت عميس سلام الله عليهن وغيرهن، بل انها كانت تقتسم العمل معهن يوم هي ويوم على فضة[4]، وما إلى ذلك من المواقف التي كانت بمثابة الإنجاز الإقتصادي في حياة المواساة الإجتماعية المبنية على الإقتصاد والقناعة الخالصة بما يسد الرمق[5].

ولذلك نجد السيدة عليها السلام فيما نقله جابر بن عبد الله الأنصاري عنها بقوله: «رأى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وعليها كساء من أجلة الأبل، وهي تطحن بيديها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة**»[6]، نتيجةً للوضع الذي كان عليه الإسلام والمسلمين آنذاك، حيث «فضَّلَت العمل بيديها والزهد في ملابسها؛ لكي لا تجرها الغرائز إلى التفكير في التملك او المنفعة، وهناك من في الأرض – التي هي أمانة الله عندها – محتاج أو جائع»[7]، بزهدها وتضحيتها، الذي يصفه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا يكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عزَّ وجل**»[8]، وهكذا

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج٤٣، ص٧٢.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ج٤٣، ص٧٣.
(٣) علل الشرائع. الشيخ الصدوق: ج٢ ص٣٦٦.
(٤) ينظر: الخرائج والجرائح. الراوندي: ج٢ ص٥٣٠.
(٥) الزهراء من الوجه الآخر. أ.د محمد حسين الصغير. ط١. مؤسسة البلاغ، ص٢٨.
(٦) مناقب آل ابي طالب. ابن شهر آشوب: ج٣ ص١٢٠.
(٧) () تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية–دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٤٠.
(٨) الكافي، الكليني: ج٥ ص٧٠-٧١.

بالنسبة ل:

أ.والدتها السيدة خديجة بنت خويلدعليها السلام، وموقفها المشهور اتجاه الإسلام، الذي شهد الرسولصلى الله عليه وآله بأنه لولاه لما استقام الإسلام[1]، إذ كانت قيمة الاستخلاف في الأرض قد تجسدت عندها بإدارتها للأموال بالشكل الحلال، بتدوير الثروة بين المجتمع، غير متوقفة ومحتكرة عليها فقط، بل تتجر كل سنة اشخاصًا مع غلمانها ليستفادوا بذلك أيضًا، بما أورده أبي طالبعليه السلام، وهو يتحدث مع رسول اللهصلى الله عليه وآله[2]، ثم انفقت أموالها تلك كلها لإقامة أمر الدنيا والآخرة في سبيل الله تعالى ورسولهصلى الله عليه وآله؛ لعلمها بأن المال لله وحده، وهو ما يظهر تجسيدها للقيمة إذ لو كانت على غير ذلك لأثرت بها غرائز الملكية وحب المال والمنفعة والخوف من الفقر وغيره إلا انها لم تهتم لذلك كله لعلمها بأن المال هو عطاء الله ويجب صرفه في طريقه سبحانه وطريق الاستخلاف، ولذلك قالت لرسول اللهصلى الله عليه وآله، بعد عقد نكاحها: «**إلى بيتك، فبيتي بيتك والجارية جاريتك**»[3].

ب. ما نستفيده من تجسده عند السيدة امامة بنت أبي العاص زوجة أمير المؤمنينعليه السلام، الذي يثبت لنا حق المرأة في التملك وعدم خروجه من ملكها إلا بإذنها هي، بما ورد لنا بالرواية عن أبي عبد اللهعليه السلام فيما روي عن الإمام الباقرعليه السلام كيف أن الحسنانعليهما السلام أخذا الجواب بعتق غلامها وأهله منها دون غيرها حتى وهي لا تستطيع الكلام بسبب اعتقال لسانها[4]، الذي يستخرج منه الشيخ الصدوققدس سره حكمًا بقوله: «يدل على صحة الوصية بالإشارة مع التعذر»[5].

ج. ما جسدته السيدة أم فروة والسيدة حميدة المصفاة عليهن السلام، من إيفاء الحقوق للناس، فيما يرويه الشيخ الصدوققدس سره من إن الإمام الصادقعليه السلام كان كلما أراد «تقسيم حقوق أهل المدينة أعطاها لأمه أم فروة وزوجته حميدة المصفاة»[6]، وغير ذلك من التجسدات.

المطلب الرابع: تجسدهن لقيمة الولاية (العمل السياسي)

أظهرت ووضحت مواقف سيدات بيت العصمة سلام الله عليهن، حقيقة العمل السياسي للمرأة.

(١) ينظر: الامالي، الطوسي: ص٤٦٨.
(٢) ينظر: الخرائج والجرائح، الراوندي: ج١ ص١٤٠.
(٣) المصدر نفسه: ص١٤٠.
(٤) ينظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ج٤ ص١٩٨. ينظر: تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج٩ ص٢٤١.
(٥) المصدر نفسه: ج٤ ص١٩٨ هامش ٥.
(٦) عيون أخبار الرضا. الشيخ الصدوق: ج١ ص١٧٨.

والمراد منه بشكل أعم وفق التوصيات الإلهية في خلافة الأرض واستقامتها، حيث نجدهن منذ بداية انطلاق الإسلام والدعوة المحمدية، وقفن مع الرسول صلى الله عليه وآله بوجه الطغاة:

أ. كانت السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام تحامي عن الرسول صلى الله عليه وآله وعن دينه بكل ما لديها من قوة، مجسدةً لمصاديق الولاية من الجهاد و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث جاهدت في سبيل الله وسبيل أعلاء كلمة الحق والدفاع إقامة العدل وتطبيق شرائعه للدفاع عن الكيان الإسلامي وتثبيت الحاكم العادل بكل ما استطاعت من تضحيات وجهاد، حيث الجهاد لا يعني الحرب على العدو فقط، بل «المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل»[1]، على كل من لم يطبق قيم الإسلام – الداعي إلى استقامة الحياة واستمرارها في كافة جوانبها- وحتى على النفس لذي عدّ بالجهاد الأكبر[2]، حيث نجدها تضحي بمالها ونفسها وبيتها وكل ما تملك، إذ ورد في الروايات كيف انها عليها السلام خرجت خلف النبي صلى الله عليه وآله – عندما رموه بالحجارة لصدعه بالدين الحق- مدافعةً عنه وناصرةً له، حيث تقول الرواية بعد أن بحثت عنه صلى الله عليه وآله وهي تنادي: «من أحس لي النبي المصطفى؟ من أحس لي الربيع المرتضى؟ من أحس لي المطرود في الله؟»[3]، وناداها الرسول صلى الله عليه وآله «**والدماء تسيل من وجهه**»[4]، أخذته لبيتها مع الإمام علي عليه السلام «فأقعدته على الموضع الذي فيه الصخرة وأظلته بصخرة من فوق رأسه وقامت في وجهه تسترده ببردها، وأقبل المشركون يرمونه بالحجارة، فإذا جاءت من فوق رأسه صخرة وقته الصخرة واذا رموه من تحته وقته الجدران الحيط، واذا رمي من بين يديه وقته خديجة رضي الله عنها بنفسها..»[5]، باذلةً كل ما في وسعها لإحقاق الحق ونصرته، وكذلك ما اظهرته السيدة فاطمة بنت أسد من تجسداتها للقيمة حيث هاجرت في سبيل نصرة الدين، وكانت من أوائل المهاجرات مع الفواطم عليهن السلام[6]، تاركة ورائها كل ما تملكه من أمور منزلها وبلدها لأجل إعلاء دين الحق القويم.

ب.ما تمثلت به المعصومة بالعصمة الكبرى الحوراء الإنسية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، منذ

(١) لسان العرب. بن المنظور: ج٣ ص١٣٥.

(٢) عن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث بسرية فلما رجعوا، قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر، قيل يا رسول الله، وما الجهاد الاكبر؟ قال: جهاد النفس**»معاني الاخبار. الصدوق، ص١٦٠.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ج١٨، ص٢٤٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر: الحجة على الذاهب الى كفر أبي طالب، فخار بن معد الموسوي: ص١٢٣.

ولادتها بكافة صفاتها ومواقفها من خلال الطاعة و الإقامة للولاية و الجهاد في سبيلها؛ لكونها القيمة الأبرز من بين القيم الأخرى التي بُعِثَت الرسل وبُعِثَ نبينا الخاتم صلى الله عليه وآله للتذكير بها والحث عليها والتوجيه نحوها، لما فيها من «الإدارة والتدبير والرعاية لشؤون المتولى عليه كافة؛ لإيصاله إلى الطريق السليم، من خلال مراقبته، وتهيئة أرضية عمله، وجعل ما يوجب علمه بالأحكام، بتقريبه لإمتثالها، وأمره بها، وتحذيره من مخالفتها»[1]، بما أظهرته من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للناس كافة، بما دل عليه تعالى بقوله: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾[2]، مؤكدًا على المسؤولية التامة على كل واحد منهم للوصول إلى صلاح المجتمع واستقامته وصولًا إلى الطريق السليم، حيث نجدها عليها السلام حتى في أشد الأوقات حزنًا على رسول الله صلى الله عليه وآله وما حدث معه حينها، تخرج مع الإمام علي عليه السلام والحسنين عليهما السلام تدور بيوت الأنصار لتذكرهم بأحقية الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام[3]، وكذلك خروجها خلف الإمام علي عليه السلام وهي مكسورة الضلع ومسقطة الجنين ومضروبة أثر ما حصل معها من الطغاة؛ لتدافع عن المقيم الحقيقي للقيمة ومن أمر الله عز وجل بتوليه للخلافة؛ لأنها لا تتم الا ممن كان مجسدًا لها عالمًا بكل ما يمكنه أن يحفظ النظام في المجتمع، إضافة لحقوقهم الفطرية و إقامة الحكومة الصالحة بين الناس المحددة للمنحى الغرائزي عندهم[4].

وكذلك ما فعلته من خطط سياسية – وهي في ذلك الوضع- بخطبتها التي نشرت فيها كافة الأحداث لكيلا تسمح لأحد بأن يزيف لاحقًا الأحداث كما يشاء، مصطحبةً معها موكب إعلامي لتوثيق الخطبة، بما ترويه الرواية: «وأقبلت في لُـمّةٍ من حفدتها ونساء قومها»[5]، وامتد دفاعها وولايتها للمؤمنين ليتجسد على لسان عقيلة الهاشميين ابنتها السيدة زينب عليها السلام بما نجده من جهادها وتولّيتها الأمور بعد الإمام الحسين عليه السلام حتى عُدّت المُكمِّلة لمسيرة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية[6]، فاضحةً ومُبيّنةً لمدى زيف أفعال أعداءه، رادّةً على كل واحد منهم بما يلائم أفكاره وعقائده، حتى استطاعت أن تهز كيان وجودهم.

---

(١) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص٤٩. ينظر: من هدى القرآن، المدرسي: ج١ ص٦.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٣) ينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ج٢٨، ص ٣٥٢.

(٤) ينظر: تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص٥١.

(٥) الاحتجاج، الطبرسي: ج١ ص١٣٤.

(٦) قول الإمام الحسين عليه السلام: «**اني لم اخرج أشرًا و لا بطرًا و لا مفسدًا و لا ظالمًا و انما خرجت للإصلاح في أمة جدي**»بحار الانوار، المجلسي: ج٤٤ ص٣٢٩.

ج. ما تجسّد عند سيدات كربلاء التي عدَّت كل واحدة منهنّ - في الموقف الذي عُدّوه سبيًا لهنّ صلوات الله عليهنّ - بمنزلة المجاهدة الثائرة والمُبيّنة المدافعة عن أعلى أنواع الجهاد، وهو الجهاد الموصل لإستقامة العدل والخير، كالذي خطبته السيدة أم كلثوم عليها السلام مُحتجة على أهل الكوفة بقولها: «يا أهل الكوفة، سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسينًا وقتلتموه...»[1]، وما أوضحته السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام، التي كانت خطبتها مثالًا للموقف الرادع عن ظلمهم، ومُظهرةً من خلاله فضائل أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وعظمتهم لتحتج عليهم به، بقولها: «إنّا أهلُ بيتٍ ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلائنا حسنا، و جعل علمه لدينا...»[2]، ومعلِنَةً عن حقيقة الأعداء وأفعالهم، بقولها: «فكذبتمونا وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالا وأموالنا نهبا...»[3].

د. ما تجسّد عند السيدة أسماء بنت عميس عليها السلام التي هاجرت الهجرتين في سبيل دين الله، ودفاعها عن الإمامة وهي في بيت زوجها الرافض لذلك، والزاعم بأحقية الخلافة له، بما يرويه الإمام الصادق عليه السلام بحديث معتبر عن كيفية بعثها خادمتها للسيدة الزهراء عليها السلام لتفضح سر زوجها وأعوانه الذين قد أجمعوا على قتل أمير المؤمنين عليه السلام، متبرئة من عملهم[4]، ولم تتوقف على ذلك بل ذكرت الحادثة بأكملها، ذاكرةً جميع ما حصل بينهم، بما ورد من رواية حذيفة، بقوله:«حدثتني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة أبي بكر: أنّ القوم اجتمعوا في منزل أبي بكر، فتآمروا في ذلك وأسماء تسمعهم وتسمع جميع ما يدبّرونه...»[5]، وغير ذلك.

هـ. ما تجسد عند السيدات الأخريات كالسيدة أم البنين زوجة أمير المؤمنين عليه السلام فاطمة بنت حزام الكلابية صلوات الله عليها، التي استحقّت أن تلقب بالمجاهدة؛ لتقديمها كلّ الغالي والنفيس لنصرة الدين وأهله، بتضحيتها بكلّ ما تملك منذ الساعة الأولى لدخولها لبيت الإمام علي عليه السلام، الذي أعلنت فيه أنّها إنّما جاءت له بعنوان الخادمة للإمام ولأولاد الزهراء عليها السلام[6]، إضافة إلى تربيتها لأولادها على المجاهدة والتضحية في سبيل الحق، وما فعلته بعد استشهاد الإمام الحسين في نشر الشعائر الحسينية

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج٤٥، ص١١٢.
(٢) اللهوف في قتلى الطفوف، بن طاووس: ص٨٨.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ينظر: علل الشرائع، الصدوق: ج، ص١٩٠. ح١.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) ينظر: العباس رجل العقيدة والجهاد. محمد علي يوسف الأشيقر. ط١. مؤسسة محبين للطباعة والنشر. قم: ايران ١٤٢٢هـ: ص٣٤.

وبيان مظلوميّته والبراءة من قاتليه[١].

و. والسيدة خولة الحنفية زوجة الإمام علي عليه السلام، التي فضحت الدولة السابية لها بدفاعها عن حقها وحق أهلها؛ وذلك بتبيينها لحقيقة سبيهم لها الذي كان باطلًا بما أيده الإمام علي عليه السلام لها، بقوله: «**وإنّ أجركم لغير ضائع**»[٢]، وعندما طلبها من إخوتها[٣]، بعدما أصبحت له من السبي.

ز. وتجسده عند السيدة فاطمة المعصومة والسيدة حكيمة بنت الإمام الكاظم صلوات الله عليهن، اللواتي هاجرن خلف المعصوم الإمام الرضا عليه السلام؛ لأجل حفظ أصل الدين، وما لقينه من الموت أثناء ذلك.

ح. وعند السيدة سليل الجدّة صلوات الله عليها، بموقفها العظيم في الدفاع عن الإمامة وردّ شبهات الحاصلة حينها[٤]، بما تقوله الرواية عن الكليني قدس سره: «وادّعت أمّه وصيّته، وثبت ذلك عند القاضي، والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده»[٥].

ط. وما أظهرته السيدة نرجس أم الإمام المهدي عجل الله فرجه، بما نجد من موقفها عليها السلام، عندما هجموا على بيتها بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام لطلب الإمام المهدي عليه السلام، حيث أنكرت وجوده، وادّعت حملها؛ لتحفظ الإمام[٦]، مُضَحِيةً بنفسها في سبيل الحفاظ على الإمامة، فسُجِّنَت واستشهدت إثر ذلك[٧].

المطلب الخامس: تجسدات أخرى

لم تتوقف تجسدات السيدات عليهن السلام للقيم أعلاه فقط، وإنما نجد في كل موقف وشبهة وقضية تعترض لها المرأة، هناك إجابة جلية لحقيقة الموقف والصورة التي أرادها الله منها؛ لما تثبت لدينا من شهادة القرآن والمعصومين٣ لهن بأن مواقفهن مرضية عندهم، فنجد مثلاً في قضية:

أ. المساواة بين المرأة والرجل: يتبين لنا من تجسداتهن، الحقيقة التي أرادها الله عز وجل، وهي

(١) ينظر: مقاتل الطالبيين، الاصفهاني: ص٥٦.
(٢) الدر النظيم، بن حاتم العاملي، ص٤١٠.
(٣) المصدر نفسه: ص٤١١.
(٤) ينظر: اثبات الوصية، المسعودي: ص٢٥٦.
(٥) الكافي، الكليني: ج١ ص٥٠٥.
(٦) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ج٢ ص٤٧٦.
(٧) ينظر: المصدر نفسه، الصدوق: ج٢ ص٤٧٤.

المساواة بمعنى العدل، لا أن تكون الأمور متساوية بالمقدار والقيمة[١]، لما يحققه العدل من «الموازنة بين الأمور، بأن يعطى كلُّ من السهم ما ينبغي أن يعطاه، فيتساوى في أن كلًا منها واقع موضعه الذي يستحقه»[٢]، فتتوفى الحقوق لجميع الأفراد «كلُ بما يناسب ويوفي للحقوق الفطرية له»[٣]، مُبَيِّنات بأن الله عز وجل أراد من خلال هذه القيمة ألا يكون الثقل في التكامل الإنساني في هذه الحياة على طرف واحد دون الآخر، أو أن يكون الثقل عليهما معًا لو كانوا قد تساووا بالمعنى الآخر للمساواة، الذي تُظلَم فيه الحقوق، حيث يظهر لنا من تجسداتهن لقيمة الزواج[٤]، والقِوامة[٥] والنفقة وغيرها من الأمور المجتمعية التي هدفها استمرارية الحياة الدنيا، كيف أنهن أقمن قيمة العدل لا المساواة بمعناها الآخر مع أزواجهن والرجال، أما في الأمور المتعلقة بالخلقة الإنسانية والكمال الإنساني، كالعقل وغيره، فهم متساوون تمامًا[٦]، بما قاله عز وجل: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[٧].

ب. ما أشكل في قيمة الزواج من المهر والخطبة والإشهاد وغيرها: نجد عند استقراء روايات زواجهن كيف أن كل واحدة منهن كان زواجها مطابقًا للقيمة القرآنية على لسان المعصومين عليهم السلام، فالسيدة الزهراء عليها السلام قرأ خطبتها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعلن عنها أمام الملأ وأشهدهم على ذلك، وحدد صداقها[٨]، وكذلك السيدة آمنة بنت وهب عليها السلام التي قرأ خطبتها عبد المطلب عليه السلام وأعلن عنها وحدد صداقها[٩]، والسيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام[١٠]، والسيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام[١١] وغيرهن من

(١) ينظر: المساواة بين الرجل والمرأة – بين الاسلام وافتراءات الملحدين. سيف النصر عيسى. د.ط. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف. د.ت.ص٦.

(٢) الميزان، الطباطبائي: ج٢ ص٣٣١.

(٣) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية–دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٣٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ص١٣١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ص١٦٣.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ص١٣٠.

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.

(٨) ينظر: المناقب، الخوارزمي: ص٣٧٧.

(٩) ينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ج١٥، ص١٠٢.

(١٠) ينظر: مناقب آل ابي طالب. ابن شهر آشوب: ج٢ ص٢٠.

(١١) ينظر: الكافي، الكليني: ج٥ ص٣٧٤.

السيدات.

ج. في قضية القوامة وتطبيق قوله تعالى ﴿**لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾: حيث أبرزن صلوات الله عليهن بتجسيدهن للتكليف الذي كلّف الله به المرأة والرجل- للتكامل الإنساني في هذه الحياة- القوامة للرجل، وذلك بإحترامهن لهم وإطاعة أوامرهم، إضافة لأداء تكليفهن داخل المنزل، لتتكامل الحياة بمساعدة وتكامل كل واحد منهما للآخر، بما بينه الإمام علي عليه السلام في تجسيد السيدة الزهراء عليها السلام لذلك حين وصف حياته معها، بقوله: «**فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني و لا عصت لي أمرا**»[1]، حيث يبينّ كيف أنها لم تعصِ له أمراً ولم تغضبه، «كونَه هو القوام، الآمر، المنظم لشؤون المنزل»[2]، وكيف أنه مع قواميته إلا إنه لم يكرهها بقراراته على شيء يزعجها، ولم يغضبها بأمرٍ من الأمور.

وكذلك ما يتبين من مدى رضا رسول الله صلى الله عليه وآله عن خديجة عليها السلام بقوله: «**آزرتني على دين الله**»[3]، إذ المؤازرة تعني: والمعاونة والمساعدة والتأييد والوقوف بجانبه[4]، بما تذكره الروايات من كيفية حفظها لمنزله وأخذها بالطعام إليه عندما كان يتعبد في غار حراء، لتكفيه الأمور التي يحتاجها للراحة، حتى باهى الله بها ملائكته[5]،وكما ورد من أنها كانت منذ زواجها سلمت كل مالها وملكيتها له؛ ليديرها في أمور الإسلام وخدمة أسرته، بقولها: «**بيتي بيتك والجارية جاريتك**»[6]، وبالطبع،«هذا لا يعني أنها لا تستطيع أن تكون هي المديرة أو أنها لا تستطيع أن يكون المال بملكيتها الفردية، ولذلك نجد الرسول صلى الله عليه وآله دائمًا ما يشير إلى أن المال مال خديجة سلام الله عليها»[7].

د. فيما أشكل على المرأة في الإرث والشهادة: إن أكثر ما يدل على استحقاق المرأة للإرث وإيصاء الله عز شأنه بحقها فيه، هو ما جسدته السيدة الزهراء عليها السلام وأظهرته، من أهمية إقامة القيمة بحصولها على حصتها الشرعية، حيث جعلت من مطالبتها بالإرث المستحقة له، بياناً لشرعية الحكومة آنذاك

(١) كشف الغمة، الأربلي: ج١ ص٣٥٢.
(٢) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٣٦.
(٣) كشف الغمة، الأربلي: ج١ ص٣٥٠.
(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عمر: ج١ ص٨٧.
(٥) ينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ج١٦: ص٧٨.
(٦) الخرائج و الجرائح، القطب الراوندي: ص١٤٠.
(٧) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية- دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٣٧. ينظر: الامالي، الطوسي: ص٤٦٨.

من عدمها، بقولها: «**وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي و لا رحِم بيننا؟**»[١]، مستندةً للنص القرآني، بقولها: «﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾»[٢]، مؤكدة بأن قيمة الإرث للمرأة هي من الحدود والقوانين الفطرية التي أراد الله بها استقامة الحياة، فلم تتنازل عنها، محتجةً عليهم بنصوصٍ قرآنية عديدة[٣]، تثبت بأن «الموضوع قيمة ودفاع عن مبدأ وقانون من قوانين التشريع الإلهي، الذي أمر الله بالجهاد في سبيل الله من أجل إحيائها، لما فيها من استقامة الكون وارتقائه»[٤]، وهكذا كان نهج بقية السيدات اللواتي نهلن من علمها عليها السلام.

أما فيما يتعلق بشهادة المرأة، وموقفها منها في الرؤية القرآنية التي جعلها جل وعلا، لإثبات الحقوق ودفع الظلم، وحفظ الأرواح والأنساب والأموال[٥]، وقد «فُرِضت بين الجنسين حسب المواقع، كلٌ وفق تكليفه»[٦]، فنجدها بارزةً عند سيدات بيت العصمة سلام الله عليهن، بإظهارهن لكيفيتها وحقيقة تجسيدها عند المرأة، إذ نجدهن يبرزن الحقيقة الأهم والأعم منها، وهي ما كلَّفه الله على كل مؤمن ومؤمنة من الأخبار الصادق لما حضره الشاهد من حدث[٧]، ووضع العقوبة على من كتمها بقوله:﴿**وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾[٨]، حيث يبتدئن في شهادتهن بمن له الحق على جميع البشر حق الله سبحانه، مبيناتٍ لكل من تعدى وطغى على هذا الحق، ما شاهدنه من فضائله ووحدانيته، مُخبراتٍ بحقوقه على العباد، وكذلك بحق الرسول صلى الله عليه وآله، وآله المعصومين عليهم السلام وحقوق العباد، حيث نجد:

أ. مما شهدت به السيدة الزهراء عليها السلام للحفاظ على أحقية الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام، حين أحضرت الشهود لأبي بكر في حادثة فدك، عندما طلب منها البينة على ادعائها[٩]، وكيف انها جاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن للشهادة، مبينةً لحكم شرعي للنساء، وهو صحة أن تكون امرأة واحدة مع رجل في الشهادة، بشرط أن تكون المرأة ممن ثبت شرعاً بأن كلامها حجة، وذلك بما نستدله من

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج٢٩، ص٢٨٠.
(٢) المصدر نفسه: ج١ ص١٠٢.
(٣) الاحتجاج، الطبرسي: ج١ ص١٣٤.
(٤) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٤٢.
(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٤٦٥.
(٦) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية- دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص٩٠.
(٧) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٤٦٥.
(٨) سورة البقرة: الآية٢٨٣.
(٩) ينظر: الصواعق المحرقة. بن حجر: ج١ ص٩٤.

إحضارها لأمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن لا غير، وهي ممن شهد لها القرآن بالعصمة والطهارة في جميع أفعالها، إضافة إلى وجود أمير المؤمنين عليه السلام المعصوم، والعالم بكتاب الله وأحكامه، وبما نستدله من قول أم أيمن: «أليس تشهد أنّي من أهل الجنّة ؟ قال: بلى، قالت: فأشهد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أعطاها فَدك»[1]، الذي يمكننا من خلال ذلك الاستدلال بما جعله الرسول صلى الله عليه وآله في شهادة خزيمة من كون شهادته تعادل شهادة رجلين[2]، المسمى بذي الشهادتين عن الإمام الرضا عليه السلام[3]، لما كان عليه ايمانه بالرسول صلى الله عليه وآله من الدرجة العميقة، الذي جعله يشهد للرسول صلى الله عليه وآله وهو لم يره، بقوله لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن سأله عن علة شهادته وهو لم يكن حاضرًا معه: «أفأصدّقك بما جئت به من عند الله، ولا أصدّقك على هذا الإعرابي الخبيث،.. فعجب له رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: **يا خُزيمة شهادتك شهادة رجلين**»[4]، والله العالم.

ب. تجسده عند السيدة سليل الجدة عليها السلام بشهادتها بالوصية للإمام العسكري عليه السلام بعد إستشهاده؛ لإثبات ولده الإمام الموعود عجل الله فرجه الشريف[5].

ج. شهادة السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام لولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، بما حصل من إختلاف في ولادته عليه السلام حينها، حيث نجد في غالبية روايات ولادة الامام عليه السلام إن لم تكن كلها هي الراوية لذلك، والذي من الممكن أن تكون دعوة الإمام العسكري عليه السلام لها بالحضور لولادته عجل الله فرجه الشريف[6]، لتكون الشاهدة على ولادته عند الإختلاف.

وغير ذلك من السيدات، كشهادة الوصية عن السيدة الزهراء عليها السلام من السيدة أسماء بنت عميس[7]، وشهادة السيدة خولة الحنفية في جمعٍ من الناس على أحقية ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وغير ذلك..

---

(١) تاريخ المدينة.النميري البصري. تحقيق فهيم محمد شلتوت. د.ط. منشورات دار الفكر. قم: ايران ١٣١٠هـ: ج١ ص١٩٩.

(٢) ينظر: الكافي، الكليني: ج٧ ص٤٠١.

(٣) ينظر: الخصال، الشيخ الصدوق: ج٢، ص٦٠٨.

(٤) الكافي، الكليني: ج٧ ص٤٠١.

(٥) ينظر: الكافي، الكليني: ج١ ص٥٠٥.

(٦) «بعث إلي ابو محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال: يا عمة أجعلي افطارك هذه الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه»الانوار البهية. عباس القمي ط١. مؤسسة النشر الإسلامي. قم: ايران ١٤١٧هـ: ص٣٣٦.

(٧) ينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ج٢٨، ص١٠٠.

المبحث الرابع: أثر تلك التجسدات في الدنيا والآخرة

إن الاستدلال بمطابقة النتيجة العملية (التجسيد) مع النتيجة المرجوة (القيمة القرآنية)، هو من أهم الردود المؤثرة على أي إشكالية، حيث الإثبات بأن ما تم تجسيده يحقق ويطابق الغرض والهدف المطلوب، وهو تطابق نتائج التجسدات مع النتائج التي وعد بها القرآن للمجسد للقيمة القرآنية، وهذا ما حققته تجسدات سيدات بيت العصمة عليهن السلام بأمثل وأقوم صورة، حتى تعدين أن تكون نتائج تجسداتهن مطابقة للقرآن فقط، بل حصلن على الشهادة من الله تعالى والرسول ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام على مواقفهن، والأدلة الكثيرة تبينت بعضها في مباحث البحث:

المطلب الأول: الفوز بالجنة والقرب الإلهي

عند الرجوع إلى نصوص المعصومين عليهم السلام، للإستدلال بما توصلن إليه نجد ما يفوق الحصول على النتيجة، وهو الضمان بالفوز بالجنة التي هي الهدف الأكبر للمؤمنين والمؤمنات، فقد وعِدنَّ وبُشِّرنَّ وهنَّ في الدار الدنيا وعلى لسان أصدق الخلق الذين لا ينطقون عن الهوى المعصومين عليهم السلام بالفوز بالجنة والقرب الإلهي، والتي لم تكن دون سبب؛ لأنه عز شأنه لا يدخل أحداً الجنة دون سبب، ولذلك قيل حتى في رسول الله ﷺ: «أن قوانين السماء لا تعطي المنح مجانًا ولا تعطيها على أسس الجبر والإضطرار، كما لا وجود في عمل السماء للجزاف والعبث، ولذلك لابد أن نتعرف ماذا فعل محمد ﷺ حتى بات محمد»[1]، كالذي نجده قد حصلن عليه الفواطم عند هجرتهن مع الإمام علي عليه السلام، حيث نزلت آية في علي عليه السلام وفيهن، تبين مآلهم وتُبشرهم بالجنة، بقوله تعالى: ﴿ **فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ... لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ..** ﴾[2]،والذي يفسرها الشيخ الطوسي[3]، والطباطبائي[4]، على أنها نزلت فيهم عليهم السلام، وما حصلت عليه السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام عند ولادة الإمام علي عليه السلام من كرامة الأكل من ثمار

(١) عظمة النبي محمد ﷺ. محاضرة للسيد جعفر الحكيم في قناة الحكيم على اليوتيوب ALhakim.ctr. بتاريخ ٢٨مايو ٢٠١٩م.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.
(٣) ينظر: الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٤٧١.
(٤) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج٤ ص ٨٧.

الجنة في دار الدنيا بقولها الوارد عن الإمام الصادق: «..**اني ولدت في بيته العتيق و بقيت فيه ثلاثة أيام، آكل من ثمار الجنة و أوراقها..**»[1]، وما شهده الإمام الهادي عليه السلام للسيدة سمانة المغربية عليها السلام بأنها من أهل الجنة بقوله: «**أمي عارفة بحقي وهي من أهل الجنة..**»[2]، وغيرهن من السيدات، أما السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، فهي لم تحصل على الجنة و نعيمها والخلود فيها فقط، بل كانت هي تفاحة الجنة، النازلة منها، الحوراء الإنسية بشهادة الرسول صلى الله عليه وآله عن الإمام الصادق عليه السلام[3]، والمحور الذي يدخل الله على أثره المؤمنين للجنة، بما نجده من قول جبرئيل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله عن سبب تسميتها في الأرض بفاطمة: «**سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار..**».[4]

المطلب الثاني: المقام المحمود (خير البرية)

بين الله تعالى المؤمنين والمؤمنات الذين جسدوا قولهم بالفعل بالوصول إلى المقام المحمود، بقوله: ﴿ **أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾[5].

أ. بما شهده الإمام علي عليه السلام للسيدة آمنة بنت وهب عليها السلام بقوله في رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مستقره خير مستقر ومنبته أشرف منبت**»[6]، حيث وصفها عبد المطلب عليه السلام بقوله في عبد الله عليه السلام: «**زوجته كريمة من كرائم قومي**»[7]، وقوله لعبد الله عليه السلام حولها: «**فوالله ما في بنات أهل مكة مثلها؛ لأنها محتشمة في نفسها، طاهرة مطهرة**»[8]، وقول السيدة فاطمة أم عبدالله عليه السلام بقولها، وهي تصفها له: «**يا ولدي ما في بنات العرب مثلها أبدًا، ولقد ارتضيتها، وأن الله لا يودع هذا النور إلا في مثل هذه**»[9].

ب.ما ورد فيما وصلت إليه السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام بشهادة الإمام الصادق عليه السلام من قولها الذي أورده عليه السلام عند خروجها من الكعبة في ولادتها بأمير المؤمنين عليه السلام من قولها: «**معاشر الناس ان الله عزوجل اختارني من خلقه، وفضلني على المختارات فيمن مضى قبلي وقد اختارني من خلقه**»[10].

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٧٠٧.
(٢) اثبات الوصية، المسعودي: ص٢٢٨.
(٣) ينظر: معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص٣٩٦.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) سورة البينة: الآية ٧.
(٦) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ص١٨٧.
(٧) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ج١ ص١٨٠.
(٨) الأنوار و مفتاح السرور و الأفكار، أحمد بن عبدالله البكري: ص١١٨.
(٩) بحار الأنوار، المجلسي: ج١٥ ص١٠٠.
(١٠) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٧٠٧.

ج. ما ذكره الرسول ﷺ في حق السيدة الزهراء من كونها سيدة نساء العالمين[١].

د. ما ورد في السيدة زينب بنت علي عليها السلام التي كان يقوم لها الإمام المعصوم الحسين عليه السلام إجلالاً وهو يقرأ القرآن عند دخولها عليه[٢]، إضافة إلى تسميتها بعقيلة الهاشميين[٣]، وما تعنيه العقيلة من الدلالة على سيدة القوم وأفضلهم المخدرة[٤].

هـ. ما ورد في السيدة فاطمة بنت الحسن عليها السلام من شهادة الإمام الباقر والإمام الكاظم عليهما السلام بقولهم: «**لم تُدرك في آل الحسن امرأة مثلها**»[٥].

و. شهادة الإمام الهادي عليه السلام لأمه السيدة سمانة المغربية، بقوله: «**ولا تختلف عن أمهات الصديقين والصالحين**»[٦].

ز. ما ورد من وصول السيدة الجدة الإمام المهدي عليه السلام لأن تكون النائبة عن المعصوم عليه السلام، بما أوردته لنا السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليها السلام بعد أن سُئِلت: «إلى من تفزع الشيعة؟ قالت: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام»[٧]، لتكون كالسيدة زينب عليها السلام التي كانت النائبة عن المعصوم كذلك[٨]، إذ التفزع إلى شيء يفيد الالتجاء والتوجه[٩]، «فكان الشيعة يفزعون إلى الائمة عليهم السلام في قضاياهم و امورهم الشرعية أي يلتجئون اليهم لمعرفة ما اشكل عليهم من امورهم»[١٠].

ح. ما ورد في السيدة نرجس عليها السلام التي أجمع المعصومون عليهم السلام على وصفها بخيرة الإماء وسيدة الإماء[١١].

ط. ما ورد في السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليها السلام التي وصلت لتكون السفيرة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه في الغيبة الصغرى، بقولها: «والله اني لأراه صباحًا ومساءا وإنه لينبئني عما تسألون عنه

(١) ينظر: معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص٣٩٦.
(٢) ينظر: تحفة العالم في شرح خطبة المعالم. جعفر بحر العلوم: ج١ ص٤٥٢.
(٣) ينظر: الملهوف على قتلى الطفوف، بن طاووس: ص١٤٠.
(٤) ينظر: المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين: ج٢ ص٦١٧.
(٥) الكافي، الكليني: ج١ ص٤٦٩.
(٦) اثبات الوصية، المسعودي: ص٢٢٨.
(٧) الغيبة، الشيخ الطوسي: ج١ ص٢٥٤.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ج٩ ص٨١.
(١٠) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٧٨.
(١١) ينظر: الكافي، الكليني: ج١ ص٣٢٣.

فأخبركم، ووالله إني لأريد أن اسأله عن الشيء فيبدأني به وانه ليرد عليّ الأمر فيخرج إليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي، وقد اخبرني البارحة بمجيئك إلي و أمرني ان اخبرك بالحق»[1].

فضلًا عما ورد في بعضهن كالسيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام[2]، والسيدة الزهراء عليها السلام، من سلام الله وملائكته عليهن.

المطلب الثالث: رباطة الجأش والطمأنينة

وعد الله عز وجل المؤمنين بالطمأنينة والاستقرار النفسي، حتى كانت من أوصافهم، لما يجدوه السكينة والراحة في ظل الإيمان والتوكل على الله بقوله عز وجل: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[3]، حيث الطمأنينة هي: «السكون بعد الانزعاج»[4]، ونجدها قد تحققت لدى سيدات بيت العصمة صلوات الله عليهن بأفضل تحقق، والذي خير مثال عليه هو ما نجده عند:

أ. سيدات كربلاء سلام الله عليهن، اللواتي وصِّفنَ بالطمأنينة ورباطة الجأش مع كل ما مرَّ عليهن، وخاصة السيدة زينب عليها السلام والكلمة التي نطقتها بعد كل ما رأته وسمعته من المصائب والأحزان، بقولها: «ما رأيتُ إلَّا جميلاً»[5]، حتى شهد لهن شيخ كبير بقوله: «بابي انتم وامي، كهولكم خير الكهول، ونساؤكم خير النساء»[6].

ب. وما ظهر على السيدة خولة الحنفية عليها السلام، بما ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري في شدة يقينها وصبرها وطمأنينتها بعد قتل أهلها وسبيها مع النساء، إذ يقول: «فلما دخلت المسجد قالت: يا أيها الناس ما فعل محمد؟ قالوا: قبض، قالت: فهل له بيت يقصد إليه؟ قالوا: نعم هذا قبره صلى الله عليه وآله، فنادت: السلام عليك يا أحمد يا محمد يا رسول الله، أشهد أنك تسمع كلامي وتقدر على جوابي وإنا سبينا من بعدك، وإنا نقول لا إله إلا الله وإنك رسول الله، وجلست»[7]، وما في ذلك من الدلالة على مدى إيمانها بأن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله هو الصحيح، حتى بعد أن سبى المسلمون إياها وقتلوا أهلها،

(١) كمال الدين و تمام النعمة. الشيخ الصدوق، ص٤٢٩.
(٢) ينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ج١٦، ص٨.
(٣) الرعد: ٢٨
(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٢٤.
(٥) الملهوف على قتلى الطفوف. بن طاووس، ص١٦٠.
(٦) المصدر نفسه: ص١٩٤.
(٧) الدر النظيم. بن حاتم العاملي. ص٤٠٩.

«إذ صبرت وفوضت أمرها لله وإليه قائلة لهﷺ بأنني أشهد أنك تسمع كلامي حتى بعد استشهاده»[1]، مبينةً التخبط الحاصل بين المسلمين لتطبيقهم الخاطئ لقيم القرآن.

ج. ما نجده من اطمئنان السيدة آمنة بنت وهبعليها السلام، عند مجيء السيدة حليمة السعدية إليها لتخبرها بأنها خائفة على رسول الله ﷺ من الشيطان، بقولهاعليها السلام: «كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لإبني لشأنًا»[2].

المطلب الرابع: الطهارة التامة (انتهائهن عن الفحشاء والمنكر)

وصلن سلام الله عليهن بإقامتهن لقيم القرآن وتجسيدهن لها بأفضل صورة، إلى أن يكونن ممن وعدهم الله عز شأنه بقوله: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[3]، حيث الفرقان هو ما يفرق به بين الحق والباطل[4]، والذي يفسره الإمام الحسنعليه السلام بقوله: «**أتقوا الله، عباد الله، و أعلموا أنه من يتق الله ؛ يجعل له مخرجًا من الفتن، ويسدد أمره، ويهيئ له رشده، و يبيض وجهه**»[5]، فكن سلام الله عليهن:

أ. محاطات برعاية الله، مطهرات طاهرات مكلوءات من كل شيء قد يشينهن، بما وصف الإمام الهاديعليه السلام في السيدة سمانةعليها السلام، بقوله: «**لا يقربها شيطان مارد ولا ينالها كيد جبار عنيد وهي مكلوءة بعين الله**»[6].

ب.مسلولات عن الرجس والدنس، كما وصفت به السيدة سليل الجدةعليها السلام، بقول الإمام الهاديعليه السلام فيها: «**سليل مسلولة من الآفات والعاهات والأرجاس والأنجاس**»[7]، وما أطلق على بعضهن من تسمية الطاهرة، كأمهات المعصومين[8]والسيدة خديجة سلام الله عليها، والسيدة الزهراءعليها السلام، والسيدة تكتمعليها السلام بشكلٍ خاص، والسيدة زينبعليها السلام وغيرهن.

---

(١) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٨١.
(٢) السيرة، ابن هشام: ج١ ص١٦٥، بحار الأنوار، المجلسي: ج١٥، ص٣٦٦.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٩.
(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن. الطباطبائي: ج٩ ص٥٦.
(٥) تحف العقول، بن شعبة الحراني: ص٢٣٢.
(٦) إثبات الوصية، المسعودي: ص٢٢٨.
(٧) المصدر نفسه: ص٢٤٤.
(٨) ينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ج١٥، ص٢٦.

المطلب الخامس: الصون وظهور البعد الانساني لا الغرائزي

أكد جل وعلا على ما يصل إليه المقيم لقيمة العفة والحجاب من الصيانة والبعد عن المعاصي ﴿**ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ**﴾[1]، بما أشار إليه الإمام علي بقوله: «**ثمرة العفة الصيانة**»[2]، «**من عفّ خف وزره**»[3]، لما تفعله العفة من «تحديد لاستجابة الغريزة، بتقوية قوة العقل على قوة الشهوة؛ لحفظ النفس عن تمايلاتها وشهواتها النفسية»[4]، حيث يقول عليه السلام: «**العفة تضعف الشهوة**»[5]، وكذلك وصول المقيم لها بظهور البعد الإنساني عليه، بأن لا يظهر في موقع الاستخلاف الإلهي لعمارة الأرض بجنسه بل بإنسانيته المؤثرة في الآخرين؛ لإيصالهم إلى الاستقامة، وهو ما نجد سيدات بيت العصمة سلام الله عليهن، قد توصلن إليه بإستقامتهن وإقامتهن للقيمة، بما شهد لهن المعصومون عليهم السلام بالطهارة المادية والمعنوية وخلوصهن من كل رجس ودنس، إضافة لما وعده سبحانه بعدم إصابة المرأة العفيفة للأذى، لما جُبِلَ عليها الرجل وفق طبيعتهم من شدة الإعجاب بالمرأة والاستجابة السريعة لمغرياتها[6] ﴿**ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ**﴾[7]، حيث نجد خير مثال على ذلك:

أ. ما حدث مع سيدات كربلاء اللواتي مع كل ما مر عيهن من السبي وكونهن في أيدي الأعداء بلا رجال يحرسوهن، إلا ان احدًا لم يستطع أن يتعدى عليهن أو يضرهن، «نتيجةً لمهابتهن التي وعد الله المرأة أن تُعرف بها إذا جسدت تدينها بالقيم الإلهية»[8].

ب. ما نجده في ظهور البعد الإنساني عليهن والتأثير على فطرة الأعداء والتحدث مع إنسانيتهم، كما فعلت السيدة الزهراء عليها السلام عندما خرجت مشتملة بحجابها، محافظة على عفتها، بما نجده من مدى التأثير الذي أثرته خطبتها فيهم، حتى بكوا لمجرد أنها أنَّت[9]، والذي ما كان ذلك إلا لأنها لم تجعلهم يتأثرون بأنوثتها بل بإنسانيتها التي حافظت فيها على طريقة كلامها ومشيها وحجابها حتى كان الخطاب خطاب فطرة وإنسانية دون الرغبات.

---

(١) سورة النور: الآية ٣٠.

(٢) غرر الحكم و درر الكلم، التميمي الآمدي: ص٣٢٦.

(٣) المصدر نفسه: ص٦٢٥.

(٤) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٨٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم. التميمي الآمدي: ص١٢٤.

(٦) ينظر: رسالة المرأة في الحياة. محمدباقر السيستاني، ص٢٤. ينظر: اتجاه الدين في مناحي الحياة. محمد باقر السيستاني، ص٤١.

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

(٨) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٨٢.

(٩) الاحتجاج، الطبرسي: ج١ ص١٣٤.

المطلب السادس: السكن لتجسيد قيمة الزواج

وعد الله عز شأنه لمن أقام قيمة الزواج بما أراده الله تعالى منها وجسدها بأتم تجسيد بالسكن والمودة والرحمة ﴿**خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾(١)، بما تعنيه كلمة السكن، من: «الإطمئنان، والحالة التي تعاكس الاضطراب»(٢)، «الحاصل من التفاهم والتكامل والتواصل بين الطرفين»(٣)، وقد تحقق هذا الوعد عند السيدات نتيجةً لتجسيدهن القيمة بأتم تجسيد، بما شهد لهن المعصوم في زوجات الأئمة عليهم السلام وغيرهن بأنهن خير زوجات، حيث نجد:

أ. الإمام علي عليه السلام يصف مدى راحته وسكنه في السيدة الزهراء سلام الله عليها، بقوله: «**كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان**».(٤)

ب. ما شهده رسول الله صلى الله عليه وآله للسيدة خديجة عليها السلام بما يقوله فيها: «**وأين مثل خديجة**»(٥)، وما تدله على عمق العلاقة بينهما عليهما السلام، إضافةً لما يبينه الإمام علي عليه السلام من حالة الرسول صلى الله عليه وآله بعدها، حيث يقول: «**لما توفيت ام المؤمنين خديجة الكبرى، جزع رسول الله صلى الله عليه وآله جزعًا شديدا حتى إني أشفقت عليه من شدة الجزع...ثم إنه صلى الله عليه وآله صار يحب الخلوة بنفسه و يتطرق الأماكن الخالية**»(٦).

ج. ما كانت عليه السيدة فاطمة بنت الحسن عليها السلام مع الإمام السجاد عليه السلام حتى نجده يناديها بـ: **الصديقة**(٧).

د. تجسده عند السيدة خديجة بنت علي بن الحسين عليه السلام التي تقول الرواية في علاقتها مع زوجها محمد بن عمر الأطرف بن علي عليه السلام: «وكانت عنده بالمنزلة الرفيعة»(٨)، والتي لم تكن إلا لعلاقتهم المبنية على السكن بينهما.

---

(١) سورة الروم: الآية ٢١.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، بن فارس: ج٣ ص٨٨.

(٣) تجسيد سيدات بيت العصمة للقيم القرآنية-دراسة موضوعية، زينب علاء الأعسم: ص١٨٣.

(٤) كشف الغمة، الأربلي: ج١ ص٣٥٢.

(٥) المصدر نفسه: ج١ ص٣٥٠.

(٦) المنتخب، فخر الدين الطريحي. ط١. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت: لبنان ١٤٢٤هـ: ص٣٥٧.

(٧) ينظر: الفصول المهمة في معرفة الأئمة، المالكي: ج٢ ص٨٨٠.

(٨) لباب الأنساب، البيهقي، ص٣٦١-٣٦٢.

الخاتمة والنتائج

مما أشرنا إليه من استدلالات موجزة، بينت المصدر الأساسي والرؤية الحقيقية لقيم المرأة من خلال التجسدات التطبيقية لسيدات بيت العصمة سلام الله عليهن، بشهادة النصوص التشريعية، توصل البحث إلى:

١. قدرة القوانين الإسلامية على احتواء المتطلبات للمرأة، وتلبية حاجاتها بما يعالج مشاكلها.

٢. استطاعة الرد على أي إشكالية ومشاكل تطرأ على قيم المرأة، من خلال نصوصٍ تطبيقية لسيداتٍ ثبتت حجية مواقفهن، ورضا التشريع الإسلامي عنهن.

٣. انسجام فطرة المرأة مع القيم القرآنية، بتحقيقها لمصلحتها وردَّها على من يزعم بضرر هذه القيم على المرأة.

٤. تشكيل نماذج وقدوات ناجحة للمرأة المسلمة.

٥. تحطيم الصورة النمطية السلبية للمرأة، وإتاحة الفرصة بكسب ثقة المرأة بنفسها، وثقة المجتمع بها.

داعين الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لتأدية وصاياه وحقوقه كما يحب ويرضى، إنه ولي التوفيق

استراتيجيات الحجاج في الخطبة الفدكية

للسيدة الزهراء عليها السلام

الباحثة : م. سيماء فاضل مشكور الظالمي

الملخص

عندما يقوم المتكلم بتوجيه خطابه إلى مُتلقٍ، فهو يسعى إلى إحداث تغيير في أفكار هذا المتلقي، عن طريق إقناعه بفكرة معينة، والحجاج بوصفه عملية استدلالية عقلية، ترتكز على مجموعة من الأُسس والتقنيات الخطابية التي يستعملها المتلقي من أجل إحداث ذلك التغيير بفكر المتلقي، فقد سعت الدراسة إلى الكشف عن تلك العمليات التي تضمنتها الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام.

وفد وجدنا في الخطبة الفدكية الخالدة مجموعة من الاستراتيجيات الحجاجية حاولنا الكشف عنها، وتوضيحها، ومحاولة البحث عن الأسلوب الحجاجي الذي اتخذته السيدة الزهراء لإلقاء الحجة على من ظلموها واغتصبوا حقها.

Abstract:

When the speaker addresses his speech to a recipient، he seeks to bring about a change in the thoughts of this recipient، by convincing him of a certain idea، and argumentation as a rational inferential process، based on a set of rhetorical foundations and techniques used by the recipient in order to bring about that change in the recipient›s thought، the study sought to reveal those processes included in the Fadak sermon of Lady Zahra (peace be upon her).

We found in the immortal Fadak sermon a set of argumentative strategies that we tried to reveal، clarify، and try to search for the argumentative style that Lady Zahra adopted to present the argument to those who wronged her and usurped her right.

Keywords: Argumentation، Fadak sermon، strategies، reasoning، Lady Zahra.

تمهيد

لّما كانت الوظيفة الرئيسية للغة هي التواصل، والغاية الرئيسية للحجاج هي الإقناع، وكان غرض المتكلم وغايته هي إقناع المتلقي وحمله على الإذعان و«الخطابة الغرض منها الإقناع والتصديق بما تدعوه الأحوال والاحتمال»[١]، فإنَّ الخطيب من أجل أن يحقق الإقناع والتأثير في المتلقي يقوم بإتباع استراتيجيات محددة بحسب ما يقتضيه السياق والموقف لتحقيق غايته الإقناعية، واستُعملت لفظة استراتيجية في مختلف حقول العلم والمعرفة، و«اكتسب هذا المصطلح معنىً عامًا بحيث يدل على كل عمل مُنسق لأجل تحقيق هدف ما، فيقال: استراتيجية انتخابية، استراتيجية تجارية، استراتيجية سياسية. يستخدم المفهوم بشكل محوري في مجالات فكرية مختلفة مثل نظرية الألعاب وعلم النفس المعرفي وعلم النفس الاجتماعي وتحليل الخطاب»[٢].

فنظرية الألعاب تحدد مفهوم الاستراتيجية بوصفها: «مجموعة من القواعد المحددة لسلوك لاعب في أي موقف لعب ممكن»[٣]، وفي المجال العسكري والسياسي يُقصد بها: «التخطيط وتحديد الوسائل التي يجب الأخذ بها في القمة والقاعدة لتحقيق الأهداف البعيدة، وهي فن وعلم وضع خطط الحرب وإدارة العمليات الحربية»[٤]، وهي «طرق محددة تتناول مشكلة ما أو القيام بمهمة من المهمات ويمكن ان تكون مجموعة من المهمات، أو مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي: تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكم بها»[٥].

والاستراتيجية بمختلف أنواعها لا تخلو من أن تكون مجموعة طرق متخذة لتحقيق أهداف معينة، وقد «ارتبطت الاستراتيجية بالخطاب؛ لكونه عملية يقوم بها المرسل باختيار العبارات والكلمات المناسبة، وكذلك اختيار السياق المناسب، فهو قبل التلفظ بخطابه يخطط لكيفية إنتاجه وكذا كيفية إيصال معناه إلى المرسل إليه، فالمرسل يحرص كل الحرص على استعمال اللغة استعمالا دقيقا يتواءم

(١) في بلاغة الخطاب الاقناعي، محمد العمري: ص٥.
(٢) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، د. زكريا السرتي: ص٢٥١.
(٣) في بلاغة الحجاج نحو مقاربة حجاجية لتحليل الخطابات، محمد مشبال: ص٧١.
(٤) استراتيجيات الخطاب، د. باسم خيري خضير: ص٢٥.
(٥) استراتيجيات الخطاب للشهر ي: ص٥٣.

والسياق»[1].

ويتخذ الخطيب الاستراتيجية المناسبة في خطابه لتحقيق غرضه الإقناعي فـ «كل استراتيجية خطابية هي استراتيجية حجاجية على الدوام، وتتجلى حجاجيتها في كونها قاصدة وهادفة بالضرورة؛ لأنها تتجه إلى نقل السمات الفكرية والعاطفية والسلوكية المكنونة في ذات المتكلم إلى الجمهور»[2].

والاستراتيجية الحجاجية: استراتيجية يرمي من ورائها المُرسل إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمرسل إليه، وهذه الاستراتيجية يروم فيها المرسل إقناع المرسل إليه بمختلف الوسائل بوجاهة موقفه أو رجاجة فكرته، أو أفضلية سلعته بحسب السياق وموضوع الحوار الدائر بين المرسل والمرسل إليه[3].

والخطبة الفدكية للسيدة الزهراء التي ألقتها في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، للمطالبة بإرثها من رسول الله ردا على أبي بكر عندما منعها حقها وورثها.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الخطبة الفدكية، استراتيجيات، الاستدلال، الحجج المنطقية وشبه المنطقية.

الحجاج: وهو فعل استدلالي إقناعي يعتمد مجموعة من الوسائل، والآليات اللغوية والمنطقية بهدف الإقناع بفكرة أو قضية، أو موقف.

الخطبة الفدكية: وهي الخطبة التي ألقتها الزهراء (صلوات الله عليها) بعد أن منعوها من حقها في فدك.

الاستراتيجيات: طرق محددة تتناول مشكلة ما أو القيام بمهمة من المهمات ويمكن ان تكون مجموعة من المهمات.

الحجج المنطقية: وهي الحجج التي يستمدها المحاجج من المعطيات الأولية للقضية.

الحجج شبه المنطقية: وهي حجج تستمد قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية في البرهنة.

(١) استراتيجيات الخطاب، د. باسم خيري خضير: ص٢٦.

(٢) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر: ص٢٥٤.

(٣) ينظر: الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، إدريس مقبول،: ص٥٥٥- ٥٥٦، ٢٠١٤.

الاستراتيجيات الحجاجية في الخطبة الفدكية

اتسمت هذه الخطبة بأسلوب حجاجي اتخذته الزهراء (صلوات الله عليها)، لقطع الطريق على الخصم وإثبات حقها، وهذه الخطبة ليست مجرد خطبة للمطالبة بإرث؛ بل هي ثورة للحقوق المغتصبة تعلمنا المطالبة بحقوقنا وعدم السكوت على الظلم، واتسمت الخطبة الفدكية بمجموعة من الاستراتيجيات الحجاجية المنطقية وشبه المنطقية.

المبحث الأول: الاستراتيجيات الحجاجية المنطقية

أولا: المبادأة والتعقيب: وهي من الاستراتيجيات التي اعتمدتها الزهراء عليها السلام وهي: «منح الخصم زمام البدء ليتكشف خطابه وجوهر حجاجه أمام الاخر المعارض، الذي يسعى حينئذٍ في تصميم حجاج ناقض له»(١).

وقد بادر أبو بكر إلى الحكم بعدم إعطاء الزهراء ورثها من رسول الله صلى الله عليه وآله، فروي عن ذلك «أنَّ فاطمة بنت رسول الله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أفاء الله على رسوله، وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي التي بالمدينة، وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله قال: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**» إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئا من صدقات رسول الله عن حالها التي كانت عليها في عهده، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة عليها السلام على أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت»(٢).

فبعد مبادرة أبو بكر بعدم إعطاء الزهراء لإرثها من رسول الله ردت عليه بقولها: «**يا بن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾(٣)، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(٤) وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٥)، وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(٦)، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ**

(١) التداولية وتحليل الخطاب الجدلي، د. محمد عديل عبد العزيز علي: ١٩٥.

(٢) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م: ج٢ ص٣١٥.

(٣) سورة مريم: الآية ٢٧.

(٤) سورة النمل: الآية١٦.

(٥) سورة مريم: الآية ٥– ٦.

(٦) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

﴿الْأُنْثَيَيْنِ﴾[1]، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[2]»[3].

فبعد ابتداء أبو بكر بالقول بعدم إعطاء الزهراء حقها، عقبت على ذلك بسؤال منطقي، فهل يورث أبا بكر أباه، ولا تورث الزهراء أباها.

ثمَّ اثبتت حجاجها بشواهد من القرآن الكريم، فإن كانت حجته أنَّ الأنبياء لا تورث، فقد ذكر الله في كتابه ورث سليمان لداوود، وزكريا طلب من الله سبحانه وتعالى وليا يرثه، وما ذكره الله من حقوق الميراث في كتابه الكريم، فهذه حجج دامغة على أحقية الزهراء بالوراثة.

وغير ذلك فإنّ النبي لا ينطق عن الهوى، فعندما أوصى للزهراء بحقها، فهذا بأمر من الله سبحانه وتعالى، فيكون بذلك الخليفة قد خالف أمر الله، وأمر نبيه، وغصب حق بضعة رسول الله ﷺ.

ثانيا: استراتيجية الحصار والتضييق: ويعمد المحاجج في هذه الاستراتيجية إلى كشف مواضع الخلل في حجج الخصم تمهيدا لكشفها فيقوم بـ «نسج مجموعة من المآزق الفكرية له بقصد التضييق عليه وسحب اتجاهه، وهو في خلال ذلك كله يحرص على بناء أطروحة مضادة، وقد يعمد إلى تحويل نتائج الخصم إلى مقدمات له»[4].

ومن المواضع التي استعملت فيها الزهراء عليها السلام هذه الاستراتيجية وذلك عند قولها في خطبتها الفدكية: «**أيها بني قيلة أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى منه ومسمع تلبسكم الدعوة وتشملكم الحيرة وفيكم العدد والعدة ولكم الدار وعندكم الجنن وأنتم الآلي نخبة الله التي انتخب لدينه وأنصار رسوله وأهل الإسلام والخيرة التي اختار لنا أهل البيت فباديتم العرب وناهضتم الأمم وكافحتم البهم لا نبرح نأمركم وتأمرون حتى دارت لكم بنا رحا الإسلام ودّر حلب الأنام وخضعت نعرة الشرك وباخت نيران الحرب وهدأت دعوة الهرج واستوسق نظام الدين فأنى حرتم بعد البيان ونكصتم بعد الاقدام وأسررتم بعد الإعلان لقوم نكثوا ايمانهم اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**»[5].

قول الزهراء عليها السلام بني قيلة تقصد قبيلتي الأوس والخزرج، فتعاتبهم على سكوتهم، وتتعجب من

(١) سورة النساء: الآية ١١.
(٢) سورة البقرة: الآية١٨٠.
(٣) بحار الأنوار للمجلسي: ج٢٩ ص٢٢٦- ٢٢٧.
(٤) التداولية وتحليل الخطاب الجدلي: ص١٩٦.
(٥) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٢٨.

هذا الصمت، فهل ينغاضون عن نصرة الزهراء، وعندهم العدد والعدة، وهم أنصار رسول الله وكانوا معه في حروبه وغزواته، فهل يكون سكوتكم هذا خوف، وخشية من أبي بكر، فالله أحق بالخوف منهم، وبقولها هذا حاصرتهم وضيقت عليهم الجواب، فماذا يكون جوابهم لله ورسوله عند السؤال، لماذا لم تنصروا بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

ثالثا: - استراتيجية الاستدراج بالأسئلة الافتراضية:

وتعتمد هذه الاستراتيجية على مبدأ الأسئلة، إذ يعمد المحاجج إلى سؤال خصمه أسئلة تكون إجابتها بالإقرار للمحاجج، والتصديق بحجته لأنها في الغالب تكون مدعومة بالحجج والبراهين المؤيدة لصحة دعواه فمن ذلك قول الزهراء عليها السلام: «**وزعمتم الا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي صلى الله عليه وآله؟! أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟!، أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟!فدونكما مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة ما تخسرون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾(١) ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾(٢)**»(٣).

فسؤال الزهراء عليها السلام: أفخصكم الاله بآية أخرج منها أبي؟ الجواب حتما لا؛ لأنَّ القرآن نزل على رسول الله، وهي عالمة به، مفسرة لآياته، ولا يخفى ذلك على أحد، فهنا يسلم الخصم بالإذعان لهذه الحجة والإقرار، بأنَّه لا توجد آية استثنى فيها الله سبحانه وتعالى الرسول (عليه الصلاة والسلام) من أن يورّث.

والسؤال الآخر: هل يشك أحد في أنَّ الرسول والزهراء على ملتين مختلفتين، فلجواب حتما لا، ففاطمة عليها السلام روح النبي التي بين جنبيه، وهي العالمة غير معلمة، والتي يقول فيها الحبيب المصطفى «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي**».

فهنا يُلجم الخصم لقوة الحجة، فيُسلم بأنّ الزهراء والرسول من ملة واحدة.

والسؤال الثالث الذي لا يستطيع أحد إنكاره، ويجد القوم أنفسهم مقرين مذعنين بما تطرحه

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٧.
(٢) سورة هود: الآية ٣٩.
(٣) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٢٩.

الزهراء، فلا يوجد أحد أعلم من النبي بالقرآن الكريم، وهو الذي نزل على قلبه، فأنار الكون به، ومن بعده وصيه، الذي ينادي الناس، «**أيها الناس سألوني قبل أن تفقدوني**».

فبهذه الأسئلة الافتراضية استدرجت الزهراء خصومها للإذعان بما طرحته، ولا يجدوا محيصا غير الإقرار بحقها، ولكن أبت قلوبهم ذلك، وأيقنت عليها السلام إصرارهم على غصب حقها، فسلمت أمرها إلى الله وهي مهضومة، فعند الله تلتقي الخصوم، وهو أعد الحاكمين.

رابعا- استراتيجية الإدانة من مقولة الخصم: وهو أن يستعمل المستدل نفس الدليل الذي استعمله المعترض لصالحه، ويسميه أهل الأصول (القلب) ويعني: «مشاركة الخصم للمستدل في دليله ومعنى ذلك أن يستدل المستدل على إثبات حكم بقياس يدّعي اختصاصه به، فيقلبه السائل ويطبق عليه ضد ذلك الحكم بتلك العلة»[1]، وهي نوع من الاستراتيجيات المضادة التي يستعملها المتكلم لإقناع المتلقي، وذلك بأنّ المتكلم يردّ المحاجج بالحجة نفسها التي يقدمها المستدل لصالحه ويطلق (رولان بارت) على هذا النوع من الاستدلال عبارة (من كلامك أدينك) «وهي إرث منهجي أخذه أفلاطون عن سقراط، هذا الأخير الذي كان يستعمل طريقة التوليد مثلما كانت أُمه القابلة تولد النساء عند المخاض، وكان غالبا ما يستعمل حجج الشخص نفسه للرد عليه»[2].

بعد أن خاطبت الزهراء عليها السلام المهاجرين والأنصار أجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان فقال: «يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله! لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما رؤوفا رحيما وعلى الكافرين عذابا أليما، وعقابا عظيما، فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخا لبعلك» دون الأخلاء، آثره على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلّا كل سعيد، ولا يبغضكم إلّا كل شقي فأنتم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبون، والخيرة المنتجبون على الخير أدلتنا والى الجنة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء وابنة خير الأنبياء صادقة في قولك سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، ووالله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عملت إلّا بإذنه، وإن الرايد لا يكذب أهله، وإني اشهد الله وكفى به شهيدا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا وإنما نورث الكتب، والحكمة والعلم والنبوة**، وما كان لنا من طعمة فلولي الامر بعدنا ان يحكم فيه بحكمه، وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل به المسلمون...»[3].

(١) الحدود في الأصول للباجي: ص١٢٥.

(٢) قراءة جديدة للبلاغة القديمة، رولان بارت، ترجمة: عمر أوكان: ص١٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٢٩- ٢٣٠.

فهنا شهد هذا الشخص بانَّ سمع من رسول الله (صلوات الله عليه) بأنَّ الأنبياء لا تورث، فردت عليه الزهراء عليها السلام بقولها: «**سبحان الله ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صارفًا، ولا لأحكامه مخالفا، بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، فتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا فصلا، يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾**[1]، **﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾**[2] **فبين عز وجل فيما وزع عليه من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين كلا ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾**[3]»[4].

فهنا احتجت (سلام الله عليها) بحجة الشخص نفسه، فهو يزعم بأنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ الأنبياء لا تورث، فتتعجب من قوله هذا لانَّ ذلك يقتضي أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله قد خالف حكم الله في الميراث، وهم بذلك يزورون كلام الله، وكلام رسوله غدرا منهم، ويغيلون الغوائل بعد مماته كما كانوا في حياته.

فهل يخالف الرسول صلى الله عليه وآله النص القرآني، فكيف يرث سليمان داوود، وكيف يرث يحيى زكريا، والقرآن فصَّ الإرث بين النساء والرجال والأخوة، والأخوات، وشرّع، وفصَّ في مكم كتابه لكل ذي حقٍ حقه، فكيف يخرج خاتم أنبيائه، وأهل بيته الأطهار من هذا الحق، فإذا قال الرسول نحن معاشر الأنبياء لا نورث، فكيف ورثوا الأنبياء الذين ذكرهم الله في كتابه؟ فهل يخالف الرسل (صلوات الله عليه) النص القرآني؟ حاشا له ذلك، وهو الذي وصفه الله سبحانه وتعالى في كتابه **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**[5].

(١) سورة مريم: الآية ٦.
(٢) سورة النمل: الآية١٦.
(٣) سورة يوسف:الآية ١٨.
(٤) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٣١- ٢٣٢.
(٥) سورة القلم: الآية ٤.

المبحث الثاني: الاستراتيجيات الحجاجية شبه المنطقية

أولا: الاستراتيجية التبكيتية: «التبكيت: كالتقريع والتعنيف»[1]، والتبكيت «(الغلبة بالحجة)، يقال: بكته، وبكته، حتى أسكته. وألزمه بالسكت، لعجزه عن الجواب عنه»[2]. ويكون التبكيت عندما تكون الحجة قوية فتُلزم الخصم وتعجزه عن الجواب، ويكون بالاستفهام وبدون الاستفهام.

ومن المواضع التي استعملتها الزهراء عليها السلام في تبكيت العدو قولها: «**أيها الناس اعلموا أني فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله، أقول عودا وبدءا، ولا أقول ما أقول، غلطا ولا أفعل ما أفعل شططاما أَفْعَلُ شَطَطاً: ﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيم﴾ فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي إليه صلى الله عليه وآله**»[3].

فبهذه الكلمات ألجمت الزهراء خصمها، فقولها اعلموا أني فاطمة، وأبي محمد لا تريد التعريف بحسبها، فلا يوجد في القوم مَن لا يعرفها، ولكن أرادت أن تخبر القوم بمنزلتها، وعظمتها فهي فاطمة، بضعة رسول الله، ولا أرادت أن تعرّف القوم من هو أباها، بل أرادت أن تبكتهم بالإشارة إلى كونه خاتم الأنبياء والمرسلين، ومّن كانت هذه منزلته فلا يقول عبثا، وليس بخروجها وهي بهذه الحال إلّا لأمرٍ عظيم أرادت بيانه للناس.

فلا يوجد على وجه الأرض ابنة نبي غيرها، ولا يوجد على وجه الأرض زوجة وصي لخاتم أنبيائه غيرها.

فكيف لمثلها ان يُهضم حقها وتُمنع إرثها؟ فبتعريفها بمنزلتها العظيمة، وتذكير قومها بالشأن الذي لها عند الله، أبكتت القوم وألجمتهم عن الرد عليها، أو التشكيك في حقها، فكيف لا؟ وهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ**

(١) لسان العرب، مادة(بكت): ج١ ص١١.
(٢) تاج العروس، مادة (بكت): ج٤ ص٤٤٧.
(٣) بحار الأنوار: ج٢٩ ص ٢٢٥.

نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[1].

ثانيا: – دعوة المدعي إلى مراجعة دعواه: وتعتمد هذه الاستراتيجية على أخلاق المدعي، ويمارسها المحاجج رغبة منه أن يعود المعترض إلى جادة الحق والإنصاف و«يأمل في أوبته وتعقله، فيحثه على إعادة النظر في دعواه بعدلٍ وإنصاف ليدرك بنفسه بطلانها»[2].

ومن هذه المواضع ما ذكرته الزهراء عليها السلام من تذكير قومها بما كانوا عليه إذ قالت:

« وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان وموطئ الاقدام تشربون، الطرق وتقتاتون الورق، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله، بعد اللتيا، والتي وبعد أن مني ببهم الرجال، وذوبان العرب ومردة أهل الكتاب [كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان، وفغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، ومجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، أولياء الله مشمرا ناصحا، مجدا كادحا، وأنتم في رفاهيةٍ من العيش، واعون وفاكهون وآمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوفكون الأخبار، وتتنكصون عند النزال، وتفرون عند القتال»[3].

فهنا أرادت (صلوات الله عليها) من قومها ان يتذكروا ماضيهم، وينظروا إلى احوالهم قبل بعثة رسول الله (صلوات الله عليه)، إذ كانوا أذلة خاسئين تحكمهم العصبية القبيلة، والجاهلية الدينية، فخاض الحروب، وفتح البلدان ونُشر الإسلام بسيف علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ كان هو المقدم في الحرب، وهو الجالب للنصر فأنقذهم الله به، ونور حياتهم بنور الإسلام، وكان جزاء ذلك أنَّ بعد أن قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله غصبوا حق ابنته.

فأرادت الزهراء تذكير قومها عسى ان يراجعوا أنفسهم، وينتبهوا إلى عظيم ذنبهم، ويستيقظوا من غفلتهم، فهم يظلمون بنت أعظم الخلق عند الله، وخاتم انبيائه ورسله، ولكن هيهات فقد عموا وصموا عن رؤية الحق، وساقهم الشيطان إلى حيث يريد.

ثالثا: استراتيجية التجهيل: وهي نوع من الاستراتيجيات يلجأ إليها المحاجج حين يرى أنَّ

(١) سورة الإنسان: الآية ٨– ١١.
(٢) الحجاج في الخطاب السياسي، عبد العالي قادا: ٢٢٧.
(٣) بحار الأنوار: ص٢٢٤–٢٢٥.

المعارض قد اخطأ في تفسيره للمسألة، أو أنَّه قد أخطأ بنقله وأحيانا يكون هذا بقصد أو بدون قصد فـ « يرد الحجج والاستدلالات – لاسيما النقول والاستشهادات – ويسمها بالضعف والشذوذ، أو بفساد الاستدلال بها لخروجها عن موضع الخلاف، أو بالشك في نسبتها إلى قائلها، أو كون المنقول ذاته يقبل تأويلا مغايرا، وذلك بهدف واحد هو إقصاء رؤية المستدل من الطرح»[1].

ومن مواضع هذه الاستراتيجية قول الزهراء عليها السلام: «**يا معاشر الفتية وأعضاد الملة وأنصار الإسلام ما هذه الغميرة في حقي والسنة عن ظلامتي، أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله المرء يحفظ في ولده سرعان ما أجدبتم فأكديتم وعجلان ذا اهانة تقولون مات رسول الله صلى الله عليه وآله فخطب جليل استوسع وهيه واستنهر فتقه وبعد وقته وأظلمت الأرض لغيبته**»[2].

فهنا تتساءل عليها السلام، وتفترض جهل الخصم بشأنها وقدرها، فماذا وراء هذا السكوت عن ظلامة الزهراء عليها السلام، وكأنهم في سبات عن نصرتها وإرجاع حقها، فهل موت الرسول صلى الله عليه وآله يجعلهم يتجاهلون حق الزهراء، فإذا كانوا من الموالين لله ورسوله فكان الأولى بهم أن يحفظوا حق بضعته، وينصروها، ويرجعوا حقها.

رابعا: استراتيجية التحضيض: وهي من الاستراتيجيات التوجيهية، ومعنى التحضيض: «طلب الشيء بحثّ. ومن أدواته (لولا) و(لو ما) و(هلّا) بتشديد اللام، فإذا وقع بعد أداة من هذه الأدوات فعل ماض، فإن معناها يخرج إلى اللوم والتوبيخ فيما تركه المخاطب» [3]. ويمكن أن يكون التحضيض بدون هذه الأدوات، وفي الخطاب الحجاجي يعمد المتكلم إلى استعمال هذه الاستراتيجية بقصد تفنيد حجة الخصم من خلال لومه وتوبيخه على ما قدّمه من حجة خاطئة، أو غير مقنعة، وبالمقابل تترجح حجته فيحمل المتلقي على الإذعان لحجته.

ومن المواضع التي اتضحت فيها استراتيجية التحضيض في خطبة الزهراء قولها عليها السلام: «**مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إِلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[4] كَلّا بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلاً، وَغِبَّهُ وَبيلاً إِذا**

(١) التداولية وتحليل الخطاب الجدلي: ص٢١٢.
(٢) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٢٧– ٢٢٨.
(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ص١٠٨.
(٤) سورة محمد: الآية ٢٤.

كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ»[1].

نلاحظ انَّ السيدة الزهراء ألقت الحجة على خصومها، بعد ان ذكرتهم بمنزلتها، ومَن هو والدها، وكيف لم يحفظوا رسول الله ﷺ في بضعته.

فهنا استعملت السيدة النص القرآني في تحضيضهم على تدبر القرآن وفهم معانيه، وبماذا وعد الله الكافرين والعاصين لأوامر الله ورسوله، فكيف بمن غصب حق رسوله وحق بضعته، «أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة، حتى لا يجسروا على المعاصي، ثم قال أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها وأم بمعنى بل وهمزة التقرير، للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر. وعن قتادة: إذا والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا. فإن قلت: لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها؟ قلت: أما التنكير ففيه وجهان: أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك.

أو يراد على بعض القلوب: وهي قلوب المنافقين. وأما إضافة الأقفال، فلأنه يريد الأقفال المختصة بها، وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح. وقرئ: إقفالها، على المصدر»[2].

(١) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٣٢-٢٣٣.

(٢)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ: ج٤ ص٣٢٥.

الخاتمة والنتائج:

كشف البحث عن مجموعة من النتائج التي لاحظناها في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام ومنها:

١ــ وضوح الجانب الحجاجي وقوته، واستعماله وسيلة قوية في إظهار مظلومية الزهراء عليها السلام، واستعمالها للخطاب الحجاجي المباشر لقطع الطريق على الخصم في غنكار حقها.

٢ــ استعمال الاستراتيجيات الحجاجية المختلفة، وتوظيفها بما ينسجم والغاية من الخطبة الغراء لها عليها السلام، وهي كشف الحقيقة، والتأثير في المتلقي وبالتالي إقناعه.

٣ــ توظيف النص القرآني كعنصر أساسي في تقوية الحجج، وإلجام الخصم، ومطالبة مَن غصب حقها، بالرد على ما نص عليه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم من الآيات التي تدل على ما شرعه الله من أنَّ الأنبياء يورثون أبنائهم.

٤ــ مثلت الخطبة الفدكية وثيقة تاريخية تكشف عن الوضع الاجتماعي الذي بدا يظهر بصورة جلية بعد وفاة النبي عليه السلام والمتمثل بعدم حفاظ هؤلاء على وصيته في بضعته.

٥ــ إنَّ مجرد خروج الزهراء من بيتها إلى مسجد رسول الله يوضح مدى الهضامة التي لحقتها، ومدى إصرار الجانب المقابل على غصب حقها، على الرغم من تصريحها بحقها وهي المعصومة عن الكذب والخطأ من الله سبحانه وتعالى، فيمثل خروج الزهراء صرخة حق تمتد حتى قيام الساعة، وتلهم أتباع أهل البيت القوة والقدوة في عدم السكوت عن الحق، والإذعان للباطل.

٦ــ بعد ان وضحت الزهراء ما جرى عليها في خطبتها، وتذكير القوم برسول الله، وكيف أنقذهم من الظلال وهداهم إلى الحق، واستعمالها لإسلوب الخطاب المباشر، لأبي بكر، والأنصار، والحاضرين جميعا الذين جانبوا الحق، وناصروا الباطل، تكون بذلك قد ألقت الحجة وأوضحت الحق، وقذفت الباطل بالحجج والبراهين الواضحة.

المصادر والمراجع

- الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الثامن، العدد (١٤/ ٢).
- استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي مقاربة تداولية، د. باسم خيري خضير، مؤسسة نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، ط١، (٢٠١٧م).
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب، بيروت، ط١، (٢٠٠٤م).
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروتـ لبنان.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، (ت: ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ط)، (د. ت).
- التداولية وتحليل الخطاب الجدلي قراءات في أُسس الحجاج وبناء الاستدلال، د. محمد عديل عبد العزيز علي، عالم الكتب الحديثة، ط١، (٢٠١٦م).
- الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا (دراسة تحليلية)، د عبد العالي قادا، دار كنوز، عمان، ط١، (٢٠١٥م).
- الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، د. زكريا السرتي، عالم الكتب الحديثة، إربد- الأردن، ط١، (٢٠١٣م).
- الحدود في الأصول، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت ٤٧٤ هـ)، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، (٢٠٠٣ م).
- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.

علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ ه)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، (٢٠٠٩ م).

- في بلاغة الحجاج نحو مقاربة حجاجية لتحليل الخطابات، محمد مشبال، كنوز المعرفة، ط١، (٢٠١٧م).
- في بلاغة الخطاب الاقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، محمد العمري، منتديات سور الاسبكية، أفريقيا الشرق، ط١، (٢٠٠٢م).
- قراءة جديدة للبلاغة القديمة، رولان بارت، ترجمة: عمر أوكان، أفريقيا الشرق، (١٩٩٤م).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨ه)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة.
- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١ه)، دار صادر – بيروت، ط٣، (١٤١٤ه).

السيدة خديجة قدوة واسوة

الباحثة : ميسون موسى عبد الكريم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وخير خلقه محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين اما بعد:

تلعب القدوة دورا محوريا في تشكيل سلوك الفرد داخل الاسرة، حيث يكون الوالدان والمربون نموذجا يقتدي به الأبناء.

فالأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، وإذا بنيت على أسس صحيحة قائمة على القيم والأخلاق انعكس ذلك ايجابيا على الأبناء والمجتمع ككل.

يسعى هذا البحث إلى إن اتباع القدوة يعتبر امرأ جوهريا في بناء الشخصية الأخلاقية والدينية، ولا بد أن يكون اختيار القدوة عن وعي ودراسة، ونجد إن البعض يعتمد على الموروثات الثقافية والدينية دون البحث أو التحقق من صحتها، كذلك غياب الوعي الديني والثقافي.

ويهدف هذا البحث إلى تقديم نموذجا من الشخصيات التي يقتدي بها النساء والرجال على حد سواء، هي السيدة خديجة عليها السلام زوجة النبي محمد صلى الله عليه وآله وأم الزهراء عليها السلام وهي مثال واقعي، التي رسمت معالم الشجاعة والتضحية والايمان الراسخ في أحلك ظروف الدعوة الإسلامية، ان الإسلام يشجع على اتباع القدوة الصالحة الي تمثل القيم والمبادئ الإسلامية الصحيحة، قال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[1].

مما يدل على أهمية الاقتداء بالنموذج الصحيح تقوم الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليل في جمع روايات أهل البيت عليهم السلام ويستعان أيضاً بالدراسات الحديثة في تاريخ الإسلام والتحقيق الحديثي.

إن المجتمعات الإسلامية بحاجة إلى تعزيز ثقافة التفكير النقدي والوعي الديني الصحيح، حتى يكون الاتباع نابعا من الإدراك لا من الجهل والخوف.

التوازن بين الاقتداء الواعي والاحترام للعظماء هو ما يجعل الأمة قادرة على التطور والنهضة

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

الفكرية.

فاحتوت هذه الوريقات على أربع مباحث، المبحث الاول: اشتمل على التعريف بالقدوة وإن السيدة خديجة عليها السلام نموذج عظيم للقدوة فهي الصديقة الكاملة، والمبحث الثاني: تناول قبسات من حياة السيدة خديجة عليها السلام ومواقفها في مساندة الرسول الإكرام صلى الله عليه وآله من أجل نشر الدعوة الإسلامية، اما المبحث الثالث: فقد تضمن الأدوار الرسالية للسيدة خديجة عليها السلام ومقامتها النورانية، وكان المبحث الرابع يعرض دور المرأة في الاسرة ودور الاسرة الناجحة على المجتمعات، فلا بد أن تكون قدوة واسوة لغيرها.

تمهيد

التعريف بالمفردات:

سيدة لغة: اسم مؤنث مأخوذ من سيد: سيد اسياد وسادة سيد ذو سيادة وهو سيد قومه[١].

سيدة اصطلاحاً: كل امرأة متزوجة السيدة فلانه..عقيلته، امرأة ذات مركز أو صفة رسمية وهو لقب يطلق على كل امرأة تعبيراً عن الاحترام.[٢]

القدوة: القدوة لغةً مأخوذة من الفعل (قدا) ويعرف بعدة معاني لغوية منها:

١- الأصل والاساس: القدو: أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء.[٣]

٢- التقدم والسبق: القدوة: التقدم يقال فلان لا يقاديه أحد ولا يهاديه أحد ولا يباريه.[٤]

القدوة اصطلاحاً: ان القدوة هي الاسوة حيث ان تعريفات العلماء تقتصر دائما على تعريف الاسوة انها القدوة لاتفاقهما في المعنى.[٥]

الأسوة لغة: الاسوة بالكسر وتضم؛ القدوة وما يأتسي به، وائتسى به: جعله اسوة واسوته به: جعلته له إسوة.[٦]

الاسوة اصطلاحا: الاسوة اصطلاحاً: الأسوة والإسوة؛ القدوة ويقال: ائتس به اي اقتد به وكن مثله فلان يأتسي بفلان اي يرضِ لنفسه مارضيهُ ويقتدي بهِ وكان مثل حالهُ.[٧]

---

(١) جبران مسعود، المعجم الرائد: ص٧٩٤.

(٢) احمد مختار عبد الحميد عمر، المعجم اللغة العربية المعاصر: ج٢، دار عالم الكتب ١٤٢٩هـ: ص١١٣٢.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب: ج١٥، مادة (قدا) دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ص١٧١.

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب: ج١٥، مادة (قدا) دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ص١٧١.

(٥) الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، المفردات في غريب القرآن، ط ١، دار القلم دمشق بيروت، ١٤١٢هـ: ص٧٦.

(٦) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٤، ط٨، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ١٤٢٦هـ: ص ٢٩٩.

(٧) ابن منظور: ج١٤، ط ٣: ص٣٥.

المبحث الأول: القدوة

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.[1] صدق الله العلي العظيم

ان القدوة يتجاوز الذات ويبذل العطاء والجهد والتضحية ويعمل على توطين النفس على التضحية من اجل الإسلام والاستعداد التام للبذل والعطاء.

ولا يتوقع على عمله اجراً دنيويا وانما يطلب الاخرة والثواب الاخروي لان الدنيا لا تعنى له شيئاً ولا قيمه لها والاجر الاخروي خالد ليس له نهاية أو حد.[2]

السيدة خديجة نموذج عظيم للقدوة:

لم يفتا النبي صلى الله عليه وآله من ذكر لخديجه امام ازواجه لحاجة في نفسه صلى الله عليه وآله وهي ان يتخذنها قدوة، والا لا يصح الاعتقاد بان النبي الاكرم كان على رغم من سماعه اعتراض عائشة لم يكن ليترك ذكر خديجة عليها السلام دون ان يكون لذلك حكمة إلهية[3].

قال رسول الله: «**لا والله ما ابدلني خيرا منها**».[4]

كانت السيدة خديجة من بين ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحق الزوجة الصالحة التي ارادة النبي صلى الله عليه وآله أن يتخذنها قدوة في حياتهن معه[5].

خديجة بنت خويلد (الصديقة الكاملة).

عن رسول الله صلى الله عليه وآله «**لا والله ما ابدلني خيرا منها أمنت حين كفر بي الناس وصدقتني حين كذبني الناس واشركتني في مالها حين حرمني الناس ورزقني الله ولدها وحرمني ولد غيرها**»[6].

---

(١) سورة الانعام: الآية ٩٠.

(٢) حسن بدران، القدوة الأهمية وتحولات الدور، ط١، منتدى الفكر اللبناني بيروت لبنان، ١٤٣٢ هـ: ص ١٠٣.

(٣) الحسني، نبيل، خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة: ج٢، ط١، مؤسسة الإعلامي بيروت، ١٤٣٢هـ: ص٧٧.

(٤) نفس المصدر السابق: ص١٨٠.

(٥) نفس المصدر السابق: ص٨٠.

(٦) العاملي، عبد الحسين شرف الدين، المراجعات دار القارى، ١٤٢٨ هـ: ص٣١٥.

كانت خديجة عليها السلام اعلى درجة استثنائية من الالتزام الأخلاقي بحيث عرفت في قريش بالطاهرة وهذا ملفت للنظر لان هذه الالفاظ بعد البعثة والآيات والاحكام والتشريعات صارت مألوفة ففي القران تم الحديث عن التطهير ومن آياته قال تعالى (عز وجل) ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1] وسواء كانت الطهارة المعنوية أو الداخلية أو الطهارة الخارجية الا انها لم تكن في هذه الثقافة والالفاظ ثقافة مسيطرة بل ولا شائعة في المجتمع القرشي[2] لان قيم التفاضل فيه ليست في هذا الاتجاه ومن الملفت للنظر ذلك في سيرة السيدة خديجة فمع انها امرأة جميلة من جهة وثرية من جهة أخرى وشابة فهذا كله مساعدات على التهتك والعبث لكننا نجد هنا انها تعرف وتلقب بالطاهرة وهذا كله قبل بعثة النبي[3] عن رسول الله صلى الله عليه وآله «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد**»[4] كمال العقل الذي عادة في الأنبياء والاوصياء وبدرجة ادنى في العلماء والحكماء قد يستبعده البعض في النساء لانهم يرون المرأة غالباً ما تكون مشاعرها وعواطفها في درجة عالية لما يقتضية طبيعة دورها الإنساني في امر التربية لأطفالها بل في حياة زوجها فوصول امرأة إلى درجة كمال العقل يقتضي منها مقاومة شديدة لتأثير العاطفة في التفكير والابتعاد عن غلبة المشاعر عليها لصالح الاحكام العقلية وهنا ما يضيق كمال العقل[5] ونحن الان امام آمراة تحدثت بها المصادر الإسلامية في بيان لصفات خديجة عليها السلام من كونها «امرأة حازمة، لبيدة[6]، شريفة»[7] وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسباً واعظمهم شرفاً واكثرهم مالًا لقد جاءت بعد خديجة نساء للنبي صلى الله عليه وآله لكن لم تكن واحدة بمقامها بل لم يقمن كلهن مقامها وكان هذا على لسان النبي صلى الله عليه وآله حيث قال «**ما ابدلني خيراً منها**»[8] وكان يقول «**فقد رزقت حبها**».[9]

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) ال يوسف، فوزي بن محمد بن تقي بن علي، انهما ناصران أبو طالب وخديجة، ط١، ١٤٤٢ هـ: ص٢٣، ٢٢.

(٣) ال يوسف، فوزي بن محمد بن تقي بن علي، انهما ناصران أبو طالب وخديجة، ط١، ١٤٤٢ هـ: ص٢٣، ٢٢.

(٤) ري الشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج٣، ص٢٧٤٦، نقلًا عن مجمع البيان: ج١٠، ص ٤٨.

(٥) ال يوسف، نفس المصدر السابق: ص٣٢.

(٦) لبيدة، وهي السيدة التي تكثر الإقامة في منزلها، لاتكاد تبرحه، كأنها متبلدة فيه. ليس عن مرض.

(٧) الطبري، أبو جعفر محمد بن جريد، تاريخ الطبري: ج٢ ص ٣٥.

(٨) العسكري، مرتضى بن محمد اسماعيل، احاديث ام المؤمنين عائشة: ج٢، ط١، ١٤١٨هـ: ص٢.

(٩) المازنداني، مولي محمد صالح، شرح اصول الكافي: ج٧، ص١١٤.

المبحث الثاني: قبسات من حياة السيدة خديجة عليها السلام

الاسرة الكريمة: ان خديجة عليها السلام تجتمع في نسبها المشرف مع النبي صلى الله عليه وآله في قصي الذي هو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وآله وهو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي سيد قريش في عصره، ورئيسهم[1] والجد الثالث لها وينتهي هذا النسب الكريم إلى شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام.[2]

الاب: هو خويلد الذي نازع ملك اليمن حين أراد أن يحمل الحجر الأسود معه إلى اليمن فتصدى له ولم ترهبه قوته وكثرة أنصاره حرصاً منه على هذا المنسك من مناسك دينه.[3]

الام: وهي الفاضلة فاطمة بنت زائدة بن الاصم بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر بن لؤي.[4]

كنيتها: في عصر الجاهلية كانت تكني العرب ابناءها منذ طفولتهم تكريما لهم واعتزازا بهم وكانت سيدة النساء خديجة عليها السلام تلقب بالطاهرة[5] وتلقب بسيدة قريش.[6]

صفات السيدة خديجة عليها السلام

اولاً: الصبر:

لقد صبرت ام المؤمنين على المحن والمصاعب التي أحاطت بها حينما تبنت الرسالة الإسلامية فقد واجهت الكثير من السب والشتم من قومها وقد هجرها نساء قريش لانتسابها إلى الإسلام.[7]

ثانياً: السخاء:

لقد كانت السيدة خديجة من الكرماء واهل الجود وكانت معروفة بذلك وقال عن ذلك أبو طالب

(١) الزركلي، خير الدين، الاعلام: ج٥، مكتبة الشيعة: ص١٩٨.
(٢) السيلاوي، غالب السيلاوي، الأنوار الساطعة، ط١، ١٤٢١ هـ: ص ٧.
(٣) الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الأثني عشر: ج١، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٢هـ: ص٤٢.
(٤) ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية: ج١، ط٣، مكتبة مصطفى البابي- مصر، ١٣٧٥هـ: ص١٨٩.
(٥) الشاكري، حسين الشاكري، ام المؤمنين خديجة الطاهرة، ط١، ١٤٢١هـ: ص٨٣.
(٦) الحمودي، خالد الحمودي، ام المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام، مكتبة جامع الكتب الإسلامية: ص٧.
(٧) القرشي، باقر بن شريف بن مهدي، ام المؤمنين السيدة خديجة، ط٣، دار المعروف، ١٤٣٤هـ: ص ١٧.

عندما خطبها لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله حيث قال: خاطب كريمتكم الموصوفة بالسخاء والعفة[١].

ومن كرمها وجودها انها منحت الفاضلة حليمة مرضعة النبي صلى الله عليه وآله أربعين شاة وبعيراً[٢].

ثالثاً: العفة

كانت مضرب مثل في طهارتها وسلامتها من كل دنس في مجتمع ندرت منه الخصال الشريفة التي ينبغي ان تتمتع بها المراة حيث كانت تلقب بالطاهرة[٣].

رابعاً: حبها للتجارة

كانت شديدة الميل للتجارة التي كانت سائدة وكان لها نشاط تجاري ملحوظ في مكة، ملكت الثراء العريق حتى صارت في طليعة تجار مكة[٤].

ما كان معيار خديجة للزواج؟

لم تكن تبحث عن الزعامة أو الجاه أو السلطة التي كانت متوفرة عند الزعماء الاخرين وكان معيارها الإسلام أي التقوى والتدين وحسن الخلق، فالعبرة إذا نذكر رجالنا ونسائنا وشبابنا وبناتنا بمعايير هذا الزواج المبارك.[٥]

قال الامام الصادق عليه السلام «**إذا تزوج الرجل المرأة لحسنها لمالها وكل إلى ذلك، وان تزوجها لدينها وفضلها رزقه الله المال والجمال**».[٦]

كل الذين تقدموا لخطبة السيدة خديجة عليها السلام كان يقدمون لها من المهور الثمينة ولكن مهرها من الرسول لم يكن بذلك المقدار ونستخلص عبرة أخرى من زواج السيدة خديجة التواضع في المهر وهو من الأمور المحببة لدى الله ورسوله لأنه يسهل عملية الزواج ويغلق باب الفساد.

قال تعالى ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ**

(١) السيلاوي، غالب السيلاوي، الأنوار الساطعة، ط١، ١٤٢١هـ: ص٣٧٣.

(٢) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٥، مكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ: ص٢١٥.

(٣) الهيثمي، ابو الحسن نور الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج٩، مكتبة القدسي القاهرة، ١٤١٤هـ: ص٢١٨.

(٤) القرشي، نفس المصدر السابق، ص ١٨.

(٥) نصر الله، حسن عبد الكريم، خطبة رمضانية، ١٥ رمضان، ١٤٤١ هـ.

(٦) القاضي، النعمان بن محمد بن منصور، دعائم الإسلام: ج٢، ص١٦٩، حديث (٧١٥).

﴿مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[1]

زواج السيدة خديجة من سيد الكونين:

وقصة زواج خديجة عليها السلام من رسول الله تعد منعطفا مهما ومن النقاط اللامعة في حياتها.[2]

عندما بلغ النبي محمد صلى الله عليه وآله سن الخامسة والعشرين من عمره الشريف كان لابد له من الاقتران بامرأة تتناسب إنسانيته وتتجاوب مع عظيم أهدافه وترتفع إلى مستوى حياته بما ينتظرها من جهاد وصبر لقد كان بإمكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وهو بهذه المؤهلات ان يتزوج من اية فتاة أرادها من بني هاشم ولكن مشيئة الله شاءت ان يتجه قلب خديجة عنده صلوات الله عليه.[3]

ولما خطب أبو طالب عليه السلام الخطبة المعروفة وعقد النكاح قام محمد صلى الله عليه وآله ليذهب مع أبي طالب فقالت خديجة عليها السلام: إلى بيتك، فبيتي بيتك وانا جاريتك.[4]

مساندة الزوج في المحن:

ان المرأة المؤمنة لها دور كبير في نجاح الزوج وتحقيقه لأهدافه العظيمة في الحياة، ولهذا فان رب العالمين اختار السيدة خديجة عليها السلام للنبي صلى الله عليه وآله في اصعب الظروف في حياته، في بداية دعوته: حالت سنوات المحنة والتعذيب، والتهجير إلى الحبشة والحصار في شعب أبي طالب فكانت نعم الانيس والمعين للنبي صلى الله عليه وآله وسلوة له من بين البشر.[5]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله **ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة**. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفك من مالها الغارم[6] والعاني[7] ويحمل الكل، ويعطي في النائبة ويرفد فقراء أصحابه اذ كان بمكة ويحمل من اراد منهم الهجرة وكان ينفق منه ما شاء في حياتها، ثم ورثها هو وولدها بعد مماتها.[8]

---

(١) سورة النور: الآية ٣٢.

(٢) المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام، اعلام الهداية: ج٣، ط١، ١٤٢٢هـ: ص٥٣.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٥٢.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٦، ص٤، نقلًا عن الخرائج ص ١٨٦، ١٨٧

(٥) الكاظمي، حبيب، نحو أسرة سعيدة، ط١ مكتبة سلمان المحمدي، ١٤٣٤هـ: ص١١٣/ ١١٤.

(٦) وهو المديون العاجز عن وفاة ديونه، المقدسي، احمد بن قدامة، المغني: ج٦، ص٣٣١.

(٧) العاني اي أطلقوا الاسير ومن المجاز فك الرقبه، الحسيني، محمد بن محمد، تاج العروس: ج٢٧، ص٢٩٨.

(٨) القزويني، محمد كاظم، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ط١، مؤسسة الرافد للمطبوعات، ١٤٣٢هـ: ص٢٥.

السيدة خديجة وهبت أموالها للنبي صلى الله عليه وآله

وهبت ام المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام جميع ما تملك من الأموال المنقولة وغيرها للنبي صلى الله عليه وآله وأمرت خادمها ميسرة باذاعة ذلك في أوساط قريش وقد أنفق النبي صلى الله عليه وآله جميع أموال خديجة على دعم الدعوة الإسلامية وتوحيد أركانها.[1]

قال السيد ابن طاووس: «ولما كان بمكة كان له مع ماله ومال كفيله وعمه أبي طالب مال خديجة التي يضرب بكثرة مالها الامثال»[2].

(١) القرشي، باقر بن شريف بن مهدي، ام المؤمنين السيدة خديجة، ط٣ دار المعروف، ١٤٣٤هـ: ص٤٨.

(٢) ابن طاووس، رضّي الدين علي بن موسى، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ط١، ١٣٩٩هـ: ص ٤٠٦.

المبحث الثالث: دور السيدة خديجة الرسالي

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[1].

ان هذا الأسلوب الشمولي لا يؤدي إلى تقوية العمل السياسي فحسب وانما يعمل على تمتين أواصر الحياة الاجتماعية وعلى سبيل المثال فعندما يريد رجل سياسي ان يهاجر لأجل ان يتمتع بحرية سياسية اكبر وتطرح امامه احتمالات الاعتقال والسجن والاغتيال فإننا نراه لا يستطيع إقناع زوجته وعائلته في حين ان الإنسان المؤمن على العكس من ذلك تماما فهو عندما ينطلق فان زوجته وأهله هم الذين يشجعونه ويدفعونه إلى العمل والتحرك والتضحية في سبيل الرسالة الإسلامية[2].

ومن الشخصيات التي كان لها دورا في تأسيس دعائم الدين السيدة الفاضلة خديجة بنت خويلد عليها السلام، حيث كانت لها أدوار مهمة في حياتها ومن هذه الأدوار[3]:

الدور الاول الرسالية في حمل التكاليف

قال تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[4].

امر بامتثال الأوامر الدينية وقد افرد الصلاة والزكاة بالذكر من بينها لكونهما ركنين في العبادات والمعاملات ثم جمع الجميع في قوله تعالى واطعن الله ورسوله وطاعة الله هي امتثال تكاليفه الشرعية وطاعة رسوله فيما يأمر به وينهى بالولاية المجعولة لهم من عند الله كما قال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[5].

ونجد ان السيدة خديجة عليها السلام تتلقى ثقل التكليف الشرعي بكل طمانينة وثبات وعزم حتى أصبحت المعين الوحيد لرسول الله في تلقي الامر الإلهي منذ نزول جبرائيل عليه السلام بالوحي والى يوم

(١) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٢) المدرّسي، محمد تقي، المرأة بين مهام الحياة ومسؤوليات الرسالة، ط١، دار محبي الحسين، ١٤٣٠هـ: ص٢٥.

(٣) الحسني، نبيل، خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة: ج١، ط١، مؤسسة الأعلمي بيروت، ١٤٣٢ هـ: ص٢٢.

(٤) سورة الأحزاب: الآية٣٣.

(٥) سورة الأحزاب: الآية٦.

فارقت الدنيا[١].

الدور الثاني الرسالية في الحياة الزوجية:

قوله تعالى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[٢].

لم يشهد البيت النبوي حياة نموذجية يضللها الهدوء والمودة والطمأنينة مثلما شهده بيت خديجة خلال ربع قرن أعطت منهجا خاصا في التربية الاسرية وينبغي على كل أسرة الأخذ به والعمل بسننه[٣].

ويكشف ذلك من خلال حزن النبي على فقدانه لخديجة حيث كان يرق قلبه عندما يذكر اسم خديجة بل وكان يكرم بعض النساء في المدينة لانهن كن على علاقة قديمة بها[٤].

قالت له خولة بنت الحكم «يارسول الله قد دخلتك خلة لفقد خديجة قال ﷺ: **أجل كانت ام العيال وربة البيت**»[٥].

الدور الثالث الرسالية في الامومة

حينما يلغى دور الامومة ومواصفاته المرسومة في العقيدة الإسلامية من قاموس ثقافتنا، ولا نعرف الطريق لتربية وإعداد المرأة لتكون الام المثالية فانها ستصبح اما ولا يعدو دورها في ان تكون مجرد وعاء للانجاب، لها حنانها وعطفها واهتمامها المادي بالوليد فحسب[٦].

ان الامومة في بيت خديجة عليها السلام اختلفت عن غيرها وذلك في اغداق من لم تلده خديجة في الامومة والحنان والعاطفة بمعنى أنها أعطت امومتها بفعل سجيتها النفسية لا الغريزية الهرمونية وهذا جانب رسالي تتفاضل فيه النساء، وحينما تحنوا على أبناء غيرها فضلا عن حرمانها وابتلائها بموت الولد وصبرها على ذلك[٧] قوله تعالى ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾[٨].

(١) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٦، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم: ص٣٠٩.
(٢) سورة الروم: الآية٢١.
(٣) الحسني، نبيل، خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة: ج١، ط١، مؤسسة الأعلمي بيروت ١٤٣٢هـ: ص٢٢.
(٤) الكاظمي، حبيب الكاظمي، نحو أسرة سعيدة، ط ١، مكتبة سلمان المحمدي، ١٤٣٤هـ: ص٦٨.
(٥) ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسين، تاريخ دمشق: ج٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص١٧٢.
(٦) المدرسي، محمد تقي، المرأة بين مهام الحياة ومسؤوليات الرسالة، ط١، دار محبي الحسين، ١٤٣٠هـ: ص٥٩.
(٧) الحسني، نفس المصدر السابق.
(٨) سورة الأحزاب: الآية ٦.

الدور الرابع الرسالية في الصبر والجهاد

ان الحياة بتجاربها اثبتت ان المرأة اقدر من الرجل في الصبر وحبس الألم ومواصلة الحياة على ما فيها من ضنك ولولا صبر المرأة على جدب الحياة وقلة اليد عند الكثير من الرجال لحرم الرجال على انفسهم ان يضلهم سقف أو ينتسب لهم ولد[١].

لقد وقفت ام المؤمنين خديجة إلى جانب الرسول تشد ازره وتعينه على احتمال أقسى ألوان الأذى والاضطهاد الذي كان يعانيه من قريش فقد روي عن ابن إسحاق قال: «كان رسول الله ﷺ لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه الا فرج الله له بخديجة عليها السلام اذا رجع اليها ثبتته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه»[٢].

الدور الخامس الرسالية في الدفاع عن القيم

كثيرون هم الذين يدافعون عن قيمهم ومبادئهم على اختلاف المفهوم والثقافات عند أصحاب المبادئ فقد يكون الربح مبدا من مبادى السوق وقد يكون السفور مبدأ من مبادئ العصرنة الا اننا نتحدث هنا عن الرسالية التي كانت دليلاً على الرسالة الإلهية الخاتمة بجميع الأديان[٣].

ان السيدة خديجة كانت تملك إرادة قوية فلم تنهار امام الاحداث الجسام التي أحاطت بها حينما أعلنت الإسلام وتبنت الدعوة المباركة ولم تحفل بالقوى المعارضة نساءً ورجالاً التي قاومتها بجميع طاقتها وهي تزداد مع ذلك حماساً ونشاطاً في الدفاع عن قيم الإسلام[٤].

المقامات النورانية

خص الله تعالى ام المؤمنين خديجة عليها السلام بألطاف لم تظفر بمثلها أي امرأة من نساء النبي ﷺ وغيرهن وكان من عظيم الطاف الله عز وجل انها ام الزهراء عليها السلام وهي جدة لسبطين النبوة والامامة الحسن والحسين عليهما السلام وجدة لأزكى امرأة زينب عليها السلام وهي جدة لحججه على عباده وامنائه الأئمة المعصومين.

---

(١) الحسني، نبيل،، خديجة أمة جمعت في امرأة: ج١، ط١، مؤسسة الأعلمي بيروت، ١٤٣٢هـ: ص٢٣.

(٢) القرشي، باقر بن شريف، حياة سيدة النساء فاطمة عليها السلام، دار الذخائر الإسلامية، ١٤٣٠هـ: ص٣٤.

(٣) الحسني، نفس المصدر السابق.

(٤) القرشي، باقر بن شريف، حياة المحرر الاعظم الرسول الاكرم محمد ﷺ ج١، ط٩، دار المعروف، ١٤٣٧ه ص٩٠.

وقد خصها الله عز وجل بمقامات نورانية على خدماتها العظيمة في مساندتها للرسول الاعظم صلى الله عليه وآله[1].

المقام الأول: الافضلية والسيدية والخيرية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله **«أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران»**[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله **«أربعة نسوة سادات عالمهن مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وأفضلهن عالما فاطمة»**[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله **«خير نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم»**[4].

وردت في الأحاديث المذكورة الالفاظ الثلاثة (الأفضلية والسيدية والخيرية) ولم تكن تصدر من الحضرة النبوية لغرض التساوي والترادف في المعاني وانما لكل لفضة دلالتها الخاصة بها

الأفضلية لاختصاصهن بمزايا لم تحصل عليها امرأة في زمانهن[5].

واما خير نساء الجنة لاجتماع الخير فيهن وتجليه مظاهر حياتية ملموسة فيما بين النساء وسيدات نساء الجنة لبلوغهن اليقين الذي لم يبلغها غيرهن من النساء.

المقام الثاني: اشتياق الجنة لخديجة عليها السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«اشتاقت الجنة إلى أربع من النساء مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد»**[6].

ان الشوق لا يكون الا من المحبة ولان الجنة هي موضع الطهر والقداسة ومحل عبادة الله المخلصين من الأنبياء والمرسلين وسيدهم اجمعين محمد صلى الله عليه وآله ومن والاهم وثبت على دينهم فان ذلك يكشف عن

(١) الحسني، نبيل، نفس المصدر السابق.
(٢) ائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب، فضائل الصحابة، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٥هـ: ص٧٤.
(٣) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج٣، ١٤٣٧هـ: ص٢١٥.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٣، ط٢ المصححة، ١٤٠٣هـ: ص٥١.
(٥) الحسني، نبيل، خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة: ج٢، دار المعروف، ١٤٣٤هـ: ص٣١٢.
(٦) الاربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة: ج٢، ١٣٨١هـ: ص٩٤.

أمور منها[1]:

١- ان اشتياق الجنة بدل على تحول هؤلاء وان كانوا في الدنيا من أهل الجنة فالجنة لا تشتاق الا لأهلها واحبائها والا لا معنى لتحقيق الشوق.

٢- ان هؤلاء النفر قد بلغوا رتبة عالية من طهارة الروح والبدن حتى اصبحوا من سنخية الجنة فحالهم من حال الجنة وجنسها.

٣- انهم من أهل العلم والعمل إذا لا فائدة من العلم مالم يكن مصحوبا بالعمل ولولا هذا العلم والعمل لما وصلوا إلى رتبة اشتياق الجنة.[2]

المقام الثالث: نالت بيتاً في الجنة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أمرت ان ابشر خديجة بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب**»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاتها: «**رايتها على نهر من انهار الجنة في بيت من قصب لا لغو فيه ولا نصب**»[4].

وهذه الأحاديث النبوية تكشف عن التكريم الخاص لمولاتنا خديجة عليها السلام وهي دلالة عن شرافتها في الجنة وإظهار لمقامها وشائنها وبمتييزها من خلال هذا الموقع والوصف عن بيوتات النساء الصديقات اللاتي بلغن مراتب الفضل والشرف كما يتمايز أهل الجاه والشرف والحظ في مجالسهم في الحياة الدنيوية[5].

المقام الرابع: التحيات من الله عز وجل

من المقامات النورانية للسيدة خديجة ان الله عز وجل أرسل لها تحيات حيث امر الله عز وجل جبرائيل عليه السلام ان يحمل تحيات وسلام اليها بتوسط عبده ورسوله عليه السلام فملأت نفسها الشريفة فرحاً[6]

(١) الحسني، نفس المصدر السابق.

(٢) الحسني، نفس المصدر السابق.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٦، ط٣ المصححة، ١٤٠٣، ص٧.

(٤) الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج٩، مكتبة القدسي القاهرة، ١٤١٤هـ: ص٤١٦.

(٥) الحسني، نبيل، خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة: ج٢، ط١، دار الأعلمي للمطبوعات، ١٤٣٢هـ: ص٣٢٨.

(٦) القرشي، باقر بن شريف بن مهدي، ام المؤمنين السيدة خديجة، ط٣، دار المعروف، ١٤٣٤هـ: ص١٩، ٢٠.

وردت التحية قائلة «ان الله هو السلام ومنه السلام واليه السلام وعلى جبرائيل السلام»[1].

لقد حظيت الطاهرة خديجة عليها السلام بمكانة عند رب العالمين تكريما لما فعلته من اجل الإسلام وبذلت كل ما لديها في إطاعة إمام زمانها والايمان به ولا نجد في القرآن التحيات من الله عز وجل الا السلام على الأنبياء والحقت مريم بنت عمران بذلك وهذه الرواية تثبت ان السلام يختص خديجة عليها السلام وهي بهذه المنزلة العظيمة والمكانة الرفيعة تستحق ان تنال مكان القدوة والاسوة على مر العصور فسلام الله على خديجة أم المؤمنين سيدة أهل الجنة في حديث عن أبي الحسن الأول عليه السلام ان رسول الله قال: «**ان الله اختار من النساء اربعاً مريم وآسية وخديجة وفاطمة**»[2].

(١) القندوزي، سليمان بن ابراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج٢، دار الاسوه: ص٤٨.

(٢) المجلسي، نفس المصدر السابق ج١٤ ط٢، ص٢٠١.

المبحث الرابع: دور المرأة في نجاح الاسرة:

قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1].

بلغت المرأة المسلمة منذ ظهور الإسلام وبداية الدعوة الإسلامية مكانة في المجتمع الإسلامي إلى حد لم يسبق له مثيل وان بلوغ ذلك المستوى الرفيع لأمر بالغ الأهمية في حياة الإنسانية عامة لما للمرأة من اثر كبير في تربية الأجيال وصناعة الابطال وغرس الفضائل وتثبيت القيم تغيير الحياة بالحب والمودة والرحمة وملىء البيوت بالأمن والراحة والسكن والرضا والاستقرار[2].

تنظيم الأسرة:

ان من الضرورة الملحة ان تتجه أجهزة الاعلام في الدول العربية والإسلامية إلى تنظيم الاسرة، والعمل على التنسيق بين افرادها بما يشمل الحياة الاقتصادية والاجتماعية والنفسية فان ذلك مما يوجب شيوع الاستقرار النفسي بين افراد المجتمع كما يعمل على تطوير الدولة وتقدمها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ويصبح المجتمع قدوة لغيره من سائر المجتمعات[3].

أهمية القدوة في بناء الاسرة

ان الثقافة ونمط القيم الذي يحكم مجتمعاً هو الذي ينتمي به إلى بر الأمان أو إلى الكارثة ويخطى من يظن ان المشكلة كلها في الحجاب والسفور في هذا المظهر أو ذاك المشكلة كل المشكلة في النموذج... هي في المثال والقدوة[4].

وهنا يأتي دور القدوة، ان لمن الملاحظ غياب القدوة الصالحة عند بعض الرجال والنساء:

فالرجل يتخذ بعضا من رموز الرياضة العالمية وما شابه قدوة له والمرأة قدوتها بعض المشاهير.

---

(١) سورة الروم: الآية ٢١.

(٢) إسلام حامد شاكر، دور المرأة المسلمة في تنمية الأسرة في ضوء الدراسات الحديثة دراسة دعوية: ص ١٧/ ١٨.

(٣) القرشي، باقر بن شريف بن مهدي، نظام الأسرة في الإسلام: ج٦، ط٥، مؤسسة الامام الحسن- الرافد، ١٤٣٥هـ: ص٢٧.

(٤) ال يوسف، فوزي بن محمد تقي بن علي، أنهما ناصران ابو طالب وخديجة، ط١، ١٤٤٢هـ: ص ١٦.

والحال ان المؤمن يعلم هدفه في الحياة ويسعى لتحقيقه متأثرا بسير أهل التقوى والصلاح والمؤمنة تنأس بالمؤمنات الصالحات طول التاريخ[١].

لابد من وقفة:

لقد اتضح من خلال البحث موقف السيدة الخديجة في مساندة قائد الدين الرسول الأعظم وكيف أن للمرأة دورا كبير في هذا المجال، كذلك نرى اليوم المرأة العراقية فلولا تشجيعها لزوجها وأولادها واخوانها لما كان الحشد الشعبي فحين صدرت فتوى السيد المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله الوارف على لسان وكيل المرجعية الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبة في الصحن الحسيني[٢].

وكعادتها قامت بإرسال زوجها وابنها إلى جبهات القتال والذي يعتبر تضحية وشجاعة منها لا تملكها كثير من النساء في العالم وجسدت صوراً من الدعم التي تدعم بها حشد الله منها كانت ترسل الطعام والكسوة للحشد.

السيدة خديجة إلى جنات الخلد

توفيت السيدة خديجة عليها السلام في شهر رمضان[٣] وكانت المدة التي عاشتها مع رسول الله أربع وعشرين سنه وقبل الهجرة بثلاث سنوات[٤].

اتفق المؤرخون على ان وفاة خديجة وأبي طالب عليهما السلام كانت في عام واحد وسمي عام الحزن[٥].

عندما توفيت خديجة اخذ رسول الله في تجهيزها وغسلها وحنطها فلما أراد ان يكفنها هبط الأمين جبرائيل وقال «**يا رسول الله ان الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك يا محمد ان كفن خديجة من عندنا فإنها بذلت مالها في سبيلنا، فجاء جبرائيل بكفن وقال يا رسول الله هذا كفن خديجة وهو من اكفان الجنة اهداه الله اليها**».[٦]

فكفنها رسول الله بردائه الشريف اولاً وبما جاء به جبرائيل ثانياً فكان لها كفنان كفن من الله

(١) الكاظمي، حبيب، نحو أسرة سعيدة، ط١، مكتبة سلمان المحمدي، ١٤٣٤ه ص١٠.
(٢) الكربلائي، عبد المهدي، خطبة الجمعة ١٥ شعبان، ١٤٣٥.
(٣) الاربلي، علي ين عيسى، كشف الغمة: ج١، ١٣٨١ه: ص٥١١.
(٤) ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبدالله، الاستيعاب في معرفة الاصحاب: ج٤، نهضة مصر بالقاهرة، ١٣٨٠ه: ص١٨٢٥.
(٥) غلوش، احمد احمد، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤ه: ص٣٦١.
(٦) الحائري، محمد مهدي، شجرة طوبى: ج٢، ط٥، ١٣٨٥ه: ص٢٣٥.

وكفن من رسول الله حيث عند احتضارها قالت لفاطمة عليها السلام «يا حبيبتي وقرة عيني قولي لأبيك ان امي تقول اني خائفة من القبر اريد منك ردائك الذي لبسته حين نزول الوحي تكفنني فيه فأعطاها الرداء»[1].

لقد دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة خديجة الحزن الشديد والأسى البالغ والوحشة الكبيرة مالا نظير له «حتى خشي عليه»[2].

منزلة السيدة خديجة عند أئمة أهل البيت

كما ان السيدة خديجة حظيت بمنزلة عند الله عز وجل وعند رسول الله صلى الله عليه وآله فانها نالت منزلة عند أئمة أهل البيت عليهم السلام.

منزلتها عند الامام الحسن عليه السلام

افتخر الامام الحسن عليه السلام بجدته وذلك: عندما خطب الباغي ابن الباغية معاوية في الكوفة ونال من وصي رسول الله فقام إليه الحسين فمنعه الحسن عليه السلام ثم قال: «**أيها الذاكر علياً انا الحسن وابي علي وانت معاوية وابوك صخر وامي فاطمة وأمك هند وجدي رسول الله وجدك حرب وجدتي خديجة وجدتك قتيلة**»[3].

منزلتها عند الامام الحسين عليه السلام

واعتز الامام الحسين عليه السلام بجدته امام الفجرة المجرمين من أهل الكوفة في صعيد كربلاء قائلا: «**هل تعلمون ان جدتي خديجة عليها السلام اول نساء هذه الامة إسلاماً**»[4].

منزلتها عند الامام زين العابدين عليه السلام

وذكر الامام زين العابدين عليه السلام جدته قائلاً: «**انا ابن فاطمة الزهراء انا ابن خديجة الكبرى**».[5]

(١) الحسني، نبيل، خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة ج٤، ط١، ١٤٣١هـ: ص ١٠٢.

(٢) العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد، الاصابة في تميّز الصحابة: ج٨، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٥هـ: ص١٠٢.

(٣) العاملي، علي الكوراني، جواهر التاريخ: ج٣، ص ١١١.

(٤) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، الامالي، ط١، ١٤١٧هـ: ص ٢٢٢.

(٥) موسوعة الأمام الحسين لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، ص٦٢٨.

كما ذكرها في ادعيته عليه السلام حيث يقول: «**اللهم صل على محمد المصطفى وعلى المرتضى وفاطمة الزهراء وخديجة الكبرى**».[1].

منزلتها عند الامام الحسن العسكري عليه السلام

واعتز بها الامام الحسن العسكري عليه السلام فصلى على الزهراء وعلى أمها عليهما السلام: فصلى عليها أي الزهراء وعلى امها خديجة الكبرى.[2].

(١) الامام زين العابدين، علي ابن الحسين، الصيحفة السجادية (الابطحي)، ص ٤٠٠.

(٢) ابن طاووس، رضي الدين علي بن موس بن جعفر، ط١، ١٣٧١ هـ: ص٢٩٧.

نتائج البحث

أهم ما توصل إليه البحث من نتائج:

ان حياة السيدة خديجة عليها السلام تقدم لنا العديد من الدروس والعبر التي يمكننا الاستفادة منها في حياتنا

أولا- الأخلاق والقيم: تميزت خديجة بالأمانة والصدق، وكانت تُعرف بلقب «الطاهرة». تعكس هذه الصفات أهمية الأخلاق في الحياة اليومية.

ثانياً- الدعم الروحي والمادي: كانت أول من آمن برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقدمت الدعم المالي والمعنوي، مما يدل على قوة العلاقة بين الزوجين وأهمية الدعم في تحقيق الاهداف كما انها قدمت الدعم الكبير للنبي في بداية الدعوة الإسلامية، وهذا يُظهر أهمية الدعم العائلي في مواجهة التحديات.

ثالثاً- المرأة المثالية: تُعتبر خديجة نموذجًا للمرأة المسلمة القوية التي تجمع بين النجاح في الحياة العملية والتفاني في الدين

رابعا- العطاء والتضحية: ضحت بخيراتها وراحتها من أجل دعم الدعوة الإسلامية، مما يعكس قيم العطاء والإيثار.

خامساً - التربية: لعبت دورًا أساسيًا في تربية أبنائها، مما يُظهر أهمية التربية في بناء جيل يحمل القيم والمبادئ

سادساً - الاحترام والتقدير: تُحظى السيدة خديجة باحترام خاص في التراث الشيعي، حيث يُنظر إليها كنموذج للفضيلة والكرامة.

توصيات البحث

بناء على ما توصلت إليه الباحثة من نتائج توصي الباحثة بما يأتي:

١. تعزيز التربية الأخلاقية: دمج قيم القدوة والأسوة في المناهج الدراسية لتعزيز الأخلاق والسلوكيات الإيجابية لدى الطلاب.

٢. تسليط الضوء على الشخصيات الملهمة: دراسة الشخصيات التاريخية والدينية المعروفة كقدوة وأسوة، وتقديم تجاربهم كأمثلة يُحتذى بها.

٣. تنمية مهارات القيادة: تنظيم ورش عمل وندوات لتعليم مهارات القيادة الفعالة، وتأكيد أهمية الاقتداء بالقيم النبيلة.

٤. البحث في تأثير القدوة: إجراء دراسات ميدانية لقياس تأثير القدوة والأسوة على سلوك الأفراد في مختلف المجتمعات.

٥. تطوير برامج توعية: إنشاء برامج توعية تشجع الأفراد على اختيار القدوات الإيجابية في حياتهم اليومية.

٦. تشجيع النقاشات العامة: تنظيم حلقات نقاش حول أهمية القدوة والأسوة في تعزيز القيم الاجتماعية والإنسانية.

٧. تفعيل دور الإعلام: توظيف وسائل الإعلام لنشر قصص نجاح شخصيات تعتبر قدوة في مختلف المجالات.

٨. تشجيع العمل التطوعي: تعزيز روح العمل التطوعي كقدوة مجتمعية تساهم في تنمية الوعي الجماعي بالقيم الإنسانية.

بتطبيق هذه التوصيات، يمكن تعزيز مفهوم القدوة والأسوة في المجتمع بشكل فعال.

ختاماً الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ابي الزهراء محمد ﷺ

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، مكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن حسين، تاريخ دمشق، ج٣، دار الفكر للطباعة.
- ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ١٣٩٩هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ج١٤، ج١٥.
- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، مكتبة مصطفى البابي، مصر، ١٣٧٥هـ.
- آل يوسف، فوزي بن محمد تقي بن علي، أنهما ناصران أبو طالب وخديجة، ١٤٤٢هـ.
- أحمد، مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، ج٢، دار عالم الكتب، ١٤٢٩هـ.
- الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة، ج٢، ١٣٨١هـ.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق بيروت، ١٤١٢هـ.
- الحائري، محمد مهدي، شجرة طوبي، ج٢، ١٣٨٥هـ.
- الحسني، نبيل، خديجة بنت خويلد: أمة جمعت في امرأة، ج٢، مؤسسة الإعلامي، بيروت، ١٤٣٢هـ.
- الحسني، هاشم معروف، سير الأئمة الاثني عشر، ج١، المكتبة، ١٣٨٢هـ.
- الحمودي، خالد، أم المؤمنين خديجة عليها السلام، مكتبة جامع الكتب الإسلامية.
- الخميني، روح الله بن مصطفى بن أحمد، كلمته إلى الحجاج بيت الله الحرام بتاريخ ٨ ذو القعدة، ١٣٩٩هـ.
- السيلاوي، غالب، الأنوار الساطعة، ١٤٢١هـ.
- الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١٦، ج٣، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٢.

- العاملي، عبد الحسين شرف الدين، المراجعات، دار القارئ، ١٤٢٨هـ.
- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- العسكري، مرتضى بن محمد إسماعيل، أحاديث أم المؤمنين عائشة، ج٢، ١٤١٨هـ.
- القرشي، باقر بن شريف بن مهدي، أم المؤمنين سيدة خديجة، دار المعروف، ١٤٣٤هـ.
- القرشي، باقر بن شريف بن مهدي، حياة المحرر الأعظم الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، ج١، ١٤٣٧هـ.
- القرشي، باقر بن شريف بن مهدي، سيدة النساء فاطمة، دار الذخائر الإسلامية، ١٤٣٠هـ.
- القرشي، باقر بن شريف بن مهدي، نظام الأسرة في الإسلام، ج٦، مؤسسة الإمام الحسن - الرافد، ١٤٣٥هـ.
- القزويني، محمد كاظم، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، مؤسسة الرافد للمطبوعات، ١٤٣٢هـ.
- القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج٢، ج١.
- الكاظمي، حبيب، نحو أسرة سعيدة، مكتبة سلمان المحمد، ١٤٣٤هـ.
- الكربلائي، عبد المهدي، خطبة الجمعة ١٤ رمضان ١٤٣٥هـ.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٤، ج١٦، ج٤٣، ج٩١، الطبعة الثالثة المصححة.
- المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، إعلام الهداية، ج٣، ١٤٢٢هـ.
- المدرسي، محمد تقي، المرأة بين مهام الحياة ومسؤوليات الرسالة، دار محبي الحسين، ١٤٣٠هـ.
- مسعود، جبران، معجم الرائد.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، فضائل الصحابة، الكتب العلمية، بيروت.
- نصر الله، حسن عبد الكريم، خطبة ١٥ رمضان، ١٤٤١هـ.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٩، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ.
- ري شهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٣، نقلاً عن مجمع البيان، ج١٠.
- شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ١٣٧٦هـ.
- شاكر، إسلام حامد، دور المرأة المسلمة في تنمية الأسرة في ضوء الدراسة الحديثة: دراسة دعوية.
- الشاكري، حسين، أم المؤمنين خديجة الطاهرة، ١٤٢١هـ.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب لمعرفة الأصحاب، ج٤، نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
- غلوش، أحمد أحمد، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ.
- القاضي، النعمان بن محمد بن منصور، دعائم الإسلام، ج٢، حديث (٧١٥).
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ.
- بدران، حسن، القدوة الأهمية وتحولات الدور، منتدى الفكر اللبناني، بيروت، ١٤٣٢هـ.

العفة والستر عن عقيدة وفكر

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

الباحثة: هدى جاسم نعمة

الملخص

ان البحث موسوم بـ (العفة والستر عن عقيدة وفكر، السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام) ويتكون من مبحثين، المبحث الأول بعنوان (بيان مفهوم العفة والستر والعقيدة والفكر) وكان ذلك في مطلبين: الأول بيان مفهوم العفة والستر، والثاني بيان مفهوم العقيدة والفكر، وايضاح المفهوم ببيان معناه في بعض آيات القرآن الكريم التي تحوي على احدا هذه الألفاظ الأربعة، وبعد ذلك بيان معناها في اللغة وفي الاصطلاح، وانما بدأنا بالقرآن الكريم لأنه اساس التشريع وفيه أوضح المعاني.

اما المبحث الثاني بعنوان (العفة والستر عن عقيدة وفكر، السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان ذلك في مطلبين: الأول، العفة والستر عن عقيدة وفكر، وفيه ايضاح ان التعفف والستر لا يمكن ان يكون عن تقليد وعدم قناعة ذاتية من قبل المرأة فالمرأة المتعففة خارجيا لابد ان تكون متعففة داخليا فهذا الأخير يسمو على الأول، فهو عن أعتقاد فكري، والثاني عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بأعتبارها مصداق للعفة والستر.

وكان المحور في ذلك محور عقدي فكري، يمثل ترسيخ الهوية الإسلامية للمرأة، وهذا ما تمثله مشكلة البحث، بأن عفاف المرأة وسترها يكون بتعزيز الثوابت الفكرية والعقدية لديها، وبعد ذلك اردفنا أهم النتائج التي توصل اليها البحث، وفي ملخصها ان الدين الأسلامي جاء لصيانة المرأة ورفع قيمتها وتجنب معاملتها كأنها سلعة أو صورة أو ثوب كل من هب ودب ينظر اليها ويعطيها درجة في الصفات الخارجية، ثم ادراجنا أهم المصادر والمراجع التي تم الرجوع اليها من أجل أتمام الدراسة.

ومن أبرز النتائج التي توصل اليها البحث:

هي كف النفس عن المحرمات واجتناب مالا يحمد، اي أن العفة لا تعني فقط التحجب والستر الظاهري بل يتبعه ستر باطني، كما ان النظرة البريئة قد تؤدي إلى نظرة غير بريئة، فبأغلاق هذه النافذة يرتاح الأنسان، وليس من الصحيح ان يقول الرجل أنا مطمئن من نفسي أو تقول المرأة انا مطمئنة من نفسي، فأن الشيطان لم يترك حتى النبي ادم عليه السلام وغيره من الأنبياء، كما ان اساس العفة والستر هو العقيدة والفكر السليم الذي يدفع الأنسان نحو النجاة وجنة الخلد.

الكلمات المفتاحية: العفة، الستر، العقيدة، الفكر، عفة فاطمة الزهراء عليها السلام وحجابها.

المقدمة

من الجوانب المهمة التي تركز عليها الشريعة الإسلامية هي العقيدة الصحيحة والثابتة فبها تكون أعمال الأنسان كلها ثابتة وصحيحة ومن هذه الأعمال العفة والستر، فالعفاف والستر سواء كان خارجيا أو ظاهرا، ماديا أو معنويا، فهو يحافظ على الأنسان من الأنحراف والأنزلاق عن الطريق المستقيم، كما ان مصداق ذلك السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي مثال العفّة والشرف والكبرياء والعظمة، ما كانت تخرج من بيتها إلّا متستّرة ملتفّة بعباءتها أو عباءة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، حتّى أنَّه عندما خرجت من بيتها بعد وفاة أبيها إلى مجلس أبي بكر أمرت أن ينصب لها ستار بينها وبين أبي بكر، وهكذا كانت إذا تكلّمت مع أيّ إنسان قصدها لحاجة أو لمسألة كانت تحتجب عنه عفّة وصيانة.

اهمية البحث وضرورته

وتكمن أهمية البحث، في معرفة وأدراك ان العفاف والستر من الأمور المهمة جدا في الشريعة الإسلامية وهو ما دعت إليه وشجعت عليه، فبها يُصان المجتمع، وهي أعظم الفضائل الأخلاقية والإنسانية، ولا يمكن لأي شخص ان يسير نحو الكمال الإلهي من دون التحلي بها، اذ ترفع كرامة الإنسان وشخصيته وسمعته.

هدف البحث

ان من خلال هذه الكلمات المتواضعة يطمح البحث إلى الاقلال من ظواهر الانحراف والفتن التي تدفع بالإنسان إلى الهاوي، اعتقادا منه انه على صواب، فالعفة وما يتبعها لا يمكن ان تكون في جهة دون اخرى، فمثلا.

تقول انا عفيفة ومستورة الا ان ظاهرها لا يدل على ذلك فهي كاشفة عن شعرها وملابسها ضيقة، فالعفة باطنية وظاهرية وهذا ما يهدف إليه البحث.

أهم الدراسات حول الموضوع

١- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر عبد الكريم العلي العقل، الناشر: دار الوطن.

٢- موسوعة أهل البيت عليهم السلام، علي عاشور، الناشر: دار نظير(عبود)- بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ق.

٣- الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام: أسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني (١٤٣٠هـ)، الناشر: دليل- قم، ط١، ١٤٢٨ق.

خطة البحث ومنهجه

يتألف البحث من مبحثين: المبحث الأول موسوم ب(بيان مفهوم العفة والستر والعقيدة والفكر) وفيه مطلبين: المطلب الأول: بيان مفهوم العفة والستر، والمطلب الثاني: بيان مفهوم العقيدة والفكر.

المبحث الثاني موسوم بـ (العفة والستر عن عقيدة وفكر، السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام) وفيه المطلب الأول: العفة والستر عن عقيدة وفكر، والمطلب الثاني: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وبعد ذلك أدرجنا أهم النتائج التي توصل اليها البحث ومن ثم أدرجنا أهم المصادر والمراجع، اما المنهج المتبع تفسيري تحليلي عقائدي فكري.

المبحث الأول: بيان مفهوم العفة والستر والعقيدة والفكر

في بداية الأمر لابدَ من معرفة مفاهيم الكلمات الأربعة (العفة والستر والعقيدة والفكر)، بيان مفهومها في القرآن الكريم لأنه أساس التشريع، وبعد ذلك معرفة مفهومها لغةً وأصطلاحاً.

وكان ذلك في مبحثين كل مبحث يتكون من نقطتين، المبحث الأول بيان مفهوم كلمة العفة، وبيان مفهوم كلمة الستر، اما المبحث الثاني يتكون من بيان مفهوم كلمة العقيدة، وبيان مفهوم كلمة الفكر.

المطلب الأول: بيان مفهوم العفة والستر

اولاً: بيان مفهوم كلمة العفة

لقد ذكرت كلمة العفة في القرآن الكريم أكثر من مرة، منها في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]، هو طلب العفة بلبس الجلابيب[2]، «اي أن الأحتجاب خير لهن من وضع الثياب»[3]، فالإسلام يرغب في أن تكون المرأة أكثر عفة وأنقى وأطهر[4]، وتشير الآية القرآنية وتوصي بالعفة والطهارة بل لا بد من الصبر، ولا يجوز الأقدام على معصية بأي حال من الأحوال، فعلى الشباب أن يحافظوا على أنفسهم، كما أن الطهر والعفة هما أفضل قيمة للمرأة[5].

وقوله تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[6].

ففي معنى الآية الكريمة أن الله عزوجل أمر من لا يجد السبيل إلى أن يتزوج، أن يتعفّف، ولا

(١) سورة النور: الآية ٦٠.

(٢) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ابي علي الفضل الحسن الطبرسي(من أعلام القرن السادس الهجري)، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٥هـ.٢٠٠٥م: ج٧ ص٢٧١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، تحقيق: أياد باقر سلمان، قدم له: كمال الحيدري، الناشر: دار أحياء التراث العربي بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ.٢٠٠٦م: ج١٥ ص١٣٣.

(٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، منشوراتمؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ.٢٠٠٧م: ج٩ ص١٢٨.

(٥) ينظر: تفسير النور: محسن قراءتي، ترجمة: أحمد حسين عطية بكر، دار المؤرخ العربي بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ.٢٠١٤م: ج٦ ص١٦٦- ١٦٧.

(٦) سورة النور: الآية ٣٣.

يدخل في الفاحشة، ويصبر حتّى يغنيه الله من فضله[١]، والأستعفاف والتعفف قريباً بالمعنى وفي معناه التحرز عن الوقوع في الزنا[٢]، فيجب تجنب التلوث والفساد، وذلك بقوة الإيمان والشخصية القوية.

١- العفة لغة:

العين والفاء أصلان صحيحان: أحدهما الكف عن القبيح، والآخر دال على قلة شيء[٣]، والكف عما لا يحل ويجمل، عف عن المحارم والأطماع الدنية يعف عفة وعفا وعفافا وعفافة، فهو عفيف وعف، أي كف وتعفف واستعفف وأعفه الله، والإستعفاف: طلب العفاف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس، أي من طلب العفة وتكلفها أعطاه الله إياها، وقيل: الإستعفاف الصبر والنزاهة عن الشيء، والعفيفة من النساء السيدة الخيرة. وامرأة عفيفة: عفة الفرج، ونسوة عفائف[٤]، و«العفة ترك الشهوات من كل شيء وغلب في حفظ الفرج مما لا يحل، والعفيفة المتصفة بالعفة والسيدة الخيرة»[٥].

٢- العفة أصطلاحاً:

للعفة تعاريف مختلفة الا انها تصب في معنى واحد متقارب، وهو الابتعاد عن الرذائل والفواحش، التي من شأنها فساد روح الأنسان وقلبه وعقله ومن هذه التعاريف:

أولاً: هي «هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطها فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة»[٦].

ثانياً: هي «ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، تصحيح وتدقيق: مركز الأمام الحسن المجتبى للتحقيق والدراسات، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣١هـ. ٢٠١٠م: ج٧ ص٣٥٢. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٧ ص٢٤٥.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج١٥ ص٩١.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(ت٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ج٤ص٣.

(٤) ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور(ت٧١١هـ)، الناشر: دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ج٩ ص٢٥٣.

(٥) المعجم الوسيط: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، ١٣٩٢هـ.١٩٧٢م: ج٢ ص٦١١.

(٦) التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ.١٩٨٣م: ص١٥١.

فقط، واجتناب السرف في جميع الملذات وقصد الاعتدال»[١].

ثالثاً: هي ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة من إفراط وهو الشره وتفريط وهو جمود الشهوة[٢].

رابعاً: هي كف النفس عن المحرمات، وأجتناب ما لا يحمد، والعفة كنز ما لا مال له، والمرأة العفيفة هي المرأة الخيّرة التي تصون عرضها وشرفها[٣].

ثانياً: بيان مفهوم كلمة الستر

لقد وردت لفظة الستر في القرآن الكريم في مواضع متعددة منها في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾[٤].

كلمة الستر في الآية المباركة تعني أن المشركين عندما يقرأ النبيﷺ القرآن، يجعل الله بينك وبينهم حجاباً من أن يدركوا ما فيه من الحكمة وينتفعوا به، (مستوراً) عن أبصار الناس، أو بمعنى ساتراً عن أدراكه[٥]، اذ أن الله حجب رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن، وكانوا يأتونه ويمرون به، ولا يرونه[٦].

وهذا الحجاب والساتر هو نفسه التعصب واللجاجة والغرور والجهل حيث تقوم هذه الصفات بصد حقائق القرآن عن أفكارهم وعقولهم، ولا تسمح لهم بأدراك الحقائق الواضحة مثل التوحيد والمعاد وصدق الرسول في دعوته وغير ذلك[٧].

وقوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا**﴾[٨].

(١) تهذيب الأخلاق: عمب بن بحر الجاحظ، قرأه وعلق عليه: أبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث، ط١، ١٤١٠هـ.١٩٨٩م: ص٢١.

(٢) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام- القاهرة، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م: ٢٢٤.

(٣) ينظر: الأخلاق والأداب الإسلامية: هيئة محمد الأمين، برنامج الأخلاق والأداب الإسلامية، الناشر: دار الأنصار، ط٣، ١٤٢٧هـ.٢٠٠٦م: ص ٤٣٨.

(٤) سورة الإسراء: الآية٤٥.

(٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ج ٦ ص٤٣٥.

(٦) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٦ ص٢٥٦.

(٧) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٧ ص٣١٠.

(٨) سورة الكهف: الآية٩٠.

كلمة الستر هنا تدل على مطلق الستر من جبل أو شجر أو بناء، أي إنه لم يكن بتلك الأرض جبل ولا شجر، ولا بناء، لأن أرضهم لم يكن يبنى عليها بناء، فكانوا أذا طلعت الشمس عليهم يغورون في المياه والأسراب، وأذا غربت تصرفوا في أمورهم(١).

وروي عن أبي جعفر عليه السلام، قال «لم يعلموا صنعة البيوت»(٢)، ومنها لم يعلموا «صنعة الثياب»(٣)، في اللفظ كناية عن أن حياة هؤلاء الناس بدائية جداً، ولا يملكون سوى القليل من الملابس التي لا تكفي لتغطية أبدانهم من الشمس(٤)، وكانوا لا يسترهم من الشمس شيء حتى أصبحت وجوههم سوداً(٥).

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٦).

فمعنى تستترون في الآية المباركة معنوي أكثر مما يكون مادي، فالستر مرة يكون عن الذنوب والمعاصي بتركها، اي تتقون(٧)، وأن الله عز وجل خالق كل شيء لا موجد غيره فلا يحول بين خلقه وبينه شيء ولا يحجب خلقه من حاجب فهو تعالى مع كل شيء أينما كان وكيفما كان(٨)، كما يروي المفسرون أن الآية نزلت في ثلاثة نفر من كفار قريش وطائفة من بني ثقيف ذوي بطون كبيرة ورؤوس صغيرة اجتمعوا بجوار الكعبة وهم يتسارّون، فقال أحدهم: أتظنون أن الله: يسمع كلامنا وحديثنا هذا؟ فأجاب آخر: تكلم بهدوء واخفض صوتك، فإذا تحدثنا بصوت عال فهو (أي الله جل جلاله) يسمعه، وإذا خفضنا أصواتنا فلا يسمعنا. فقال الثالث: إذا كان الله يسمع الكلام العالي فهو حتماً يسمع الصوت الضعيف أيضاً(٩).

وفي حال كان الستر بمعنى اللباس، فمنها قوله تعالى: **﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾**(١٠).

(١) التبيان في تفسير القرآن: ج ٧ص٧٤.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٦ص٣٨٢.
(٣) الميزان في تفسير القرآن: ج١٣ص٣٠٤.
(٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٧ص٥٧٥.
(٥) ينظر: تفسير النور: ج٥ ص٢٠٥.
(٦) سورة فصلت: الآية ٢٢.
(٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ج٩ص٩٤.
(٨) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ج١٧ص٣١١.
(٩) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٢ ص١٧١.
(١٠) سورة الأعراف: الآية ٢٦.

اللباس في الآية الباركة كلما يصلح للبس من ثوب أو غيره من نحو الدرع، أو ما يغشى به البيت من كسوة[1].

اي انه كل ما يصلح للبس وستر البدن وغيره، والباس هو الذي يعمله الإنسان صالحاً لأن يستعمله بالفعل دون المواد الأصلية من قطن أو صوف أو حرير أو غير ذلك مما يأخذه الإنسان فيضيف إليه أعمالاً صناعية من تصفية وغزل ونسج وقطع وخياطة فيصير لباساً صالحاً للبس فعد اللباس من خلق الله وهو من عمل الإنسان نظير ما في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[2]من النسبة، ولا فرق من جهة النظر في التكوين بين نسبة ما عمله الإنسان إلى الله سبحانه وما عمله منته إلى أسباب جمة أحدها الإنسان، ونسبة سائر ما عملته الطبائع ولها أسباب كثيرة أحدها الفاعل كنبات الأرض وصفرة الذهب وحلاوة العسل فإن جميع الأسباب بجميع ما فيها من القدرة منتهية إليه سبحانه وهو محيط بها.

وتوصيف اللباس في الآية للدلالة على أن المراد باللباس ما ترفع به حاجة الإنسان التي اضطرته إلى اتخاذ اللباس وهي مواراة سوآته التي يسوؤه انكشافها، وفيها دلالة على إباحة لباس الزينة. وبعد ذلك بينة الآية كما يوجد لباس ظاهر كذلك يوجد لباس باطن وهو لباس التقوى الذي يواري السوآت الباطنية التي يسوء الإنسان ظهورها وهي رذائل المعاصي من الشرك وغيره وهذا اللباس هو التقوى الذي أمر الله به[3].

وألم ظهور السوآت الباطنية أشد وأمر وأبقى فالمحاسب هو الله، والتبعة شقوة لازمة، ونار تطلع على الأفئدة، ولذلك كان لباس التقوى خيراً من لباس الظاهر، فاللباس الذي اهتدى إليه الإنسان ليرفع به حاجته إلى مواراة سوآته التي يسوؤه ظهورها آية إلهية إن تأمله الإنسان وتبصر به تذكر أن له سوات باطنية تسوؤه إن ظهرت وهي رذائل النفس، وسترها عليه أوجب وألزم من ستر السوآت الظاهرية بلباس الظاهر واللباس الذي يسترها ويرفع حاجة الإنسان الضرورية هو لباس التقوى الذي أمر الله به وبينه بلسان أنبيائه[4].

١ – الستر لغةً:

---

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ج٤ ص٣٤٧.
(٢) سورة الصافات: الآية ٩٦.
(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ج٨ ص٥٨.
(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ج٨ ص٥٩.

هو تغطيةُ الشَّيءِ، وهو مصدَرُ: ستَرَ الشَّيءَ يَستُرُه ويَسترِه سَتْرًا وسَتَرًا، أي: غطَّاه أو أخفاه، والسِّترُ والسُّترةُ والمِستَرُ والسِّتارُ والسِّتارةُ: ما يُستتَرُ به[1]، و«الفرق بين الستر والغطاء: أن الستر ما يسترك عن غيرك وإن لم يكن ملاصقا لك مثل الحائط والجبل، والغطاء لا يكون إلَّا ملاصقا ألا ترى إنك تقول تسترت بالحيطان ولا تقول تغطيت بالحيطان وإنما تغطيت بالثياب لانها ملاصقة لك، والغشاء أيضا لا يكون إلَّا ملاصقا»[2]، والخدر الستر[3].

(٢) الستر أصطلاحا:

للستر معنى حسي اي عن الذنوب والمعاصي والمحرمات، ومعنى مادي اي ستر البدن وكلا المعنيين يصب في معنى واحد، فما فائدة الستر المادي إذا لم يوجد الستر المعنوي، وفي ذلك عدة تعاريف:

اولاً: السّتر على المسلم تغطية عيوبه، وإخفاء هناته[4].

ثانياً: ستر مسلما «أي رآه على قبيح فلم يظهره للنّاس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، ومن السّتر أيضا: أن يستتر الإنسان إذا وقع منه شيء»[5]، والّذي يظهر أنَّ السّتر محلّه في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التّلبّس بها فيجب عليه الإنكار وإلّا رفعه إلى الحاكم[6].

ثالثاً: كل ما سترك عما يغنيك وقيل غطاء الكون، وقد يكون الوقوف مع العادات وقد يكون الوقوف مع نتائج الأعمال[7].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ج٣ ص١٣٢. ينظر: لسان العرب: ج٤ ص٣٤٣، ٣٤٤.

(٢) معجم الفروق اللغوية: الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري (كان حَيًّا ٣٩٥هـ)، وجزءًا من من كتاب «فروق اللغات» لنور الدين بن نعمة الله الجزائري(ت١١٥٨هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قُمّ)، ط١، ١٤١٢هـ: ص٢٧٢.

(٣) ينظر: مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م: ص٨٨.

(٤) ينظر: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري(ت٦٥٦هـ)، ضبط أحاديثه، وعلق عليه: مصطفى محمد عماره، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ.١٩٨٨م: ج٣ ص٢٣٧.

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- لبنان، ط٢: ج٥ ص٧١.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب- القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م: ص ١٩٠.

المطلب الثاني: بيان مفهوم لفظة العقيدة والفكر

اولاً: بيان مفهوم لفظة العقيدة

لم ترد لفظة العقيدة صراحة في القران الكريم، وكانت بلفظ العُقدة في مواضع متعددة من القرآن الكريم منها في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾(١)، فمعنى العُقد هنا، هو العقدة فأن العادة جرت من حل عقدة نفث فيها(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي**﴾(٣)، «اي عقدة تمنع من فقه قولي»(٤).

وقوله تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا**﴾(٥)، اي يرثون مما ترك الذين عقدت أيمانكم(٦).

اما في قوله تعالى: ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ**﴾(٧)، اي يؤاخذكم بالذي عاقدتم عليه(٨)، وما عقدت عليه قلبك وتعمدته(٩)، ثم انتقل معنى العقدة إلى الأمور المعنوية، فأطلق على كل إتفاق وعهد اسم العقد، فعقد الأيمان – كما في الآية – يعني التعهد بكل جد وعزم وتصميم على أمر ما بموجب القسم(١٠).

١ – العقيدة لغةً:

العقيدة في اللغة: من العقد؛ وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثق، والشد بقوة، والتماسك، والمراصة، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم. والعقد نقيض الحل، ويقال: عقدا وتعاقدا وعقدة، ومنه عقدة اليمين والنكاح(١١).

---

(١) سورة الفلق: الآية ٤.
(٢) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١٠ ص٤٩٣.
(٣) سورة طه: الآية ٢٧.
(٤) الميزان في تفسير القرآن: ج١٤ ص١١٩.
(٥) سورة النساء: الآية ٣٣.
(٦) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٣ ص٧٦.
(٧) سورة المائدة: الآية ٨٩.
(٨) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ج٤ ص١٣.
(٩) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٣ ص٤٠٨.
(١٠) ينظر: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٣ ص٦١٧.
(١١) ينظر: مقايس اللغة: ج٤ ص٨٦. ينظر: لسان العرب: ج ٣ص٢٩٦. ينظر: غريب الحديث: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت٣٨٨ هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي،

٢- العقيدة أصطلاحا:

للعقيدة عدة تعاريف وهذه التعاريف انما تدل على الاعتقاد الجازم بالشيء بمختلف المذاهب والفرق ومن هذه التعاريف:

اولاً: هي القوة الراكزة التي تحول دون التصادم أو الاضطراب أو الانحراف عن الاتجاه الصحيح، هذه العقيدة نيّرة ذات بصيرة، لا تحول دون الاستمتاع بالطيّبات من الرزق ولا تحرم زينة اللهّ التي أخرج لعباده، ولا تمنع تقدّم المجتمع أو تطوّر العلم ولكنها تكون بمثابة السياج المانع، والإطار الحصين(١).

ثانياً: الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه قلبه وضميره، ويتخذه مذهبا ودينا يدين به؛ فإن كان هذا الإيمان الجازم، والحكم القاطع صحيحا كانت العقيدة صحيحة كاعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كان باطلا كانت العقيدة باطلة كاعتقاد فرق الضلالة(٢).

فالعقيدة عموما مجموعة الأفكار والقواعد والمبادئ والقيم المترابطة والمتكاملة والتي تقدم تصورا للوجود لما هو كائن، ولما ينبغي أن يكون أو تصورا للحال وللمآل بغض النظر عن صحة هذا التصور أو فساده، عن شموليته أو محدوديته، عن كماله أو قصوره(٣).

فتجتذب هذه العقيدة جماعة معينة تقتنع بهذا التصور، فتحدد هذه الجماعة قناعاتها وأهدافها وطرق بلوغ تلك الأهداف وفق مقاييس تلك العقيدة، فتكون هذه العقيدة هي القائدة وهي الموجهة ومنبع الشرعية والمشروعية في حياة تلك الجماعة وهي منبع خيرها العام، ومن الطبيعي أن كل عقيدة بهذا المفهوم تدعي القدرة على سياسة حياة معتنقيها، والقدرة على تقديم الحلول الناجعة لمشكلاتهم، واستشراق المستقبل الأفضل لهم، وتزعم أنها تمتلك الوسيلة لتحقيق الخير العام لهذه الجماعة(٤).

كما ان الدين الإسلام الحنيف انبثق علينا من عمق الحياة بخطوط القدرة الخالقة من لدن حكيم عليم وهو المدرسة الجامعة التي نتمسك بها نجاةً وعلاجاً لكل جوانب الحياة ولكل حاجيات الإنسان الدنيوية والأخروية الجسمية منها والروحية، الإسلام يرسم لنا بكل وضوح الأصول العقائدية

الناشر: دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م: ج٢ ص٣١٨.

(١) ينظر: العصر تحت ضوء الإسلام، أنور الجندي الناشر: دار الفضيلة: ص١٦٨.

(٢) ينظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر عبد الكريم العلي العقل، الناشر: دار الوطن: ص٩ – ١٠.

(٣) ينظر: نظرية عدالة الصحابة: أحمد حسين يعقوب، الناشر: مؤسسة الفجر – لبنان: ص١٥٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

الخمسة التي هي أساس مذهب أهل البيت عليهم السلام وهي: العدل والتوحيد والنبوة والإمامة والمعاد.

كما أن الإسلام لا يرى التقليد والتعبد كافياً في ممارسة الأصول العقائدية التي ذكرناها بل إنه يوجب على كل فرد البحث عن صحة هذه العقائد وبصورة مستقلة بعيدة عن العاطفة والتقليد الأعمى ذلك لأن الإسلام لا يحصر العبادة بالعبادة البدنية كالصلاة والصوم أو العبادة المالية كالخمس والزكاة لأن هناك ما هو أعظم من هذا وهي العبادة الفكرية التي تحث الإنسان وتطلب إليه التأمل والتفكر في آلاء الله سبحانه وتعالى[1].

وعليه فأن مفهوم العقيدة ينتظم في ستة أمور[2]:

أولا: المعرفة باللهّ، وأسمائه، وصفاته.

ثانيا: المعرفة بالغيبيات التي أخبرنا عنها، ولم نرها: كالملائكة، والجن، والروح، والجنة، والنار... الخ.

ثالثا: المعرفة بكتب اللهّ جميعها، فهي سماوية، ودينها واحد: كالزبور، والتوراة، والإنجيل.

رابعا: المعرفة بأنبياء اللهّ، ورسله.

خامسا: المعرفة باليوم الآخر.

سادسا: المعرفة بالقدر.

ثانياً: بيان مفهوم لفظة الفكر

أهتم القرآن الكريم بالتفكير والفكر لأنه تحرير للعقل وذكر الفكر (تتفكرون) في مواضع عدة من القرآن الكريم منها في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾[3].

لكي تتفكروا في الدنيا والأخرة، فتعلمون ان الدنيا دار بلاء وفناء وعناء، والأخرة دار جزاء

(١) ينظر: مركز الأبحاث العقائدية: موسوعة من حياة المستبصرين، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية قم- ايران، ط١، ١٤٢٤: ج٣ ص٥٦٦.

(٢) ينظر: شبهات حول القرآن وتفنيدها: غازي عناية، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت: ص ٣٦٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

وبقاء، فتزهدوا في هذه وترغبوا في تلك[١].

فأن الدنيا دار خلقها الله لكم لتحيوا فيها وتكسبوا ما ينفعكم في مقركم، وفي الآية حث على البحث عن حقائق الوجود ومعارف المبدأ والمعاد وأسرار الطبيعة، والتفكر في طبيعة الاجتماع ونواميس الأخلاق وقوانين الحياة الفردية والاجتماعية المبدأ والمعاد وما بينهما المرتبطة بسعادة الإنسان وشقاوته، وأن القرآن وإن كان يدعو إلى الإطاعة المطلقة لله ورسوله من غير أي شرط وقيد، غير أنه لا يرضى أن يؤخذ الأحكام والمعارف التي يعطيها على العمى والجمود المحض من غير تفكر وتعقل يكشف عن حقيقة الأمر، وتنور يستضاء به الطريق في هذا السير والسري[٢]، فهو عبارة عن درس مهم للمسلمين في أنَّهم لا يخوضون في جميع أمورهم المادية والمعنوية بدون تفكر وتدبّر حتى تبين الآيات الإلهية إلى الناس لبعث روح التفكر والتدبّر فيهم، فما أسوأ حال الأشخاص الذين لا يتفكرون في أمورهم وأعمالهم الدينية ولا في أعمالهم الدنيوية[٣].

١- الفكر لغة:

الفَكْرُ والفِكْرُ إعمال الخاطر في الشيء، ولا يجمع الفِكْرُ ولا العِلْمُ ولا النظرُ وفي جمعه أَفكاراً والفِكْرة كالفِكْر وقد فَكَر في الشيء[٤]، والتَفَكُّرُ: التأملُ. والاسم الفِكْرُ والفِكْرَةُ، والمصدر الفَكْرُ بالفتح، ويقال ليس لي في هذا الأمر فِكْرٌ، أي ليس لي فيه حاجة، والفتح فيه أفصح من الكسر. وأفْكَرَ في الشيء وفَكَّرَ فيه وتَفَكَّرَ، بمعنًى. ورجلٌ فِكِّير[٥].

٢- الفكر أصطلاحا:

الفكر هو «إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها أو هو حركة العقل بين المعلوم والمجهول»[٦]، اما مفهوم الفكر الإسلامي يمثل مستويين مستقلين[٧]:

(١) ينظر: ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٢ ص٨٢.
(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ج٢ ص١٦٨.
(٣) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١ ص٥٣٩.
(٤): ينظر: لسان العرب: ج٥ ص٦٥.
(٥) ينظر: الصحاح: أسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، ط٤، ١٤٠٧: ج٢ ص٧٨٣.
(٦) المعجم الشامل للمصطلحات العلمية والدينية: إبراهيم حسين سرور، الناشر: دار الهادي لبنان – بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ ق: ج٢ ص٤٢٨.
(٧) ينظر: موسوعة الإمام المهدي عليه السلام تاريخ ما بعد الظهور: محمد الصدر(ت١٤١٩هـ)، الناشر: دار التعارف للمطبوعات بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ ق: ج٣ ص١٧

المستوى الأول: الفكر الإسلامي بصفته مجموعة من الحقائق والتشريعات كما يعرفها اللهّ تعالى ورسوله وأولياؤه (عليه وعليهم السلام)، وهو الفكر الإسلامي الأعلى، والأطروحة العادلة الكاملة للحياة.

المستوى الثاني: الفكر الإسلامي الموجود عند علماء الإسلام والمفكرين الإسلاميين على مر العصور، وهو في واقعه ناقل للمستوى الأول وحاك عنه ومنبثق عنه إلى حد كبير نتيجة للتبليغات والبيانات التي قيلت من قبل المشرع الإسلامي المقدس في الكتاب الكريم والسنّة الشريفة.

والمقصود الأساسي هو تربية الأمة على فهم وامتثال المستوى الأول، عن طريق ممارستها وتدقيقها للمستوى الثاني، بصفته ممثلا للمستوى الأول، وهي بأجيالها المتعاقبة كفيلة بان تقوم بذلك تدريجا، كما أن الفكر الإسلامي بمستواه الثاني ما زال في طريق التطور والتعمق والتوسع اي ان كل جيل أو عدة أجيال من الأمة الإسلامية يمثل مرحلة للفكر الإسلامي، وهو في طريق الرقي، وينبغي الاعتراف بعدم وصوله إلى الكمال، ووجود عدد من البحوث غير المطروقة فيه[1].

(١) المصدر السابق.

المبحث الثاني: العفة والستر عن عقيدة وفكر، السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

المطلب الأول: العفة والستر عن عقيدة وفكر

العقيدة مشتقّة من المصدر «عقْد» الذي يعني الإحكام والشدَّ والربط، وربطُ الشيءِ بشيءٍ آخر أو شدُّه إليه يمكن أن يكون حقيقيًّا وماديًّا حيناً كتطعيم شجرةٍ ببرعمٍ أو بغصنٍ من شجرةٍ أخرى، ويمكن أن يكون اعتباريًّا ومعنويًّا حيناً آخر كزواج رجلٍ بامرأةٍ يرتبط بها بواسطة عقد قرانه عليها، فالعقيدة إذاً عبارة عن ذلك الشيء الذي يتّصل بذهن الإنسان وروحه وفكره.

فعندما يتقبّل الذهن أنَّ الأرض تدور حول الشمس أو أنَّ الشمس تدور حول الأرض، وعندما يتقبّل أنَّ الدمَ يدور في الجسم أو لا يدور، وعندما يتقبّل أنَّ للكون خالقاً أو ليس له، وعندما يتقبّل أنَّ الإنسان بعد مماته يحيا أو لا، فتقبُّله لأيّ نظرية – حقًّا كانت أم باطلًا – يعني شدَّ تلك النظرية إلى الذهن وربطها به وإحكام صلتها فيه هذهِ الصلة تسمّى «عقداً» وتلكَ النظريّة تسمّى «عقيدة»[1].

وعليه فأن عفاف المرأة وسترها لا يمكن ان يكون عن تقليد أو اقناع مادي وجبر خارجي من الأهل على سبيل المثال، بل يستحيل ذلك، وهذا ما يوجد فعلا في المجتمع أذ أن الكثير من الفتيات المحجبات لا يدل حجابهنَّ عل العفة فصوتها عالي وأقدامها ظاهرة ووجهها لامع بمساحيق التجميل، فأين العفة في الموضوع، فلابد من العفة الظاهرية النابعة من العفة الباطنية وهي عفة النفس عن كل ما يشوبها من المدانس والذنوب اي نابع العفاف عن عقيدة وفكر متأصل في المرأة لا مضاف عليها.

فالعقيدة صاحبة الدور الأكبر في الحياة الفردية والاجتماعية، وعلى حدّ قول الباري سبحانه: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[2].

فعقائد الإنسان وتصديقاته هي التي تحدّد هيئته الباطنية وحقيقته الواقعية وتشكّلها، وهي التي تحفّزه إلى العمل وتحدّد اتّجاهه في الحياة، فإذا كانت عقيدته صائبة مطابقة للواقع كان طريق حياته صائباً كذلك، أمّا إذا كانت عقيدته فاسدة باطلة فإنّ طريق حياته لا يؤدّي إلّا إلى الضياع، ومن ثَمّ كان

(١) ينظر: موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري، ط٣، ١٤٢٩هـ.ق: ج١ ص٢٣- ٢٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٤.

اهتمام الإسلام بتصحيح العقيدة قبل أيّ شيء آخر[١].

كما أنَّ الدين الإسلامي هو المتكفِّل بصيانة عفّة المرأة، وأنَّ الضوابط التي فرضها عليها في ملبسها وزينتها ليست إلَّا لسدّ ذريعة الفساد في المجتمع، والذي ينتج من تبرّج المرأة بزينتها، وليست هذه الضوابط تقييداً لحرّيتها بل وقاية وصيانة لها كي لا تسقط في أودية الذلّ والمهانة[٢].

وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام إنه قال: «**لا يقبل عمل إلَّا بمعرفة، ولا معرفة إلَّا بعمل، ومن عرف دلته معرفته على العمل، ومن لم يعرف فلا عمل له**»[٣].

المطلب الثاني: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

عفّة فاطمة عليها السلام وحجابها، ومن يستطيع أن يتكلّم خلاف ذلك وهي بنت النبوّة وربيبة جبرائيل عليه السلام.

وهي الطاهرة المطهّرة في كتاب الله نصّا بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[٤]، فقد كانت منذ الأزل طاهرة مطهّرة طهارة مادّية ومعنوية بإرادة الله التكوينية وقد فصّلنا ذلك في كتاب طهارة آل محمّد عليهم السلام.

من كفاطمة في العفّة والشرف والكبرياء والعظمة، ما كانت تخرج من بيتها إلّا متستّرة ملتفّة بعباءتها أو عباءة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، حتّى أنَّه عندما خرجت من بيتها بعد وفاة أبيها إلى مجلس أبي بكر أمرت أن ينصب لها ستار بينها وبين أبي بكر، وهكذا كانت إذا تكلّمت مع أيّ إنسان قصدها لحاجة أو لمسألة كانت تحتجب عنه عفّة وصيانة[٥].

كيف لا تكون رمز العفة وهي التي لا ترى رجلاً ولا رجلاً يراها وان كان أعمى، فقد روي عن الأمام موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال علي عليه السلام: **استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لها: لم حجبتيه وهو لا يراك؟ فقالت: إن لم يكن يراني فإني أراه وهو يشمّ الريح.**

---

(١) ينظر: موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري، ط٣، ١٤٢٩هـ.ق: ج١ ص٢٣- ٢٤.

(٢) ينظر: موسوعة من حياة المستبصرين، مركز الأبحاث العقائدية، الناشر: مركز الابحاث العقدية قم – ايران، ط١، ١٤٣٠: ج٧ ص٢٩٧.

(٣) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ابن شعبة الحراني (قرن ٤)، تحقيق وتعليق: على أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الأسلامي – قم، ط٢، ١٣٦٣- ١٤٠٤ش: ص٢٩٤.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٥) ينظر: موسوعة أهل البيت عليهم السلام، علي عاشور، الناشر: دار نظير(عبود)- بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ق: ج٧ ص١٥.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أشهد أنك بضعة مني**[1].

وما روي عن عليّ عليه السلام، قال: **كنّا جلوسا عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال: أخبروني أيّ شيء خير للنساء.**

فعيينا بذلك كلّنا، حتّى تفرّقنا، فرجعت إلى فاطمة عليها السلام فأخبرتها الّذي قال لنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وليس أحد منّا علمه ولا عرفه.

فقالت: ولكنّي أعرفه، خير للنساء أن لا يرين الرّجال ولا يراهنّ الرّجال.

فرجعت إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول اللّه! سألتنا أيّ شيء خير للنساء، وخير لهنّ، أن لا يرين الرّجال، ولا يراهنّ الرجال.

قال: من أخبرك فلم تعلمه وأنت عندي؟

قلت: فاطمة عليها السلام.

فأعجب ذلك رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وقال: إنَّ فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي[2].

وغيرها من الروايات المباركة التي تبين ان العفاف والستر لا يكون بمجرد تغطية رأس وكفى، وأنما يكون عن طريق التصديق التام بأنهما يكوناً من ذات الإنسان، ولابد من الشارة ان هذا العفاف لا يعني المرأة فقط وأنما الرجال كذلك، فأن هذا العفاف الداخلي يحجب القلب من الولوج في المحرمات ويمنع النفس من الأنحراف نحو الأهواء والموبقات فيكون الفرد متعففا ومتقيا.

كما أن حديث الزهراء عليها السلام أن لا أرى رجلاً ولا رجلاً يراني، يكون قاعدة عامة تطبق في كل مكان وزمان وحال، فبداية الوقوع في المحارم مع الأسف الشديد هو النظرة وما يتبعها من مفاسد أجتماعية مختلفة.

ومما لا يخفى علينا أيضاً ان السيدة فاطمة عليها السلام أوّل من تعفّفت بالنعش، روت لنا أسماء أنَّ فاطمة بنت محمّد عليها السلام قالت لها: **إنّي أستقبح ما يصنع بالنساء يطرح على المرأة الثوب فيصفها.**

قالت: يا ابنة رسول اللهّ ألا أريك شيئا رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثمّ طرحت عليها ثوبا، فقالت فاطمة: **ما أحسن هذا وأجمله! إذا متّ فغسّليني أنت وعليّ عليه السلام ولا يدخلن أحد**

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي(ت١١١١هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الناشر: مؤسسة الوفاء بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ.١٩٨٣م: ج٤٣ ص٩١.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٥٤.

عليّ[1].

قال ابن عبد البر: هي أوّل من غطّي نعشها في الإسلام[2].

وقال ابن سعد: قال ابن عبّاس: فاطمة أوّل من جعل لها النعش عملته لها أسماء[3].

ان رؤية أسماء لذلك في الحبشة لا يلزم منه أنَّه كان يستعمل لحمل النساء بعد موتهن، بل لعلّها رأته يصنع لأغراض أخرى فلمّا وصفته لفاطمة أو صنعته اتّخذته فاطمة نعشا، ويؤيّد ذلك قول ابن عبّاس: إنَّ أوّل من جعل لها النعش فاطمة لا غيرها، ويمكن أن يقال: إنَّ أوّل من جعل له نعشا في الإسلام فاطمة، فلا ينافي وجوده في الحبشة.

أبت غيرة فاطمة وعفّتها حيّة وميّتة أن يرى أحد لا يحلّ له النظر إليها شخصها، بل لم تحبّ فاطمة أن ينظر لشخصها أحد يوم المرور على الصراط كما تقدّم، حيث يأمر اللهّ – عفّة وصيانة لمقام فاطمة – جميع الخلق بأن يغضّوا أبصارهم وينكّسوا رؤوسهم لتمرّ العفيفة فاطمة أشرف بنات الأنبياء على الإطلاق، فتمرّ عليها السلام كالبرق الخاطف.

(١) ينظر: الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام: أسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني(١٤٣٠هـ)، الناشر: دليل- قم، ط١، ١٤٢٨ق: ج١٤ ص٥١.

(٢) المستدرك: الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشي: ج٣ ص١٦٢.

(٣) الطبقات الكبرى: أبن سعد، الناشر: دار صادر- بيروت: ج٨ ص٢٣.

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصل اليها البحث هي:

١- العفة هي كف النفس عن المحرمات واجتناب مالا يحمد، اي أن العفة لا تعني فقط التحجب والستر الظاهري بل يتبعه ستر باطني.

٢- نظر المرأة إلى الرجل أو بالعكس يؤدي إلى سوء العاقبة والحسرة والندامة والغفلة والأنشغال عن ذكر الله وأرتكاب الحرام.

٣- النظرة البريئة قد تؤدي إلى نظرة غير بريئة، فبأغلاق هذه النافذة يرتاح الأنسان، وليس من الصحيح ان يقول الرجل أنا مطمئن من نفسي أو تقول المرأة انا مطمئنة من نفسي، فأن الشيطان لم يترك حتى النبي أدم عليه السلام وغيره من الأنبياء.

٤- المرأة إذا أرادت ان تتكلم، لا تتكلم برقة وتظهر جمال صوتها، فيجب على المرأة ان لا تبدي نقطة ضعف للرجل حتى بهذا المقدار.

٥- قال الأمام علي عليه السلام لإبنه الحسن عليه السلام وهو يوصيه (وأكفف عليهن من أبصارهن بحجابك أياهن، فأن شدة الحجاب خير لك ولهن من الأرتياب) بحار الأنوار: ٧٧.

٦- ان ما تم ذكره عن العفة والستر اساسه العقيدة والفكر السليم الذي يدفع الأنسان نحو النجاة وجنة الخلد.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ.٢٠٠٧م.
- بحار الأنوار: المجلسي(ت١١١١هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الناشر: مؤسسة الوفاء بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ.١٩٨٣.
- تفسير النور: محسن قراءتي، ترجمة: أحمد حسين عطية بكر، دار المؤرخ العربي بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ.٢٠١٤م.
- التبيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، تصحيح وتدقيق: مركز الأمام الحسن المجتبى للتحقيق والدراسات، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣١هـ. ٢٠١٠م.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري(ت٦٥٦هـ)، ضبط أحاديثه، وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ.١٩٨٨م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب- القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ابن شعبة الحراني (قرن ٤)، تحقيق وتعليق: على أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الأسلامي - قم، ط٢، ١٣٦٣- ١٤٠٤ش.
- شبهات حول القرآن وتفنيدها: غازي عناية، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت.
- الصحاح: أسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، ط٤، ١٤٠٧.
- الطبقات الكبرى: أبن سعد، الناشر: دار صادر- بيروت.

- العصر تحت ضوء الإسلام، أنور الجندي الناشر: دار الفضيلة.
- غريب الحديث: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت٣٨٨ ه)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت– لبنان، ط٢.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ)، الناشر: دار صادر– بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: ابي علي الفضل الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت– لبنان، ط٢، ١٤٢٥هـ.٢٠٠٥م.
- الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، تحقيق: أياد باقر سلمان، قدم له: كمال الحيدري، الناشر: دار أحياء التراث العربي بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ.٢٠٠٦م.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(ت٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- المعجم الوسيط: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، ١٣٩٢هـ.١٩٧٢م.
- مركز الأبحاث العقائدية: موسوعة من حياة المستبصرين، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية قم– ايران، ط١، ١٤٢٤:
- معجم الفروق اللغوية: الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري (كان حَيًّا ٣٩٥هـ)، وجزءًا من من كتاب «فروق اللغات» لنور الدين بن نعمة الله الجزائري(ت١١٥٨هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قُمّ)، ط١، ١٤١٢ هـ.
- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.
- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر عبد الكريم العلي العقل، الناشر: دار الوطن.

- المعجم الشامل للمصطلحات العلمية والدينية: إبراهيم حسين سرور، الناشر: دار الهادي لبنان – بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ ق.
- موسوعة الأمام المهدي عليه السلام تاريخ ما بعد الظهور: محمد الصدر(ت١٤١٩هـ)، الناشر: دار التعارف للمطبوعات بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ ق.
- موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري، ط٣، ١٤٢٩هـ.ق.
- موسوعة من حياة المستبصرين، مركز الأبحاث العقائدية، الناشر: مركز الابحاث العقدية قم – ايران،ط١، ١٤٣٠.
- موسوعة أهل البيت عليهم السلام، علي عاشور، الناشر: دار نظير(عبود)- بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ق.
- الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام: أسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني(١٤٣٠هـ)، الناشر: دليل- قم، ط١، ١٤٢٨ق.
- المستدرك: الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشي.
- نظرية عدالة الصحابة: أحمد حسين يعقوب، الناشر: مؤسسة الفجر- لبنان.

الفضاء المعرفي
في تشكيل صورة الزهراء عليها السلام
شعر عبد المنعم الفرطوسي مثالاً

أ. م. د منى صالح الدجيلي

الملخص

يسعى البحث إلى بيان أثر المنظومة الاجتماعية والثقافية والفنية بوصفها مناخات معرفية لها سطوتها في تشكيل الذائقة الثقافية او بما يعرف بالفضاء المعرفي للمبدع، إذ يسعى الشاعر الى توظيفه من بنياته المتداخلة والمتفاعلة ضمن منظومة معرفية وانساق مختلفة دينية وتاريخية واجتماعية... استمدها من طبيعة البيئة التي يعيش فيها أو الحاضنة الثقافية وهي مدينة النجف الاشرف لتكون عبر تاريخها منهلا ثراً يغترف منه المبدعون وينهلون من فيض عطائها.. ومنهم عبد المنعم الفرطوسي، إذ استلهم الشاعر فضاءه المعرفي بما فيه من موروث ثقافي وديني وما تعارفت عليه ذائقة الشاعر النجفي من مرجعيات أدبية وفنية في تشكيل صورة الزهراء عليها السلام تلك المرأة العظيمة بمكانتها وعظمتها ومنزلتها فهي أم ابيها وزوجة وصي رسوله وأُم الأئمة عليهم السلام.. ومن هذه الصور: الصورة العقائدية، وصورة ظلامة الزهراء، والصورة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الزهراء عليها السلام، الفضاء المعرفي، الصورة، عبد المنعم الفرطوسي

Abstract:

This research aims to illustrate the impact of the social، cultural، and artistic systems as cognitive environments that significantly shape the cultural taste، or what is known as the cognitive space of the creator. The poet seeks to utilize these intertwined and interactive structures within various religious، historical، and social frameworks derived from the nature of the environment in which they live، specifically the cultural incubator of Najaf Al-Ashraf. Throughout its history، Najaf has served as a rich source from which creators draw inspiration and benefit from its abundant offerings. Among these creators is Abdul Moneim Al-Fartousi، who draws his cognitive space from the cultural and religious heritage، as well as the literary and artistic references familiar to the poetic taste of Najafi poets، in shaping the image of Fatimah (peace be upon her). The images explored include the doctrinal image، the image of Fatimah's oppression، and the social image.

Keywords: Fatimah (peace be upon her)، cognitive space، image، Abdul Moneim Al-Fartousi.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الاخيار أما بعد..

يعد المنجز الإبداعي مصداقاً لمؤثرات مختلفة تتعالق وتتواشج لتخلق مرجعيات تسهم في تشكيل وعي الشاعر فيعيد المبدع تشكيلها وفق مديات معينة تتماهى بمجالات معرفية استقرت وأضحت ثوابت قارة في الوعي الجمعي.

يسعى البحث إلى بيان أثر المنظومة الاجتماعية والثقافية والفنية بوصفها مناخات معرفية لها سطوتها في تشكيل الذائقة الثقافية او بما يعرف بالفضاء المعرفي للمبدع، إذ يسعى الشاعر الى توظيفه من بنياته المتداخلة والمتفاعلة ضمن منظومة معرفية وانساق مختلفة دينية وتاريخية واجتماعية... استمدها من طبيعة البيئة التي يعيش فيها أو الحاضنة الثقافية وهي مدينة النجف الاشرف لتكون عبر تاريخها منهلا ثراً يغترف منه المبدعون وينهلون من فيض عطائها.. ومنهم عبد المنعم الفرطوسي، إذ استلهم الشاعر فضاءه المعرفي بما فيه من موروث ثقافي وديني وما تعارفت عليه ذائقة الشاعر النجفي من مرجعيات أدبية وفنية في تشكيل صورة الزهراء عليها السلام تلك المرأة العظيمة بمكانتها وعظمتها ومنزلتها فهي أم ابيها وزوجة وصي رسوله وام الائمة عليهم السلام..

انتظمت منهجية البحث بأربعة محاور: تضمن المحور الأول بيان مفهوم الفضاء المعرفي. وجاء المحور الثاني: للحديث عن عبد المنعم الفرطوسي الانسان والشاعر، أما المحور الثالث تحدثت فيه عن الحاضنة الثقافية للشاعر وأثرها في تشكيل فضائه المعرفي، وجاء المحور الرابع ليتحدث عن صورة الزهراء عليها السلام في شعره وتضمنت الصورة العقائدية، وصورة ظلامة الزهراء، والصورة الاجتماعية.

وقد اعتمدت المنهج التَّكاملي الّذي أفدتُ منه في تغطية جوانب الدَّراسة المختلفة، بمعنى أنَّ ما يحمله النَّص من إشارات مهيمنة أراها مناسبة للتّحليل فإنّي أتوجه إليها، وانتهى البحث بخاتمة اوجزت فيها أهم النتائج مع قائمة بالهوامش وقائمة بثبت المصادر والمراجع ومن الله التوفيق.

المحور الأول: مفهوم الفضاء المعرفي

يعدُّ الفضاء عنصراً أساسياً من عناصر الفن الروائي، ومن المُصطلحات النَّقدية الحديثة التي ظهرت عند الغرب بعد الحرب العالمية الثانية (أثر اليقين والوجدان المعرفي في تكوين الدّلالتين الإيحائيَّةِ والإيقاعيَّةِ (الشَّعرُ الحُسينيُّ النَّجفيُّ في القرن العشرين مثالاً، ونعني بالفضاء لغويا: مصدر مأخوذ من الفعل الثلاثي (فضا، يفضو، فُضُّوا فهو فاضٍ) وهو المكان الواسع من الأرض، وقد فضا المكان وأفضى اذا اتسع، والفَضو بالفتح الخلو، والفضاء: الخالي الفارغ الواسع من الارض، وما بين الكواكب والنجوم من مسافات لا يعلمها إلَّا الله[1]، ومن تنوع دلالة لفظة فضا في المعجمات اللغوية نجد ان معناها يدور حول الاتساع والخلو، إذن نشأ الفضاء وتطور في أحضان الفن الروائي، فوجوده مرهون باللغة الّتي تسهم في إنشائه وتشكله[2]، وقد اختلف النَّقاد العرب في ترجمتهم للفضاء، فيرى غالب هلسا أنَّ الفضاء بمعنى المكان، وأشار إلى ذلك حين ترّجم كتاب غاستون باشلار إلى العربية تحت عنوان (جماليات المكان)[3]، واستعمل عبدالملك مرتاض مصطلح (الحيز) للدلالة على «وسط منسجم غير محدود تقع فيه الأَشياء اللطيفة شديدة الحساسية»[4]، وعليه فإنَّ مصطلح فضاء أوسع من مفهوم كلمة مكان، والمكان بهذا المعنى هو مكوّن من مكونات الفضاء[5]، فالفضاء في الأدب انتقل من ذلك المعنى المكاني إلى المساحة التي ترافق تصورات الشاعر أو الأديب.

وهو يتضمن كلّ المشاعر، والأحاسيس، والتصورات المكانية الّتي يُمكن أن يعبِّر عنها ويوحي إليها، وهذا يعتمد بالدرجة الأساس على قدرة المبدع في استثمار العلائق وربطها من حيث الزمان، والمكان، والأحداث وإنتاج علاقات جديدة، وخلق الانسجام والتواشج فيما بينها.

---

(١) ظ: لسان العرب، ابن منظور (المتوفى٧١١هـ)، جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، مادة فضا: ص١٥٧- ١٥٨، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية العامة للمعجمات واحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط ٤، ٢٠٠٤م: ص٦٩٤.

(٢) ظ: معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م: ص١٢٩.

(٣) ظ: جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م: ص٣١ وما بعدها.

(٤) النَّص الأدبي: من أين وإلى أين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط.١، ١٩٨٣م: ص١٠١.

(٥) ظ: معجم السيميائيات: ص١٢٥-١٢٦.

اما المعرفة: قال الجرجاني: «والمعرفة أيضًا أدراك الشيء على ما هو عليه وهو مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم بخلاف ذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف»(١).

فالمعرفة انما تختص بما يحصل من الأسباب الموضوعة ولإفادة العلم، وبعضهم جعلها من المقامات وكانت أولها(٢) وفرّق العرب بين المعرفة والعلم فقالوا: ان المعرفة ادراك الجزئي، والعلم ادراك الكلي، فالمعرفة تستعمل في التصورات والعلم في التصديقات، فكل علم معرفة وليس كل معرفة علم(٣).

وبذلك نجد ان المعرفة قد تكون مدركةً بالحواس أو بغيرها؛ اذ يتمكن الانسان من إدراك الأشياء أو يتصورها؛ لأن المعرفة عند المحدثين انما تطلق على الفعل العقلي الذي يتم بحصول صورة الشيء في الذهن. وهناك اتصال بين الذات المدركة والموضوع المدرك فهو الفعل العقلي الذي يتم به الولوج الى جوهر الموضوع وتفهّم حقيقته.(٤)

فمعرفة الفضاء المعرفي للمبدع بما يمتلكه من وسائل لغوية وثقافية واجتماعية ودينية ومنظومته القيمية..، تعيننا على فهم اتجاهه النفسي واثر هذه المعرفة في تشكيل صوره، وما استقرَّ في ذاكرته من حقائق أضحت معرفة ثابتة ملتصقة بوعيه وذاته ووجدانه، إذ تُفسَّر منابع ظاهرة الإبداع من التجربة الانفعالية ودوافع الفنان الشعورية وغير الشعورية، وما يمثله ذلك على فكره، وكيفية التعامل مع الوجود؛ لأنَّ المُبدع سيفرّغ طاقاته الانفعالية بعمله الفني؛ لأنّ «مسألة الإحساس ملازمة للنفس الإنسانية منذ الأزل، ولا يمكن التخلي عن الشعور الإنساني سواء أكان سلباً أو إيجاباً في النظرة والتفاعل مع الواقع»(٥).

على ما تقدّم نستطيع أنْ نبين ان الفضاء المعرفي: هو مجموع الخبرات، والثقافات المختلفة التي استمدها الشاعر واكتسبها من روافد ثقافية متنوعة تأثر بها الشعر وتفاعل معها،، فاطّلع عليها حقيقة، فأصبحت علماً مستقراً في القلب، أو الذهن، يوظفه بإدراك حسي أو عقلي في عملية التصور، أي: توظيف الخبرات الثقافية بفعلٍ عقلي يُسهم بحصول صورة الشيء في الذهن تأكّداً(٦)، لذلك عليه

(١) كتاب التعريفات، الجرجاني: ص٢٣٢.
(٢) ظ: الكليات، أبو البقاء اللغوي: ص٩٨٠.
(٣) ظ: المعجم الفلسفي، د. جميل صلبيا: ص٣٩٢.
(٤) ظ: المعجم الفلسفي: ص٩٣.
(٥) النَّص الأدبي من التكوين الشعري إلى أنماط الصورة البيانية وهيمنة التلوين الشعوري، دراسات بيانية وتطبيقية، د. صباح عباس عنوز، دار الضياء للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م: ص٢٧.
(٦) ظ: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، د. عبد القادر فيدوح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ط، د.ت: ص١١٧.

أن يستثمر طاقاته المعرفية بوساطة القراءة؛ ليكون بذلك وسيلة لتفكيك الموروث، واظهار حقيقة الأعمال الأدبية الإبداعية، ووضعها المكانة التي تستحقها[1].

فهناك أمور يجب أن يتمتع بها الأديب، منها: أن يكون مُلمّاً بالتاريخ الثقافي لأمته وعلى وعيٍ شاملٍ، وسعة اطلاع، وقدرة على الالمام بمرجعياته، ليبعثه مرَّة أخرى حتى يكوّن بذلك مقاربة بين الماضي بأحداثه وأفكاره، و الحاضر وتقلبات عصره الّتي تمثلت بمشاعره الإنسانية على مدى العصور[2]، حتى يكون الشاعر قادراً على تقديم جوهر الحقيقة تقديمًا منبثقًا انبثاقًا روحياً صادراً من خوالجه، وهذا يحتم عليه أن يكون ذا قدرة وسعة اطلاع، ومعرفة شاملة بتاريخه الثقافي[3]، وهي معرفة الكاتب لموروثه الثقافي معرفة مبنيّة على إدراك الشيء وكأنّه حقيقة، فيحصل العلم والتّصديق به، ومن ثمَّ يوظفه المبدع في نصوصه.

(١) ظ: أثر اليقين والوجدان المعرفي في تكوين الدّلالتين الإيحائيَّةِ والإيقاعيَّةِ (الشَّعرُ الحُسينيُّ النَّجفيُّ في القرن العشرين مثالًا)، منى صالح حسن، أطروحة دكتوراة، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، ١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م:ص٢ .

(٢) ظ: م. ن: ص ١١٨.

(٣) ظ: دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني د. صباح عباس عنوز، إصدار شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م: ص٦١.

المحور الثاني: عبد المنعم الفرطوسي الانسان والشاعر

التعريف للشاعر

هو الشيخ عبد المنعم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عيسى ابن الشيخ حسن المشهور بالفرطوسي، عالم فاضل من كبار الشعراء والأدباء النابغين[١]، ولد سنة (١٣٣٥هـ-١٩١٧م) في قرية الرقاصة من ناحية المجر الكبير التابعة إلى لواء العمارة، ونسبه يتصل بعشيرة (آل فرطوس) القبيلة العربية التي تقتل في مناطق من دجلة والفرات جنوبي العراق وترجع في النسب إلى قبيلة (ال غزي)[٢].

أتقن الفرطوسي القراءة والكتابة في سن التاسعة من عمره، وتعلم على يد والده الذي كان من رجال الدين الفقهاء، وانضم إلى الحوزة العلمية في النجف يتلقى علومها منطق ونحو وعلم البيان والفقه والكلام[٣]، وقد كان لنشأته في محيط علمي وديني أن تأثر بأسرته التي سلكت طريق العلم أولاً، ثم حياته في مدينة النجف التي كانت معروفة بحركتها العلمية والدينية والثقافية ثانياً[٤].

احتفظ الشيخ الفرطوسي لنفسه بكثير من الخصال الحميدة والسجايا القويمة، وقد تمثل ذلك في شخصيته المثالية وسلوكه الأخلاقي الرفيع النابع من التعاليم الإسلامية السمحة وتلك القيم الدينية المستوحاة من روح التربية القرآنية[٥].

تميز الشاعر بذكائه وقابليته الكبيرة على الحفظ؛ حفظ القرآن الكريم وأغلب التراث الشعري ثم تخصص في تدريس علم المعاني والبيان[٦]، درس الفرطوسي على يد أعلام عصره الذين تزعموا الحركة

---

(١) ظ: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، محمد مهدي الاميني، مطبعة الآداب، النجف، ط١، ١٩٦٤، ٣٣١.

(٢) ظ: مقدمةالديوان الفرطوسي، عبد المنعم الفرطوسي: ١/ ١٧.

(٣) ظ: مقدمة ديوان الفرطوسي:١/ ٣٤.

(٤) ظ: الشيخ عبد المنعم الفرطوسي حياته وأدبه، حيدر محلاتي:٧١.

(٥) ظ: الأساليب الانشائية في شعر عبد المنعم الفرطوسي دراسة دلالية، عايد هادي كاظم، رسالة ماجستير، جامعة الأديان والمذاهب، كلية اللغات والثقافات الدولية، ٢٠٢٣: ٣٨.

(٦) ظ: مقدمة ديوان الفرطوسي:١/ ١١.

الدينية والعلمية وأشهرهم: السيد الأصفهاني، السيد عبد الهادي الشيرازي والسيد محسن الحكيم والشيخ مهدي الظالمي والسيد أبو القاسم الخوئي، والسيد محمد باقر الشخص.(١)

نظم الشعر في عقده الثاني وكان طريقته في نظام الشعر نادرة؛ إذ ينظم القصيدة الطويلة على لوحة خاطره وتبقى أياما مرتسمة في حافظته ثم يكتبها ويصلح ما يلزم إصلاحها ومن ثم أصبح من السهل عليه إلقاء قصائده في الاحتفالات من دون ورق فكان السامع يظن أنه يرتجل وكان من السهل عليه أن يعيد قراءتها من أي موضع يطلب منه(٢).

نظم الشاعر في اغلب الأغراض الشعرية المعروفة، وكانت «شاعريته ينبوعا ثراً ومعينا لم يعتره النضوب ولا أحس بعطل في الإنتاج، قوي اللفظ جزله، مليح المعنى دقيقه، حسن السبك والإيقاع»(٣).

ترك الفرطوسي العديد من الآثار العلمية الدينية والأدبية منها: شرح موجز حاشية ملا عبدالله في علم المنطق، رسالة شرح شواهد الآيات القرآنية الواردة في مختصر علم المعاني والبيان إلى باب المسند إليه، رسالة كبيرة في باب من الرسائل، وشرح مطول لرسائل الشيخ الأنصاري، شرح مختصر للجزء الأول من كفاية الأصول، رسالة في شواهد الشعر في المختصر مع ترجمة شعرائها وايضاح أسرار البلاغة التي تحتوي عليها، ملحمة أهل البيت عليهم السلام في ثمانية أجزاء التي تحتوي أطول قصائد الشعر العربي؛ إذ بلغت ما يقارب الخمسين ألف بيت بوزن واحد وبقافية واحدة(٤).فضلًا عن ديوان شعر في ثلاثة أجزاء وطبع طبعات عديدة.. وله كثير من البحوث المنشورة في مجلات كثيرة.

كانت له مواقف وطنية وسياسية كثيرة وشعره شاهد على ذلك، لأنه عاش في مدينة قد شاركت في كل الأحداث السياسية التي مرَّت بها البلاد والأمة العربية فنشأ وهو يحمل الوطنية لبلاده وأمته(٥)، «فقد كان الشاعر ينتهز كل فرصة جماهيرية ليخاطب الجماهير بآلامها ومشاكلها وليحتج على كل القوى التي تتحدى طموحاتها وتأكل حريتها وعزتها واستقلالها»(٦).

---

(١) ظ: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، ٣٤؛ معجم الشعراء منذ بداية عصر النهضة إيميل بديع يعقوب، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤٢٥ـ ٢٠٠٤: ج٢ ص٧٧٥.

(٢) ظ: مقدمة ديوان الفرطوسي: ج١ ص٢٨.

(٣) ظ: شعراء الغري أو النجفيات، على الخاقاني، مطبعة بهمن، قم، د. ط، ١٤٠٨: ج ٦ ص٧.

(٤) ظ: شعر عبد المنعم الفرطوسي دراسة لغوية، رضية عبد الزهرة كيطان، (رسالة ماجستير)، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٤٣٦ ـ ٢٠١٥ م: ص٧.

(٥) ظ: م.ن: ص٧.

(٦) ظ: مقدمة ملحمة أهل البيت، عبد المنعم الفرطوسي: ج٨ ص٣- ٤.

توفي الشاعر في الرابع عشر من صفر سنة ١٤٠٤هـ الموافق الثامن عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٨٣ في مستشفى الجزيرة بدولة الامارات العربية المتحدة على إثر مرض عضال ألمَّ به فرحل عن عمر ناهز السبعين عاماً ونُقل جثمانه الى العراق ودفُن في النجف الاشرف[1] تاركاً خلفه ذلك الإرث الشعري الكبير ولاسيما شعره الخالد بحق أهل البيت عليهم السلام.

(١) ظ: الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، حياته وأدبه: ص٨٩.

المحور الثالث: الحاضنة الثقافية وأثرها في تشكيل فضائه الشعري

من المعروف ان ثقافة الشاعر مستمدة من طبيعة بيئته تطبعه بطابعها وتتشكل وفقا لذائقة المجتمع، لان المجالات المعرفية للشاعر مثل الموروث واللغة والثقافة والحضارة.. تتوطن ذاته لتشكل وعيه وصيرورته وتتجذر في عقله الواعي واللاواعي...

تعد النجف بيئة شعرية وحاضنة ثقافية تربى أبناؤها على حفظ الشعر وتذوقه، وعلى اختلاف طبقاتهم، فهم قريبون منه يسمعونه دائماً ويتغنون ويغفون على نغماته، التي تأتيهم من كلِّ صوتٍ، مما يطّوح به الخطباء تطويحاً رتيباً وموسيقياً، كما يغفو الأطفال على الترنيمة وهدهدة الأم[1].

إنّ لتلك المدينة عبقاً تاريخياً يمتد لآلاف السنين، فقد تميَّزت من بين مدن العراق بأهميتها الدينية والثقافية، فكانت وما تزال محط أنظار طالبي العلم والمعرفة، فهي وارثة أمجاد مملكتي المناذرة والغساسنة وآثار الخورنق والسدير[2]، وقد اكتسبت طابع القداسة والتشريف منذ بزوغ المرقد الطَّاهر للإمام علي عليه السلام «وحين اتخذ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية في العام(٣٦هـ) وقد شهدت النجف الأشرف تطوراً ثقافياً وعلمياً بسبب وجود المرقد الشريف، وازداد نشاط المدينة العلمي بعد انتقال الشيخ الطوسي إليها الّذي أسس جامعته الدينية فيها، وانتظم على يديه وضع الدراسة في حوزة علمية كانت الأفضل لتحصيل العلوم الإسلامية والفكرية في العالم الإسلامي»[3]، فالنجف الأشرف خلَّفت مدرسة دينية وشعرية مهمة؛ إذ كان لدراسة طلبة الحوزة أثرٌ مهمٌ في النشأة الشعرية، فلا تقلّ أهمية عن غيرها من العوامل، فأينما تقع عيناك في النجف تجد حلقات الدرس مبثوثة هنا وهناك، وتجد شواهد الشعر أدلّة ماثلة لكثير من المواضيع الّتي تُدرَّس، فصار للنجف بناء روحي وعلمي، فضلاً عن العمراني الّذي ظهر في المدينة واستمر[4].

(١) ظ: العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية، جعفر الخليلي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٧١م: ص٢٤.

(٢) ظ: مذكراتي، محمد مهدي الجواهري، منشورات دار المجتبى للطباعة والنشر، بني الزهراء للطباعة والنشر، قم المقدسة، ايران، ط١، ١٣٨٤ هـ - ٢٠٠٥م: ج١ ص٣٣.

(٣) ظ: الدراسة وتاريخها في النجف الأشرف، محمد بحر العلوم، ضمن موسوعة العتبات المقدسة، (قسم النجف)، جعفر الخليلي، دار التعارف، بغداد، ١٩٦٥م: ج٢ ص١١.

(٤) ظ: مدينة النجف الكبرى، دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية، د. محسن عبد الصاحب المظفر، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٨٢م: ص٥٣.

وكما كان للأنشطة التعليمية التي تكون بعد الدرس والمباحثة بين طلابه أثرٌ في نمو ملكاتهم الأدبية وذائقتهم الشعرية، وأدى ذلك إلى ظهور المساجلات والمناظرات والندوات وإلى نشوء المجالس الأدبية والعلمية، فضلاً عن الجمعيات الأدبية(١)، وكان لانتشار المكتبات العامة والخاصة واحتوائها على النفائس من الكتب والمخطوطات أثره في رفد الحركة الفكرية والثقافية للنجف(٢).

وكان للأحداث المهمة والمناسبات المختلفة العامة والخاصة مثل ولادة الأئمة الأطهار عليهم السلام أو وفياتهم، إذ يجد الشَّاعر النَّجفي في شعر المناسبات الدينية متنفساً له في التعبير عن الحالة السياسية والاجتماعية الّتي عانى منها العراق والأمة العربية(٣)، إذ إنَّ كلَّ ذلك ألّف بيئة مناسبة لإلقاء القصائد، وقول الشعر فغلب طابع أدب المناسبات على شعر تلك البيئة (٤).

وأسهمت تلك العوامل جميعاً في نشوء الجمهور الثقافي الّذي يضم المتلقي الواعي، ما أدى إلى زيادة الإنتاج الشعري، وتشجيع الناشئة جيلاً بعد جيل، حتّى يكونوا شعراء، يحظوَن بالمكانة والمنزلة الرفيعة؛ لأنَّهم شعراء مدينة أمير المؤمنين عليه السلام الّتي أُحيطت بمناخ ثقافي خاص(٥).

وفي هذه الحاضنة الثقافية بكل ما شهدته وانتجته وما اثمرته من وجود علماء وادباء وشعراء ومنهم الشاعر عبد المنعم الفرطوسي الذي كان منفتحا لهذ المناخات المعرفية فهو الابن البار لموروثه وقراءاته وقد ظهر ذلك في شعره وتشكيله لصوره المختلفة ومنها صورة الزهراء عليها السلام.

(١) وعددها أربعة: وهي الرابطة الأدبية، وجمعية منتدى النشر، وجمعية التحرير الثقافي، وجمعية القرآن الكريم، ط: ماضي النجف وحاضرها، جعفر باقر آل محبوبة: ج١ ص٣٩٦ – ٣٩٨.

(٢) ظ: م. ن: ج١ ص١٤٧.

(٣) ظ: الأدب العربي في كربلاء، د. عبود جودي الحلي: ص١٢٣.

(٤) ظ: هكذا رأيتهم، د. محمد حسين الصغير، موسوعة العارف، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ١٤٨، ظ: العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية: ص٣٧.

(٥) ظ: هكذا رأيتهم: ص ١٢

المحور الرابع: صورة الزهراء عليها السلام في شعره

تعدّ اللغة اللّبنة الأساس الّتي يشكّل منها المبدع شعره، تتفاعل بمشاعره وانفعالاته مجسدة صوره ويمنحها التأثير والإيحاء؛ لتصل إلى المتلقي مترجمة لأحاسيسه وتوحي بفكره وفضائه المعرفي..

والصورة من المكونات الأساسية في بناء القصيدة الفني[1]، ولها أهمية كبيرة لا يمكن فصلها عن بقية عناصر العمل الأدبي الأخرى من لغة أو موسيقى؛ لأنها تكونت بهما، وهي تسهم بإعطاء المتعة الجمالية[2]، وهي ترتبط بالعاطفة ارتباطا وثيقاً؛ إذ تكمل إحداهما الأخرى للقيام بمهمة إثارة المتلقي، وتحريك مشاعره، لتحقق التفاعل والانسجام مع الشاعر[3]، والصورة الفنية في الشعر تقوم على أسس جمالية تحمل دلالات معنوية ونفسية غير محددة لتكشف عن جوهر التجربة الإبداعية.

ولسنا هنا – بصدد التنظير عن الصورة وتاريخها واركانها واهميتها قديما وحديثا – بقدر ما تعنينا تلك الصورة التي وظفها الفرطوسي وأثّرت في الاستجابة الوجدانية للمتلقي؛ لأن شاعرنا لاسيما (في شعره الملحمي) يسعى بطريقة الملحمة الحديثة وهي سرد التاريخ بطريقة شعرية بمعنى التقاط الحوادث التاريخية وصياغتها شعرياً؛ لذا تكون الملحمة أقرب إلى الرؤية المباشرة منها إلى التشكيل الصوري؛ لأن هم الشاعر في الأساس هو استغراق الموضوعات وإعادة تشكيلها بصياغة شعرية.

وقد ظف الشاعر عبد المنعم الفرطوسي صورا كثيرة عن الزهراء عليها السلام في منجزه الشعري تُنبئُ عن وعي معرفي تماهى بعلاقة تبادلية قائمة على التأثير والتأثر بينه وبين مجتمعه؛ ليعزز تلك المفاهيم والأفكار القارة في الوعي الجمعي؛ لان المبدع مرتبط بالوعي التاريخي والحضاري والثقافي لمجتمعه بكل تراكماته بوصفه بنية متكاملة بأبعادها انغرست في ذاته المبدعة شكلت عمق فكره ووعيه وفضائه المعرفي، ومن تلك الصور:

١ـ الصورة العقائدية:

وهي الصورة التي استلهما الشاعر بما ترسخ في وعيه عن مكانة الزهراء عليها السلام وعظمة منزلتها عند

(١) ظ البناء الفني للقصيدة العربية: ص٤٥.
(٢) ظ: الرثاء في العصر الجاهلي وصدرالإسلام: ص٢٨٠.
(٣) ظ: البناء الفني للملحمات في جمهرة أشعار العرب: ص١٢٩.

الله تعالى، وبما جاء عنها بالروايات المكتوبة وأقام الشاعر معها علائق فكرية وثقافية وشعورية حتى غدت بؤرة معرفية أضحت واستقرت في وعيه، ومنها تولدت معاني ودلالات كثيرة لها عليها السلام تلتقي عند منبع واحد وهي عظمة الزهراء ومكانتها عند الله ورسوله يقول الشاعر في مولدها[1]:

ولـدت والـعـفـاف ينضحُ منها ... مستفيضاً عـلى بـنـي حـواء
وكـسـاهـا مـن الـقـداسـةِ بُـرداً ... أيـن مـنـهُ قـداسـةُ الـعـذراء
هـي أُم الـسـبـطـين بـضـعـة طه ... زوجـة الـمُرتـضى وخـير النساء
هـي تـفـاحـةٌ حـبـاهـا لـطـه ... من جِنان الخُلُود ربُّ السماء
حـولـت نُـطـفـةٌ بـأطـهـر صُـلـبٍ ... هـو أصـلٌ للصفوة الأُمـنـاء

تجسدت صورة الزهراء عليها السلام بما انتجه الشاعر من ترابط الأنساق وتداخلها ضمن منظومته العقدية التي شكلت وعيه المعرفي فتمثلت صورا مشرقة لمكانة الزهراء عليها السلام؛ لأن الترسيخ الروحي والعقدي لقضية أهل البيت عليهم السلام انما هو أمر مرتبط بطبيعة العقيدة السليمة وكانت الزهراء عليها السلام محورها، فالشاعر أكد في ابياته أنها ليست امرأة عادية، إنما شرّفها الله تعالى بما هو أعظم فهي تفاحة الجنة ونور النور ومنها تُزهر المشارق التي أودعها الله في صلب نبيه من قوله هي تفاحةٌ حـــباها لطه وقد استقى الشاعر هذا المعنى[2]، وفي ابيات أخرى، إذ يقول[3]:

وهـــي كـانـت تـسـمـى الـبـتـول ... لطهرٍ نُزّهت فيه من جميع الدماء[4]
وهـي في الـعـرشِ قبل آدم كانت ... قبساً زاهـراً لأهـل الـسـماء[5]

(١) ملحمة الفرطوسي: ج٣ ص٧.

(٢) فقد روي «**فلما خلق الله عز وجل آدم وأخرجنا من صلبه وأحب الله عز وجل أن يخرجها من صلبي جعلها تفاحة في الجنة واتاني بها جبرائيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرائيل فقال: يا محمد إن ربك يقرأ السلام قلت منه السلام وإليه يعود السلام قال يا محمد إن هذه تفاحة اهداها الله عز وجل إليك من الجنة فأخذتها ضممتها إلى صدري قال يا محمد يقول الله جل جلاله كلها ففلقتها فرأيت نورا ساطعاً وفزعت منه فقال: يا محمد مالك لا تأكل كلها ولا تخف فإن ذلك النور للمنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة**». ظ: بحارالانوار: ٤.

(٣) ملحمة الفرطوسي: ج٣ ص٨.

(٤) بإسناد العلوي عن علي عليه السلام «**أن النبي صلى الله عليه وآله سأل ما البتول؟ فإنه سمعناك يا رسول الله تقول إن مريم بتول وفاطمة بتول فقال: عليه السلام البتول التي لم تر حمرة قط اي لم تحض لان الحيض مكروه في بنات الأنبياء. وربما يكون البتل القطع أي لأنها منقطعة عن نساء زمانها بعدم رؤية الدم، في النهاية امرأة بتول منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم وهنا سميت مريم أم عيسى عليه السلام وسميت فاطمة عليها السلام البتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا او لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى**».
ظ: بحار الانوار: ج١٥ ص٤٣.

(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت لما سميت فاطمة الزهراء زهراء فقال: **لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته فلما أشرقت إضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت ابصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين**...وسألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة

فُطِمت من جميع شر وطمثٍ يعتريها وقُدست بالثناء[1]

اسهم الخطاب الشعري الذي وظفه الشاعر في تشكيل معاني الزهراء عليها السلام وكينونتها في عالم الذّر وكيف اخبره جبرئيل عليه السلام لنبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وقد عرج به الى السماء، فلم يكن الخطاب خطابا ماديا دنيوياً؛ انما دعوة ألهية تنطق عن الحق وتبشر نبيه بما سيكون عليه الخلق من نسله، وقد اقتنص الشاعر كل المعاني الواردة في الروايات وجاء بها ليرسم تلك الصورة الصادقة لسيدة نساء العالمين، وقد أسهمت قدرة الشاعر المعرفية والتعبيرية في تشكيل صورة الزهراء عليها السلام، منها تكرار الضمير(هي) للغائب (الحاضر) في احداث الترابط الحاصل بين القيم الصوتية والمعنوية وأضفت ظلالًا على ذلك الاستدعاء المتسم بالتلوين الشعوري، فهذا الاندماج الوجداني في سبر أغوار المعرفة وتطويعها في الشعر من القدرات الشعرية الّتي امتاز بها الشاعر، فتوالدت الصور الحسية وترابطت بإيقاعها.. فقد وظف الشاعر الأدلة العقلية والنقلية في تسميتها عليها السلام بـ(البتول، الزهراء، فاطمة) فهي الشجرة المباركة وهي شجرة طوبى وسدرة المنتهى، لقول الشاعر[2]: قال إني أبصرتُ سدرةَ نورٍ بجنان الفردوس في الاسراء.

فإنّ الحضور الذهني المشترك بين إشارات النَّص التي يدركها المتلقي بعد أن يستدعيها المبدعُ هو الذي يقيم العلاقات، وينتجُ الدلالات ويجعلُ النصَّ بنيةً مفتوحةً على الماضي وقارةً في الحاضر، وتتحركُ نحو المستقبل»[3]. واستلهم الشاعر كل الفضاءات المعرفية من روايات واحاديث لينطلق الى بيان تلك العقيدة الراسخة لما تعارفت عليها الذائقة الدينية الشيعية ان الزهراء عليها السلام هي أم الأئمة عليهم السلام وانها حجةٌ عليهم، يقول الشاعر[4]:

قال: إن الزهراء بهجة نفسي وعليا من ناظري ضيائي[5]
ثمرات الفؤاد سبطاي حقاً حسنٌ والحسين من اصفيائي

لما سميت زهراء فقال لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض. ظ: بحار الأنوار: ج١٢ ص٤٣.

(١) روي عن ابن عباس أنه قال لمعاوية أ تدري لما سميت فاطمة فاطمة؟ قال: لا قال لأنها فطمت هي وشيعتها من النار سمعت رسول الله يقوله. ظ: م.ن: ج١٢ ص٤٣.

(٢) ملحمة الفرطوسي: ج٣ ص٨.

(٣) ثقافة الأسئلة، عبد الله الغذامي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٩٣م: ص١١٣.

(٤) ملحمة الفرطوسي: ج٣ ص١٩.

(٥) روى القندوزي نقلًا عن فرائد السمطين للحموييني عن الأصبغ بن نباته عن ابن عبّاس رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون**». ينابيع المودّة: ج٣ ص٣٨٣.

وجميع الائمة الغُّر منها هم لربّ العُلى من الأمناء

أوضح الشاعر برواية مؤكّدة عن قول الرسول صلى الله عليه وآله باستعماله للفعل (قال)، ليكون منطلق الابيات ومحورها هي الزهراء عليها السلام وهذا القول كافياً لان توضع الزهراء المكانة التي تستحقها، هي حجة الله في أرضهِ وسمائه، لولاها لم تُخلق الخلائق، هي حجة الله على جميع خلقه، عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «**ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع مَن خلق الله من الجن والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة**»[1]، ويُعد حديث الثقلين[2] المعروف دليل على عصمة العترة الطاهرة من ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله وهي حُجة على ذريتها من الأئمة المعصومين عليهم السلام، إذ قال فيها الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**نَحْنُ حُجج الله على خلقه، وجدّتنا فاطمة عليها السلام حُجّة الله علينا**»[3]، فهي الرحم الطاهر لحمل الإمامة وأم الأئمة الأطهار عليهم السلام وهي والدة الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة واللذان كانا إمامان قاما أو قعدا، فقد حملت بهما من الارتباط السماوي بأمير المؤمنين حيث زوجها الله تبارك وتعالى من أمير المؤمنين وكما ورد في الحديث الذي يقول زوج النور من النور وهذا يشهد به الموالي والمخالف في قضية زواج الزهراء عليها السلام[4].

وحين وصف الشاعر الزهراء (ببهجة نفس الرسول)؛ لان البهجة الفرح والسرور وعلي عليه السلام هو الضياء المتصل منها من جانبين الأول: بحكم كونها البضعة التي تكون من نفس النبي صلى الله عليه وآله والثاني: انها الحلقة التي تربط بين النبوة والامامة والضياء الممتد من الرسول يُكمّله الامام علي عليه السلام بذريته منها فهم الصفوة...وحين خلق الله صفوة الخلق فقد أحب هذه الصفوة وكرّمها.. وهذه الصفوة هي ذلك النور الذي كان منه النبي صلى الله عليه وآله، والإمام علي والسيدة فاطمة عليها السلام، وذريتهما وهو ما اطلق عليه الشاعر(اصفيائي)، ومن تعلق بهم كان من الامناء في الدنيا والاخرة فهم حبل النجاة، فالشاعر أكدّ حقيقة واحدة اختزلها في بيت واحد، تفرعت منها دلالات كثيرة متجذرة في وعي المتلقي وأوحت بها.

ويستدعي الشاعر الفرطوسي تلك العقيدة التي آمن بها محبي أهل البيت عليهم السلام روحاً وعقلاً وهو مبدأ الشفاعة لمحبيها وأنها نجاة لكل محب مهما كان درجته؛ إذ يقول[5]:

---

(١) دلائل الإمامة: ص٢٨.

(٢) روي عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**». وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ص٢٧ ج٣٤.

(٣) تفسير أطيب البيان: ج١٣ ص٢٢٦.

(٤) الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي: ص١٥٤.

(٥) ملحمة الفرطوسي: ج٣ ص١٤.

ولطوبى نادى: احملي برقاق منجيات للشيعة الازكياء[1]
كلُّ صك قد خُط باسم وليّ ومحب من سائر الاولياء
فيه خُطت براءةٌ من لظاها للمحبين عند يوم الجزاء
ولها أفضل الشفاعة منه وهي في الحشر خيرة الشفعاء

فالشاعر وضح تلك العلاقة بين المحب وحبيبه وكيف ان الضامن له يؤدي إليه ما تعهده وقد اخذ المحب هذا العهد من سيدة النساء ولكن تلك المحبة مشروطة بصدق العقيدة والايمان وحسن المنهج الذي نادى به الرسول صلى الله عليه وآله حينما قرن محبته بمحبة الزهراء عليها السلام وغضبه لغضبها، إن هذا الخطاب العقائدي المعلن يخفي في داخله نسقية مضمرة لحكمة ألهية فيها اختبار دنيوي للمُحب وذلك بالشفاعة والاجر، وكشف للمنافق وتجريمه في الدنيا وعذابه في الاخرة يؤكدها الشاعر للمتلقي من اجل اثبات تلك العقيدة، قائلا[2]:

يا بضعة[3] الهادي التي أوصى بها وغدا يكرّر دعوة الإيصاءِ
أوصى بها حفظاً لها لكنها قد ضُيَّعت في أمةٍ رعناءِ
فكأنهم لم يسمعوا ما قاله في فاطمٍ: أيذاؤها أيذائي
من أغضب الزهراء أغضبني بها ورضاؤها وهو العظيم رضائي
ومودة الطهر البتول مودَّتي وجفاؤها عند الإله جفائي
جار عليها بعد فقد محمدٍ ظلما من الأحقاد والشحناء

استلهم الشاعر مدياته المعرفية في تشكيل ذلك المعنى المرتبط بالنسق التاريخي؛ إذ ابتدأ بالنداء(يابضعة) (يا) حرف نداء وتنبيه[4] وجاءت (يا المضافة الى بضعة الهادي) لتدل على معاني كثيرة

(١) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: **ما أنا زوجت عليا ولكن الله زوجه ليلة أسرى بي عند سدرة المنتهى، وأوحى الله إلى السدرة أن انثري ما عليك، فنثرت الدر والجوهر والمرجان، فابتدرت الحور العين فالتقطن وهن يتهادينه ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وأمر شجرة طوبى فحملت رقاعا أي صكاكا بعدد محبي أهل البيت، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور، ودفع إلى كل ملك صكا، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت إلّا دفعت إليه صكا فيه.** ظ: بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٢٦.

(٢) ديوان الفرطوسي: ج٣ ص١٧.

(٣) بضع: بَضَعَ اللحمَ يَبْضَعُه بَضْعاً وبَضَّعه تَبْضِيعاً: قطعه، والبَضْعةُ: القِطعة منه؛ تقول: أَعطيته بَضعة من اللحم إِذا أَعطيته قِطعة مجتمعة، هذه بالفتح، وفي الحديث: فاطِمةُ بَضْعة منِّي، من ذلك، وقد تكسر، أَي إِنها جُزء مني كما أَن القِطْعة من اللحم. ظ: لسان العرب:ج ٨ ص١٣.

(٤) ظ: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م: ٢٨؛ حروف المعاني للزجاجي: ١٩.

كالتكريم والتبجيل والتحزن والتحسر مستثمرا طاقة الأصوات والحروف في تشكيل تلك الدلالة «لأنَّ القيم الصوتية لجرس الحروف أو الكلمات للتكرار لا تفارق القيمة الفكرية أو الشعورية المُعبَّر عنها «[1]، فالشاعر لسان حال النبيﷺ يكرر ما قاله من دعوة الوصاية بابنته الزهراءعليها السلام بتكرار كلمة (أوصى، الايصاء..)؛ ليثبت تكرار ذلك في عقول أبت ذلك في أمة اتسمت بأنها (رعناء)، فالشاعر أراد إثبات أفضليّة الزهراءعليها السلام على الخلق، لان الصدّيقة بضعة النبيّ ومن الواجب تعظيمها وحفظ حرمتها. وإذا كانت بهذه المزيّة وأنّها بضعة منه، فيجب ترفيعها وتعظيمها. فضلا عن ذلك ان النبيّﷺ معصوم، فبضعته أي جزؤه والقطعة منه يجب أن تكون معصومة[2].

والشاعر أكد في ابيات أخرى ان هذ المنزلة والفضل عند الله انما جاءت في القرآن؛ لان الزهراءعليها السلام هي الشاهد لذلك والآيات الكريمة نزلت بحقها وبحق ال البيتعليهم السلام يقول الشاعر[3]:

وكفاها في الفضل ما جاء فيها ... من صريح القرآن خير اكتفاء
فهي ممن قد باهل الله فيهم ... وفد نجران عند وقت الدعاء[4]
وبآي القربى المودة أضحت ... وهي فرضٌ لها مع الأقرباء
وبآي التطهير من كل رجس ... قد تزّكت في جملة الازكياء

رسم الشاعر صورته المعرفية بحق الزهراءعليها السلام من ايراد آية المباهلة لقوله ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[5] فهذه الآية أثبتت حجية فاطمةعليها السلام، وكانت مقام الفصل بين حقانية الدين الاسلامي ونسخ غيره من الأديان.

---

(١) البلاغة والمعنى في النص القرآني (تفسير ابي السعود انموذجاً)، د. حامد عبد الهادي حسين، هيئة إدارة واستثمار أموال الوقف السني العراق، بغداد، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م:١٨٧.

(2) https://alrasd.net/arabic/4571.

(٣) ديوان الفرطوسي:ج٣ ص١٨.

(٤) أخرج السيوطي في الدر المنثور عن جابر قال: «قدم على النبيﷺ العاقب والسيد فدعاهما إلى الاسلام فقالا: أسلمنا يا محمد قال: **كذبتما ان شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الاسلام**، قالا: فهات قال: **حبّ الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير**، قال جابر: فدعاهما إلى الملاعنة، فدعواه إلى الغد، فغدا رسول اللهﷺ وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم ارسل اليهما فأبيا أن يجيباه وأقرّا له فقال: **والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهما ناراً**، قال لجابر: فيهم نزلت ﴿**تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**... ﴾ الآية قال جابر: ﴿**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾ رسول اللهﷺ وعلي، و﴿**أَبْنَاءَنَا**﴾ الحسن والحسين، و﴿**وَنِسَاءَنَا**﴾ فاطمة». الدر النثور، للسيوطي: ج٢ ص٢٣٠.

(٥) سورة آل عمران: الآية٦١.

فالنصارى الذين احتج عليهم رسول الله ﷺ بكل حجة لم يذعنوا في الظاهر، وتمادوا في تشكيكهم وتكذيبهم لدعوة النبي ﷺ ولم يملكوا إلا الاذعان لما دعاهم النبي ﷺ للتباهل إلى الله تعالى ليلعن الكاذب، ولم يجد النصارى بداً من القبول بذلك، حتى إذا أراد النبي ﷺ مباهلتهم علموا صدق النبي ﷺ بالخروج بالمباهلة بنفسه وأهل بيته، مما دعى النصارى إلى التسليم لصدق دعوته واذعانهم اليه[1]؛ فالتوظيف القرآني المستند على رؤية عقائدية قد تشكلت في وعي الشاعر المعرفي أضحت بؤرة تشع منها الانساق الدينية واسهمت في ترسيخها تلك المعاني الروحية النابعة من القرآن، بوصفه خطاباً مقدساً فهو اختيار إلهي هادف و عميق الدلالة بحق اهل البيت عليهم السلام وأهليتهم بوصفهم خير خلق الله.

وفي المعنى نفسه نجد ذلك في قول الشاعر:

وبـآي الـقـربـى المـودة أضحت ... وهـي فـرضٌ لها مع الأقـربـاء
وبـآي التطهير مـن كـل رجس ... قـد تـزّكـت في جملة الازكـيـاء

وظف الشاعر الآيتين المباركتين ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[2].

وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3].

ليبين صورة العظمة والرفعة لأهل البيت.. لقد وزن الله تعالى الرسالة المهيمنة على كلّ الرسالات بمودّة القربى.. وخصهم بالطهارة الإلهية لقد استحقّت فاطمة عليها السلام هذا الوسام الإلهي بجدارة ويكفينا لتأكيد ذلك تسطيرها ضمن آيات الذكر الحكيم.. هذا بعض من مناقب الزهراء عليها السلام وفضائلها التي لا تعد..، ويكفي من ذلك الموالي ان يحبها ويتمسك بنهجها؛ لأنها الشفيعة بيوم الحساب وشفاعتها تميمة مستمرة مع الموالين في حياتهم وبعد مماتهم فهي حاضرة تسمع وترى صوت كل مُحب لقول الشاعر[4]:

إن حُـب الـزَّهـراء ينفع حـقاً ... أهله في مواطن للـــــبلاء
وأقـل الأهـوال منـها بـــلاءً ... ساعة المـوت عند وقت الفناء
وعـــذاب الـقـبـور والحـشر منها ... وعبور الصـــراط يـوم البقاء
وحسـاب العباد والـــوزن عـدلاً ... عند وضـع الميزان يـوم اللقاء

(1) https://imamhussain.org/arabic/6348.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
(٤) ملحمة الفرطوسي: ج٣ ص ٢٣

ليس ينجي العباد بالأمن منها غيرَ حُب الزكـــية الحوراء

حاول الشاعر استثمار لفظة (الحُب) وأكّدها في بيته الأول (إن حُب الزَّهراء) لما في هذه اللفظة من طبيعة نفسية شعورية توحي بذلك الشغف والتعلق فهذا (الحب الزهرائي) مختلف عن اية علاقة دنيوية ممكن ان تشوبها الغريزة والمصلحة هذا الحب الصادق الحق الذي ينجي صاحبه من موبقات الشر والرذيلة في الدنيا وهو النجاة والأمان في الاخرة؛ لان المتعلق بمحبوبه يسعى لرضاه وما دامت المحبوبة الزهراء عليها السلام هي حبيبة ابيها وبضعته وفي هذا توجه وتعلق بحبيبنا الرسول صلى الله عليه وآله هذا الحب الذي ينبغي ان يقترن بالنهج القويم والالتزام الصحيح والفهم العميق للتعاليم الإسلامية هو الذي ينجي صاحبه يوم القيامة، فالشاعر أوضح ذلك بكلمة حب الزهراء عليها السلام ولم يفصّل؛ لأنه أراد أن يهيئ المتلقي وجدانياً لما سيفصّله لاحقا من أجر هذا الولاء وقد تدرّج الشاعر في وصفه دلاليا وحسياً لما يمكن ان يصيب الانسان من اهوال الدنيا والاخرة واهونها ساعة الموت لقوله:

وأقـــل الأهـــوال منـهـا بـلاءً ساعة الموت عند وقت الفناء

هذا الشعور المخيف ساعة خروج الروح من الجسد هو الفناء الحقيقي للإنسان في الدنيا جعله الشاعر أهونها فما بالك بالأعظم!! ويبدأ الشاعر في تهيئة المتلقي لما يأتي وهو (عذاب القبر، والحشر، عبور الصراط، حساب العباد، ووضع الميزان) استطاع الشاعر ان يثير فينا ذلك الخوف ليبدأ قطف ثمار هذا الحب الصادق وهو النجاة والأمان لتعود دائرة الحب الزهرائي تتجلى من جديد لتكون شفاعتها نجاة للمحبين وحبها عتقا من النار وتخفيفا للحساب؛ لقوله:

فـتـوفى لهـا الـشـفـاعـة فيمـــن تبتغيه مـن ربـهـا بســـخاء
تلقُطُ الأولـيـاء كالطير للحـب انتقاء من زُمرة الأشـــقياء[1]
ادخـلـوا الحـشر للشفاعة حتى يعرف القدر منكـــم كلُّ رائي
من كساكم لحُبها فـــــخذوه أو سقـــــاكم لهُ بشرية ماءِ

(١) روي عن دخول الزهراء عليها السلام للجنة «إذا صارت عند باب الجنة تلتفت: فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟ فتقول: يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم فيقول الله: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قبله حب لك أو لاحد من ذريتك خذي بيده فادخليه الجنة.

قال أبو جعفر عليه السلام: والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردئ، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا فيقول الله عز وجل: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي، فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة خذوا بيده وأدخلوه الجنة». بحار الانوار: ج٤٣ ص٦٥.

فهذه دعوة من الشاعر يذكّر فيها الموالين والمحبين لتلتقي مع ما اختزنته الذاكرة الجمعية مستثمرا ذلك الثراء المعرفي المتجسد في تلك المنابع المحمدية فعندها يلتقي الحب بالشفاعة ذلك الحب الذي ينتشل المحب وتلتقطه عليها السلام كما يلتقط الطير الحب في البيت: تلقُطُ الأولياء كالطير للحب، بل ويُنتقى المُحب بعناية ليكون معها في سفينة النجاة، وتماهى الشاعر بوصفه لتلك المكانة التي لا يكتف منها من أحب الزهراء عليها السلام فحسب بل من أطعم ومن سقى، ومن كسى وكل عملٍ لحب الزهراء عليها السلام يُحسب ما أعظم ما اعطيتنا سيدتي ومولاتي بكم نتوسل وبكم نستشفع.

٢ـ الصورة الاجتماعية

يعد البعد الاجتماعي من أكثر الأبعاد أهمية في البنية الشعرية؛ لأنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحاضنة الثقافية والاجتماعية المولّدة للنّص الشعري، فمعلوم أن النّص هو ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها وقد اختلفت التجارب الشعراء في طبيعة التعامل مع الاتجاه الاجتماعي واندرجت تحته صور ثلاث:

الأول: وصف المظاهر الاجتماعية وسردها دون تقديم حلول لها.

الثاني: نقد المظاهر الاجتماعية غير الصحيحة ومحاولة تقديم الحلول لها بحسب مرجعيته المعرفية.

الثالث: تقديم النُصح والإرشاد ليكون هو المؤسس لرؤية الشاعر ويتم هذا الأمر بعرض الشاعر مظاهر اجتماعية يحاول منها تبيان صحة هذه المظاهر وبالنظر لشعر الفرطوسي سنرى أنه قد اعتمد المحور الثالث الذي قدم فيه صوراً اجتماعية للسيدة الزهراء عليها السلام، لتكون بوابةً للنصح والإرشاد والتأسي بها ولتصحيح المظاهر الاجتماعية السائدة في هذا الوقت باتخاذها الانموذج الاكمل للحياة الاجتماعية، ومن هذه الصور يقول الشاعر[1]:

وصـــداق الـزهـراء درع حديد ... وهو مهرٌ من سيد الأوصياء[2]
ومـــن الله مـهـرهـا كـــل نهر ... قد جرى فوق تربة الحصباء
ولها الأرض قد مشى في حرام ... فوقها كـلُ نـاصـب بـالـعـداء

(١) ملحمة الفرطوسي: ج٣ ص ١٦.

(٢) روي عن الصادق عليه السلام قال: **كان صداق فاطمة درع حطمية وإهاب كبش أو جدي**. رواه أبو يعلى في المسند، عن مجاهد. وقيل للنبي صلى الله عليه وآله: قد علمنا مهر فاطمة في الأرض فما مهرها في السماء؟ قال: **سل عما يعنيك ودع مالا يعنيك**، قيل: هذا مما يعنينا يا رسول الله، قال: **كان مهرها في السماء خمس الأرض فمن مشى عليها مغضبا لها ولولدها مشى عليها حراما إلى أن تقوم الساعة**. في خبر طويل عن الباقر عليه السلام **وجعلت نحلتها من علي خمس الدنيا وثلث الجنة وجعلت لها في الأرض أربعة أنهار: الفرات، ونيل مصر ونهروان، ونهر بلخ، فزوجها أنت يا محمد بخمسمائة درهم تكون سنة لامتك**. ظ: بحار الانوار: ج٤٣ ص١١٥.

استدعى الشاعر روافد معرفية تاريخية تتمثل بالمهر الذي قدّمه امير المؤمنين علي للزهراء عليها السلام؛ لأنه يسعى الى كشف الابعاد المعنوية والعقائدية والاجتماعية والنفسية والفكرية للحياة العامة لأهل البيت عليهم السلام وتجلي هذه المظاهر بكينونتها الظاهرة وما تنطوي عليها من آثار كبيرة تُسهم في بناء الاسرة وتخلق الانسجام والمودّة...وكيف ان الله تعالى يُكافئ المؤمن الحق بدينه والتزامه في الدنيا والاخرة، فالشاعر رسم تلك الصورة الاجتماعية للزهراء عليها السلام وقناعتها بالقليل من المهر؛ لأنها تمثل انموذجا للمرأة القدوة وتعدُّ امتدادا لذلك العبق الإلهي المتجسد في عترتها عليهم السلام، فالشاعر أراد ان يجسد تلك الصورة ويجعلها ماثلة لجميع النساء بعدم المغالاة في المهور وأراد أن ينبّه الناس من الغفلة التي قد سكنوا فيها وهم غير منتبهين، بل هم سائرون في طاعة الدنيا، بعيدون عن الله سبحانه. فهذه سيدة نساء العالمين ترضى وتقنع باليسير فأكرمها تعالى بما هو أعظم لقول الشاعر: ومن الله مهرها كل نهر...

فلو ارادت السيدة كنوز السماوات والأرض لأعطيت لها وقد أعطاها الله كل شيء كرامة ومحبة لها ولمحبيها، لكن المبغضين ماذا فعلوا؟ وماذا أرادوا؟ وقد اغتصبوا حقها الذي هو ملك الله لها لقول الشاعر: ولها الأرض قد مشى في حرام...

فويل للذين كانوا للزهراء عليها السلام غاصبين لحقها منكرين جاحدين لمكانتها، فالزهراء عليها السلام هي النموذج الكامل والمتكامل ذاتيًا ونفسياً وتربويًا، فهي مجمع للكمالات الروحية التي على كل موالية ان تجعلها النور الذي تهتدي به الى طريق الأمان والنجاة، وان تجعل من سيرتها العطرة انموذجا صالحا لإدارة اسرتها؛ لتكون على خطاها تنعم بفيض خيرها ورضاها، يقول الشاعر في قصيدة أخرى[1]

وأتانا من النُّصوصِ حديثٌ ... مستفيضٌ عن سيد الاوصياءِ[2]

قلت للبضعة الزكية يوماً ... اطعمينا من رزق ربَّ السماء

---

(١) ملحمة الفرطوسي:ج٣ ص٢١.

(٢) روي ان علي عليه السلام قال لفاطمة يوما: **يا فاطمة هل عندك شئ؟ قالت: والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شئ نقريك به، قال: أفلا أخبرتني؟ قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئا فقال: لا تسألين ابن عمك شيئا إن جاءك بشئ [عفو] وإلا فلا تسأليه. قال: فخرج عليه السلام فلقي رجلًا فاستقرض منه دينارا ثم أقبل به وقد أمسى، فلقي مقداد بن الأسود فقال للمقداد: ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: الجوع والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين**، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ورسول الله صلى الله عليه وآله حي؟ قال: **ورسول الله صلى الله عليه وآله حي، قال: فهو أخرجني وقد استقرضت دينارا وسأؤثرك به فدفعه إليه فأقبل فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله جالسا وفاطمة تصلي وبينهما شئ مغطى فلما فرغت اجترت ذلك الشئ فإذا جفنة من خبز ولحم قال: يا فاطمة أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أحدثك بمثلك ومثلها؟ قال: بلى، قال: مثلك مثل زكريا إذ دخل على مريم المحراب فوجد عندها رزقا قال: يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فأكلوا منها شهرا وهي الجفنة التي يأكل منها القائم عليه السلام وهي عندنا**.ظ: بحار الانوار:ج٤٣ ص٣١.

فـأجـابـت عـلي يـومـان مـرَّا بـعـد ايـثـاركُـم بـغـير غـذاءِ

جسد الشاعر صورة أخرى من صورها المشرقة(عليه السلام) في مجال حياتها الاجتماعية؛ إذ ضمّن الشاعر هذه الرواية ووظفها شعراً لما فيها من حكمة وعظة توحي بها هذه السيدة، لتكون عبرة لنسائنا في كيفية إدارة بيتها وصبرها وتكّيفها لما موجود في حياتها دون تحميل زوجها مالا يستطيع؛ إذ كانت الزهراءعليها السلام تتحرك في فضاء الاسرة بالروح الانسانية المساهمة في هذا البناء والعمل بيديها، وهذا النص يؤيد الروح الانسانية بالرضا والقناعة والصبر والعمل وهي من صفات المؤمنين بدرجة عالية جدا في فهم هذا الوجود، وقد اعتمد الشاعر على الحوار القائم على السرد الروائي في نقله من استعماله لألفاظ:(اتانا، وقالت، فأجابت...) القصيدة فيها ابيات كثيرة اُختصرت للضرورة مع نقل الرواية كاملة.

والصورة الاجتماعية التي أرادها الشاعر ووضحها في ابياته ان الرسولصلى الله عليه وآله قد علّمها معنى الحياة، وبين لها بأنّ الإنسانية هي جوهر الحياة، وأنّ السعادة الزوجية القائمة على القيم السامية والأخلاق الإسلامية هي أسمى من المال والقصور والحياة الزائفة. فالزهراء سيدة نساء العالمين من الاولين والأخرين لم تفارقها البساطة ولم يبرح بيتها خشونة الحياة، كانت نعم الزوجة المثالية، للأمام عليّعليه السلام بطل المسلمين، ووزير الرسولصلى الله عليه وآله ومشاوره الأول، وحامل لواء الجهاد والنصر، وعليها أن تكون بمستوى المسؤولية، في الحفاظ على الدين وان تشارك الامامعليه السلام في جهاده والصبر على قساوة الحياة واكمال رسالة الإسلام.. فكان الرسول يثني عليها حامدا الله شاكرا له بما صبرت ومثلها في موقف الرضا والقناعة وانشغالها بالعبادة كمثل مريمعليها السلام التي كلما دخل زكريا الى محرابها وجد عندها رزقا، من ذلك قول الشاعر[1]:

ولـــهُ الـشـكـر نـعـمـةً وامـتـنـانـا وهـو لـطـفـاً أهـلٌ لـكـل ثناء

قـد أراني في بـضـعـتـي مـا رآه زكـريـا في مـريـم الـعـذراءِ

ويستمر الشاعر في ايراد صور الزهراء الاجتماعيةعليها السلام بقصائد أُخرى بقوله[2]

قـال سـلـمان وقـد أتـيـت عليا بعد أمر من خاتم الأنبياء[3]

(١) ملحمة الفرطوسي: ج٣ ص ٢١.

(٢) ملحمة الفرطوسي: ج٣ ص ١٧.

(٣) يروى أن أم أيمن قالت: مضيت ذات يوم إلى منزل مولاتي فاطمة الزهراءعليها السلام لأزورها في منزلها، وكان يوما حارا من أيام الصيف، فأتيت إلى باب دارها وإذا بالباب مغلق، فنظرت من شقوق الباب فإذا بفاطمة الزهراء نائمة عند الرحى، ورأيت الرحى تطحن البر وهي تدور من غير يد تديرها، والمهد أيضا إلى جانبها والحسينعليه السلام نائم فيه والمهد يهتز ولم أر من يهزه، ورأيت كفا يسبح

فسمعت الـزهـراء عند المصلى تـذكـر الله في جميـل الـدعـاء
ورأيــت الـرحـى تـدور انـفـرادا دون شخص تـراه مقلة رائي
فسـالـت الـنـبي عـنـهـا فـأوحـى أن بنتي مـن سـيـدات النساء
عَـلِـمَ الله ضـعـفـهـا فـحـبـاهـا خـدمـاً مـن عـبـادهِ الأمـنـاء
تـتـأدى لهـا المـعـونـةُ منهم حـين تحـتـاجـهـا بـخـير أداء

من أكثر المظاهر جدلاً في المجتمع هو مكانة المرأة في بيتها وفي خارجها وهنا حاول الشاعر أن يقدم الأنموذج الإسلامي لتعامل السيدة الزهراء عليها السلام مع عائلتها وطبيعة إدارتها لبيتها منطلقاً في ذلك كله من التعاليم الإسلامية والأفكار والمعتقدات التي غرسها فيها نبينا الاكرم وقد عرض الشاعر بأسلوب فني الرواية المعروفة عن النبي التي كان فيها الصحابي الجليل سلمان الفارسي حاضراً في أحداثها.

وظف الشاعر أسلوب الحوار المعتمد على (قال) البيت الأول(وسمعت) في البيت الثاني (وقالت) في البيت الرابع وتوسطهما الفعل (رأيت) في البيت الثالث، وكل هذه الأفعال إحالات لرواية والتثبت منها، فمعلوم أن الرواية تعتمد على قائل وسامع وتتأكد بالرائي وحين حشّد الشاعر كل ذلك كان غرضه تثبّت هذه الرواية وتأكيدها ببساطة طريقها الموثوق وهو سلمان الفارسي، وفحوى ذلك الحدث المتضمن طبيعة حياة الزهراء عليها السلام وملامحها والبعد الاجتماعي فيها، فإشارة (سيدات النساء.....) التي ذكرها الشاعر تحيل إلى مكانة اجتماعية مرموقة، فضلاً عن المكانة الدينية إلا أن هذه السيدة على الرغم من تمتعها بتلك المكانة كانت تقوم بأعباء المنزل على الرغم من ضعفها في البيت الخامس (علم الله ضعفها فحباها ...) أنها أثرت أن تكون امرأة كسائر النساء اجتماعياً لكنها سيدة النساء عقائدياً ودينياً.

ولأن الشاعر قد أثر أن يضيء الملامح الاجتماعية في سيرة الزهراء عليها السلام فقد وضح صورة عفتها وسترها؛ إذ يقول[1]

حين وافـت والمسلمون حضور تتهادى في لُـمَّـــة من نساء

الله تعالى قريبا من كف فاطمة الزهراء، قالت أم أيمن: فتعجبت من ذلك فتركتها، ومضيت إلى سيدي رسول صلى الله عليه وآله وسلمت عليه وقلت له: يا رسول الله إني رأيت عجبا ما رأيت مثله أبدا، فقال لي، **ما رأيت يا أم أيمن؟** فقلت: إني قصدت منزل سيدتي فاطمة الزهراء، فلقيت الباب مغلقا وإذا أنا بالرحى تطحن بالبر وهي تدور من غير يد تديرها، ورأيت مهد الحسين يهتز من غير يد تهزه، ورأيت كفا يسبح الله تعالى قريبا من كف فاطمة عليها السلام ولم أر شخصه، فتعجبت من ذلك يا سيدي، فقال: **يا أم أيمن اعلمي أن فاطمة الزهراء صائمة، وهي متعبة جائعة، والزمان قيظ.** ظ: بحار الانوار: ج٣٧ ص٩٧.

(١) ملحمة الفرطوسي: ج٣ ص٤١.

وانيطـــت مُـلاءة ثـم أنّـت من أذاها فأجهـشوا بالبـكاء

فقد اعتمد الشاعر على صورة محدودة لغوياً لكنها تبدو واسعة معنوياً ففي البيت الاتي:

(حين وافت والمسلمون حضور تـتـهـادى في لُـةٍ مـن نـسـاء)

يبدو المعنى الأول أنها قد حضرت محفوفة بمجموعة من النساء لكن المعنى المضمر لهذا القول يشير إلى حرصها على أن تتخفى في مشيتها ولا تكون ظاهرة أمام أنظار الرجال، ولا سيما أنه ذكر لفظ (المسلمين) في البداية وهي إشارة واضحة على الزهراءعليها السلام في التمسك بحجابها الذي لم يمنعها من المطالبة بحقها المشروع في ارثها، و معلوم أن الكلام هنا في سياق الخطبة الفدكية التي وصفها الشاعر في قصيدته (بضعة المصطفى) وأكد هذا الأمر البيت الآخر (وانيطـــت مُلاءة ثم أنّت) تقول الرواية: (فَنِيطَتْ دُونَهَا مُلاَءَةٌ)[1]. أي دخلت فاطمةعليها السلام وهي بكامل حجابها فضربوا ستراً بينها وبين القوم، فالشاعر فصّل ما كان مضمراً في البيت الذي قبله وهو الجانب الحسي الظاهر للعيان والمتمثل بارتدائها للحجاب الإسلامي، وقد ركّز الشاعر على هذا الأمر؛ لأن الروايات التي وردت فيه أكدت على التزام الزهراءعليها السلام في حشمتها في كل مراحل حياتها، ولتعطي درساً للأجيال أن الحجاب لن يكون مانعاً أمام ممارسة الحياة والمطالبة بالحقوق، وفي هذا تأكيد أيضاً على حرص الشاعر في التقاط المظاهر الاجتماعية و إبرازها بما يتسق وطبيعة الموضوع، فما تم ذكره في الأبيات التي لا تتعدى أربعة أبيات في مجمل أبيات القصيدة كان كافيا لإضاءة ذلك الجانب، لا سيما وأنه قد اعتمد على التعبير غير المباشر للوصول إلى المعنى.

وحاول الشاعر تأكيد الصورة الاجتماعية للزهراءفاطمةعليها السلام فيما يتعلق بوجوب توريث المرأة واعطائها حقوقها لاسيما بعد ان حُرمت الصديقة الطاهرةعليها السلام من حقّها، وردّت دعواها الثلاثة: النحلة، والإرث، والخمس، ورأت أنّ القوم أنكروا جميع ما أنزل الله تعالى في كتابه الكريم، وجاء به رسول اللهصلى الله عليه وآله من عند ربّه، ففي خطبتها الفدكية تلك الخطبة الغرّاء التي أفصحت عن بلاغتها وفصاحتها، وعلمها ومعرفتها بالأحكام وعللها، فكانت تفرغ في خطبتها عن لسان أبيهاصلى الله عليه وآله مسجلة بخطبتها الغرّاء أعظم جريمة ارتكبها هؤلاء المنافقون في حقّ بني رسول اللهصلى الله عليه وآله، بخذلانهم لابنته وقرّة عينه...وقد وظف الفرطوسي تلك الفضاءات المعرفية، من ذلك قوله[2]

(١) روى عبد الله بن الحسن باسناده عن آبائهعليهم السلام «أنه لما اجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة فدكا وبلغها ذلك لاثت بخمارها على رأسها واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول اللهصلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة..» الاحتجاج، الطبرسي: ص٧٠.

(٢) ملحمة الفرطوسي: ج٣ ص٥٣.

قال فيه: يوصيكم للبـــرايا في اقتسام الميراث بعد الفناء[1]
مثل حــظ للأنثيين يُكـــافى ذَكرٌ من بنِيكم في العـــطاءِ
والـوصـايـا لـلـوالـديـن بخيـرٍ حين يـبقى خيرٌ وللأقربـاء
وجميع الارحـام أولى ببعضٍ بعضُهم في كتاب ربِّ القضاءِ
أفلا تكتفون فـيما أتـاكُم منه نصا وفيه خير اكتـفاء

ـ ولسنا بصدد التفصيل لهذه الخطبة واهميتها وابعادها المختلفة ـ ما يعنينا هي الابيات التي ضمّنها الشاعر من تلك الخطبة وهو أمر يحمل جنبتين الأول: الهدف العام الذي نستقي منه حقوق المرأة في الإسلام ولاسيما مسألة الأرث، فالحق الذي طالبته الزهراء عليها السلام هو حق جميع النساء المسلمات؛ لماورد في القرآن الكريم من آيات تؤكد توريث المرأة كما اشارت عليها السلام في الخطبة الفدكية فالزهراء عليها السلام صورة ناطقة لكل من يقف ضد مسألة توريث المرأة حتى في عصرنا الحاضر وبينت ان من يمنع ذلك ولا يلتزم بالقرآن فمصيره جهنم كمصير ابي قحافة ومن تبعه الى يوم الدين، وهذا ما استقاه الشاعر ووظفه في ابياته؛ ليكون حجة وعظة لمن يقول غير ذلك، الثاني: الهدف الخاص ونعني به التجاوز والتجرؤ والتعدي على أهل بيت النبوة وهذا تجاوز على الله من قوله تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[2]، وكيف ان الزهراء عليها السلام حاججتهم بالقرآن من الاستفهام الانكاري؛ لقول الشاعر:

أفلا تكتفون فـيما أتـاكُم منه نصا وفيه خير اكتـفاء

فبعد ان وضحت لهم وابانت متسائلة منكرة لما يعدون ألم تكتفوا من جدالكم وحربكم واعتراضكم بعد كل تلك الأدلة؟؟؟، فشاعرنا يدعو لمن يشكك بحقوق المرأة واعطائها حقوقها كما اقرها الله ورسوله في كتابه الكريم والأحاديث الشريفة.. ان يجعل هذه الابيات وسيلة في التفكّر

(١) قالت الزهراء عليها السلام في خطبتها «**أيّها المسلمون، أأغلب على إرثي؟ يابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّاً على الله ورسوله، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾، النمل: ١٦ وقال في ما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، مريم:٦وقال (أيضاً): ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الأحزاب:٦ قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ النساء:١١وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، البقرة:١٨٠ وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية (من القرآن) أخرج أبي محمداً صلى الله عليه وآله منها؟ أم تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي**» الاحتجاج: الطبرسي:٧٢.

(٢) سورة النساء:الآية ٥٩.

والتمعن والالتزام بالدين القيم الكامل الشامل لجوانب الاعتقاد والتمسك بالدين والعناية بجوانب الحياة والإصلاح الاجتماعي وان يكون رقيبا على افعاله واقواله حتى يأمن مع الزهراءعليها السلام بصدق الايمان والولاية وتكون سببا في عتقه من النار بشفاعتها؛ لان من يعتقد غير ذلك كأنما كان مشاركاً ومؤيداً لأعدائها في ظلمهم لهاعليها السلام وظلمها يعني محاربة اهل البيت.

٣ـ صورة ظلامة الزهراء

وهي الصورة التي رسمها الفرطوسي عن الظلم والاذى الذي لحق بهاعليها السلام وقد جسدها بقصائد كثيرة منها قائلاً[١]:

شجونٌ تستهل لها الدموعُ ... وتحرق من لواعجها الضلوع
وقفت على البقيع فسال طرفي ... وقلبي فالدموعُ هي النجيعُ
كأن مصيبة الزهراء بيتٌ ... بقلبي للأسى وهو البقيع
أمثل البضعة الزهراء تُجفى ... ويُعفى قبرها وهو الرفيع
ويُغصبُ حقُّها جهراً وتؤذى ... بحيثُ وصية الهادي تضيع
تُصد عن البكاءِ على أبيها ... فتُحبسُ في محاجرها الدُّموع
وتُقتطع الأراكةَ حين تأوي ... لظل غُصونها كفٌ قطيع
ويُحرقُ بيتُها بالنار حقدا ... ويُهتك سترها وهو المنيع
ويُكسرُ ضلعها بالباب عصراً ... فيسقُطُ حملها وهو الشفيع
ويُدمي صدرها المسمار كسرا ... فينبُع بين ثدييها النجيع
ويُنثر قُرطها لطماً ويُلوى ... عليها السَّوط ُوالسيفُ الصنيع
وحُمرة عينيها بالحشر تبقى ... بها من كف لطمها تشيعُ
تنوحُ فتسمعُ الشكوى وتدعو ... وما في المسلمين لها سميعُ
مصائبُ بالفضاعة قد تناهت ... وكلُّ مصيبةٍ خطبٌ فظيعُ
قضت ألماً من الزَّهراء فيها ... حُشاشةُ قلبِها وهو المروعُ

القصيدة أوضحت ظُلامة الزهراءعليها السلام وقد ارتبط فيها البعد المكاني والزماني، البعد المكاني يتمثل في الوقوف على البقيع وهو قبر الزهراءعليها السلام، اما البعد الزماني فكان في محورين: حديث:

(١) ديوان الفرطوسي: ٣/ ١٧.

يشمل بوقوف الشاعر على القبر وقديم: يعيدنا بالزمن إلى حادثة الزهراءعليها السلام ولعل استغراق الشاعر في تفصيلات الحادثة بكل ما فيها من ألم يمثل الملمح المؤثر في القصيدة ويدلنا على ذلك الاستهلال أو البيت الأول الذي جاءت أول كلمة فيه(شجون) لقوله:

(شجونٌ تستهل لها الدمـــوعُ) وتعد مولداً دلاليا ولّد كل دلالات الحزن والألم واللوعة، بل لا أغالي إذا قلت إن الاستهلال يمثل بؤرة دلالية للنّص انطلقت منها كلّ الصور والدلالات، وقد وعى الشاعر لذلك حينما ربط في استهلاله بين فعل الاستهلال (تستهل) وبين تأثيرات ذلك الفعل فكان قرينة على أن قصيدته تستهل بالدمع.

كما أنه قصة الزهراءعليها السلام لا يمكن أن تستهل إلاّ بالدمع وربط الشاعر بين بداية قصيدته وبين حادثة الزهراءعليها السلام فكانت مفردة الضلوع التي وردت في البيت الأول:

(وتحرق من لواعجها الضلوع) معبرة بشكل واضح عن مصيبة الزهراءعليها السلام التي ارتبطت بالخيال الشيعي بضلعها المكسور، والانقطاع الحاصل في القصيدة بين البيت الأول والبيت الثاني

وقفت على البقيع فسال طرفي وقلبي فالدموعُ هي النجيعُ

يمثل المفارقة التي كان عليها ذلك الخيال؛ إذ بقيت ظُلامة الزهراءعليها السلام مرتبطة بالدموع التي تكررت في البيت الثاني لتشكل مع البيت الأول ثلاث حالات من جريان الدموع الذي تحول نهاية البيت الثاني إلى (نجيع) بمعنى أن الشاعر آثر أن يكون الدمع هو السبيل والطريق للتعبير عن ظلامة الزهراءعليها السلام؛ إذ من المعلوم أن الشاعر من الممكن أن يتحدث عن موقف تاريخي معين باتجاهات متعددة منها اللوعة والأسى ومنها الصبر والثورة لكن شاعرنا هنا اختار هذا البعد؛ لارتباطه بالبنية المكانية؛ لأنه كما يرد في النص قد قال هذه الأبيات وهو في البقيع بمعنى أن المؤثر المكاني كان أكثر حضوراً من المؤثر الزماني وهو الذي يوجه القصيدة إلى ما كانت عليه

وقد حاول الشاعر الإحاطة الكاملة بالصورة الشعرية مستغرقاً كل تفصيلاتها وربما كان للوازع النفسي والوجداني الأثر الكبير في ذلك؛ إذا ارتبطت قضية السيدة الزهراءعليها السلام بجوانبها الروحية لا سيما وأن الفضاء المعرفي الذي يمتح منه الشاعر هو فضاء ديني عاشه الشاعر في بيئته التي ترى في مصيبة الزهراءعليها السلام حدثاً جللاً فكأنه أراد أن يحيط بكل تفصيلات الواقع فنراه في البيت الثالث يقول:

كـأن مصـــــيبة الـزهـراء بيتٌ بقلبي للأسى وهو البقـــيع

يبدأ بالتمهيد الشعري لما يريد قوله لكن العرض هنا كان عرضا استرجاعيا أي أنه بدأ من اللحظة الأخيرة من الوقوف على القبر وتدّرج في اغتصاب حقها في البيت الخامس لقوله:

ويُغـصـبُ حقُّها جـهـراً وتـؤذى بحيثُ وصية الهـادي تضـيع

وفي هذا البيت إلى البيت الحادي عشر اعتمد الشاعر على البناء للمجهول في كل الأفعال (ويُعفى، يُغصبُ، تُصد، تُحبسُ، تُقتطع، يُحرقُ، يُهتك، يكسرُ، يُسقَطُ، يُدمي، يُنثر، ينبُع) في هذه الأبيات في صدر البيت وعجزه، ولعله أراد الإشارة إلى قوة الحدث المفروض عليها أسند إلى مجهول في النص لكنه معلوم في التاريخ والمرجعيات الدينية الشعرية، فكانت الزهراء عليها السلام محورا لكل هذه الحوادث التي أصرَّ الشاعر على ذكر كل تفصيلٍ فيها، وكأنه أراد أن يصل إلى وصف صورة الحادثة وصولاً إلى تبيان عظمتها، ولم يكتف الشاعر بالسرد الوصفي الحديثة وإنما حاول في أبياته الأخيرة أن يستدعي المجتمع بذكره من ذلك لقوله:

تنوحُ فتسمعُ الشكوى وتدعو ومـا في المسلمين لهـا سميعُ

إذ أورد في هذا البيت خلاصة الأحداث التي مرت بالزهراء وتبعتها في الواقع الإسلامي فتَنكُر المسلمون لأحقية الزهراء عليها السلام مثلّ موقفا انبثقت منه جلّ حوادث التاريخ ودليله على ذلك البيت:

مصائبُ بالفضاعة قـد تناهت وكلُّ مصيبةٍ خطـبٌ فظـــيعُ

فالمصائب هنا دلالة على ما سيستمر على أهل البيت من مصائب قديمة وحديثة..

واسهمت الدلالة الصوتية المتمثلة باستعمال الشاعر بحر (الوافر) وهو ألين البحور في الاستعمال؛ لأنّه يشُدُّ إذا شددتهُ، ويرقُّ إذا رققتهُ[1]، و يمتاز أنّه بحر مسرع النغمات ويتطلب من الشاعر أن يأتي بمعانيه بوقعٍ دافع[2]، فضلًا عن الرنَّة المفاجئة للمتلقي فهو يصلح للإداء العاطفي والرقة والجزع عامة[3]، إذ كان للوزن الشعري مع روي العين أثرٌ كبيٌر في تجسيد المشهد ايقاعياً فضلًا عن كثرة حروف المد الّتي اسهمت في تكثيف الدلالة، فالمد يحقق سكوناً تنغيمياً شجياً يدعو إلى الانفعال؛ لأن الشاعر يسعى إلى تحريك مشاعر المتلقي واكسبت قافية العين إيقاعاً ناصعاً شديد الوضوح طويل المدى

(١) ظ: الرثاء في الشعر العربي في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري: د. عبد الحسين عباس الحلي، دار الكتاب العربي، بغداد، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م: ص٣٦٠.

(٢) ظ: المرشد الى فهم اشعار العرب: ج١ ص٣٥٩.

(٣) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: ص٢٤٨.

يوحي بامتداد ذلك الحزن والتحسر على اهل البيت، وقد منح إيقاع القافية الدلالات الحسية من البصرية والسمعية الحركة، الّتي تنبض بها الأبيات وتوحي بها، فنَما النّص برفقة وحدة حيوية، ولاسيّما أنّ صوت العين يتشكل من تضييق مخرجه أول الحلق على شكل حلقة ملساء، ثُمّ تتجمع ذبذبات النفس في بؤرة هذه الحلقة لتخرج نقية ناصعة، توحي بدلالة الغصة الممتزجة بالنقاء المحمدي[1]، وكأن الشاعر يجسد معاني الألم والحسرة المتمثلة في تكرار مصيبتها على مدى التاريخ ويوحي بتلك الغصة التي تقف له حائلا كلما ذُكرت الزهراء عليها السلام (النجيع، البقيع، تضيع، منيع، تشيع، سميع، فضيع..)؛ إذ كان لاختيار رنين الكلمات دلالة على قُدرة الشَّاعر في امتلاك أدواته الفنية المعبرِّة عن عواطفه واحاسيسه الكامنّة في اختيار الأصوات وجرس الالفاظ الّتي تنحصر أهميتها في إثارة وتهيج الانفعالات[2].

وجاءت بعض كلمات قافيته العينية المسبوقة بالياء او الواو وهذا السناد[3]؛ من قوله:(الضلوع، الدموع، المروع)؛ لاضطراب مشاعره وليستوعب عملية إفراغ العاطفة، واستفراغ الآهات المكبوتة الّتي تمثَّلت واقعياً عندما انتهت قافية كلّ قصيدة بصوت العين الممدود بالياء او الواو،، وكأنَّها توحي بذلك الموقف الذي يبقى فيه الشاعر مذهولاً، فتغير الحرف الّذي قبل القافية يؤكّد ذلك الاحساس الوجداني المعرفي؛ فتكون وسيلة لتنبيه السامع وتلهب إحساسه بالشجن، وهذا ما وظفه الشاعر في قصيدته؛ ليكون المشهد متكاملا دلاليا وايقاعياً.

وقد تتنوع دلالات الشاعر في قصائده بحسب تعدد الظُلامات التي تعرضت لها السيدة الزهراء عليها السلام هناك ظلامة مباشرة تمثلت بغصب حقها، والاعتداء عليها في حادثة الباب المعروفة.

وهناك ظلامات غير مباشرة ارتبطت باغتصاب حق الإمام علي عليه السلام على الخلافة و قتل ذريتها لاسيما حادثة الطّف التي عُدت تواصلاً بمنهج الظلم والعدوان على السيدة عليها السلام؛ إذ وظف الشاعر في قصيدة أخرى صورة الزهراء عليها السلام وهي تشتكي يوم القيامة من قتلة الحسين عليه السلام وتطالب الاله بأخذ الحق والقصاص منهم في يوم المحشر، من ذلك قول الشاعر[4]:

(١) ظ: خصائص الحروف العربية ومعانيها دراسة، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٨م: ص٢٠٩

(٢) الاتجاه النفسي في نقد الشعر: ص٤٤٩.

(٣) السناد: وهو احد عيوب القافية، وتعني اختلاف ما قبل حرف الرَّوي أو مابعده على أي وجه كان الاختلاف بحركة أو بحرف.ظ: العمدة: ج١ ص١٦٨.

(٤) ملحمة الفرطوسي:ج٢ ص ١٤.

وتجـئ الـزهـراء في الحـشر بنتي وهي تشكو العدى لربَّ السماء[1]
بـثـيـابٍ مـصـبـوغـةٍ في دمـاءٍ سفكُوها مـن سيد الشُّهداء
وتـنـادي الالـه بالعدل فأحكُم أنـت بيني وبـين أهـل العداء
فـــورب الـعـبـاد يحـكُـم فيهم لابنتي فـاطـمٍ بعدل القضاءِ

قارب الشاعر بين الظُلامة غير المباشرة للإمام الحسين عليه السلام وربط فيها بين السيدة الزهراء عليها السلام وبين آل البيت بأكملهم حين جعلها وسطاً بين النبي محمد صلى الله عليه وآله والإمام الحسين عليه السلام فالأبيات كانت على لسان النبي بشكواها المرفوعة لله وهو أيضا ارتباط معرفي بتوظيفه لرواية موثقة في هذا الامر.

وكان الخطاب على لسان النبي أكثر تأثيراً وتناغماً مع العقل الإسلامي بوصفه نبياً لكل المسلمين وما يرد عنه يكون أكثر تأثيراً من غيره، والحديث عن الزهراء عليها السلام على لسان النبي صلى الله عليه وآله هو اشارة إلى عمومية هذه المظلومية وعدم ارتباطها بطائفة محددة، ويؤكد ذلك ما ذكره في البيتين الأخريين

وتـنـادي الالـه بالعدل فأحكُم أنـت بيني وبـين أهـل العداء

والبيت الاخر:

فـــورب الـعـبـاد يحـكُـم فيهم لابنتي فـاطـمٍ بعدل القضاءِ

إذ جعل العدل الإلهي هو الفيصل والحاكم بين الزهراء عليها السلام واعدائها، وهو مصدر قوة لقضية الزهراء عليها السلام لاسيما وان من يطالب بالعدل الإلهي هو النبي صلى الله عليه وآله وقسَمهُ في البيت الأخير لقوله:

فـــورب الـعـبـاد يحـكُـم فيهم لابنتي فـاطـمٍ بعدل القضاءِ

ظهر التركيز على الرابطة بين النبي صلى الله عليه وآله وابنته الزهراء عليها السلام بألفاظ تحيل مباشرة إلى هذا الأمر فقد ذكر (بنتي) بإسنادها إلى يا المتكلم للتركيز على بعدين الديني: بذكره للعدالة الإلهية لرب السماء والثاني: البعد النسبي الذي ترتبط به ابنته الزهراء عليها السلام البعدان هما اللذان مهدا بالصورة الإمام الحسين عليه السلام الذي عبر عنها الشاعر بسيد الشهداء فالحسين عليه السلام يرتبط بالنبي صلى الله عليه وآله عقائدياً ونسبيا ولا يمكن الفصل بينهما.

وقد استثمر الشاعر الأصوات اللغوية التي يحتاج إدراكها إلى رهافة الذوق والإحساس لتصل إلى المتلقي، وما تؤلفه من نسيج صوتي يعبّر عن مواقف مختلفة تتجلّى في أسلوبية الاختيار الشعري لحرف

(١) عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله تحشر ابنتي فاطمة عليها السلام يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء، تتعلّق بقائمة من قوائم العرش، تقول: يا أحكم الحاكمين، احكم بيني وبين قاتل ولدي، قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ويحكم لابنتي فاطمة وربِّ الكعبة»** عيون أخبار الرضا: ج٢ ص١٢.

الروي الهمزة، وهوما جاءت به الملحمة كلها التي قيلت بحق الزهراء عليها السلام ولها دلالة منها أن الهمزة من الأصوات العسيرة في النطق وهو من اكثر الأصوات صعوبة[1]، وبهذا فإن مجيئها صوت روي يمنح الإيقاع الخارجي شدة وغلظة، وربما ليعبر عن حالة من التأزم والعسر التي يمر بها الشاعر[2]، لأنه أراد التعبير عما في داخله وهذا ما جسدته القافية المنتهية بالهمزة التي أضاءت الصورة الكاملة لمضمون الابيات..

وخلاصة الأمر مثلت هذه الأبيات الصورة الدينية الحقيقية التي ترتكز على(الله تعالى، النبي، واهل بيته الأطهار) وهو ما يشير إلى توظيف الشاعر لمعتقداته وإيمانه الراسخ باهل البيت وعترتهم عليهم السلام وهو بذلك يكون معبراً حقيقياً عن مفهوم الالتزام في الشعر بكل ما يستتبعه من استجلاب لمفاهيم آمن بها الشاعر واضحت جزءاً من بنيته الفكرية والمعرفية.

(١) ظ: مقالات في قضايا العربية، فاخر الياسري، مؤسسة وارث الأنبياء الثقافية، العراق، البصرة، ط١، ٢٠٩: ١٢٣.

(٢) ظ: القافية وبناؤها الصوتي في شعر الرثاء الحسيني المعاصر في العراق من ١٩٨٠ ـ ٢٠١٥م، م.م عقيل عبد السلام مقدم، أ. م.د سالم يعقوب يوسف، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة حولية المنتدى، العدد الحادي عشر ـ حزيران، ٢٠١٧: ٢١.

الخاتمة

١. يعد مصطلح الفضاء المعرفي من المصطلحاتِ الحديثة الّتي تُعنى بدراسةِ النَّص الشعري ونقدهِ بتحليل منظومةٍ من المفاهيم المعرفية الّتي يدخل الشَّاعر فيها مجموع الخبرات والثَّقافات المتنوعة الّتي يستمدَّها ويكتسبها من ثقافته وبيئته والعلاقات الاجتماعية المختلفة الّتي تفاعل معها، فاطّلع عليها حقيقةً، وهذه العلاقات تحملُ متغيراتٍ يتفاعلُ معها الشَّاعر، وتتغير تبعاً لطبيعةِ عصرهِ؛، وما تتركهُ تلك الروافد من تصورات فكريّة تصلُ إلى مرحلة المعرفة، فيتمثَّلها الشَّاعر تصوُّراتٍ مبنيّة على معرفتهِ شعراً، فالفضاء المعرفي يعتمدُ على عَلاقة الشَّاعر بواقعهِ وما يمنحهُ ذلكَ الواقع من معرفة يسخّرها في شعره ترتبط بمشاعرهِ وإحساسه.

٢. انماز الشاعر بنظم الملاحم الشعرية بحق أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الملحمة التي قيلت بحق الزهراء عليها السلام وهو ما يمثل طاقة معرفية كبيرة قادرة على استغراق جُلّ التراث الديني واللغوي.

٣. كانت أكثر صوره الشعرية بحق الزهراء عليها السلام ضمن شعره الملحمي والمعروف أن الملحمة الحديثة هي سرد للتاريخ بطريقة شعرية بمعنى التقاط الحوادث التاريخية وصياغتها شعريا؛ لذا تكون الملحمة أقرب إلى الرؤية المباشرة منها إلى التشكيل الصوري، لأن هم الشاعر في الأساس هو استغراق الموضوعات، وبعضهم يضع الملحمة بالتوازي مع الشعر التعليمي فكما أن الشاعر التعليمي يدور حول موضوعات محددة ووصولها بطريقة مباشرة فالشعر الملحمي يتعامل بالأسلوب نفسه مع الحوادث التاريخية مع الفارق البسيط أنه يبتعد قليلا عن المباشرة وتكون حريته في التعبير أكثر من الشاعر التعليمي.

٤. يبدو أثر المرجعيات الدينية والثقافة التي اعتمدها الشاعر واضحاً انطلق منها في نصه الشعري ومثلت ملمحاً بارزا في أغلب قصائده، ولانغالي إذا قلنا أن جلّ قصائده قد اعتمدت على روايات بعينها حاول أن يصوغها شعرياً وهو أمر يحمل جنبتين الأولى هي التوثيق الفعلي للحقائق والثانية قدرة الشاعر على نقلها من حيزها الروائي إلى حيزها الشعري فإن بقيّ اسيراً للمحور الأول سيكون شعره أشبه بالشعر التعليمي وأن استطاع أن يقدم لمسة شعرية على الروايات فإنه يكون قد أخرجنا من

ضيق حيزها التاريخي إلى حيزها الشعري ولن يستغرق الحديث طويلا فمجرد تتبع كل قصائده نجد أن استهلالاته تحيل إلى روايات محددة.

٥. أوضح الشاعر في شعره وهو يمتح من فضائه المعرفي صورة الزهراء العقائدية بتوظيفه الروايات التي اكدت عقيدتنا بالزهراء وافضليتها، فضلا عن الصورة الاجتماعية بما فيها من مظاهر تدعو الى تكيف المرأة مع المجتمع ضمن تعاليم الدين الإسلامي من حيث قناعتها وتدبيرها لبيتها وحسن تبعلها اقتداءً بالزهراء ومحافظتها على حجابها وصورة ظُلامتها لتكون عبرة لنا نستجمع منها الايمان والقوة والإرادة والالتزام والصبر...هذه الصورة المحمدية التي ينبغي ان تكون عليها المرأة المسلمة، هذه القدوة التي ينبغي لكل مسلمة ان تجعلها ماثلة امامها تنهل من فيض منهجها لترجو شفاعتها والنجاة بيوم الحساب.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، د. عبد القادر فيدوح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٢م.
- الاحتجاج، الطبرسي، (أحمد بن علي بن أبي طالب ت٥٤٨هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، (د ـ ت).
- الأدب العربي في كربلاء من إعلان الدستور العثماني إلى ثورة تموز ١٩٥٨، اتجاهاته وخصائصه الفنية، د. عبود جودي الحلي، مكتبة الحكمة، كربلاء، ط ٣، ٢٠١٤ م.
- الإمام الحسين بن علي عليه السلام في الشعر العراقي الحديث دراسة موضوعية وفنية، د.علي حسين يوسف، اصدار وحدة الدراسات التخصصية، العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ٢٠١٣م.
- الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، تقديم عادل العلوي، مطبعة: أمير، قم، الناشر: مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة عليها السلام، ط٢، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠ م.
- أطيب البيان في تفسير القرآن، السيد عبد الحسين الطيب، مؤسسة الثقافة الإسلامية، طهران، ط٢، ١٣٩٣هـ ـ ١٤١٧هـ.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣ ه.
- البلاغة والمعنى في النص القرآني (تفسير ابي السعود انموذجاً)، د. حامد عبد الهادي حسين، هيئة إدارة واستثمار أموال الوقف السني العراق، بغداد، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
- البناء الفني للقصيدة العربية، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الطباعة المحمدية، ط١، مصر.
- تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج، د. علي عباس علوان، منشورات وزارة الإعلام، بغداد ١٩٧٥م.
- التعريفات، أبو الحسين علي بن حمد بن علي الجرجاني ت (٨١٦) هـ، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت، لبنان ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- ثقافة الأسئلة، عبد الله الغذامي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٩٣م.
- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- خصائص الحروف العربية ومعانيها دراسة، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٨م.
- الدراسة وتاريخها في النجف الأشرف، محمد بحر العلوم، ضمن موسوعة العتبات المقدسة، (قسم النجف)، جعفر الخليلي، دار التعارف، بغداد، ١٩٦٥م.
- الدر النثورفي التفسير للمأثور، السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين ت(٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٣ـ ٢٠١١م.
- دلائل الإمامة، الطبري، محمد بن جرير، مركز الطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤١٣ه.
- ديوان الفرطوسي، الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، المكتبة الأدبية المختصة، النجف الأشرف، ط١، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٧م.
- دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني د. صباح عباس عنوز، إصدار شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.
- الرثاء في الشعر العربي في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري: د. عبد الحسين عباس الحلي، دار الكتاب العربي، بغداد، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- الرثاء في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، بشرى محمد علي الخطيب، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، ١٩٧٧م.
- شاعر أهل البيت عبد المنعم الفرطوسي ملحمة أهل البيت عليهم السلام، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٣١٨هـ ـ ١٩٧٨م.
- شعراء الغري أو النجفيات، على الخاقاني، مطبعة بهمن، قم، د. ط، ١٤٠٨.
- الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، حياته وأدبه، حيدر محلاتي، المكتبة الأدبية المختصة، ستارة، قم، ط١، ١٤٢٠هـ.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق (أبو علي الحسن عبد الحميد القيرواني ت٤٥٦ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية، مصر، ط٣، ١٩٦٣م.
- العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية، جعفر الخليلي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٧١م.
- عيون أخبار الرضا، عيون أخبار الرضا للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنه (٣٨١) صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- الكليات (معجم المصطلحات والفروق اللغوية)، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ت (١٠٩٤هـ) تحقيق: محمد علي النجار، لجنة احياء التراث الإسلامي، ١٩٨٢م.
- لسان العرب، ابن منظور (المتوفى٧١١هـ)، جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت.
- ماضي النَّجف وحاضرها، جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- مختار الصحاح (الامام محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي) (ت٧٦٦هـ)، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.
- مدينة النجف الكبرى، دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية، د. محسن عبد الصاحب المظفر، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٨٢م.
- مذكراتي، محمد مهدي الجواهري، منشورات دار المجتبى للطباعة والنشر، بني الزهراء للطباعة والنشر، قم المقدسة، إيران، ط١، ١٣٨٤ هـ - ٢٠٠٥م.
- المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٩٥م.
- معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، محمد مهدي الاميني، مطبعة الآداب، النجف، ط١، ١٩٦٤.
- معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- معجم الشعراء منذ بداية عصر النهضة إيميل بديع يعقوب، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ

ـ ٢٠٠٤م.
• المعجم الفلسفي، د. جميل صلبيا، مطبعة سليمان زاده، قم، ط١، ١٣٨٥هـ.
• المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية العامة للمعجمات واحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط ٤، ٢٠٠٤م.
• مقالات في قضايا العربية، فاخر الياسري، مؤسسة وارث الأنبياء الثقافية، العراق، البصرة، ط١.
• النَّص الأدبي: من أين وإلى أين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط.١، ١٩٨٣م.
• النَّص الأدبي من التكوين الشعري إلى أنماط الصورة البيانية وهيمنة التلوين الشعوري، دراسات بيانية وتطبيقية، د. صباح عباس عنوز، دار الضياء للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م.
• نوافذ الوجدان الثلاث، د. سعيد يعقوب، مؤسسة البلاغ، سوريا، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.
• هكذا رأيتهم، د. محمد حسين الصغير، موسوعة العارف، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
• العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية، جعفر الخليلي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٧١م.
• وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، (الحر العاملي)، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
• ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي(ت١٢٩٠هـ)، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، ط٢، ١٤٢٢هـ.
• الرسائل الجامعية.
• أثر اليقين والوجدان المعرفي في تكوين الدّلالتين الإيحائيَّةِ والإيقاعيَّةِ (الشَّعرُ الحُسينيُّ النَّجفيُّ في القرن العشرين مثالاً)، منى صالح حسن، أطروحة دكتوراة، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م.
• الأساليب الانشائية في شعر عبد المنعم الفرطوسي دراسة دلالية، عايد هادي كاظم، رسالة ماجستير، جامعة الأديان والمذاهب، كلية اللغات والثقافات الدولية، ٢٠٢٣ م.
• البناء الفني للملحمات في جمهرة أشعار العرب، حسين عبد حسين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٠ م.

- شعر عبد المنعم الفرطوسي دراسة لغوية، رضية عبد الزهرة كيطان، (رسالة ماجستير)، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٤٣٦ ـ ٢٠١٥ م.
- القافية وبناؤها الصوتي في شعر الرثاء الحسيني المعاصر في العراق من ١٩٨٠ ـ ٢٠١٥م، م.م عقيل عبد السلام مقدم، أ. م.د سالم يعقوب يوسف، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة حولية المنتدى، العدد الحادي عشر ـ حزيران، ٢٠١٧م.
- https://alrasd.net/arabic/4571
- https://imamhussain.org/arabic/6348